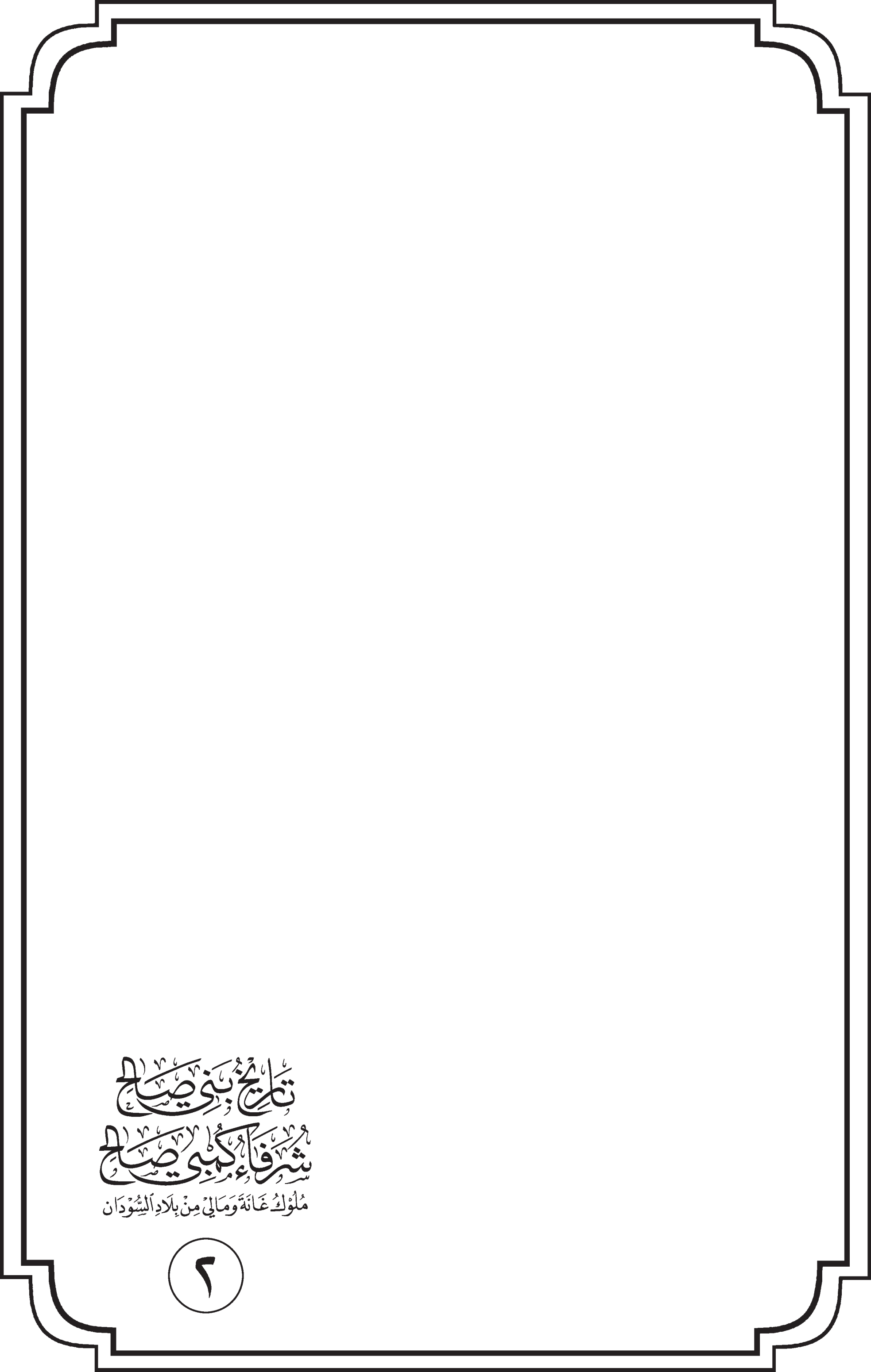
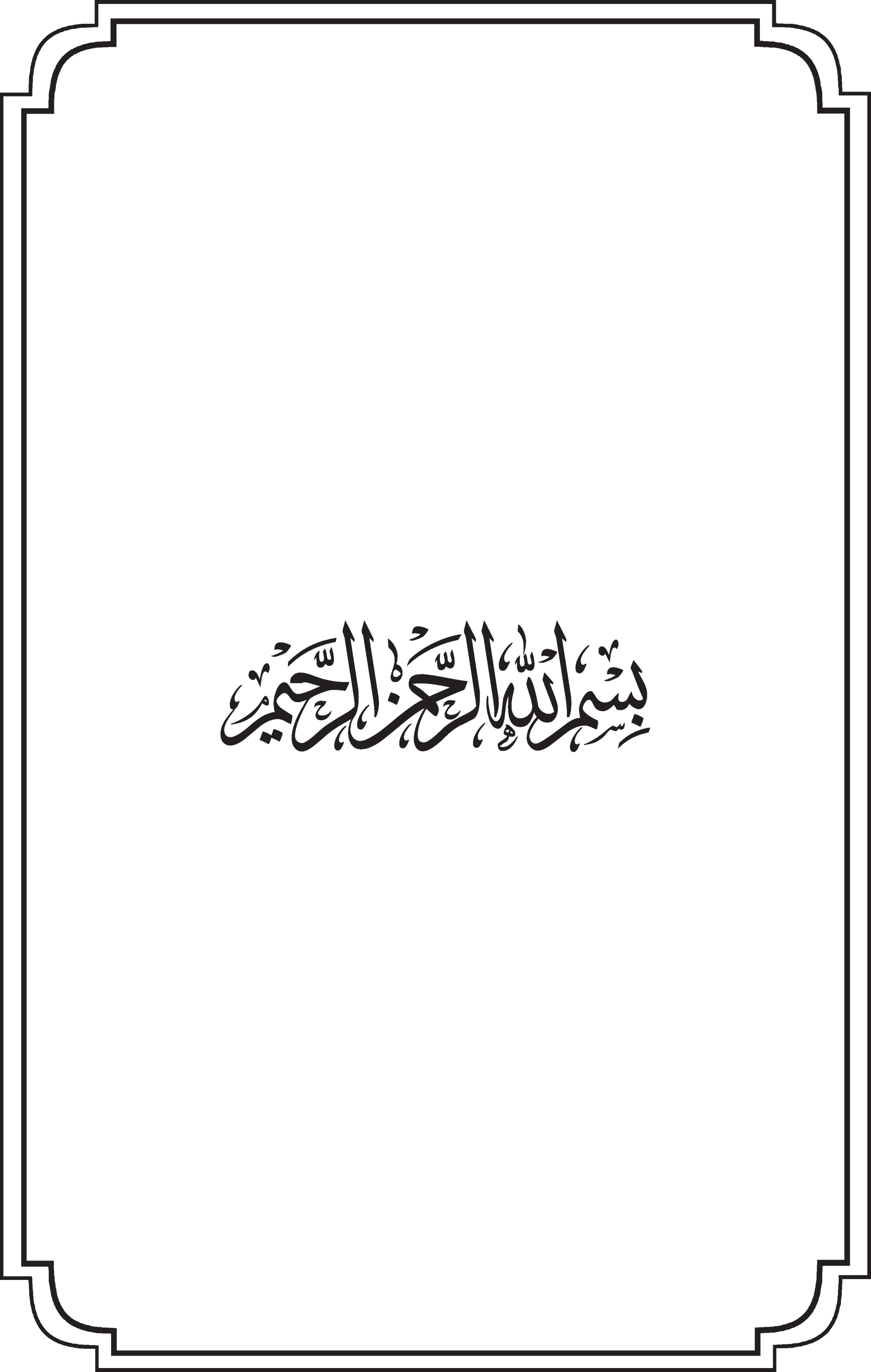
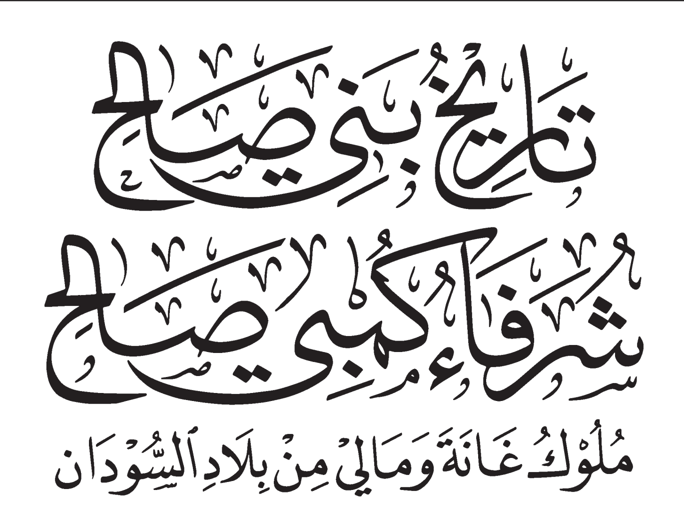

تاريخ بني صالح
شرفاء كمبي صالح
ملوك غانة ومالي من بلاد السودان
٢


بسم الله الرحمن الرحيم



مُلُوكُ غانة ومالي مِن بلادِ السُّودان

مملكة مالي الصالحية العلوية

جمعنا فيه تاريخ منطقة غرب أفريقيا
في القرون الوسطى بصفة عامة وحكم بني صالح للمنطقة خاصة

تأليف نقيب بني صالح

أبي محمد الحسن بن الشيخ سليمان بن موسى بيدي
الراشدي الصالحي الحسني

المجلد الثاني



للنشر والتوزيع

الطبعة الأولى
١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م



للنشر والتوزيع





مقدمـــة
المجلد الثاني

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه:

وبعد:

فإني لم أر منذ اهتمامي بعلم التاريخ والأنساب: تاريخاً أو نسباً تعرض لحملة من التشويه والتزييف والجحود أكثر مما تعرض له نسب وتاريخ بني صالح خاصة وتاريخ الإسلام والمسلمين في منطقة غرب أفريقيا خاصة، وأغلب ذلك كان متعمداً وخدمة لأجندات أجنبية خارج المنطقة كجحود ابن خلدون سامحه الله لنسب الأشراف بني صالح ملوك مالي من فرع هلال أبي النعمان، حيث افترى أن أول من أسلم منهم «برمندانة» ـ يعني: «موسى الأسود» سمي جده موسى الجون ـ فالجون ـ من الأدمة والسواد ـ بغية التوصل إلى الطعن في نسبهم الشريف، ولكن الله فضحه لأمرين:

الأمر الأول: أنه أحصى منهم تسعة عشر ملكاً وزعم أنه لم يتصل به نسبهم رغم أنه عاصر بعضهم فضلاً عن كونهم مجاورين له وأعظم ملوك الأرض في زمانه على الإطلاق فمنهم السلطان محمد بن قو ـ المعروف بأبي بكر الثاني ـ ابن الأمير الأسد الذي اكتشف القارة الأمريكية قبل المستكشفين الأوروبيين، ومنهم السلطان منسا موسى ابن أبي بكر ابن

محمد صاحب أشهر رحلة حج في التاريخ، وفي زمانه وصلت حدود مملكة مالي إلى أطراف سجلماسة وتوات من الشمال وإلى البحر المحيط والسنغال والغينيتين وغانا حالياً غرباً وإلى النيجر ونيجيريا وحدود ليبيا شرقاً، ومع ذلك كله زعم ابن خلدون أنه لم يتصل به نسبهم مخافة أن يحرج نفسه أمام أرباب نعمته العبيد الموالي المماليك ملوك مصر في زمنه والذين كانت لهم عداوة مع حكام المسلمين الخارجين عن طاعتهم وخاصة أهل البيت منهم فاشترك هو وإياهم في جحد نسبهم.

الأمر الثاني: أن بعض من سبقوه من المؤرخين كأبي الفداء الأيوبي وبعض المعاصرين له كابن فضل الله العمري والصفدي وأحمد بن علي القلقشندي ذكروا أن ملوك مالي المعاصرين لابن خلدون من بني صالح بن الحسن بن علي ﷺ، ورغم هذا كله جحد نسبهم زاعماً أنه لم يتصل به وهو الذي لم يبق ملكاً على وجه الأرض في زمانه إلا وذكر نسبه.

ومن مظاهر ذلك التشويش والتشويه المتعمدين ما زعمه ابن بطوطة من إسلام الأمير الأسد «ماري جاطة» ابن محمد بن موسى الأسود، فبعد أن زعم ابن خلدون أن أول من أسلم منهم موسى الأسود «برمندانة» زعم ابن بطوطة أن حفيده الأمير الأسد هو أول من أسلم كذباً وبهتاناً بل إنه حرف لقبه من «ماري جاطة إلى سارق جاطة» وذلك لئلا يحرج نفسه بذكر نسبهم الشريف، وسبب جحوده لعلويتهم سخطه على مبلغ الأموال التي أهديت له ومستوى الضيافة الذي يرى أنه، لا يناسب مقامه، فهو متسول إن أعطي شكر، وإن لم يعط جحد وبطر، ولا غرابة في هذا فقد افترى على شيخ الإسلام ابن تيمية أنه رآه على المنبر يخطب فنزل إلى الدرج وجلس عليه وقال: إن الله ينزل ويستوي على عرشه كنزولي هذا واستوائي هذا، مع أن شيخ الإسلام رحمه الله تعالى توفي قبل وصول الكذاب ابن بطوطة دمشق بسنة.

ولم يقف الأمر عند هذا الحد حتى زعم مولاي جعفر بن مولاي

إسماعيل جد أدعياء الشرف بمقاطعة النعمة أن ماسيري كيتا جد أول رئيس لجمهورية مالي الحديثة «موديبو كيتا أسلم على يديه».

وهل وقف الأمر عند هذا الحد؟ هيهات هيهات، فقد نقل باب ابن الشيخ سيديا التندغي الانتشائي نسباً الأبييري وطناً في كتابه «إمارتا إدوعيش ومشظوف» عن أحمد بابا التنبكتي حسب زعمه إسلام أهل «كَنْ» عازياً ذلك إلى كتابه «معراج الصعود»، وبحثت عن الكتاب لأتأكد بنفسي من صحة العزو فلم أجده، ولكني وجدت السيد الشريف أحمد بن خالد الناصري الجعفري الطيار ينقل عن أحمد بابا التنبكتي رواية مغايرة عما حكاه عنه باب ابن الشيخ سيدي، وذلك في المجلد الثاني من كتابه «الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى» ص**٢٩٧** ونصه:

[قال الشيخ أبو العباس أحمد بابا السوداني في تقييده المسمى «بمعراج الصعود»: أن أهل السودان أسلموا طوعاً بلا استيلاء أحد عليهم كأهل كنوا وكنتي وبرنو وسغاي ما سمعنا قط أن أحداً استولى عليهم قبل إسلامهم، ومنهم من هم قدماء الإسلام كأهل مالي أسلموا في القرن الخامس أو قربه وكأهل برنو وسغاي، وقد علمت أن أهل غانة تقدم إسلامهم على هذا التاريخ والله تعالى أعلم].

إذاً لم يرد في هذا النص ذكر لأهل «كَنْ» وقوله: إن أهل مالي أسلموا في القرن الخامس الهجري يوافق ما نقله البكري عن إسلام ملك مالي السوداني «المسلماني وذريته وخاصته قبل منتصف القرن الخامس الهجري» وليس ما زعمه ابن خلدون من إسلام ملك مالي الصالحي الحسني في القرن السادس الهجري، ولا ما زعمه ابن بطوطة من إسلام ملك مالي الصالحي الحسني في القرن السابع الهجري، ولا ما زعمه مولاي جعفر النعماوي من إسلام «ماسري كيتا» الصالحي الحسني في القرن التاسع الهجري.

وقوله: «وقد علمت أن أهل غانة تقدم إسلامهم على هذا التاريخ» يوافق ما نقله ابن حزم عن إسلام أهل التكرور وما نقله البكري من أن

نصف سكان عاصمة غانة من المسلمين وذلك قبل القرن الخامس الهجري، وقبل قدوم عبدالله الشريف كانْ الصالحي الحسني عليهم، فكيف نقول بأن أحفاده «أهل كَنْ» أسلموا؟ ولم يقف الأمر عند هذا الحد فحسب، بل زعم موسى أحمد كامره في كتابه: «زهور البساتين» أن «محمد المسلم: حمى جولط كَنْ» الحفيد الثاني عشر لعبدالله الشريف كانْ أنه أول من أسلم من قبيلة «كانْ».

وإذا كان البكري وابن فاطمة والشريف الإدريسي وابن سعيد الغرناطي الأندلسي وأبو الفداء الأيوبي وابن فضل الله العمري والصفدي والقلقشندي من المتقدمين، قد ذكروا شرف بني صالح ملوك غانة ومالي من بلاد السودان فإن بعض المعاصرين الحاقدين على تاريخ الإسلام والمسلمين في غرب أفريقيا عامة ونسب وتاريخ بني صالح ملوك المنطقة خاصة، لا زالوا يرددون فرية ابن خلدون وابن بطوطة وغيرهم عن إسلام ملوك مالي الصالحيين بل إنهم تجاوزوا ابن خلدون وابن بطوطة ليشككوا في نسب بني صالح ملوك غانة، حيث يذكر كل من أحمد الشلبي، وأحمد الشكري، وإبراهيم طرخان، عبارات من قبيل «ولم يكتف ملوك غانة بإسلامهم بل انتسبوا إلى الحسن بن علي ﵄، ومسألة التعلق بنسب أهل البيت برزت مع ملوك غانة المسلمين ونفس الشيء فعله ملوك مالي ورثة غانة...» على الرغم من تسليم ابن خلدون بصحة نسب بني صالح ملوك غانة إلى الحسن ﵁ واعتبارهم من مشاهير الطالبية، وكون ابن بطوطة أغمض عينيه وصم أذنيه عن بني صالح ملوك غانة المعاصرين له والتابعين لمملكة مالي الصالحية فلم يزرهم ولم يذكرهم، فكانوا أحسن حالاً من أبناء عمهم الذين زارهم وشوه تاريخهم، ولم يخل تاريخ المنطقة من تشويه المستعمر الفرنسي الذي يحرف نص بعض الكتب والمخطوطات المتعلقة بتاريخ المنطقة كتحريفه لبعض نصوص النسختين المتداولتين الآن لكتابي: «تاريخ الفتاش لمحمود كعت، وتاريخ السودان للسعدي».

فضلاً عن ترجمته لمضمون تلك النصوص ترجمة خاطئة ومزيفة عن قصد وسبق إصرار.

وإني إن شاء الله تعالى في هذا الجزء سوف أفضحهم وأكشف سوآتهم وأبين حقدهم بالأدلة والبراهين القاطعة، فسنورد ما كتبه كل واحد منهم بنصه كاملاً، ثم نرد عليه من كتب المتقدمين قبله والمعاصرين له من النسابين والمؤرخين المنصفين والمحايدين.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يذب عن وجهي النار كما ذبيت عن وحدانيته وسنة ونسب وجناب رسوله ﷺ، وعن أعراض المسلمين وحرماتهم، وعن تاريخ الإسلام والمسلمين في ربوع غرب أفريقيا إنه سميع مجيب الدعاء.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.






محتويات المجلد الثاني

الفصل الثاني

مملكة مالي عند الجغرافيين المسلمين
ألفه صلاح الدين المنجد عام ١٩٦٣م

وقد أكملت بعض النواقص فيه.

١ ـ المقدمة.

٢ ـ ابن الفقيه أحمد بن محمد، والإصطخري إبراهيم بن محمد، والشريشي أحمد بن عبدالمؤمن.

٣ ـ ياقوت الحموي، والقزويني زكريا بن محمد.

٤ ـ ابن سعيد المغربي علي بن سعيد، المتوفى سنة ٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م.

٥ ـ أبو الفداء إسماعيل بن علي، المتوفى ٧٣٢هـ/ ١٣٣١م.

٦ ـ ابن فضل الله العمري أحمد بن يحيى، المتوفى ٧٤٩هـ/ ١٣٤٩م.

٧ ـ ابن بطوطة محمد بن إبراهيم، المتوفى ٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م.

٨ ـ بيان أخطاء وأوهام شائعة حول نسب وإسلام قبيلة كيتا ملوك مالي المنتسبين إلى بني صالح ملوك غانة.

٩ ـ القلقشندي أحمد بن علي المتوفى سنة ٨٢١هـ/ ١٤١٨م.

❊ ❊ ❊

الفصل الثالث

تصحيح مفاهيم مغلوطة
عن نسب وتاريخ بني صالح ملوك مالي

١ ـ النسابة الشريف السيد عبدالستار بن درويش الحسني البغدادي وما كتبه عن بني صالح ملوك غانة ومالي من بلاد السودان.

٢ ـ قائمة ملوك مالي.

٣ ـ بنو صالح ودورهم في ترسيخ الإسلام في مملكتهم مالي.

٤ ـ التاريخ الإسلامي في غرب أفريقيا تحت مطارق الباحثين، الباحث: هارون مهدي الميغا.

٥ ـ ملحق بأسماء الأقاليم والدوائر والمدن الموجودة في جمهورية مالي.

٦ ـ حياة السيد الشريف موديبو كيتا أول رئيس لجمهورية مالي الحديثة.

٧ ـ حياة السيد الشريف إبراهيم أبو بكر كيتا رئيس جمهورية مالي الحديثة.

❋ ❋ ❋

الفصل الرابع

إمارات بني صالح بفوتاتورو على ضفتي نهر السنغال

١ ـ ترجمة محمد المسلم وهو «حم جولط كانْ» بلغة التكارير.

٢ ـ أخبار دمت: أصلهم ومواطنهم وتنقلاتهم، موسى كامر.

٣ ـ حياة الإمام عبدالقادر كنْ الصالحي الحسني، أول قائد لدولة الأئمة.

٤ ـ إمارة بني صالح بإقليم (دمت راشد) التابعة لإمارة الأئمة الإسلامية.

٥ ـ حياة الإمام القاضي أبو بكر كان الصالحي الحسني.

٦ ـ حياة العلامة الفقيه محمد «مينحن» بن مودي مالك الصالحي الحسني.

٧ ـ لمحة تاريخية مختصرة عن الإمام العلامة محمد محمود ابن الشيخ ابن سيدي بوبكر الأرواني.

٨ ـ حياة العلامة المختار بن بابه بن حمدي بن الطالب أجود الصالحي الحسني.

❋ ❋ ❋

الفصل الخامس

بعض فروع بني صالح

١ ـ ما كتبه المؤرخون الشناقطة عن نسب الموديات أشهر بطون بني صالح.

٢ ـ فروع الشريف سيدي إلياس وغيرها.

٣ ـ بنو صالح في عيون مؤرخي البربر الشناقطة.

❍ ❍ ❍ ❍ ❍ ❍

الفصل الأول

مملكة مالي الصالحية العلوية

١ ـ فرية إسلام الشريف موسى الأسود الملقب «برمندانة» جد قبيلة «كيتا».

٢ ـ العلامة عبدالرحمٰن بن خلدون وما كتبه عن مملكة مالي وملوكها من بني صالح.

٣ ـ الشريف الأمير الأسد «سندياتا كيتا» الصالحي الحسني مؤسس مملكة مالي الصالحية العلوية.

٤ ـ الشريف السلطان علي ابن الأمير الأسد أحد ملوك مملكة مالي الصالحية العلوية.

٥ ـ السلطان محمد بن قو والمعروف بأبي بكر الثاني الصالحي الحسني ورحلته التي اكتشف خلالها القارة الأمريكية.

٦ ـ الشريف منسا موسى ابن أبي بكر الصالحي الحسني، ملك مالي وأغنى رجل في العالم وصاحب أشهر رحلة حج منذ فجر الإسلام حتى اليوم.

٧ ـ الشريف السلطان منسا سليمان ابن أبي بكر الصالحي الحسني أشهر ملوك مالي من بني صالح.

فرية إسلام الشريف موسى الأسود الملقب «برمندانة» جد قبيلة «كيتا» وأول من حج من ملوك مالي والرد عليها

إنه السيد الشريف الملك الأمير موسى الأسود الملقب «برمندانة» ابن الأمير دامال ابن الأمير لاتال ابن الأمير لاولو ابن الأمير هلال أبو النعمان الملقب «بلالي بوناما» ابن عبدالله الشريف كان الأول ابن هذيم بن مسلم بن زيد بن عبدالله أبي الضحاك بن الحسن الشهيد ابن عبدالله الشهيد ابن محمد الشاعر ابن صالح الجوال ابن عبدالله الرضا الشيخ الصالح ـ ويلقب بأبي الكرام ـ ابن موسى الجون ابن عبدالله الكامل ابن الحسن المثنى ابن الحسن السبط ابن علي عليهم السلام .

لقد خلط بعض الإخباريين بين إسلام ملوك مالي القدامى من الزنوج الوثنيين في القرن الخامس الهجري وبين ملوكها الأشراف العلويين الصالحيين في القرن السابع الهجري عن قصد وتعمد وإصرار لتشويه تاريخ ملوكها من أهل البيت بغية الطعن في نسبهم الشريف.

وسوف نبين كيف تم الخلط عمداً وعن سبق إصرار من خلال استعراض ما كتب حول ذلك على النحو التالي، قبل أن نرد على تلك الفرية ونفندها جملة وتفصيلاً.

١ ـ **إسلام ملك مالي**: (المسلماني) وذريته وخاصته منتصف القرن

الخامس الهجري حسب رواية البكري المتوفى **٤٨٧** هجرية.

وهي الرواية الوحيدة الصحيحة عن إسلام أول ملك من ملوك مالي السودان، وقد كتب أبو عبيد البكري في ج**٢** من كتابه «المسالك والممالك» ص**٣٦٦ ـ ٣٦٧** ما نصه:

(ووراءه بلد اسمه ملل وملكهم يعرف بالمسلماني، وإنما سمي بذلك لأن بلاده أجدبت عاماً بعد عام، فاستسقوا بقرابينهم من البقر حتى كادوا يفنونها ولا يزدادون إلا قحطاً وشقاء وكان عنده ضيف من المسلمين يقرأ القرآن ويعلم السنة، فشكا إليه الملك وما دهمهم من ذلك فقال له: «أيها الملك لو آمنت بالله تعالى وأقررت بوحدانيته وبمحمد عليه الصلاة والسلام أقررت برسالته واعتقدت شرائع الإسلام كلها لرجوت لك الفرج مما أنت فيه وحل بك، وأنت تعم الرحمة أهل بلدك، وأن يحسدك على ذلك من عاداك وناوأك».

فلم يزل به حتى أسلم وأخلص نيته وأقرأه من كتاب الله ما تيسر عليه وعلمه من الفرائض والسنن ما لا يسع جهله، ثم استأتى به إلى ليلة جمعة فأمره فتطهر فيها طهراً سابغاً وألبسه المسلم ثوب قطن كان عنده وبرزوا إلى ربوة من الأرض فقام المسلم يصلي والملك عن يمينه يأتم به، فصليا من الليل ما شاء الله والمسلم يدعو والملك يؤمن، فما انفجر الصباح إلا والله قد عمهم بالسقي، فأمر الملك بكسر الدكاكير وإخراج السحرة من بلاده، وصح إسلامه وإسلام عقبه وخاصته، وأهل مملكته مشركون، فوسموا ملوكهم مذ ذاك «بالمسلماني»).

٢ ـ إسلام ملك مالي: موسى الأسود الملقب «برمندانة» في القرن السادس الهجري حسب رواية ابن خلدون المتوفى سنة **٨٠٨** هجرية.

فقد كتب في الجزء السادس من العبر ص**٢٣٧** ما نصه:

يذكرون أن أول من أسلم منهم ملك اسمه «برمندانة» هكذا ضبطه الشيخ عثمان، وحج هذا (الملك واقتفى سننه في الحج ملوكهم من بعده).

فابن خلدون أول من قال بإسلام «برمندانة» ولم يسبقه أحد إلى ذلك وقلده بعض من نقلوا عنه تلك الرواية دون نقد ولا تمحيص.

فادعى إسلام «برمندانة» ليطعن بذلك في نسبه الشريف ونسب ذريته من بعده، والذين صرح بأنه لم يتصل به نسبهم زوراً وبهتاناً، كتشكيكه وطعنه في نسب أجدادهم بني صالح ملوك غانة، والذين لم يشكك في صحة نسبهم الشريف أحد قبله.

والرد عليه ينحصر في ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: إذا سلمنا جدلاً بأن برمندانة ليس من بني صالح ملوك غانة، وإنما هو من ملوك مالي السودانيين، فأول من أسلم منهم هو الملك المسلماني كما نص على ذلك البكري وليس برمندانة فظهر زيف فرية ابن خلدون.

المسألة الثانية: إذا تنزلنا وسلمنا جدلاً ببعض ما جاء في بعض الروايات الشفوية المحلية ـ المتأخرة قروناً عن فترة ملك ملوك مالي من بني صالح ـ والتي تزعم أن الملك موسى الأسود الملقب «برمندانة» هو من ذرية الصحابي الجليل بلال بن رباح الحبشي ﵁، وأساس تلك الروايات الشفوية المحلية أنها حرفت اسم جدهم «هلال» أبو النعمان ابن عبدالله الشريف كان الأول إلى لفظ بلال بوناما ـ فلو سلمنا بصحة هذه الروايات، فإنها تفند وتنسف فرية ابن خلدون وزعمه أن أول من أسلم منهم ملك اسمه برمندانة، فكيف يكون أول من أسلم في القرن السادس الهجري وهو حفيد الصحابي الجليل بلال بن رباح الحبشي ﵁ أحد السابقين في الإسلام؟

هذا إذا سلمنا أيضاً بأن بلالاً ﵁ خلف عقباً وأن عقبه رجعوا إلى أفريقيا الشيء الذي لم يذكره مصدر واحد. ومع ذلك فإن تلك الروايات الشفوية المحلية والمتأخرة تجمع على أن موسى الأسود «برمندانة» أول من حج من ملوك مالي، ولم تشر واحدة منها إلى أنه أول من أسلم إطلاقاً بل هي فرية تولى كبرها ابن خلدون عفا الله عنه.

المسألة الثالثة: أن دافع ابن خلدون للغمز في إسلام هؤلاء الملوك الشرفاء وتجاهل نسبهم الشريف بزعم أنه لم يتصل به نسبهم معروف، وهو إرضاء خصومهم ملوك مصر من الموالي المماليك، وهو الذي كان في آخر عمره قاضياً في مصر للمماليك الذين كانوا يجحدون شرف ملوك مالي بل ويجبرونهم على تقبيل الأرض والسجود لهم من دون الله أثناء مرورهم بالقاهرة لقضاء مناسك الحج، الأمر الذي بسببه أحجم ملوك مالي عن أداء فريضة الحج.

وقد نص ابن فضل الله العمري المتوفى سنة **٧٤٩** هجرية في الجزء الرابع من «مسالك الأبصار في ممالك الأمصار» ص**٧١، ٧٢**، على إرغام الملك الناصر محمد بن قلاوون أحد ملوك دولة المماليك بمصر: «الشريف منسا موسى ابن أبي بكر الصالحي الحسني» صاحب أشهر رحلة حج عبر التاريخ، على السجود له وتقبيل الأرض، وهذا نصه:

(وحاولته أن يطلع للقلعة ويجتمع بالسلطان فأبى علي وامتنع وقال: «إنما جئت لأحج لا لشيء آخر وما أريد أن أخلط حجي بغيره» وشرع في الاحتجاج بهذا وأنا أفهم أنه يرى الحضور نقصاً عليه لما يضطر إليه من تقبيل الأرض أو اليد. وبقيت أحاوله، وهو يتعلل ويتعذر. والمراسم السلطانية تتقاضاني في إحضاره. فما زلت به حتى وافق. فلما وصل إلى حضرة السلطان قلنا له: «قبل الأرض».

فتوقف وأبى إباء ظاهراً. وقال: «كيف يجوز هذا؟» فأسر إليه رجل عاقل كان معه كلاماً ما نعلمه. فقال: «أنا أسجد لله الذي خلقني وفطرني» ثم سجد. وتقدم إلى السلطان فقام له بعض قيام وأكرمه وأجلسه إلى جانبه).

كما يضيف العمري في كتابه: «التعريف بالمصطلح الشريف» أن الملك الناصر محمد بن قلاوون المملوكي كان يجحد نسب الشريف منسا موسى ابن أبي بكر الصالحي الحسني، ولا يقر له به في مراسلاته.

وهذا نصه من ص٤٤ ـ ٤٥:

(ملك التكرور: وهو صاحب مالي، ومالي عبارة عن اسم إقليم والتكرور مدينة من مدنها... وملك التكرور هذا يدعي النسب إلى عبدالله بن صالح بن الحسن بن علي ابن أبي طالب ورسم المكاتبة إليه: أدام الله تعالى نصر المقر العالي، السلطان الجليل، الكبير، العالم، العادل، المجاهد، المؤيد، الأوحد، عز الإسلام، شرف ملوك الأنام، ناصر الغزاة والمجاهدين، زعيم جيوش الموحدين، جمال الملوك والسلاطين، سيف الخلافة، ظهير الإمامة، عضد أمير المؤمنين، الملك فلان، ويدعى له بما يناسب، وبعد هذا سلام وتشوق، هذه المفاوضة تبدي ولا يعرض له، ولا يقر بشيء من الألقاب الدالة على النسب العلوي).

قلت: كيف يعرض له ويقر له بنسبه العلوي، وهو يريده أن يكون عبداً له يسجد له من دون الله؟

إلا أن الموالي المماليك والذين يشعرون بعقدة نسبهم «أنهم من العبيد الموالي» وجدوا ضالتهم في ابن خلدون ليحقق لهم مآربهم بنفي علوية ملوك مالي، فحاول نفي أصلهم ملوك غانة فلما عجز عن ذلك اختلق لهم فرية إسلام جدهم موسى الأسود الملقب «برمندانة» ثم زعم أنه لم يتصل به نسبهم، وهذا بيانه:

قلت: بينما أجمعت المراجع التاريخية والروايات الشفوية المحلية على أن أول ملك حج من ملوك مالي إلى بيت الله الحرام هو: الأمير موسى الأسود الملقب «برمندانة» يوافقهم العلامة عبدالرحمٰن بن خلدون في ذلك، ويشذ عن صف إجماعهم بدعوى أنه أول من أسلم منهم بغية التوصل إلى التشكيك في نسبهم الشريف كما فعل مع سلفهم ملوك غانة، حيث كان أول من شكك في نسبهم الشريف قبل أن يسلم به بعد عجزه عن نفيه بينة أو برهان وأحدث في عمود نسبهم الشريف ثلاث سلاسل لم يقل بها قائل قبله ولم يدعيها بنو صالح عن نسبهم وهي:

١ ـ صالح بن عبدالله بن موسى الثاني ابن عبدالله الساقي ويلقب بأبي الكرام ابن موسى الجون.

٢ ـ صالح بن يوسف بن محمد الأخيصر ابن يوسف بن إبراهيم بن موسى الجون، فلما علم بأن عبدالله بن موسى الثاني منقرض وليس له ابن اسمه صالح، وأن صالحاً بن يوسف بن محمد الأخيصر منقرض أيضاً، نسبهم إلى عمود نسب ثالث وهو:

٣ ـ صالح بن موسى الثاني وذلك بقوله: (ومنهم بنو صالح بن موسى بن عبدالله الساقي ويلقب بأبي الكرام ابن موسى الجون، وهم الذين كانوا ملوكاً بغانة من بلاد السودان بالمغرب الأقصى وعقبهم هنالك معروفون).

وإن كان صالح بن موسى الثاني أعقب وانتشر عقبه إلا أن بني صالح ملوك غانة هم أبناء عمه: (صالح بن عبدالله أبي الكرام بن موسى الجون) ومع جزم ابن خلدون رَحِمَهُ ٱللَّهُ هنا بصحة نسب بني صالح ملوك غانة إلى البيت النبوي الشريف وتأكيده على أن عقبهم هنالك معروفون إلا أنه لم يبين ذلك العقب الذي كان معروفاً ومشهوراً.

وإذا كان المؤرخ المهمندار المصري الذي ينقل عنه العمري، والعمري الشامي والقلقشندي المصري نقلوا عن ملوك مالي من ذرية الشريف الأمير الأسد «سندياتا كيتا» المعروف بلقب «ماري جاطة» وعن ابن أخيه الشريف منسا موسى ابن أبي بكر ابن محمد، دعواهم أنهم من بني صالح ملوك غانة، إلا أن ابن خلدون رحمه الله تعالى لم يرق له انتساب هؤلاء الأشراف إلى سلفهم بني صالح ملوك غانة الذين قطع الشك باليقين بصحة شرفهم وشهرة عقبهم فزعم إسلام جدهم موسى الأسود الملقب «برمندانة» أولاً، وأحصى من عقب موسى هذا تسعة عشر ملكاً وزعم أنه لم يتصل به نسبهم، وهذا أمر مستحيل فهؤلاء هم أعظم ملوك الأرض أيام زمانه ومعاصرين له ومجاورين أيضاً وإنما زعم عدم اتصال نسبهم به ليريح نفسه من نفي نسبهم الشريف دون دليل أو برهان.

ولو كان يعلم أنهم من الماندينغ المالنكي أو من السودان عموماً لما احتاج إلى دعوى أنه لم يتصل به نسبهم لكونهم سودان يملكون بلاد السودان.

ومع ملك بني صالح لغانة نهاية القرن الخامس الهجري إلى نهاية ملكهم لمالي منتصف القرن التاسع الهجري حيث ملكوا لأكثر من ثلاثة قرون وعشرين سنة إذا استثنينا منها **٢٥** سنة تخللتها بين سقوط مملكة غانة تحت يد الصوصو الوثنيين وبين قيام مملكة مالي بعد هزيمة الصوصو الزنوج بخمس وعشرين سنة على إسقاطهم ملك غانة.

انتقل نظام الملك خلال هذه القرون الثلاثة من التقليد الأفريقي السوداني وهو ـ توريث العرش لأبناء الأخوات وحرمان الأبناء والبنات وأولادهم من ذلك بسبب شكوك ملوك السودان في صحة اتصال نسب أبنائهم بهم وجزمهم بصحة اتصال أبناء الأخوات بأمهاتهم ـ انتقل الملك من ذلك التقليد الذي كان سائداً إلى توريث العرش للأبناء وأبناء العمومة طيلة ملك بني صالح لمالي وحتى أن خلفهم ملوك مالي «الصنعي» درجوا على هذا التقليد حتى سقط نظامهم تحت الاستعمار الفرنسي.

ومع ذلك كله لما تولى عرش مالي مرة واحدة شخص من أسرة كيتا وابن بنت الأمير الأسد «سندياتاكيتا» وهو الوحيد من أبناء البنات الذي تولى العرش فلم يتولاه ابن بنت ولا أخت قبله ولا بعده لأزيد من ثلاثة قرون، لم يفوت ابن خلدون رحمه الله تعالى هذه الفرصة ليغمز ويلمز في نسب هؤلاء الملوك ويطعن فيه بدعوى أنهم ملكوا ابن بنتهم هذا على سنن الأعاجم وهذا نص ما كتبه رحمه الله تعالى:

(وولي من بعده أخوه «والي» ـ يقصد بعد السلطان علي ـ، ثم بعده أخوهم «خليفة» وكان محمقاً رامياً فكان يرسل السهام على الناس فيقتلهم مجاناً فوثبوا عليه فقتلوه. وولي عليهم من بعده سبط من أسباط ماري جاطه يسمى بأبي بكر، وكان ابن بنته فملكوه على سنن الأعاجم في تمليك الأخت وابن الأخت. ولم يقع إلينا نسبه ونسب أبيه).

السؤال الذي يطرح نفسه: ما دام لم يقع إليك نسبه ونسب أبيه، ولا نسب ١٨ ملكاً من أسرته منهم من ملك قبله ومنهم من ملك بعده وكلهم يورثون ملكهم لأبنائهم وليس لأبناء بناتهم ولا أخواتهم فكيف حكمت عليهم أنهم إنما ورثوا ابن بنتهم هذا وابن عمهم في نفس الوقت على سنن الأعاجم في توريث الأخت وابن الأخت؟ وأنت تدعي الجهل بأنساب الجميع، سبحانك هذا بهتان عظيم.

فالمصادر العربية ومنهم من عاصر أصحابها ابن خلدون ينقلون عن الملوك من هذا البيت تشبثهم بنسبهم الشريف وأنهم فرع من بني صالح ملوك غانة، وأما بعض أصحاب الروايات الشفوية المحلية والتي حرفت اسم جدهم هلال أبو النعمان ابن عبدالله الشريف سليل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تسليماً، إلى: «بلالي بوناما خادم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم تسليماً»، فزعموا أن هذا البيت الشريف من نسل الصحابي الجليل بلال بن رباح الحبشي رضي الله عنه نظراً لتصحيف وتحريف ذلك الاسم خصوصاً أن الروايات الشفوية المحلية بعيدة جداً جداً عن عصر أولئك الملوك بقرون ودخل فيها الكثير من التحريف والتزييف حتى غدت أشبه بالأسطورة منها إلى الحقيقة.

وما أستغربه أن ابن خلدون رحمه الله تعالى وهو من هو علماً واطلاعاً لم يصل إليه ما كتبته المراجع التاريخية ولا ما ذكرته بعض الروايات الشفوية المحلية. ولم ينقل له الشيخ عثمان مفتي مدينة كومبي صالح عاصمة غانة ولا غيره من الإخباريين نسب أعظم ملوك العالم في زمنه.

٣ ـ **إسلام مؤسس مملكة مالي الملك «ماري جاطة»**: في القرن الثامن الهجري حسب زعم الرحالة ابن بطوطة المتوفى سنة ٧٧٩ هجرية، ويسميه هو: «سارق جاطة» فقد كتب في رحلته ص٣٧٦ ما نصه:

(وكان السودان يكرهون منسى سليمان لبخله، وكان قبله منسى مغا وقبل منسى مغا منسى موسى، وكان كريماً فاضلاً يحب البيضان ويحسن

إليهم، وهو الذي أعطى لأبي إسحاق الساحلي في يوم واحد أربعة آلاف مثقال، وأخبرني بعض الثقات أنه أعطى لمدرك بن فقوص ثلاثة آلاف مثقال في يوم واحد، وكان جده سارق جاطة أسلم على يدي جد مدرك هذا). قلت: «سارق جاطة» هذا الذي ذكر ابن بطوطة إسلامه في رحلته هو:

ماري جاطة «الأمير الأسد» والمعروف أيضاً بلقب سندياتا كيتا ابن الأمير محمد الملقب «مغا» ابن بلو بخون ابن الأمير موسى الأسود الملقب «برمندانة».

فإذا كان ابن خلدون قد افترى أن برمندانة أول من أسلم من ملوك مالي وحج بيت الله الحرام، فإن ابن بطوطة يجعل حفيده الثاني ماري جاطة «الأمير الأسد» أول من أسلم من ملوك مالي، سبحانك هذا بهتان عظيم.

والدافع الذي دفع ابن بطوطة لجحد نسب هؤلاء الشرفاء وغمزه فيهم بإسلامهم، هو سخطه عليهم ووصفهم بالحقارة وتعييرهم بسواد بشرتهم حيث صب جم غضبه على الشريف منسا سليمان، لأنه أعطاه مبالغ نقدية من الذهب لم تنل رضاه فوصفه بالبخل وزعم أن أهل مالي يكرهونه لبخله، وذكر ذلك من قبل أيضاً عن ابن عمه والي مدينة ولاتة في ص**٣٦٩** وهذا نصه:

(ثم وصلنا إلى مدينة أيوالاتن في غرة شهر ربيع الأول، بعد سفر شهرين كاملين من سجلماسة، وهي أول عمالة السودان، ونائب السلطان بها فربا حسين، وفربا معناه النائب. ولما وصلناها جعل التجار أمتعتهم في رحبة، وتكفل السودان بحفظها، وتوجهوا إلى الفربا، وهو جالس على بساط في سقيف، أعوانه بين يديه بأيديهم الرماح والقسي، وكبراء مسوفة من ورائه، ووقف التجار بين يديه، وهو يكلمهم بترجمان على قربه منهم احتقاراً لهم. فعند ذلك ندمت على قدومي بلادهم، لسوء أدبهم، واحتقارهم للأبيض. وقصدت دار ابن بداء، وهو رجل فاضل من أهل

سلا، كنت كتبت له أن يكتري لي داراً ففعل ذلك. ثم إن مشرف أيوالاتن، ويسمى منشاجو، استدعى من جاء في القافلة إلى ضيافته، فأبيت حضور ذلك، فعزم الأصحاب عليّ أشد العزم، فتوجهت فيمن توجه، ثم أتي بالضيافة، وهي جريش أنلي مخلوطاً بيسير عسل ولبن، قد وضعوه في نصف قرعة صيروه شبه الجفنة، فشرب الحاضرون وانصرفوا. فقلت لهم: ألهذا دعانا الأسود؟ قالوا: نعم وهي الضيافة الكبيرة عندهم. فأيقنت حينئذ أن لا خير يرتجى منهم). بهذه الأوصاف السيئة نظر ابن بطوطة إلى ملوك مالي المعاصرين له وقرر الانتقام منهم وبالتالي فإن السبب وراء جحد ابن بطوطة لنسبهم الشريف وغمزه في إسلامهم هو عدم رضاه عما قدموا له من مال وضيافة.

وإلا إذا صدقنا فرية ابن خلدون عن إسلام الجد برمندانة، فكيف نصدق ابن بطوطة أيضاً في فرية إسلام الحفيد ماري جاطة؟

٤ ـ إسلام «ماسري كيتا» في القرن الرابع عشر الهجري، العشرون الميلادي جد الرئيس موديبو كيتا أول رئيس لجمهورية مالي بعد استقلالها عن فرنسا حسب زعم دعي النسب الشريف زوراً وبهتاناً جعفر بن المهدي حفيد مولاي إسماعيل النعماوي الحوضي حيث نشرت مجلة أقلام حرة على موقعها على الإنترنت يوم الأحد **٢٠١٣/٩/٢٢**م الساعة **١٧:٥٨** دقيقة ما نصه:

(الملك السادس يلتقي مولاي علي ابن مولاي أحمد بن جعفر بن المهدي... جد أشراف النعمة بالشرق الموريتاني ويمثل الشيخ مولاي علي أسرة أهل جعفر بن المهدي النعماوية، وعلى يد جده جعفر بن المهدي أسلم «ماسري كيتا» الجد المباشر لمؤسس جمهورية مالي الحديثة الرئيس «السابق» موديبو كيتا.

وبعد أن نقلنا عن ابن خلدون فرية إسلام الشريف موسى الأسود الملقب «برمندانة»، زعم لنا ابن بطوطة فرية حفيده الثاني الأمير الأسد «ماري جاطة» والمشهور بسندياتا كيتا، لينتهي بنا المطاف إلى فرية أخرى

أكبر من أختيها حيث ادعى لنا دعي النسب الشريف زوراً وبهتاناً مولاي اعل النعماوي البربري إسلام «ماسري كيتا» الحفيد الحادي والعشرين لماري جاطة.

وكلها حملات ممنهجة ومتعمدة لتشويه تاريخ ونسب هؤلاء الملوك الشرفاء.

وخلاصة القول: إن ملوك مملكة مالي في القرن الخامس الهجري وما قبله كانوا من الزنوج الوثنيين وأسلموا منتصف القرن الخامس الهجري، وحسن إسلامهم، وتلقبوا باسم المسلماني، وكانوا تابعين لملوك غانة من السنونكي، وبعد أن ملك بنو صالح الشرفاء مملكة غانة قبل بداية القرن السادس الهجري بقليل، أصبح الكل تبعاً لهم فعينوا ملكاً منهم على إقليم كانجابا والذي كانت تحكمه أيضاً أسرة من المالنكي قبل تعيين الحاكم المذكور وهو هلال أبو النعمان بن عبدالله الشريف كان الأول واستمر الحال حتى نهاية القرن السادس الهجري حيث سقطت مملكة بني صالح تحت الصوصو الوثنيين وبقيت سلطتهم غائبة خمساً وعشرين سنة حتى تمكن أحد أحفاد الشريف هلال أبو النعمان الملقب «بلالي بوناما» وهو الأمير الأسد «سندياتا كيتا» المعروف بلقب «ماري جاطة» من التغلب على صوصو وهزيمتهم واستعادة ملك بني صالح من جديد ولكنه أطلق على مملكته الجديدة اسم مملكة مالي، وهي غير مملكة مالي التي كانت تحكمها أسرة المسلماني السودانية.

ومما يؤكد هذه الحقيقة أن ملوك مالي من أسرة كيتا متمسكون بنسبهم الشريف وأنهم فرع من بني صالح ملوك غانة.

كما نقل ذلك العمري في كتابه: «التعريف بالمصطلح الشريف» والقلقشندي في كتابه: «صبح الأعشى في صناعة الإنشاء» ج٥ وج٨.

○ ○ ○ ○ ○ ○

العلامة عبدالرحمٰن ابن خلدون
٧٣٢ ـ ٨٠٨هـ/ ١٣٣٢ ـ ١٤٠٦م
وما كتبه عن مملكة مالي وملوكها من بني صالح




ملوك السودان

الخبر عن ملوك السودان المجاورين للمغرب من وراء هؤلاء الملثمين ووصف أحوالهم والإلمام بما اتصل بنا من دولتهم:

هذه الأمم السودان من الآدميين هم أهل الإقليم الثاني وما وراءه إلى آخر الأول بل وإلى آخر المعمورة متصلون ما بين المغرب والمشرق ويجاورون بلاد البربر بالمغرب وأفريقية وبلاد اليمن والحجاز في الوسط والبصرة وما وراءها من بلاد الهند بالمشرق وهم أصناف وشعوب وقبائل أشهرهم بالمشرق الزنج والحبشة والنوبة، وأما أهل المغرب منهم فنحن ذاكروهم بعدما ننسبهم فبنو حام بن نوح بالحبش من ولد حبش بن كوش بن حام والنوبة من ولد نوبة بن كوش بن كنعان بن حام فيما قاله المسعودي، وقال ابن عبدالبر إنهم من ولد نوب بن قوط بن مصر بن حام والزنج من ولد زنجي بن كوش، وأما سائر السودان فمن ولد قوط بن حام فيما قاله ابن عبدالبر ويقال: هو قبط بن حام.

وعد ابن سعيد من قبائلهم وأممهم سبعة عشر أمة فمنهم في المشرق الزنج على بحر الهند لهم مدينة فنقية وهم مجوس وهم الذين غلب رقيقهم بالبصرة على ساداتهم مع دعي الزنج في خلافة المعتمد.

قال: ويليهم بربراً وهم الذين ذكرهم امرؤ القيس في شعره والإسلام لهذا العهد فاش فيهم ولهم يومئذ مقاشن على البحر الهندي يعمرها تجار المسلمين ومن غربيهم وحولهم الدمادم وهم حفاة عراة.

قال: وخرجوا إلى بلاد الحبشة والنوبة عند خروج التتر إلى العراق فعاثوا فيها ثم رجعوا قال: ويليهم الحبشة وهم أعظم أمم السودان وهم مجاورون لليمن على شاطئ البحر الغربي ومنه غزو ملك اليمن ذي نواس وكانت دار مملكتهم كفرة وكانوا على دين النصرانية وأخذ بالإسلام واحد منهم زمن الهجرة على ما ثبت في الصحيح والذي أسلم منهم لعهد النبي ﷺ وهاجر إليه الصحابة قبل الهجرة إلى المدينة فآواهم ومنعهم وصلى عليه النبي ﷺ عندما نعي إليه كان اسمه النجاشي وهو بلسانهم: أنكاش بالكاف المشمة بالجيم عربتها العرب جيماً محضة وألحقتها ياء النسب شأنها في الأسماء الأعجمية إذا تصرفت فيها وليس هذا الاسم سمة لكل من تملك منهم كما يزعم كثير من الناس ممن لا علم له بهذا ولو كان لشهروا اسمه إلى اليوم لأن ملكهم لم يتحول منهم وملكهم لهذا العهد اسمه الحطى ما أدري اسم السلطان نفسه أو اسم العشيرة الذين فيهم الملك.

وفي غربيه مدينة دامون وكان بها ملك من أعاظمهم وله ملك ضخم وفي شماليه ملك آخر منهم اسمه حق الدين محمد بن علي بن واصمع في مدينة أسلم أولوه في تواريخ مجهولة.

وكان جده واصمع مطيعاً لملك دامون وأدركت الحطى الغيرة من ذلك فغزاه واستولى على بلاده.

ثم اتصلت الفتنة وضعف أمر الحطى فاسترجع بنو واصمع بلادهم من الحطى وبنيه واستولوا على وفات وخربوها.

وبلغنا أن حق الدين هلك وملك بعده أخوه سعد الدين وهم مسلمون ويعطون الطاعة للحطى أحياناً وينابذونه أخرى والله مالك الملك.

قال ابن سعيد: ويليهم البجاوة وهم نصارى ومسلمون ولهم جزيرة بسواكن في بحر السوس ويليهم النوبة إخوة الزنج والحبشة ولهم مدينة دنقلة غرب النيل وأكثرهم مجاورون للديار المصرية ومنهم رقيق.

ويليهم زغاوة وهم مسلمون ومن شعوبهم تاجرة ويليهم الكانم وهم

خلق عظيم والإسلام غالب عليهم ومدينتهم حميمي ولهم التغلب على بلاد الصحراء إلى فزان وكانت لهم مهادنة مع الدولة الحفصية مذ أولها ويليهم من غربهم كوكو وبعدهم نغاله والتكرور ولمى وتميم وجاي وكوري وأفكزار ويتصلون بالبحر المحيط إلى غانية في الغرب كلام ابن سعيد، ولما فتحت أفريقية المغرب دخل التجار بلاد المغرب فلم يجدوا فيهم أعظم من ملوك غانية كانوا مجاورين للبحر المحيط من جانب الغرب، وكانوا أعظم أمة ولهم أضخم ملك وحاضرة ملكهم غانية مدينتان على حافتي النيل من أعظم مدائن العالم وأكثرها معتمراً ذكرها مؤلف كتاب رجار وصاحب المسالك والممالك.

وكانت تجاورهم من جانب الشرق أمة أخرى فيما زعم الناقلون تعرف صوصو بصادين مضمومتين أو سينين مهملتين ثم بعدها أمة أخرى تعرف مالي ثم بعدها أمة أخرى تعرف كوكو، ويقال كاغو ثم بعدها أمة أخرى تعرف بالتكرور.

وأخبرني الشيخ عثمان ففيه أهل غانية وكبيرهم علماً وديناً وشهرة قدم مصر سنة تسع وتسعين وسبعمائة حاجاً بأهله وولده ولقيته بها فقال: إنهم يسمون التكرور زغاي ومالي انكاريه، ثم إن أهل غانية ضعف ملكهم وتلاشى أمرهم واستفحل أمر الملثمين المجاورين لهم من جانب الشمال مما يلي البربر كما ذكرناه وعبروا على السودان واستباحوا حماهم وبلادهم واقتضوا منهم الأتاوات والجزي، وحملوا كثيراً منهم على الإسلام فدانوا به ثم اضمحل ملك أصحاب غانية وتغلب عليهم أهل صوصو المجاورون لهم من أمم السودان واستعبدوهم وأصاروهم في جملتهم ثم إن أهل مالي كثروا أمم السودان في نواحيهم تلك واستطالوا على الأمم المجاورين لهم فغلبوا على صوصو وملكوا جميع ما بأيديهم من ملكهم القديم وملك أهل غانية إلى البحر المحيط من ناحية الغرب وكانوا مسلمين يذكرون أن أول من أسلم منهم مالك اسمه برمندان هكذا ضبطه الشيخ عثمان وحج هذا الملك واقتفى سننه في الحج ملوكهم من بعده.

وكان ملكهم الأعظم الذي تغلب على صوصو وافتتح بلادهم وانتزع الملك من أيديهم اسمه ماري جاطة ومعنى ماري عندهم الأمير الذي يكون نسل السلطان وجاطة الأسد واسم الحافد عندهم تكن ولم يتصل بنا نسسب هذا الملك وملك عليهم خمساً وعشرين سنة فيما ذكروه ولما هلك ولي عليهم من بعده منساولي ومعنى منسا السلطان ومعنى ولي بلسانهم علي وكان منساولي هذا من أعاظم ملوكهم وحج أيام الظاهر بيبرس وولي عليهم من بعده أخوه واتى ثم بعده أخوه خليفة وكان محمقاً رامياً فكان يرسل السهام على الناس فيقتلهم مجاناً فوثبوا عليه فقتلوه وولي عليهم من بعده سبط من أسباط ماري جاطة يسمى أبا بكر وكان ابن بنته فملكوه على سنن الأعاجم في تمليك الأخت وابن الأخت ولم يقع إلينا نسبه ونسب أبيه.

ثم ولي عليهم من بعده مولى من مواليهم تغلب على ملكهم اسمه ساكورة وقال الشيخ عثمان: ضبطه بلسانهم أهل غانية سيكرة وحج أيام الملك الناصر وقتل عند مرجعه بتاجورا وكانت دولته ضخمة اتسع فيها نطاق ملكهم وتغلبوا على الأمم المجاورة لهم وافتتح بلاد كوكو وأصارها في ملك أهل مالي واتصل ملكهم من البحر المحيط وغانة بالمغرب إلى بلاد التكرور في المشرق واعتز سلطانهم وهابتهم أمم السودان وارتحل إلى بلادهم التجار من بلاد المغرب وأفريقية.

وقال الحاج يونس ترجمان التكرور إن الذي فتح كوكو هو سغمنجه من قواد منسا موسى وولي من بعد ساكورة هذا قو ابن السلطان ماري جاطة ثم من بعده ابنه محمد بن قو ثم انتقل ملكهم من ولد السلطان ماري جاطة إلى ولد أخيه أبي بكر فولى عليهم منسا موسى ابن أبي بكر وكان رجلاً صالحاً وملكاً عظيماً له في العدل أخبار تؤثر عنه وحج سنة أربع وعشرين وسبعمائة لقيه في الموسم شاعر الأندلس أبو إسحاق إبراهيم الساحلي المعروف بالطويجن وصحبه إلى بلاده وكان له اختصاص وعناية ورثها من بعده ولده إلى الآن وأوطنوا والاتر من تخوم بلادهم من ناحية المغرب ولقيه في منصرفه صاحبنا المعمر أبو عبدالله ابن خديجة الكومي

من ولد عبدالمؤمن كان داعية بالزاب للفاطمي المنتظر وأجلب عليهم بعصائب من العرب فمكر به واركلا واعتقله ثم خلى سبيله بعد حين فخاض إلى السلطان منسا موسى مستجيشاً به عليهم وقد كان بلغه توجهه للحج فأقام في انتظاره ببلد غدامس يرجو نصراً على عدوه ومعونة على أمره لما كان عليه منسا موسى من استفحال ملكه بالصحراء الموالية لبلد واركلا وقوة سلطانه فلقي منه مبرة وترحباً ووعده بالمظاهرة والقيام بثأره واستصحبه إلى بلدة أخرى وهو الثقة.

قال: كنا نواكبه أنا وأبو إسحاق الطويجن دون وزراته ووجوه قومه نأخذ بأطراف الأحاديث نتمتع وكان متحفاً في كل منزل بطرف المآكل والحلاوات قال: والذي تحمل آلته وحربته من الطوائف خاصة اثنا عشر ألفاً لابسات أقبية الديباج والحرير اليماني.

قال الحاج يونس ترجمان هذه الأمة بمصر: جاء هذا الملك منسا موسى من بلده بثمانين حملاً من التبر كل حمل ثلاثة قناطير قال: وإنما يحملون على الوصائف والرجال في أوطانهم فقط، وأما السفر البعيد كالحج فعلى المطايا.

قال أبو خديجة: ورجعنا معه إلى حضرة ملكه فأراد أن يتخذ بيتاً بمقعد سلطانه محكم البناء مجللاً لغرابته بأرضهم فأطرفه أبو إسحاق الطويجن ببناء قبة مربعة الشكل استفرغ فيها إجادته وكان صناع اليدين وأضفى عليها من الكلس ووالي عليها بالأصباغ المشعبة فجاءت من أتقن المباني ووقعت من السلطان موقع الاستغراب لفقدان صنعة البناء بأرضهم ووصله باثنتي عشر ألفاً من مثاقيل التبر مثوبة عليها إلى ما كان له من الأثرة والميل إليه والصلات السنية وكان بين هذا السلطان منسا موسى وبين ملك المغرب لعهده من بني مرين السلطان أبي الحسن مواصلة ومهاداة سفرت بينهما فيها الأعلام من رجال الدولتين واستجاد صاحب المغرب من متاع وطنه وتحف ممالكه مما تحدث عنه الناس على ما نذكره عند موضعه بعث بها مع علي بن غانم المغفل وأعيان من رجال دولته

وتوارثت تلك الوصلة أعقابهما كما سيأتي واتصلت أيام منسا موسى هذا خمساً وعشرين سنة.

ولما هلك ولي أمر مالي من بعده ابنه منسا مغا ومغا عندهم محمد وهلك لأربع سنين من ولايته وولي أمرهم من بعده منسا سليمان ابن أبي بكر وهو أخو موسى واتصلت أيامه أربعاً وعشرين سنة.

ثم هلك فَوَلي بعده ابنه منسا بن سليمان وهلك لتسعة من ولايته فولي عليهم من بعده ماري جاطة بن منسا مغا بن منسا موسى واتصلت أيامه أربعة عشر عاماً وكان أشر وال عليهم بما سامهم من النكال والعسف وإفساد الحرم، وأتحف ملك المغرب لعهده السلطان أبا سالم ابن السلطان أبي الحسن بالهدية المذكورة سنة اثنتين وستين وسبعمائة وكان فيها الحيوان العظيم الهيكل المستغرب بأرض المغرب المعروف بالزرافة تحدث الناس بما اجتمع فيه من مفترق الحلي والشبه في جثمانه ونعوته دهراً.

وأخبرني القاضي الثقة أبو عبدالله محمد بن وانسول من أهل سجلماسة وكان أوطن بأرض كوكو من بلادهم واستعملوه في خطة القضاء بما لقيه منذ سنة ست وسبعين وسبعمائة فأخبرني عن ملوكهم بالكثير مما كتبته وذكر لي عن هذا السلطان جاطة أنه أفسد ملكهم وأتلف ذخيرتهم وكاد أن ينتقض شأن سلطانهم.

قال: ولقد انتهى الحال به في سرفه وتبذيره أن باع حجر الذهب الذي كان في جملة الذخيرة عن أبيهم وهو حجر يزن عشرين قنطاراً منقولاً من المعدن من غير علاج بالصناعة ولا تصفية بالنار كانوا يرونه من أنفس الذخائر والغرائب لندور مثله في المعدن فعرضه جاطه هذا الملك المسرف على تجار مصر المترددين إلى بلده وابتاعوه منه بأبخس ثمن إذ استهلك من ذخائر ملوكهم سرفاً وتبذيراً في سبيل الفسوق والتخلف.

قال: وأصابته علة النوم وهو مرض كثيراً ما يطرق أهل الإقليم وخصوصاً الرؤساء منهم يعتاده غشي النوم عامة أزمانه حتى يكاد أن لا

يفيق ولا يستيقظ إلا في القليل من أوقاته ويضر صاحبه ويتصل سقمه إلى أن يهلك.

قال: ودامت هذه العلة بخلطه مدة عامين اثنين وهلك سنة خمس وسبعين وسبعمائة وولّى من بعده ابنه موسى فأقبل على مذاهب العدل والنظر لهم، ونكب عن طرق أبيه جملة وهو الآن مرجو الهداية ويغلب على دولته وزيره ماري جاطه ومعنى ماري عندهم الوزير وجاطه تقدم، وهو الآن قد حجر السلطان واستبد بالأمر عليه ونظر في تجهيز العساكر وتجهيز الكتائب ودوخ أقطار الشرق من بلادهم وتجاوز تخوم كوكو وجهز إلى منازلة تكرت بما وراءها من بلاد الملثمين كتائب نازلتها لأول الدولة وأخذت بمخنقها ثم أفرجت عنها وحاطهم الآن هدنة وتكرت هذه على سبعين مرحلة من بلد واركلا في الجانب القبلي الغربي وفيها من الملثمين يعرف بالسلطان، وعليهم طريق الحاج من السودان وبينه وبين أمير الزاب وواركلا مهاداة ومراسلة قال: وحاضرة الملك لأهل مالي هو بلد بني بلد متسع الخطة معين على الزرع مستبحر العمارة نافق الأسواق وهو الآن محط لركاب البحر من المغرب وأفريقية ومصر والبضائع مجلوبة إليها من كل قطر.

ثم بلغنا لهذا العهد أن منسا موسى توفي سنة تسع وثمانين وسبعمائة وولي بعده أخوه منسا مغا ثم قتل لسنة أو نحوها وولي بعده صندكي زوج أم موسى صندكي الوزير ووثب عليه بعد أشهر رجل من بيت ماري جاطه ثم خرج من بلاد الكفرة وراءهم وجاءهم رجل اسمه محمود ينسب إلى منساقوين منسا ولي بن ماري جاطه الأكبر فتغلب على الدولة وملك أمرهم سنة اثنتين وتسعين وسبعمائة ولقبه منسا مغا والخلق والأمر لله وحده[1].

○ ○ ○ ○ ○ ○

(١) (تاريخ ابن خلدون، المجلد السادس، ص٢٣٥ ـ ٢٤٠).

الخبر عن وفد السودان وهديتهم وإغرابهم فيها بالزرافة

كان السلطان أبو الحسن لما أهدى إلى ملك السودان منسا سليمان بن منسا موسى هديته المذكورة في خبره اعتمل في مكافأته وجمع لمهاداته من طرف أرضه وغرائب بلاده. وهلك السلطان أبو الحسن خلال ذلك. ووصلت الهدية إلى أقصى تخومهم من والاتن. هلك منسا سليمان قبل وصولها. واختلف أهل مالي وافترق ملكهم، وتواثب ملوكهم على الأمر وقتل بعضهم بعضاً، وشغلوا بالفتنة حتى قام فيهم منسا جاطه واستوسق له أمرهم ونظر في أعطاف ملكه، وأخبر بشأن الهدية وأخبر أنها بوالاتن فأمر بإنفاذها إلى ملك المغرب. وضم إليها الزرافة الحيوان الغريب الشكل العظيم الهيكل المختلف الشبه بالحيوانات. وفصلوا بها من بلادهم فوصلوا إلى فاس في صفر من سنة اثنتين وستين. وكان يوم وفادتهم يوماً مشهوداً جلس لهم السلطان ببرج الذهب مجلس العرض. ونودي في الناس بالبروز إلى الصحراء فبرزوا ينسلون من كل حدب حتى غص بهم الفضاء وركب بعضهم بعضاً في الازدحام على الزرافة إعجاباً بخلقها. وأنشد الشعراء في عرض المدح والتهنية ووصف الحال. وحضر الوفد بين يدي السلطان وأدوا رسالاتهم بتأكيد الود والمخالصة والعذر عن إبطاء الهدية بما كان من اختلاف أهل مالي وتواثبهم على الأمر وتعظيماً لسلطانهم وما صاروا إليه والترجمان يترجم عنهم وهم يصدقونه بالنزع في أوتار قسيهم عادة معروفة لهم. وحيوا السلطان يحثون التراب على رؤوسهم على سنة ملوك

العجم. ثم ركب السلطان وانفض ذلك المجلس وقد طار به الذكر. واستقر ذلك الوفد في إيالة السلطان وتحت جرايته وهلك السلطان قبل انصرافهم فوصلهم القائم بالأمر من بعده. وانصرفوا إلى مراكش وأجازوا منها إلى ذوي حسان عرب السوس من المعقل المتصلين ببلادهم[١].

○ ○ ○ ○ ○ ○

(١) (تاريخ ابن خلدون، المجلد السادس، ص٣٦٨ ـ ٣٦٩).

الشريف الأمير الأسد «سندياتا كيتا» الصالحي الحسني مؤسس مملكة مالي الصالحية العلوية

هو السيد الشريف الملك الأمير الأسد ـ الملقب بـ: «ماري جاطة» والمشهور أيضاً بلقب سندياتا كيتا ـ ابن الأمير محمد الملقب «مغا» ابن بلو بخوت ابن الأمير موسى الأسود الملقب «برمندانة» ابن دامال بن لاتال بن لاولو بن هلال أبو النعمان الملقب «بلالي بوناما» ابن عبدالله الشريف كانْ الأول ابن هذيم بن مسلم بن زيد بن عبدالله أبي الضحاك بن الحسن الشهيد ابن عبدالله الشهيد ابن محمد الشاعر بن صالح الجوال ابن عبدالله الرضا الشيخ الصالح ـ ويلقب بأبي الكرام ـ ابن موسى الجون بن عبدالله المحض بن الحسن المثنى ابن الحسن السبط ابن علي رضي الله عنهم.

فقد نص على انتسابه إلى صالح بن عبدالله الرضا الشيخ الصالح ـ ويلقب بأبي الكرام ـ ابن موسى الجون بن عبدالله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي رضي الله عنهم، العمري فكتب في «مسالك الأبصار في ممالك الأمصار» ج٢٤ ضمن دول العلويين عن سلفه ملوك غانة أنهم من ولد صالح المذكور.

وكتب عن ابن أخيه الشريف منسا موسى ابن أبي بكر ابن محمد، في كتابه: «التعريف بالمصطلح الشريف»:

أن نسبه ينتهي إلى: صالح هذا وذلك بقوله: (وصاحب التكرور يدعي النسب إلى عبدالله بن صالح بن الحسن بن علي بن أبي طالب).

فعبدالله هو: «عبدالله الشريف كانْ الأول» الذي ينتهي نسبه إلى صالح جد قبيلة بني صالح.

كما أثبت صحة نسب الشريف الأمير الأسد «سندياتا كيتا» المعروف بلقب «ماري جاطة» القلقشندي في صبح الأعشى ج٥ وج٨، وأيضاً المؤرخ الأمريكي لوثروب استودارد في كتابه: «حاضر العالم الإسلامي».

وقد أجمعت المراجع التاريخية والروايات الشفوية المحلية على أن «أسرة كيتا» دخيلة على الماندنجو الماندينغ وأنها وفدت إليهم من الحجاز أو الشام حسب اختلاف الروايات، إلا أن بعض تلك الروايات الشفوية المحلية حرفت نطق جد القبيلة السيد الشريف هلال أبو النعمان ـ إلى: «بلالي بوناما» وزعمت أن بلالي بوناما هذا هو خادم الرسول ﷺ الصحابي الجليل بلال بن رباح الحبشي رضي الله عنه وأرضاه. مع العلم أن بلالاً رضي الله عنه توفي قبل هذا التاريخ بأزيد من خمسمائة عام ومختلف في عقبه هل أعقب أم لم يعقب؟ وعلى فرض صحة أنه معقب لم يذكر مصدر واحد أن عقبه وصلوا إلى موطنهم الأصلي الحبشة فضلاً عن مملكة غانة.

وقد تأسست مملكة مالي منذ زمن بعيد فهي قديمة قدم مملكة غانة التي تأسست في القرن الأول الميلادي وكان أغلبية سكانها من قبائل الماندينغ التي عرفت أيضاً باسم مالينك أي: شعب مالي الذي يتكلم لغة الماند، ويقال إن المملكة تعرضت لجفاف شديد ١٠٥٠م ضاق به أهلها، ولما سأل ملك مالي أحد التجار المسلمين عن الحل اقترح هذا التاجر على الملك أن يعتنق الإسلام ويقيم صلاة الاستسقاء لكي يرسل الله المطر، فاعتنق الملك الإسلام وتسمى باسم «المسلمان» وأدى الفرائض وصلى صلاة الاستسقاء مع التاجر والمعلم المسلم فهطل المطر وأصبح هذا الملك تقياً ورعاً وأسلمت ذريته وخاصة رعيته من بعده وحسن إسلامهم كما نص على ذلك البكري في المسالك والممالك.

وقد تزامنت مدة إسلام ملك مالي هذا مع الفترة الزمنية التي وصل فيها الجد السادس للشريف الأمير الأسد «سندياتا كيتا»: الشريف عبدالله كانْ ـ المعروف بآيل كانْ الأول ـ مملكة غانة، وفي نفس الفترة كان ملك غانة السنونكي قد أسلم ولكنه يخفي إسلامه وإن كان بعض ملوك أقاليم مملكته قد أشهروا إسلامهم، وفي عجز القرن الخامس الهجري تولى بنو صالح ملك غانة وأصبحت مملكة مالي تابعة لهم يحكمها أجداد الأمير الأسد الصالحي الحسني حكماً ذاتياً تبعاً لأبناء عمهم ملوك غانة. ومع مطلع القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي استولت قبائل الصوصو الزنجية الوثنية بقيادة سومانغورو كانتي على مملكة غانة ومملكة مالي وخاصة عاصمتها كانغابا التي كانت تقطنها قبائل الماندينغ، إلا أن مملكة مالي بقيادة الشريف الأمير الأسد الصالحي الحسني استطاعت التصدي للصوصو وهزيمتهم.

فعن تاريخ ميلاد هذا الشريف البطل الأمير الأسد أو ما عرف «بسندياتا كيتا» و«ماري جاطة» فحسب الهادي المبروك الدالي في كتابه: «مملكة مالي الإسلامية وعلاقتها مع المغرب وليبيا»: (لم تحدد المصادر والمراجع تاريخ ولادته إلا أن بعضها أشار إلى أنه كان «معتل الصحة» وأصغر إخوته، وقد استطاع أن يخلص شعبه من سطوة الصوصو ويقوده إلى النصر ويوطد نفوذه في الأقاليم التي دخلت في إطار دولته الناشئة، فقد قام بوضع أساس نظام إداري حيث قسم دولته إلى أقاليم، يحكم كل إقليم حاكم من العائلة المالكة على أساس وراثي، وما حل عام «**٦٣٣** هجرية/ **١٢٣١**م» إلا كان نظام حكمه قد توطد)[١].

وكتب العلامة عبدالرحمٰن بن خلدون في الجزء السادس من العبر ص**٢٣٧**:

(وكان ملكهم الأعظم الذي تغلب على صوصو وافتتح بلادهم وانتزع

(١) انظر: مملكة مالي الإسلامية وعلاقتها مع المغرب وليبيا، ص٢٧ ـ ٢٨.

الملك من أيديهم اسمه ماري جاطة، ومعنى ماري عندهم الأمير الذي يكون من نسل السلطان وجاطة الأسد، واسم الحافد عندهم تكن، ولم يتصل بنا نسب هذا الملك، وملك عليهم خمساً وعشرين سنة فيما ذكروه).

رحمك الله ابن خلدون كيف لا يتصل بك: نسب تسعة عشر ملكاً أحصيتهم من أسرة واحدة يتوارثون الملك ولهم أعظم ملك على وجه الأرض في ذلك التاريخ وهم أغنى ملوك العالم ساعتها ومجاورون لك بل ومعاصرون لك؟ وقد كتبت أربع صفحات في تفاصيل ملكهم وسياستهم الداخلية والخارجية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية والتطور البنياني والحضاري الذي شهدته المملكة على كافة الأصعدة.

بل كتبت تفاصيل أعظم رحلة حج في التاريخ لملك من أعظم ملوكهم ثم لا يتصل بك نسبهم، وقد نقلت تأكيد صحة شرف أسلافهم من الفقيه الشيخ عثمان مفتي كمبي صالح والذي التقيت به في مصر وهو في طريقه لحج بيت الله الحرام، بل نقلت أخبار ملوك مالي من بعض القضاة والعلماء الذين استوطن بعضهم مملكة مالي لأزيد من ثلاثين سنة ولم يفتك من أخبارهم وأحوالهم صغيرة ولا كبيرة إلا نسبهم الشريف وحسبهم المنيف؟

وقد نص النسابة المؤرخ ابن فضل الله العمري السابق لك وأحمد بن علي القلقشندي المعاصر لك على شرفهم.

مع تسليمك بعلوية سلفهم ملوك غانة.

وأما أحمد بن علي القلقشندي رحمه الله فقد نقل عن ابن خلدون ما كتبه عن الشريف الأمير الأسد، ولكنه لم يوافقه في دعوى أنه لم يتصل به نسبه. وذلك في الجزء الخامس من صبح الأعشى ص**٢٨٢ ـ ٢٨٦** ونصه:

(ثم جاء منهم ملك اسمه «ماري جاطه» ومعنى «ماري» الأمير الذي يكون من نسل السلطان ومعنى «جاطه» الأسد، فقوي ملكه وغلب على

صوصو، وانتزع ما كان بأيديهم من ملكهم القديم وملك غانة الذي يليه إلى البحر المحيط، ويقال: إنه ملك عليهم خمساً وعشرين سنة).

ثم بين نسبه الشريف فقال في نسب حفيده الشريف محمود:

(ثم خرج من ورائهم من بلاد الكفرة رجل اسمه محمود ينسب إلى منساقو بن منساولي بن ماري جاظه ولقبه منسا مغا وغلب على الملك في سنة ثلاث وتسعين وسبعمائة. قال في «التعريف»: وصاحب التكرور هذا يدعي نسباً إلى عبدالله بن صالح بن الحسن بن علي ابن أبي طالب كرَّم الله وجوههم. قلت: هو صالح بن عبدالله بن موسى بن عبدالله أبي الكرام بن موسى الجون ابن عبدالله بن حسن المثنى ابن الحسن السبط ابن أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب رضي الله عنه.

وقد ذكر في «تقويم البلدان»: أن سلطان غانة يدعي النسب إلى الحسن بن علي عليهما السلام. فيحتمل أنه أراد صاحب هذه المملكة لأن من جملة من هو في طاعته غانة، أو من كان بها في الزمن القديم قبل استيلاء أهل الكفر عليها).

وهذه السلسلة التي تنسب صالح إلى عبدالله بن موسى الثاني المنقرض، هي من أوهام ابن خلدون رحمه الله تعالى حيث كتب في الجزء الرابع من العبر معقباً على نسب بني الأخيضر ملوك اليمامة ص١١٨ ما نصه:

(وكان بمدينة غانة بالمغرب الأقصى مما يلي البحر المحيط ملك بني صالح ذكرهم صاحب كتاب رجار في الجغرافيا ولم نقف على نسب صالح هذا من خبر يعول عليه، وقال بعض المؤرخين إنه: «صالح بن عبدالله بن موسى الثاني ابن عبدالله الساقي ويلقب بأبي الكرام ابن موسى الجون، وإنه خرج أيام المأمون بخراسان وحمل إليه وحبسه وابنه محمد من بعده ولحق بنوه بالمغرب فكان لهم ملك بغانة).

قلت: «صالح» الذي خرج أيام المأمون بخراسان وحمل إليه وحبسه، ثم حبس ابنه محمد الشاعر من بعده أيام الخليفة المتوكل هو:

«صالح بن عبدالله الرضا الشيخ الصالح» كما أجمعت على ذلك كل نسابة الطالبيين ومؤرخيهم وجميع نسابة العالم الذين كتبوا عن أنساب الطالبيين. ولم يقل قائل بأنه ابن عبدالله بن موسى الثاني، أو أنه: صالح بن موسى الثاني مباشرة سوى ابن خلدون رَحِمَهُ اللَّهُ.

فقلده في تلك السلسلة القلقشندي رَحِمَهُ اللَّهُ وخالفه في شهرة نسب ملوك مالي من أسرة كيتا وكونهم أشرافاً حسنين.

وكان الصوصو قد هاجموا مملكة غانة إبان حكم بني صالح الشرفاء لها عدة مرات واستطاعوا إسقاطها وتفكيكها نهاية القرن السادس الهجري ولم يبق بيد الملوك الصالحيين سوى العاصمة كمبي صالح فقط، وفي هذا الصدد كتب الصفدي في الوافي بالوفيات حرف/ص ما نصه:

(العلوي: صالح بن عبدالله بن موسى بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي ابن أبي طالب... قال ابن سعيد في «كنوز المطالب»: للصالحيين ملك متوارث إلى الآن بغانة من بلاد السودان، ذكر الشريف الإدريسي أن ملك غانة من ولد صالح المذكور بنى قصره على النيل في عام خمسة عشر وخمسمائة، قال: وفي قصره لبنة من ذهب تبر غير مسبوك فيها ثقب يربط فرسه فيها، ويفخر بذلك على الملوك، ولباسه إزار حرير يتوشح به وسراويل ونعل، وركوبه الخيل، وله بنود وزي حسن، وكفار السودان يحاربونه).

وأما عن بقاء العاصمة كمبي صالح بيد الملوك الشرفاء، وعدم سقوطها في يد الصوصو الوثنيين فكتب أحمد بن علي القلقشندي في ج٥ من صبح الأعشى ص٢٨١ ما نصه:

(الجملة الرابعة في ذكر ملوك هذه المملكة: قد تقدم أن هذه المملكة قد اجتمع بها خمسة أقاليم، وهي: إقليم مالي وإقليم صوصو، وإقليم غانة من الجانب الغربي عن مالي، وإقليم كوكو، وإقليم تكرور في الجانب الشرقي عن مالي، وأن كل إقليم من هذه الخمسة كان مملكة مستقلة، ثم اجتمع الكل في مملكة صاحب هذه المملكة، وأن مالي هي

أصل مملكته. قال في «مسالك الأبصار»: وهو وإن غلب عليه عند أهل مصر اسم سلطان التكرور فإنه لو سمع هذا أنف منه، لأن التكرور إنما هو إقليم من أقاليم مملكته، والأحب إليه أن يقال: «صاحب مالي» لأنه الإقليم الأكبر وهو به أشهر، ونقل عن الشيخ سعيد الدكالي: أنه ليس بمملكته من يطلق عليه اسم ملك إلا «صاحب غانة» وهو كالنائب له وإن كان ملكاً.

وكأنه إنما بقي اسم الملك على صاحب غانة دون غيره لعدم انتزاعها منه والاستيلاء عليها استيلاءً كلياً).

وبعد سقوط مملكة غانة بحوالي: **٢٧** سنة تمكن السيد الشريف الأمير الأسد «سندياتا كيتا» المعروف بلقب «ماري جاطه» من هزيمة الصوصو الزنوج الوثنيين الذين هاجموا مملكة آبائه كانغابا والتي كانت خاضعة لنظام ملوك غانة وقتلوا أباه وجميع إخوته الأحد عشر.

فتمكن بمساعدة جيش شكله من قبائل الماندينغ من هزيمة الصوصو في معركة «كيرينا» إلى الشمال من كانغابا عام **٦٣٣** هجرية/ **١٢٣٥**م حيث قتل خلال المعركة زعيم الصوصو «سومانغورو كانتي».

وأسس الشريف الأمير الأسد الصالحي الحسني مملكة مالي العلوية حيث استعاد كل الأقاليم التي كانت خاضعة لمملكة غانة وولى عليها ملوكاً من أقربائه إلا إقليم غانة وعاصمته كمبي صالح، فقد أقر ملكها على ملكه وعينه نائباً له لأنه ابن عمه في النسب لهذا السبب منحه هذه الصلاحيات.

وقد تعرض تاريخ بني صالح إبان ملكهم لمملكة مالي إلى الكثير من التشويه والتحريف والتزييف من قبل الروايات الشفوية المحلية والتي غذتها القوى الاستعمارية للمنطقة.

حيث ألصقت تلك الروايات الشفوية بملوك غانة الصالحيين الحسنيين الكثير من الطقوس الوثنية عكس ما نقلته عنهم المراجع والمصادر العربية الإسلامية وفي هذا المنحى كتب الباحثان محمد فاضل علي باري وسعيد

إبراهيم كريدية في كتابهما: «المسلمون في غرب أفريقيا تاريخ وحضارة» ص٧٦ ـ ٧٧ ما نصه:

(تاريخ مملكة مالي: عرف التاريخ القديم لمالي من خلال مصدرين:

المصدر الأول هو: الروايات والأخبار الشفهية التي تناقلت بين الشعب في تلك المنطقة، والمصدر الثاني هو: المراجع العربية المدونة.

ففي حين طغت الأفكار الوثنية على الحكايات الشفهية الأفريقية نرى أن المصادر والروايات العربية شددت على النواحي الإسلامية للحياة، وعلى الرغم من أن هذين المصدرين اختلفا بوجهات النظر إلا أنهما كانا مكملين لبعضهما.

ومن المصادر العربية المدونة عن مالي ما ذكره كل من القلقشندي والعمري وما دونه ابن بطوطة في رحلته عام ١٣٥٣م، كما أشار إليها ليون الأفريقي الذي زارها في القرن السادس عشر الميلادي. أما ابن خلدون فقد استقى معلوماته عن التاريخ مالي من الشيخ عثمان مفتي مدينة كومبي صالح عاصمة غانة الذي زار القاهرة عام ١٣٩٤م في طريقه إلى الحج ومن شخصيات أخرى عاشت في تلك البلاد. ثم نجد بعد ذلك إشارات عن مالي عند الإدريسي، وأبحاثاً مستفيضة عنها في كتاب تاريخ السودان للسعدي، وفي كتاب تاريخ الفتاش لمحمود كعت، كما هناك روايات أفريقية مخطوطة بالعربية محفوظة في دكار وترجم بعضها إلى الفرنسية).

قلت: إن المؤرخين السودانيين محمود كعت وعبدالرحمٰن السعدي لم يعاصرا حكم بني صالح لمملكة مالي وبالتالي فكان ما كتباه عنها قليلاً جداً ويحتاج بعضه إلى تمحيص وتدقيق عكس ما كتباه عن مملكة سنغي التي عاصراها وكتبا عنها باستفاضة ودقة.

وعن سياسة الشريف الأمير الأسد «سندياتا كيتا» المعروف بلقب «ماري جاطه» الصالحي الحسني: السياسية والعسكرية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية، أضاف الباحثين محمد فاضل علي باري وسعيد إبراهيم

كريدية في كتابهما: «المسلمون في غرب أفريقيا تاريخ وحضارة» ص٧٨ ـ ٨٠ ما نصه:

(أسس سندياتا كيتا دولة إسلامية من قبائل الماندينغ لمع نجمها بين القرنين ١١ و١٣ الميلاديين بسطت نفوذها على معظم أراضي مملكة غانة المنهارة وكان لها الدور البارز في نشر الإسلام بغربي أفريقيا.

ومن خلال هذه المساحة الشاسعة فرضت مالي سيطرتها على القبائل والممالك الأفريقية الموجودة في تلك المنطقة، فأضحت تتحكم بأراضي زراعية ومناطق غنية بالموارد الطبيعية بما في ذلك الذهب، كما أصبحت مركزاً مهماً للتجارة مع شمال أفريقيا.

ارتقى سونديانا عرش بلاده كما مر معنا بعد إلحاق الهزائم النكراء بملك قبائل الصوصو الوثنية واستولى على مملكة غانة، لذلك اقترن اسمه بالحكايات الشعبية التي تمجد هذا البطل الوطني وتعتبره المؤسس الفعلي لمملكة مالي. وتقول الحكايات أن ملك الصوصو قتل خلال حروبه مع الماندينغ أحد عشر أخاً لسونديانا، فصمم الأخير على الانتقام لإخوته للتخلص من حكم الصوصو. وقد سرت بين المتحاربين إشاعة مفادها أن ملك الصوصو لا يقتل إلا إذا عرف السر الذي يحميه، فتطوعت إحدى أخوات سونديانا لمعرفة ذلك فتزوجت ملك الصوصو هذا، وما كان من هذا الملك إلا أن أفضى لزوجته بالسر وعندئذ أخبرت أخاها به وهو أن يرمي بسهم ملوث بدماء ديك أبيض. فجمع سونديانا زعماء البلاد تحت قيادته وانتصر على الصوصو كما مر سابقاً. وقد رافقت هذه الحوادث أساطير طابعها المبالغة تنسب لسونديانا أعمالاً ليست له منها أنه غرق في نهر سانكاراني وتحول إلى شكل فرس البحر، وقد نظمت الأناشيد التي تمجد بطولته وتجعله من الرجال المميزين في تاريخ مالي، وما زالت هذه الأناشيد منتشرة هناك حتى الآن.

استقر الأمر بعد الفتوحات وتمتعت البلاد بالاستقرار مما أتاح لسونديانا تنظيم مملكته على الشكل الآتي:

أولاً: نقل عاصمة الدولة عام **١٢٤٠** من مدينة «جارب» إلى موقع آخر يقع إلى الشرق منها على نهر سانكاراني، وقد عرف هذا المكان بمدينة «نياني» واشتهرت باسم مالي ومن هنا اتخذت هذه المملكة اسمها. ولم تلبث العاصمة الجديدة أن اجتذبت تجار المغرب، الذين اتخذوها مركزاً لنشاطهم التجاري كما أقام البعض فيها.

وفي عام **١٣٥٢**م زار ابن بطوطة مدينة مالي وكتب عنها في كتابه: «تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار» والمعروف أيضاً باسم رحلة ابن بطوطة.

ثانياً: قسم مملكته إلى مقاطعات وولى عليها أقرباءه وجعل الحكم فيها وراثياً.

ثالثاً: قام بجباية الضرائب من السكان القاطنين في الأراضي التي كانت تابعة لغانة.

رابعاً: اتبع سياسة الصداقة بين مختلف قبائل مملكته من خلال تزوجه لعدد من نسائها ومن خلال استقباله في بلاط قصره لشعراء يمثلون مختلف القبائل.

خامساً: أدخل سوندياتا إلى دولته زراعة وحياكة القطن وكلف بها الأسرى الذين وقعوا في الأسر أثناء الحروب.

سادساً: شجع تجارة الذهب الذي اعتبر آنذاك الثروة الأساسية للبلاد.

وهكذا غدت مالي من أهم دول غرب أفريقيا في ذلك الوقت وأكثرها هيبة وقوة.

وهذا ما دفع سوندياتا للذهاب للحج شكراً لله على ما أنعمه عليه من انتصارات ونجاح في ميادين السياسة والاقتصاد، كما أعان العلماء في ظل الدولة الجديدة على نشر العلم والإسلام). بل أصبح العلماء هم أهل الحل والعقد في مملكته.

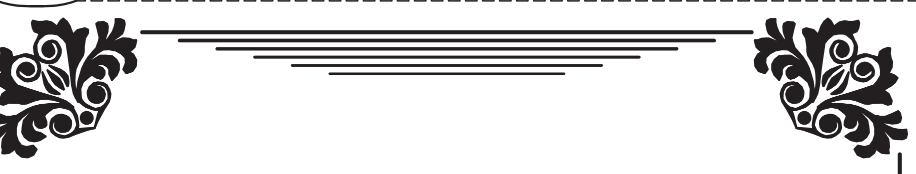
وبعد عام **٦٣٨** هجرية لم يشترك السيد الشريف الأمير الأسد «سندياتا كيتا» المعروف بلقب «ماري جاظه» في الأعمال الحربية، وإنما كانت جيوشه تصل إلى إمارات الهاوسا في شمال نيجيريا اليوم وإلى سواحل المحيط الأطلسي وتدخل إلى قلب الأدغال في الجنوب وتتوغل في الصحراء شمالاً.

ويوضح لنا ذلك الدكتور أحمد شلبي في كتابه: «موسوعة التاريخ الإسلامي» ج٦ ص**٢٤٤ ـ ٢٤٥**:

(كان الملك سندياتا مؤسس إمبراطورية مالي يقود جيوشه بنفسه في المرحلة الأولى لتكوين إمبراطوريته حتى تم له الانتصار على غانة ـ قلت الصواب: «حتى تم له الانتصار على صوصو» ـ وبنى عاصمته الجديدة، ثم توقف عن حمل السلاح وترك ذلك لقواد جيشه الذين لم يقنعوا بهذا الانتصار، وتخطوا باسمه حدود بلادهم، يحاربون وينتصرون في كل الاتجاهات، حتى أدخلوا ضمن مملكتهم بلاداً وراء السنغال لم يسبق أن هزمتها دولة غانة، ووصلوا إلى نهر جامبيا، واندفعوا إلى مسافات بعيدة جنوب السنغال حتى حدود تكرور، وبدأت مالي تمارس نشاطها في السودان الغربي كله، وحققت آمالها في ميادين السياسة والاقتصاد، وامتدت الإمبراطورية من جبال الأطلس إلى بلاد الهوسا شرقاً، ومن المحيط الأطلسي جنوباً حتى الصحراء الكبرى شمالاً. وأعان العلماء في ظل الدولة الجديدة على نشر العلم والإسلام، وبعد مضي خمس وعشرين سنة على توطيد دعائم حكمه وافته منيته عام «**٦٥٣** هجرية الموافق **١٢٥٥**م»).

رحم الله الشريف الأمير الأسد «سندياتا كيتا» المعروف بلقب «ماري جاظه» الصالحي الحسني، فقد أسس أعظم وأضخم ملك للطالبيين من آل البيت عليهم السلام على وجه المعمورة متجاوزاً بذلك ضخامة ملك أسلافه من بني صالح ملوك غانة.

○ ○ ○ ○ ○ ○



الشريف السلطان علي ابن الأمير الأسد أحد ملوك مملكة مالي الصالحية العلوية

هو السيد الشريف السلطان علي ابن الأمير الأسد «سندياتا كيتا» ابن الأمير محمد الملقب «مغا» بن بلو بخون بن الأمير موسى الأسود الملقب «برمندانة» ابن دامال بن لاتال بن لاولو بن هلال أبو النعمان الملقب «بلالي بوناما» ابن عبدالله الشريف كان الأول ابن هذيم بن مسلم بن زيد بن عبدالله أبي الضحاك بن الحسن الشهيد بن عبدالله الشهيد بن محمد الشاعر بن صالح الجوال ابن عبدالله الرضا الشيخ الصالح ويلقب بأبي الكرام ابن موسى الجون بن عبدالله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي رضي الله عنهم أجمعين.

تولى عرش مملكة مالي بعد وفاة أبيه الشريف الأمير الأسد «سندياتا كيتا» الصالحي الحسني، وقد كتب عنه ابن خلدون في الجزء السادس من العبر ص٢٣٧ واقتبس القلقشندي في المجلد الخامس من صبح الأعشى ص٢٨٢ ما كتبه ابن خلدون رحمهما الله تعالى ونصه:

(ولما هلك ولي عليهم من بعده ابنه منساولي، ومعنى منسا «السلطان»، ومعنى ولي بلسانهم «علي»، وكان منساولي هذا من أعاظم ملوكهم. وحج أيام الظاهر بيبرس).

قلت: بينما أجمعت المراجع التاريخية والروايات الشفوية المحلية على أن أول ملك حج من ملوك مالي إلى بيت الله الحرام هو: الأمير

موسى الأسود الملقب «برمندانة» يوافقهم العلامة عبدالرحمٰن بن خلدون في ذلك، ويشذ عن صف إجماعهم بدعوى أنه أول من أسلم منهم بغية التوصل إلى التشكيك في نسبهم الشريف كما فعل مع سلفهم ملوك غانة، حيث كان أول من شكك في نسبهم الشريف قبل أن يسلم به بعد عجزه عن نفيه ببينة أو برهان. وأحدث في عمود نسبهم الشريف ثلاث سلاسل لم يقل بها قائل قبله ولم يدعيها بنو صالح عن نسبهم وهي:

١ ـ صالح بن عبدالله بن موسى الثاني بن عبدالله الساقي ويلقب بأبي الكرام ابن موسى الجون.

٢ ـ صالح بن يوسف بن محمد الأخيصر بن يوسف بن إبراهيم بن موسى الجون.

فلما علم بأن عبدالله بن موسى الثاني منقرض وليس له ابن اسمه صالح.

وأن صالحاً بن يوسف بن محمد الأخيصر منقرض أيضاً، نسبهم إلى عمود نسب ثالث وهو:

٣ ـ صالح بن موسى الثاني وذلك بقوله: (ومنهم بنو صالح بن موسى بن عبدالله الساقي ويلقب بأبي الكرام ابن موسى الجون، وهم الذين كانوا ملوكاً بغانة من بلاد السودان بالمغرب الأقصى وعقبهم هنالك معروفون).

وإن كان صالح بن موسى الثاني أعقب وانتشر عقبه إلا أن بني صالح ملوك غانة هم أبناء عمه: (صالح بن عبدالله أبي الكرام ابن موسى الجون) ومع جزم ابن خلدون رَحِمَهُ اللَّهُ هنا بصحة نسب بني صالح ملوك غانة إلى البيت النبوي الشريف وتأكيده على أن عقبهم هنالك معروفون، إلا أنه لم يبين ذلك العقب الذي كان معروفاً ومشهوراً.

وإذا كان المؤرخ المهمندار المصري الذي ينقل عنه العمري، والعمري الشامي والقلقشندي المصري نقلوا عن ملوك مالي من ذرية

الشريف الأمير الأسد «سندياتا كيتا» المعروف بلقب «ماري جاطه» وعن ابن أخيه الشريف منسا موسى ابن أبي بكر ابن محمد، دعواهم أنهم من بني صالح ملوك غانة، إلا أن ابن خلدون رحمه الله تعالى لم يرق له انتساب هؤلاء الأشراف إلى سلفهم بني صالح ملوك غانة الذين قطع الشك باليقين بصحة شرفهم وشهرة عقبهم.

فزعم إسلام جدهم موسى الأسود الملقب «برمندانة» أولاً، وأحصى من عقب موسى هذا تسعة عشر ملكاً وزعم أنه لم يتصل به نسبهم، وهذا أمر مستحيل فهؤلاء هم أعظم ملوك الأرض أيام زمانه ومعاصرين له ومجاورين أيضاً وإنما زعم عدم اتصال نسبهم به ليريح نفسه من نفي نسبهم الشريف دون دليل أو برهان.

ولو كان يعلم أنهم من الماندينغ المالنكي أو من السودان عموماً لما احتاج إلى دعوى أنه لم يتصل به نسبهم لكونهم سودان يملكون بلاد السودان.

ومع ملك بني صالح لغانة نهاية القرن الخامس الهجري إلى نهاية ملكهم لمالي منتصف القرن التاسع الهجري، حيث ملكوا لأكثر من ثلاثة قرون وعشرين سنة إذا استثنينا منها **٢٥** سنة تخللتها بين سقوط مملكة غانة تحت يد الصوصو الوثنيين وبين قيام مملكة مالي بعد هزيمة الصوصو الزنوج بخمس وعشرين سنة على إسقاطهم ملك غانة.

انتقل نظام الملك خلال هذه القرون الثلاثة من التقليد الأفريقي السوداني وهو ـ توريث العرش لأبناء الأخوات وحرمان الأبناء وأولادهم من ذلك بسبب شكوك ملوك السودان في صحة اتصال نسب أبنائهم بهم وجزمهم بصحة اتصال أبناء الأخوات بأمهاتهم ـ انتقل الملك من ذلك التقليد الذي كان سائداً إلى توريث العرش للأبناء وأبناء العمومة طيلة ملك بني صالح لمالي وحتى أن خلفهم ملوك مالي «الصنغي» درجوا على هذا التقليد حتى سقط نظامهم تحت الاستعمار الفرنسي.

ومع ذلك كله لما تولى عرش مالي مرة واحدة شخص من أسرة كيتا

وابن بنت الأمير الأسد «سندياتاكيتا» وهو الوحيد من أبناء البنات الذي تولى العرش فلم يتولاه ابن بنت ولا أخت قبله ولا بعده لأزيد من ثلاثة قرون، لم يفوت ابن خلدون رحمه الله تعالى هذه الفرصة ليغمز ويلمز في نسب هؤلاء الملوك ويطعن فيه بدعوى أنهم ملكوا ابن بنتهم هذا على سنن الأعاجم وهذا نص ما كتبه رحمه الله تعالى:

(وولي من بعده أخوه «والي» ـ يقصد بعد السلطان علي ـ، ثم بعده أخوهم «خليفة» وكان محمقاً رامياً فكان يرسل السهام على الناس فيقتلهم مجاناً فوثبوا عليه فقتلوه. وولي عليهم من بعده سبط من أسباط ماري جاطه يسمى بأبي بكر، وكان ابن بنته فملكوه على سنن الأعاجم في تمليك الأخت وابن الأخت. ولم يقع إلينا نسبه ونسب أبيه).

السؤال الذي يطرح نفسه: ما دام لم يقع إليك نسبه ونسب أبيه، ولا نسب ١٨ ملكاً من أسرته منهم من ملك قبله ومنهم من ملك بعده وكلهم يورثون ملكهم لأبنائهم وليس لأبناء بناتهم ولا أخواتهم فكيف حكمت عليهم أنهم إنما ورثوا ابن بنتهم هذا وابن عمهم في نفس الوقت على سنن الأعاجم في توريث الأخت وابن الأخت؟ وأنت تدعي الجهل بأنساب الجميع، سبحانك هذا بهتان عظيم.

فالمصادر العربية ومنهم من عاصر أصحابها ابن خلدون ينقلون عن الملوك من هذا البيت تشبثهم بنسبهم الشريف وأنهم فرع من بني صالح ملوك غانة، وأما بعض أصحاب الروايات الشفوية المحلية والتي حرفت اسم جدهم هلال أبو النعمان بن عبدالله الشريف سليل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تسليماً، إلى: «بلالي بوناما» خادم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم تسليماً، فزعموا أن هذا البيت الشريف من نسل الصحابي الجليل بلال بن رباح الحبشي رضي الله عنه نظراً لتصحيف وتحريف ذلك الاسم خصوصاً أن الروايات الشفوية المحلية بعيدة جداً عن عصر أولئك الملوك بقرون ودخل فيها الكثير من التحريف والتزييف حتى غدت أشبه بالأسطورة منها إلى الحقيقة.

وما أستغربه أن ابن خلدون رحمه الله تعالى وهو من هو علماً واطلاعاً لم يصل إليه ما كتبته المراجع التاريخية ولا ما ذكرته بعض الروايات الشفوية المحلية. ولم ينقل له الشيخ عثمان مفتي مدينة كومبي صالح عاصمة غانة ولا غيره من الإخباريين نسب أعظم ملوك العالم في زمنه.

وكتب الهادي مبروك الدالي في كتابه: مملكة مالي الإسلامية وعلاقتها مع المغرب وليبيا ص٢٨ ـ ٢٩، ما يلي:

(تولى حكم البلاد بعد وفاة سندياتا كيتا ابنه «منسا علي» بمعنى السلطان علي، وهو الابن الأكبر لسندياتا كيتا، وعرف بالملك الأحمر نظراً لأنه كان أبيض البشرة، ولعل ذلك راجع إلى ما ذهب إليه طرخان استناداً على الرحالة فيدال من أن أسرة كيتا جاءت من اليمن) قلت: إن أغلب الروايات الشفوية والمراجع التاريخية التي تطرقت لنسب أسرة كيتا تجمع على أن أصل هذه الأسرة وافد إلى السودان من المشرق سواء من الحجاز أو الشام أو اليمن، وليسوا من السكان المحليين.

ويضيف الهادي المبروك الدالي: (أما فيما يختص بمملكة مالي الإسلامية في عهد منسا علي فإنه اعتمد على قواد أبيه ومستشاريه الذين قاموا بمساعدته في توسيع رقعة مملكته، فقد قام «سفركرو ماسيكا» بضم «بانبول» وأسر «ماكيتا» واستولى على «كونكو دوجو، وساني نيانجا، وسنانجاران» إلى جانب ذلك قام برحلة للحج في عهد الظاهر بيبرس سلطان مصر المملوكي، وقد كانت تتبعه قافلة ضخمة اتخذت خط سيرها عبر الطريق الصحراوي في الأراضي الليبية مارة بمدينة «غات» متجهة نحو مصر ومنها إلى الأراضي المقدسة، وكان لهذه الرحلة صداها الواسع في مناطق أفريقيا والعالم العربي، لما كانت تحمله من الذهب والعبيد وخيرات مالي، كما كان من أعمال هذا الملك غزو «جنجرا» و«ونقارة» اللتين توجد بهما مناجم غنية بالذهب، كما قام بالزحف على بعض مناطق السنغال والاستيلاء على بعض الرهائن من صنغي، منهم ابن ملكها نفسه «ذوياسين»

وهي دويلة ناشئة تقع على حوض نهر النيجر الأوسط، وقد اتخذ «منسا علي» أولئك رهائن حتى يضمن لنفسه الولاء وخلاصة القول: إن فترة منسا علي اتسمت بالرخاء إلى حد ما وبالتوسع في المناطق المجاورة والسيطرة على بعض مناجم الذهب الذي يمثل المصدر المهم في حياة هذه المملكة، وقد استمر حكمه حوالي خمساً وعشرين سنة).

وقد لخص محمود شاكر حياته في المجلد السابع من التاريخ الإسلامي ص**٣١٢** بقوله:

(وقام منسا علي بعد أبيه ماري جاطه، وكان من أعظم حكام بلاده، محباً للسلام، معروفاً بالتقوى والصلاح وأدى فريضة الحج عام «**٦٥٨**» وضم إليه «بانبوك» و«ونقارة»، وبسط نفوذه على دولة «صنغاي» الناشئة وأخذ منها عدداً من الرهائن لضمان خضوعها له، وتوفي عام **٦٦٩** هجرية).

تغمد الله السيد الشريف الملك السلطان علي الصالحي الحسني برحمته وأسكنه فسيح جناته.

❍ ❍ ❍ ❍ ❍ ❍



السلطان محمد بن قو
والمعروف بأبي بكر الثاني الصالحي الحسني
ورحلته التي اكتشف خلالها القارة الأمريكية

هو السيد الشريف الملك السلطان محمد ـ والمعروف بأبي بكر الثاني ـ ابن السلطان قو ابن السلطان الأمير الأسد «سندياتا كيتا» المعروف بلقب «ماري جاطه» ابن الأمير محمد الملقب «مغا» ابن الأمير بلو بخون بن الأمير موسى الأسود الملقب «برمندانة» ابن دامال بن لاتال بن لاولو بن هلال أبو النعمان الملقب «بلالي بوناما» ابن عبدالله الشريف كانْ الأول ابن هذيم بن مسلم بن زيد بن عبدالله أبي الضحاك بن الحسن الشهيد ابن عبدالله الشهيد ابن محمد الشاعر ابن صالح الجوال ابن عبدالله الرضا الشيخ الصالح ـ ويلقب بأبي الكرام ـ ابن موسى الجون ابن عبدالله المحض ابن الحسن المثنى ابن الحسن السبط ابن علي رضي الله عنهم أجمعين.

قال ابن خلدون في الجزء السادس من العبر ص٢٣٨:

(...ثم ولي عليهم من بعده مولى من مواليهم تغلب على ملكهم اسمه ساكورة. وقال الشيخ عثمان ضبطه بلسانهم أهل غانة سبكرة وحج أيام الملك الناصر وقتل عند مرجعه بتاجورا، وكانت دولته ضخمة اتسع فيها نطاق ملكهم وتغلبوا على الأمم المجاورين لهم.

وافتتح بلاد كوكو وأصارها في ملكة أهل مالي. واتصل ملكهم من البحر المحيط وغانة بالمغرب إلى بلاد التكرور في المشرق، واعتز سلطانهم وهابتهم أمم السودان، وارتحل إلى بلادهم التجار من بلاد المغرب وأفريقية، وقال الحاج يونس ترجمان التكرور إن الذي فتح كوكو هو سغمنجة من قواد منسا موسى، وولي من بعده ساكورة هذا «قو ابن السلطان ماري جاظه»، ثم من بعده ابنه محمد بن قو، ثم انتقل ملكهم من ولد السلطان ماري جاظه إلى ولد أخيه أبي بكر فولي عليهم منسا موسى ابن أبي بكر).

وأضاف ابن فضل الله شهاب الدين أحمد بن يحيى العمري في مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ج٤ ص٧٠ ما نصه:

(قال ابن أمير حاجب: سألت السلطان موسى كيف انتقلت إليه المملكة فقال: نحن أهل بيت نتوارث الملك وكان الذي قبلي لا يصدق أن البحر المحيط لا يمكن الوقوف على آخره، وأحب الوقوف على هذا وولع به، فجهز مئين مراكب مملوءة من الرجال، وأمثالها مملوءة من الذهب والماء والزاد، ما يكفيهم سنين، وقال للمسافرين فيها: لا ترجعوا حتى تبلغوا نهايته أو تنفد أزوادكم وماؤكم فساروا، وطالت مدة غيبتهم، لا يرجع منهم أحد، حتى مضت مدة طويلة، ثم عاد مركب واحد منها، فسألنا كبيرهم عما كان من أثرهم وخبرهم. فقال: تعلم أيها السلطان إنا سرنا زمناً طويلاً حتى عرض في لجة البحر واد له جرية قوية، وكنت آخر تلك المراكب، فأما تلك المراكب فإنها تقدمت، فلما صارت في ذلك المكان ما عادت ولا بانت، ولا عرفنا ما جرى لها وأما أنا فرجعت من مكاني ولم أدخل ذلك الوادي.

قال: فأنكر عليه.

قال: ثم إن السلطان أعد ألفي مركب، ألفاً له ولرجال استصحبهم

معه، وألفاً للماء والزاد. ثم استخلفني وركب بمن معه البحر وسار فيه. وكان آخر العهد به وبجميع من معه واستقل لي الملك).

قلت: وقد كشف الرحالة الأوروبيون مؤخراً دلائل على وصول تلك القافلة البحرية إلى القارة الأمريكية ونشر الإسلام فيها قبل قرون من وقتنا هذا، وقد فصل الباحث المؤرخ جهاد الترباني أمر تلك الرحلة في الحلقة التاسعة من برنامجه الوثائقي العظماء مائة.



الشريف منسا موسى ابن أبي بكر الصالحي الحسني، ملك مالي وأغنى رجل في العالم وصاحب أشهر رحلة حج منذ فجر الإسلام حتى اليوم

هو السيد الشريف الملك الصالح العادل السلطان العظيم: منسا موسى ابن أبي بكر ابن الأمير محمد الملقب «مغا» ابن الأمير بلو بخون ابن الأمير موسى الأسود الملقب «برمندانة» ابن دامال بن لاتال بن لاولو بن هلال أبو النعمان الملقب «بلالي بوناما» ابن عبدالله الشريف كان الأول ابن هذيم بن مسلم بن زيد بن عبدالله أبي الضحاك ابن الحسن الشهيد ابن عبدالله الشهيد ابن محمد الشاعر ابن صالح الجوال بن عبدالله الرضا الشيخ الصالح ـ ويلقب بأبي الكرام ـ ابن موسى الجون بن عبدالله المحض بن الحسن المثنى ابن الحسن السبط ابن علي عليهم السلام.

وقد اشتهر رحمه الله تعالى بعدة ألقاب منها: منسا موسى، ومعنى «منسا» السلطان، وبلقب «كانْكانْ» موسى، و«كَنْكَنْ» موسى، بزيادة الألف بعد الكاف في اللقب الأول وحذفها في الثاني، وهذا لقب جده عبدالله الشريف بن هذيم بن مسلم بن زيد بن عبدالله أبي الضحاك.

وهو الذي لقبه أهل خراسان بلقب عبدالله الشريف «خانْ» وبعد وصوله إلى مملكة غانة حرف السودان لقبه من «خانْ» إلى «كانْ» لنطقهم

الخاء كافاً، ومنذ ذلك التاريخ عرف أبناؤه وأحفاده في السودان بلقب «كانْ، وكَنْ» بمد الكاف وقصرها مع سكون النون فيهما، وأحياناً بذكر اللقب مكرراً مرتين لهما «كَانْكانْ وكَنْكَنْ» بينما عرفت ذريته في المراجع التاريخية العربية ببني صالح ملوك غانة ومالي من بلاد السودان، وفي هذا الصدد كتب ابن فضل الله شهاب الدين أحمد بن يحيى العمري رحمه الله تعالى نقلاً عن الإخباريين المصريين: الأمير أبي الحسن علي بن أمير حاجب، والمؤرخ النسابة أبي العباس أحمد بن الجاكي المهمندار، والشيخ الدكالي ـ والذين التقى بهم في مصر بعد سنة **٧٢٤** هجرية وهي السنة التي وصل فيها الشريف السلطان موسى بمصر حاجاً وأقام في القاهرة عدة شهور ـ نقل عنهم في «مسالك الأبصار» الكثير من سيرة وحياة الشريف السلطان منسا موسى وأحوال مملكته، وبين في كتابه: «التعريف بالمصطلح الشريف» أن الشريف منسا موسى ينسب نفسه إلى عبدالله بن صالح بن الحسن بن علي ابن أبي طالب رضي الله عنه.

ونصه من ص٤٤ ـ ٤٥:

(ملك التكرور وهو صاحب مالي، ومالي عبارة عن اسم إقليم والتكرور مدينة من مدنها. . . وملك التكرور يدعي النسب إلى عبدالله بن صالح بن الحسن بن علي ابن أبي طالب).

قلت: إن عدم إنكار النسابة المؤرخ العمري على منسا موسى دعوى النسب الشريف، مع إرسال الأخير لعمود نسبه واختصاره مرده إلى أمرين:

أولهما: ثبوت صحة دعوى هذا النسب الشريف عنده، لأن العمري اشتهر بإنكاره على أدعياء النسب الشريف زوراً وبهتاناً، وإبطاله لدعواهم وردها عليهم مثال ذلك ما كتبه في شأن دعوى صاحب الزنج لعنه الله النسب الشريف، ونصه:

(ذكر دولة الزنجي: وعزيز علي والله أن أذكره في هذا النسب الشريف، وإن كان في شيء من هذا البيت فهو الكنيف، حاشا لله أن

يكون هذا الرجس من أولئك، أو يعد فيهم إلا كما يعد إبليس في الملائكة، عجباً لهذا القعدة بالأرض كيف يطول، وكيف يكون هذا الرجس من أهل البيت، والله يقول: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ أما هو فادعى أنه علي بن محمد بن جعفر بن الحسن بن طاهر بن الحسين بن علي ابن أبي طالب ويكنى أبا الحسن.

قال نسابتهم: إنه من ولد العباس بن علي عليه السلام، والصحيح أنه من عبد القيس، ولا يبعد أن يكون من ولد الشيطان الرجيم وإبليس الأثيم...)[1].

وإذا كانت دعوى النسب الشريف محل خلاف بين المؤرخين والنسابين فإن النسابة المؤرخ العمري رحمه الله تعالى لا يسكت عليها بل يبين وجه الخلاف فيها كدعوى العبيديين الفاطميين النسب الشريف وهذا نصه:

(ذكر الدولة العبيدية نشأت بالغرب ثم كانت بمصر... فأما أنسابهم فللناس فيه اختلاف كثير، فأما هم فادعوا أنهم من ولد إسماعيل بن جعفر الصادق، وأما الناس فمنهم من أفرط حتى قال إنهم من ولد رجل يهودي من أهل سلمية، ومنهم من قال إنهم من ولد رجل خياط من بعض عامة المسلمين.

وقال بعضهم: كان الداعية لهم داعياً لرجل شريف من آل البيت، فمات وقد اجتمعت زمر الشيعة، ولم يبق إلا الظهور، فلم يمكنه اطلاعهم على موت ذلك الشريف لئلا تفلل عزائمهم، وينفض جمعهم، فأخذ صبياً أراهم إياه، وقال لهم: إن الإمام مات وهذا ابنه وقد أوصى إليه. ثم من قال: إن ذلك الصبي ابن امرأة كان الداعية قد تزوج بها.

وثبت في بغداد محضر بأنهم أدعياء، وأتي به إلى الشريفين المرتضى

---

(١) انظر: ص١١٦، ج٢٤ من مسالك الأبصار في ممالك الأبصار.

والرضى الموسويين فأبيا أن يشهدا فيه، وكان هذا أقوى حجج العبيديين على دعواهم، وكذلك لهم شهادة صريحة شهد بها الشريف الرضى في قوله:

ما مقامي بأرض بغداد رشد — وبمصر الخليفة العلوي
من أبوه أبي ودعواه دعواي — ومن جده وجدي النبي
ألبس الذل في ديار الأعادي — وابن عمي له المكان العلي
إن عرقي بعرقه سيد — الناس جميعاً محمد وعلي

وأما حجة الخصم عليهم فامتناع آل أبي طاهر من تزويج المعز أبي تميم معد، وكان السبب في خطبته إليهم أنهم كانوا أعرق بيت في أهل مصر شرفاً، فلما قدم المعز مصر ألقيت إليه ورقة فيها:

إن كنت من أهل العباء — فاخطب إلى آل أبي طاهر
فإن رآك القوم كفؤاً لهم — في باطن الأمر وفي الظاهر

فخطب إليهم، فاعتذروا إليه، وقالوا إنه لا بنت لنا فسكت على مضض يتجرعه ولا يكاد يسيغه، وجرد كان لا يتوقعه ولا يزيغه.

ثم ألقيت إليه بعد أوراق فيها مذمة وعار وملمة لا يعرف لها شعار، ومن جملة ما كتب له في بعضها:

إن كنت فيما تدعي صادقا — فانسب لنا نفسك كالطائع
فإن أنساب بني هاشم — يقصر عنها طمع الطامع
وأنت فيما تدعي عاجز — فاذكر أبا بعد الأب الرابع
أو فدع الأنساب مستورة — وادخل بنا في النسب الواسع

فقصد المنبر وأخذ في إحدى يديه سيفاً، وفي الأخرى ديناراً، ثم قال: (أما بعد فقد كتبت لنا ورقة يسأل فيها عن نسبنا، وهذا نسبي وأشار إلى السيف، وهذا حسبي وأشار إلى الدينار، فمن أقر بنسبي أدخلته في

حسبي، ومن لم يرد حسبي قتلته بنسبي والسلام، ثم نزل)[(١)].

إذاً تبين مما سبق أن النسابة المؤرخ العمري لا يسلم لأدعياء النسب الشريف زوراً وبهتاناً بدعواهم ولا يسكت عليها البتة. وما سكوته على دعوى الشريف السلطان منسا موسى النسب الشريف إلا دليل واضح على صحة نسبه الشريف عنده.

وأما ثانيهما: فإن المؤرخ النسابة العمري رحمه الله تعالى كان يعلم اتصال نسب الشريف السلطان منسا موسى بجده صالح الجوال جملة كما يعلم اتصال نسب صالح الجوال بالحسن بن علي عليهما السلام تفصيلاً.

فأما عن اتصال نسب صالح الجوال بالحسن رضي الله عنه فقد كتب العمري في ذلك ما نصه:

(أمراء مكة من العلويين:

ذكر دولة الكبير ومنهم أهل الينبع: وسنذكر من أين نمى أصلهم، وهم من ولد أبي الكرام عبدالله بن موسى الجون بن عبدالله الكامل بن الحسن المثنى، . . . ومن بنيه الكراميون، ومنهم الصالحيون وصالح وابنه شاعران جليلان، فأما صالح ابن أبي الكرام فهو الجوال وسمي بذلك لأنه جال أقطار الأرض لخوفه ونشأ بالمدينة والإمامة في رأسه والدعاة تأتيه ولم يمكنه الخروج بجزيرة العرب فخرج بخراسان، فحمل إلى المأمون، فلما دخل عليه لامه وقال: ما حملك على الخروج علي وأنت القائل:

إذ كان عندي قوت يوم وليلة وخمر تقضي هم قلبي إذا اجتمع
فلست تراني سائلاً عن خليفة ولا عن وزير للخليفة ما صنع

ثم حبسه.

(١) انظر: ص٧٢ ـ ٧٤، ج٢٤ من مسالك الأبصار في ممالك الأمصار.

وأما ابنه محمد بن صالح فهو شاعر مذكور وبطل مشهور وكان يعرف بالأعرابي للزومه البادية، ومن شعره: [الكامل]

طـــرب الـــفـــؤاد فـــعـــاده أحـــزانـــه

وكان قد أخذ أيام المتوكل لخروجه، فحبس ثم أطلق لقصيدة عرضها الفتح بن خاقان ومما كتب به من حبسه إلى امرأته قوله: [الطويل]

لو أن المنايا تشترى لاشتريتها　　لأم حميد بالغلاء على عمد
لكن بي أني أعيش بغبطة　　وندمت أن يحظى بها أحد بعدي

وسيأتي إن شاء الله تعالى ذكره في الشعراء.

وفي هؤلاء الصالحيين ملك متوارث بغانة وقد ذكرناه مكانه)[1].

فقد كان النسَّابة المؤرخ العمري رحمه الله تعالى على علم واطلاع باتصال نسب الشريف السلطان منسا موسى بأجداده بني صالح ملوك غانة.

فذكر هنا تفاصيل ثمانية أجداد من آباء الشريف السلطان منسا موسى متصلة وهم:

(محمد الشاعر بن صالح الجوال ابن عبدالله أبي الكرام بن موسى الجون بن عبدالله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي) رضي الله عنهم أجمعين.

ثم ذكر في «التعريف بالمصطلح الشريف» جداً تاسعاً مرسلاً وهو عبدالله بن صالح.

وهذا الإرسال أمكن اتصاله من كتب النسَّابين والمؤرخين وذلك على النحو التالي، فقد أجمعوا على أن عقب صالح الجوال ابن عبدالله الرضا

---

(١) انظر: ص٣١ ـ ٣٢ من مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ج٢٤.

الشيخ الصالح ـ ويلقب بأبي الكرام ـ ابن موسى الجون. قليل وأنه انحصر في بيتين فقط هما:

١ ـ بيت: صالح بن موسى بن مهبوب بن علوي بن مسلم بن هدلم بن الحسن بن محمد بن زيد بن عبدالله أبي الضحاك ابن الحسن الشهيد ابن عبدالله الشهيد ابن محمد الشاعر ابن صالح.

وقد نص على هذه السلسلة الفتوني العاملي في كتابه: «حدائق الألباب في الأنساب» ويوافقه فيها الشريفين: جمال الدين أبي الفضل أحمد بن محمد بن المهنا الحسيني العبيدلي من أعلام القرن السابع الهجري، في كتابه «التذكرة في الأنساب المطهرة» والسيد الشريف العلامة جعفر الأعرجي الحسيني في كتابه: «الأساس لأنساب الناس»، ويختلفان معه في نطق بعض الأسماء كـ «صالح» الأخير فقد كتباه باسم «صباح بن موسى»، وكـ «هدلم» فقد كتباه باسم هذيم. وكـ «مهبوب» فقد كتباه بلفظ: «محبوب».

ولو قلنا بأن «عبدالله» المرسل نسبه إلى صالح مباشرة كما ورد في: التعريف بالمصطلح الشريف هو: (ابن صالح هذا المعروف بصباح بن موسى بن مهبوب. . .) لتعذر ذلك لسببين أساسيين.

أولاً: أن «صالحاً» هو الحفيد الرابع عشر لصالح الكبير، وقد أخذ صالح الكبير وحبس أيام الخليفة المأمون العباسي الذي تولى الخلافة بين عامي: (١٩٨ ـ ٢١٨ هجرية) مما يعني حسب الحساب الزمني للأنساب أن صالحاً الثاني ولد في القرن السادس الهجري.

ولا يمكن أن يكون عبدالله الشريف كانْ الذي وصل إلى مملكة غانة حوالي منتصف القرن الخامس الهجري من صلبه وقد بنى ولده قصر كمبي صالح سنة ٥١٠ هجرية بمعنى أنه مات وحكم بنوه غانة قبل ولادة صالح الثاني.

وأما السبب الثاني هو أننا لو نسبناه إليه لطال عمود النسب فوق الحد المقبول لطول السلسلة عند النسابين وأكثره أربعة أجيال وأقله ثلاثة لكل قرن.

وأما البيت الثاني فهو: هذيم بن مسلم بن زيد، وزيد هذا هو الذي يجتمع عنده البيتين، فلم يبق من شك أن عبدالله الشريف المرسل عمود نسبه إلى صالح، هو من ولد هذيم بن مسلم بن زيد، لموافقته للحساب الزمني لسلاسل الأنساب أولاً، ولتعذر اتصاله بصالح الثاني ثانياً كما مر معنا، ولانحصار نسل صالح الكبير وعقبه في هذيم وصالح الثاني ثالثاً وعدم خروجه عنهما.

وعليه يحمل الإرسال الوارد لعبدالله بن صالح عليه.

وأما بقية عمود النسب بين الشريف منسا موسى وعبدالله الشريف المرسل إلى صالح. فقد وردت في كتب النسابين والمؤرخين، فجزء منه ورد في تاريخ ابن خلدون والقلقشندي رحمهما الله تعالى، وجزء منه ورد في المصادر المحلية السودانية.

والدليل على أن النسَّابة المؤرخ العمري رحمه الله تعالى كان يعلم باتصال نسب الشريف السلطان منسا موسى بصالح الجوال أنه إذا لم يعلم باتصال نسب شخص ما يذكر ذلك ويبينه ولا يسكت عليه، مثال ذلك:

كلامه على نسب المهدي محمد بن تومرت، فرغم نقله عن النسَّابة المؤرخ ابن سعيد الغرناطي تأكيده صحة نسب المهدي محمد بن تومرت إلى الأشراف الأدارسة وذلك في كتابه: «كنوز المطالب في أنساب آل أبي طالب» إلا أنه لم يقنع بذلك ولم يسلم به وصرح بأنه لم يقف على اتصال نسبه بالأدارسة ولا إلى أي فرع منهم ينتمي وهذا نصه:

(ذكر دولة المهدي محمد بن تومرت:

ويكنى بأبي عبدالله وهو المدعو له على منابر الغرب وبأفريقية خاصة إلى الآن... وهو حسني من ولد الحسن بن علي عليه السلام.

ومن الكنوز: أنه إدريسي. قال مؤلفه: هو من بني إدريس بن إدريس. وقال: وبنو عبدالله بن إدريس بن إدريس في السوس عدد وخلق. قلت: ولم أقف على نسبه الموصول، ولا عرفت فرعه اليانع من أي الأصول)[١].

وأما القلقشندي رحمه الله تعالى فقد أقر لملوك مالي دعواهم النسب الشريف وأنهم فرع من بني صالح ملوك غانة، وذلك في الجزء الخامس من صبح الأعشى عند نهاية كلامه على مملكة مالي وملوكها. وفي الجزء الثامن من صبح الأعشى ص٨ ـ ٩ كتب عن الشريف السلطان منسا موسى ما نصه:

(الرابع ملك مالي قال في «مسالك الأبصار»: وهي في نهاية الغرب متصلة بالبحر المحيط، وقاعدة الملك بها بنبي. وهي أعظم ممالك السودان، وقد تقدم في المقالة الثانية في الكلام على المسالك والممالك ذكر أحوالها، وما تيسر من ذكر ملوكها، وأن مالي اسم للإقليم، والتكرور مدينة من مدنه، وكان ملكها في الدولة الناصرية «محمد بن قلاوون» منسا موسى، ومعنى «منسا» السلطان، وقد ذكر في «مسالك الأبصار»: أنه وصل منه كتاب عن نفسه لنفسه فيه ناموساً، وأنه وصل إلى الديار المصرية حاجاً، واجتمع بالسلطان الملك الناصر، فقام له وتلقاه وأكرمه وأحسن نزله، على ما هو مبسوط في موضعه.

قال في «التعريف»: وملك التكرور هذا يدعي نسباً إلى عبدالله بن صالح بن الحسن بن علي ابن أبي طالب).

قلت: وما ذكرنا عن النسَّابة المؤرخ العمري من عدم التسليم بدعوى النسب الشريف إلا إذا كانت صحيحة ينطبق على النسَّابة المؤرخ القلقشندي رحمهما الله تعالى، فقد ذكر القلقشندي الخلاف الوارد في نسب العبيديين في كتابه «نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب» ص١٤٥ ونصه:

---

(١) انظر: ج٢٤ من مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ص٦٣ ـ ٦٤.

(العبيديون: بطن من الحسينيين، بني الحسين السبط ابن أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب. وهم بنو عبيدالله المهدي بن محمد الحبيب بن المصدق ابن محمد مكتوم بن إسماعيل الإمام ابن جعفر الصادق بن محمد الباقر رضي الله عنه.

على أن هذا النسب قد طعن فيه طاعنون من النسابة، وقدح فيه جماعة من جملة العلماء، والله تعالى أعلم بما هو الحق).

وعن نسب الموحدين أصحاب ابن تومرت كتب القلقشندي رحمه الله في الجزء الخامس من صبح الأعشى ص**١٢٩ ـ ١٣٠** ما نصه:

(الجملة العاشرة في منتمى ملوك هذه المملكة القائمين بها إلى الآن، من الموحدين في النسب، ودعواهم الخلافة، وبيان أصل دولتهم وتسميتهم الموحدين:

أما منتماهم في النسب فقد ذكر في «التعريف»: أن الملك القائم بها في زمانه يدعي النسب إلى أمير المؤمنين: عمر بن الخطاب رضي الله عنه. ومن أهل النسب من ينكر ذلك، فمنهم من يجعله من بني عدي بن كعب رهط عمر، وليس من بني عمر، ومنهم من يقول بل من هنتاتة وليسوا من قبائل العرب في شيء).

فتحصل مما سبق أن العمري والقلقشندي سلَّمَا للشريف السلطان منسا موسى وأسرته «كيتا» بدعواهم النسب الشريف دون أن يذكرا خلافاً في ذلك أو طعناً لصحة تلك الدعوى وثبوتها ولكونهم من بني صالح ملوك غانة الذين سلَّم الجميع بصحة نسبهم الشريف، بما في ذلك العلامة ابن خلدون.

وأما ما ورد من أن الملك الناصر محمد بن قلاوون أحد ملوك مصر من الموالي المماليك (كان لا يعرض للشريف السلطان منسا موسى ولا يقر له بشيء من الألقاب الدالة على النسب العلوي).

فمرد ذلك إلى أمرين:

١ ـ احتقار الملك الناصر لملوك السودان قاطبة في زمنه حيث كانوا يدفعون له الإتاوات سنوياً ويجبرهم على السجود له من دون الله، إلا ملوك مالي فلم يكونوا في طاعته ولم يدفعوا له إتاوة ولم يقبلوا إطلاقاً بالسجود له ولا تقبيل أحذيته. لهذا السبب كان حقده عليهم وحسده لهم فقد أمر السلطان الشريف منسا موسى بالسجود له فرفض وقال أنا لا أسجد إلا لله وجئت من بلدي لأداء فريضة الحج.

٢ ـ أنه ليس بنسابة ولا مؤرخ فاعترافه وعدم إقراره في هذا سواء فالمعول عليه في إثبات الأنساب ونفيها هم أصحاب الاختصاص من المؤرخين والنسَّابين لا غيرهم.

والمتقدمين منهم المعاصرين لأصحاب تلك الأنساب والحقب الزمنية التي عاشوها وليس المتأخرين من أصحاب الروايات الشفوية المحلية الذين ولدوا بعدهم بمئات السنين، تلك الروايات التي حرفت اسم جدهم هلال أبو النعمان الملقب «بلالي بوناما» ابن عبدالله الشريف كانْ الأول ابن هذيم بن مسلم بن زيد، وزعمت أن بلالي بوناما هذا هو خادم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم تسليماً الصحابي الجليل بلال بن رباح الحبشي ﷺ رغم استحالة ذلك زماناً ومكاناً وقد فصلنا القول في ذلك من قبل.

كما بسطنا القول في الرد على زعم العلامة ابن خلدون رحمه الله تعالى أنه لم يتصل به نسب هؤلاء الملوك ولا وَجَدَ من يطلعه على نسبهم، وقد كتب رحمه الله تعالى عن سيرة وحياة الشريف السلطان منسا موسى ما يلي:

(ثم انتقل ملكهم من ولد السلطان ماري جاطه إلى ولد أخيه أبي بكر فولي عليهم منسا موسى ابن أبي بكر، وكان رجلاً صالحاً وملكاً عظيماً له في العدل أخبار تؤثر عنه. وحج سنة أربع وعشرين وسبعمائة، لقيه في الموسم شاعر الأندلس أبو إسحاق إبراهيم الساحلي المعروف بالطويجن

وصحبه إلى بلاده. وكان له اختصاص وعناية ورثها من بعده ولده إلى الآن، وأوطنوا والاتر من تخوم بلادهم من ناحية المغرب، ولقيه في منصرفه صاحبنا المعمر أبو عبدالله ابن خديجة الكومي من ولد عبدالمؤمن، كان داعية بالزاب للفاطمي المنتظر، وأجلب عليهم بعصائب من العرب فكر به واركلا، واعتقله ثم خلى سبيله بعد حين فخاض القفر إلى السلطان منسا موسى مستجيشاً به عليهم، وكان قد بلغه توجهه للحج فأقام في انتظاره ببلد غدامس يرجو نصراً على عدوه ومعونة على أمره لما كان عليه منسا موسى من استفحال ملكه بالصحراء الموالية لبلاد واركلا وقوة سلطانه فلقي منه مبرة وترحباً ووعده بالمظاهرة والقيام بثأره واستصحبه إلى بلدة أخرى وهو الثقة.

قال: كنا نواكبه أنا وأبو إسحاق الطويجن دون وزرائه ووجوه قومه، نأخذ بأطراف الأحاديث حيث يتسع المقام، وكان يتحفنا في كل منزل بطرف المآكل والحلاوات قال: والذي تحمل آلته وحربته من الوصائف خاصة اثنا عشر ألفاً لابسات أقبية الديباج والحرير اليماني.

قال الحاج يونس ترجمان هذه الأمة بمصر: جاء هذا الملك منسا موسى من بلده بثمانين حملاً من التبر، كل حمل ثلاثة قناطير. قال: وإنما يحملون على الوصائف والرجال في أوطانهم فقط، وأما السفر البعيد كالحج فعلى المطايا.

قال أبو خديجة: ورجعنا معه إلى حضرة ملكه فأراد أن يتخذ بيتاً في قاعدة سلطانه محكم البناء مجللاً بالكلس لغرابته بأرضهم فأطرفه أبو إسحاق الطويجن ببناء قبة مربعة الشكل استفرغ فيها إجادته، وكان صناع اليدين وأضفى عليها من الكلس ووالى عليها بالأصباغ المشبعة فجاءت من أتقن المباني ووقعت من السلطان موقع الاستغراب لفقدان صنعة البناء بأرضهم، ووصله باثني عشر ألفاً من مثاقيل التبر مبثوثة عليها. إلى ما كان له من الأثرة والميل إليه والصلات السنية. وكان بين هذا السلطان منسا موسى وبين ملك المغرب لعهده من بني مرين السلطان أبي الحسن مواصلة

ومهاداة سفرت بينهما فيها الأعلام من رجال الدولتين واستجاد صاحب المغرب من متاع وطنه وتحف ممالكه مما تحدث عنه الناس على ما نذكره في موضعه، بعث بها مع علي بن غانم المغفل وأعيان من رجال دولته. وتوارثت تلك الوصلة أعقابهما كما سيأتي واتصلت أيام منسا موسى هذا خمساً وعشرين سنة)[١].

وعن أسباب انتقال الملك من محمد بن قو والمعروف بأبي بكر الثاني إلى السلطان منسا موسى كتب ابن فضل الله شهاب الدين أحمد بن يحيى العمري في مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ج٤ ص٧٠ ما نصه:

(قال ابن أمير حاجب: سألت السلطان موسى كيف انتقلت إليه المملكة فقال: نحن أهل بيت نتوارث الملك وكان الذي قبلي لا يصدق أن البحر المحيط لا يمكن الوقوف على آخره، وأحب الوقوف على هذا وولع به، فجهز مئين مراكب مملوءة من الرجال، وأمثالها مملوءة من الذهب والماء والزاد، ما يكفيهم سنين، وقال للمسافرين فيها: لا ترجعوا حتى تبلغوا نهايته أو تنفد أزوادكم وماؤكم فساروا، وطالت مدة غيبتهم، لا يرجع منهم أحد، حتى مضت مدة طويلة، ثم عاد مركب واحد منها، فسألنا كبيرهم عما كان من أثرهم وخبرهم. فقال: تعلم أيها السلطان إنا سرنا زمناً طويلاً حتى عرض في لجة البحر واد له جرية قوية، وكنت آخر تلك المراكب، فأما تلك المراكب فإنها تقدمت، فلما صارت في ذلك المكان ما عادت ولا بانت، ولا عرفنا ما جرى لها وأما أنا فرجعت من مكاني ولم أدخل ذلك الوادي.

قال: فأنكر عليه.

قال: ثم إن السلطان أعد ألفي مركب، ألفاً له ولرجال استصحبهم معه، وألفاً للماء والزاد. ثم استخلفني وركب بمن معه البحر وسار فيه. وكان آخر العهد به وبجميع من معه واستقل لي الملك).

---

(١) انظر الجزء السادس من: العبر، ص٢٣٧ ـ ٢٣٩.

وما ورد من بعض الروايات الشفوية أن لقب (كَنْكَنْ وكانْكانْ) هو اسم والدة الشريف السلطان منسا موسى، فلا تعارض بينه وبين كونه لقباً لقبيلته الأم (كَانْ، وَكَنْ) بسكون النون فيهما، وهذا اللقب يدل أيضاً على أن أمه من نفس القبيلة.

❍ ❍ ❍ ❍ ❍ ❍

الشريف السلطان منسا سليمان ابن أبي بكر الصالحي الحسني أحد أشهر ملوك مالي من بني صالح

(تحقيق نسبه الشريف، وبيان حسبه المنيف والرد على ما تعرض له من الرحالة ابن بطوطة في رحلته من ظلم وحيف).

هو الشريف السلطان منسا سليمان ابن أبي بكر ابن الأمير محمد الملقب «مغا» ابن الأمير بلو بخون ابن الأمير موسى الأسود الملقب «برمندانة» ابن الأمير دامال ابن الأمير لاتال ابن الأمير لاولو ابن الأمير هلال أبو النعمان الملقب «بلالي بوناما» ابن الأمير عبدالله الشريف كان الأول المشهور بلقب «آيل كان» ابن هذيم بن مسلم بن زيد بن عبدالله أبي الضحاك بن الحسن الشهيد ابن عبدالله الشهيد ابن محمد الشاعر ابن صالح الجوال ابن عبدالله الرضا الشيخ الصالح ـ ويلقب بأبي الكرام ـ ابن موسى الجون ابن عبدالله المحض ـ ويلقب بالكامل ـ ابن الحسن المثنى ابن الحسن السبط بن علي وفاطمة عليهم السلام.

سبق وأن حققنا في عمود هذا النسب الشريف والحسب المنيف، عند ترجمتنا لمؤسس هذه المملكة العلوية الهاشمية السيد الشريف الملك الأمير الأسد ـ الملقب بـ: «ماري جاطه» والمشهور أيضاً بلقب «سندياتا كيتا».

وكذلك عند ترجمتنا لأخيه السيد الشريف الملك السلطان موسى ابن أبي بكر والمشهور بألقاب «منسا موسى، وكانكان موسى، وكنكن موسى»، وهو شقيق السيد الشريف السلطان سليمان هذا.

ولكن لا بأس أن نتطرق مجدداً لإزالة اللبس عما جرى من الخلط بين إسلام ملوك مالي القدامى من الزنوج الوثنيين وبين ملوكها الأشراف العلويين الصالحيين من جهة، والخلط بين الأسر التي ملكت مملكة مالي قبل القرن السادس الهجري وبين ملك هؤلاء الأشراف في القرن السادس الهجري وما بعده من جهة أخرى.

فأقول ومن الله جلَّ جلاله التوفيق والقبول:

يذهب بعض الإخباريين إلى أن مملكة مالي قديمة قدم مملكة غانة ولكنها كانت دائماً تابعة لها ولم تنفصل عنها حتى سقوط مملكة غانة نهاية القرن السادس الهجري على يد الصوصو.

وكما تعاقب على ملك غانة منذ القرن الأول الميلادي حتى عجز القرن الحادي عشر الميلادي أسر عدة قبل حكم بني صالح الشرفاء لها، فنفس الشيء ينطبق على مملكة مالي، فقد ملكتها أربع أسر على الأقل منذ تأسيسها وقيامها الأول قبل القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي. حينما تمكن ساعتها بنو هلال أبو النعمان الملقب «بلالي بوناما» وهم فرع من بني صالح حكام إمارة كانجابا التي كانت تابعة لمملكتهم الكبيرة غانة من هزيمة الصوصو الوثنيين ـ الذين هاجموا مملكة غانة وسيطروا على معظم أقاليمها لأزيد من خمس وعشرين سنة ـ وإعلان قيام مملكة جديدة أطلقوا عليها اسم مملكة مالي.

وعن الأسر التي ملكت مملكة مالي القديمة قبل تأسيس مملكة مالي الحديثة سنة **٦٢٨** هجرية **١٢٣٠**م.

يحدثنا الهادي المبروك الدالي بقوله:

(أما عن سندياتا كيتا مؤسس مملكة مالي الإسلامية «**٦٣٣ ـ ٦٥٣**

هجرية/ ١٢٣٥ ـ ١٢٥٥م» فقد ذهب بعض المؤرخين إلى أن أسرة كيتا لم تكن الأولى في حكم مملكة مالي الإسلامية إذ سبقتها إلى الحكم أسر لم تكن معروفة مثل أسرة كيتا، غير أنها أدت دوراً ما ثم انتهت في مسرح الأحداث دون أن تخلف وراءها شيئاً يذكره التاريخ، ومن هذه الأسر: «أسرة باكابوكو، ومن بعدها أسرة تراورى، وكونفاتي، والكوناتيين، والكاماروين»)[١].

قلت: ومما لا شك فيه أن من بين هذه الأسر المذكورة الأسرة التي أسلم ملوكها منتصف القرن الخامس الهجري ووسموا ملوكهم باسم المسلماني، كما نص على ذلك أبو عبيد البكري المتوفى سنة **٤٨٧** هجرية في كتابه: «المسالك والممالك». وهم أول من أسلم من ملوك مالي.

وبهذا يكون الرد على ابن خلدون الذي زعم أن أول من أسلم من ملوك مالي «برمندانة» في القرن السادس الهجري، والرد أيضاً على من قلدوه في خطئِهِ هذا.

يبين أحمد الشكري حقيقة ما ذكرناه آنفاً بقوله:

(تذكر الروايات الشفوية: أن «ماري جاطه» هو سليل أسرة كيتا «Keita» التي حكمت مالي منذ بداية القرن السادس، وكانت مقاطعة كانجابا «KanGaba» مركز حكمهم آنذاك.

وعلى إثر خضوع المنطقة للصوصو وما استتبع ذلك من اضطهاد سومانجورو لحكام مالي، اضطر ماري جاطه للهروب إلى «ميمة» وهي إمارة سوننكية مسلمة، كانت تابعة لغانة ثم استقلت عنها عند تلاشي واضمحلال أمر المملكة، وفي بلاط ملك ميمة المسلم، قضى ماري جاطه فترة من شبابه، ثم أخذ يعمل على استقطاب زعامات القبائل الرافضة لسلطة الصوصو. ونظراً لما أبداه من شجاعة وحماس نادرين بهدف تحرير البلاد، سلمته قبائل الماندينغ مقاليد أمورها ونصبته زعيماً لها وبعد

---

(١) انظر: مملكة مالي الإسلامية وعلاقتها مع المغرب وليبيا، ص٢٥ ـ ٢٦.

مغامرات متعددة تمكن من جمع عدد هام من الجيوش واتجه بهم لتحرير مالي....

بعد انتصار ماري جاطه على الصوصو في معركة «كيرينا Kirina» الحاسمة سنة «٦٣٣هـ/١٢٣٥م»، واستحواذه على الأقاليم التي كانت خاضعة لسومانجورو، قام زعماء قبائل الماندينغ بتنصيب ماري جاطه كإمبراطور عليهم)[1].

قلت: وكون قبائل الماندينغ بايعت الأمير الأسد سندياتا كيتا في جهاده ضد صوصو الوثنيين ونصبته زعيماً لها لا يعني ذلك ضرورة أنه من نسبها الزنجي، بل إن كل الروايات الشفوية المحلية والعالمية تجمع على أن أسرة كيتا وافدة على المنطقة من الشرق وتحديداً مكة والشام وأن أصولها النسبية ترجع إلى بني صالح ملوك غانة عند بعض النسَّابين العرب كما يصرح بذلك ملوك مالي أنفسهم، وبعض الروايات الشفوية المحلية تنسبهم إلى الصحابي الجليل بلال بن رباح الحبشي ﵁ ـ الذي مع فرض صحة أنه معقب ـ لم يذكر مصدر واحد أن عقبه وصلوا إلى موطنهم الأصلي الحبشة فضلاً عن مملكة غانة مما يدحض هذه الروايات وينسفها.

وشذ عن إجماع المؤرخين والروائيين المحليين ابن خلدون وابن بطوطة، فالأول خالف إجماعهم بأن موسى الأسود الملقب «برمندانة» أول من حج من ملوك مالي، فقال ابن خلدون: أول من أسلم من ملوك مالي، وخالف إجماعهم ثانية حينما نصوا على أن نسبهم معروف، سواء في ذلك من اعتبرهم من نسل الصحابي الجليل بلال بن رباح الحبشي ﵁، وهي الروايات التي لم تجد ما يدعمها ويؤيدها من الناحية التاريخية، أو من قال بأنهم فرع من بني صالح ملوك غانة، الأمر الذي يدعمه الشرع وهو تصديقهم في نسبهم مع انتفاء الدليل النافي واعتراف بني صالح ملوك غانة بهم كفرع منهم.

---

(١) انظر: الإسلام والمجتمع السوداني إمبراطورية مالي ١٢٣٠ ـ ١٤٣٠، ص١٨٠ ـ ١٨١.

فخالف ابن خلدون إجماعهم بأنه لم يتصل به نسبهم.

وأما الرحالة ابن بطوطة المتوفى سنة **٧٧٩** هجرية فقد خالف إجماع الجميع بدعوى أن أول من أسلم منهم هو الملك «ماري جاطه» نفسه وتجاهل ذكر نسبهم فلم يتطرق له وسبب ذلك هو عدم رضاه عما قدموه له من مال وضيافة.

حيث وصف ملوكهم الذين التقى بهم بأقذع العبارات وأقبحها من ذلك قوله في رحلته: «غرائب الأمصار وعجائب الأسفار» ص**٣٧٢**:

(ذكر سلطان مالي:

وهو السلطان منسى سليمان، ومنسى معناه السلطان، وسليمان اسمه وهو ملك بخيل لا يرجى منه كبير عطاء...). وفي ص**٣٧٦** يضيف:

(وكان السودان يكرهون منسى سليمان لبخله، وكان قبله منسى مغا وقبل منسى مغا منسى موسى، وكان كريماً فاضلاً يحب البيضان ويحسن إليهم).

وقبل ذلك في ص**٣٦٩** عند كلامه على ضيافة والي أيوالاتن: الوالي حسين له وعدم رضاه عنها رد عليها بقوله: (فقلت لهم: ألهذا دعانا الأسود؟ قالوا: نعم وهي الضيافة الكبيرة عندهم. فأيقنت حينئذ أن لا خير يرتجى منهم).

بهذه الأوصاف السيئة نظر ابن بطوطة إلى ملوك مالي المعاصرين له وقرر الانتقام منهم وذلك بقوله في ص**٣٧٢**:

(ذكر ضيافتهم التافهة وتعظيمهم لها: ولما انصرفت بعث إلي الضيافة فوجهت إلى دار القاضي، وبعث القاضي بها مع رجاله إلى دار ابن الفقيه، فخرج ابن الفقيه من داره مسرعاً، حافي القدمين، فدخل عليّ وقال: قم، قد جاءك قماش السلطان وهديته. فقمت، وظننت أنها الخلع والأموال،

فإذا هي ثلاثة أقراص من الخبز وقطعة لحم بقري مقلو بالغرتي وقرعة فيها لبن رائب، فعندما رأيتها ضحكت، وطال تعجبي من ضعف عقولهم، وتعظيمهم لهذا الشيء الحقير.

ذكر كلامي للسلطان بعد ذلك وإحسانه إليّ:

وأقمت بعد هذه الضيافة شهرين، لم يصل إليّ فيهما شيء من قبل السلطان. ودخل شهر رمضان وكنت خلال ذلك أتردد إلى المشور، وأسلم عليه، وأقعد مع القاضي والخطيب، فتكلمت مع دوغا الترجمان، فقال: تكلم عنده، وأنا أعبر عنك بما يجب فجلس في أوائل رمضان، وقمت بين يديه، وقلت له: إني سافرت بلاد الدنيا، ولقيت ملوكها، ولي ببلادك أربعة أشهر، ولم تضفني، ولا أعطيتني شيئاً، فماذا أقول عنك عند السلاطين؟ فقال: إني لم أرك ولا علمت بك، فقام القاضي وابن الفقيه فردا عليه، وقالا: إنه قد سلم عليك، وبعثت إليه الطعام، فأمر لي عند ذاك بدار أنزل بها ونفقة تجري عليّ ثم فرق على القاضي والخطيب والفقهاء مالاً، ليلة سبع وعشرين من رمضان يسمونه الزكاة وأعطاني معهم ثلاثة وثلاثين مثقالاً وثلثا وأحسن إليّ عند سفري بمائة مثقال ذهباً).

لهذه الأسباب لم يتطرق ابن بطوطة لنسب بني صالح ملوك مالي الذين زارهم واكتفى بوصفهم بملوك السودان، ولكنه افترى فرية إسلام الشريف «سندياتا كيتا» المعروف بلقب «ماري جاطه، ويسميه هو: سارق جاطه»، فكيف يكون أول من أسلم منهم وابن خلدون يفتري أن جده الثاني موسى الأسود الملقب «برمندانة» هو أول من أسلم حسب زعمه مخالفين بذلك، هما ومن ينقل عنهما ويقلدهما في فريتهما، كافة المؤرخين والنسَّابين المحايدين والمحليين.

وبسبب جحد ابن بطوطة وابن خلدون لنسب هؤلاء الأشراف وكثرة من قلدهما في دعوى أنهم أسلموا بقيت القلة القليلة من المراجع التي احتفظت لهم بنسبهم الشريف كأبي الفداء والعمري والقلقشندي. الذين عاصروا تلك الحقبة التاريخية من حكم بني صالح لمملكة مالي، فأبو

الفداء عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر الأيوبي صاحب حماه المتوفى سنة **٧٣٢** هجرية وهي السنة التي ولد فيها ابن خلدون، وهي أيضاً السنة السابعة من وفاته قبل أن يبدأ ابن بطوطة رحلته من مدينة طنجة مسقط رأسه، سنة **٧٢٥** هجرية، ذكر عن ملوك غانة المعاصرين له والخاضعين لأبناء عمومتهم ملوك مالي أنهم ينتسبون إلى الحسن السبط رضي الله عنه.

وهذا نص كلامه رحمه الله تعالى:

(ومدينة غانة محل سلطان بلاد غانة ويدعي أنه من نسل الحسن بن علي عليه السلام . . .)[1].

فماذا كان موقف الخصمين اللذين جاءا بعده: ابن خلدون وابن بطوطة من كلامه هذا؟

فابن خلدون وافقه في ذلك بعد تلكؤ واضطراب فكتب رحمه الله تعالى في الجزء الرابع من تاريخه العبر ص**١٣٥ ـ ١٣٦** تحت عنوان:

(الخبر عن نسب الطالبيين وذكر المشاهير من أعقابهم، وأما نسب هؤلاء الطالبيين فأكثرها راجع إلى الحسن والحسين ابني علي ابن أبي طالب من فاطمة رضي الله عنها وهما سبطا الرسول صلى الله عليه وآله وسلم . . . ومنهم: «بنو صالح بن موسى بن عبدالله الساقي ويلقب بأبي الكرام ابن موسى الجون، وهم الذين كانوا ملوكاً بغانة من بلاد السودان بالمغرب الأقصى وعقبهم هنالك معروفون).

قلت: أقر لنا بنسبنا الشريف وأخطأ في عمود نسبنا، فنحن بنو صالح بن عبدالله أبي الكرام ابن موسى الجون، ولسنا أبناء صالح ابن موسى الثاني، ولا أبناء: عبدالله بن موسى الثاني المنقرض، ولا أبناء صالح بن يوسف بن محمد الأخيصر بن يوسف بن إبراهيم بن موسى

---

(١) انظر: تقويم البلدان، ص١٥٧.

الجون، فهذه السلاسل أحدثها ابن خلدون في نسبنا كغيرنا من أبناء عمومتنا من ملوك مكة الحسنيين الذين وهم في سلاسل أنسابهم.

أما ابن بطوطة فلسخطه وعدم رضاه عن مستوى الضيافة وما قدم له من أموال، فجحد مملكة غانة وملوكها ولم يتطرق لهم بشطر كلمة رغم وجودها ضمن مملكة مالي وتبعيتها لها، كما جحد نسب ملوك مالي الذين زارهم واكتفى بوصفهم بملوك السوداني، دون أن يبين نسبهم السوداني من أي قبيلة، أو يذكر أنهم وافدون إليهم من الحجاز أو الشام.

وأما القاضي ابن فضل الله العمري شهاب الدين أحمد بن يحيى الدمشقي المتوفى سنة **٧٤٩** هجرية، فقد كتب عن ملوك غانة ومالي المعاصرين له أنهم ينتسبون إلى الحسن السبط ﷺ. وذلك في كتابه: «مسالك الأبصار في ممالك الأمصار» ج**٢٤** ضمن دول العلويين، تحت عنوان: «أمراء مكة من العلويين» ص**٢٩ ـ ٣٢**، ونصه:

(ذكر دولة الكبير ومنهم أهل الينبع:

وسنذكر من أين نمى أصلهم، وهم من ولد أبي الكرام عبدالله بن موسى الجون ابن عبدالله الكامل ابن الحسن المثنى... ومن بنيه الكراميون، ومنهم الصالحيون وصالح وابنه شاعران جليلان، فأما صالح ابن أبي الكرام فهو الجوال وسمي بذلك لأنه جال أقطار الأرض لخوفه ونشأ بالمدينة والإمامة في رأسه والدعاة تأتيه ولم يمكنه الخروج بجزيرة العرب فخرج بخراسان، فحمل إلى المأمون، فلما دخل عليه لامه وقال: ما حملك على الخروج عليّ وأنت القائل....

وأما ابنه محمد بن صالح فهو شاعر مذكور وبطل مشهور وكان يعرف بالأعرابي للزومه البادية... وفي هؤلاء الصالحيين ملك متوارث بغانة وقد ذكرناه مكانه).

وبين في الجزء الرابع من «مسالك الأبصار في ممالك الأمصار» ص٦٠ ـ ٦١ أن ملوك غانة في زمانه تابعين لملوك مالي وهذا نصه:

(والذي تشتمل عليه هذه المملكة من الأقاليم: غانة، وزافون، وترنكا.... وليس في مملكة صاحب هذه المملكة من يطلق عليه اسم ملك إلا «صاحب غانة» وهو كالنائب له وإن كان ملكاً).

ثم ذكر في كتابه: «التعريف بالمصطلح الشريف» ص**٤٣**، أن ملوك مالي ينتسبون إلى صالح هذا جد ملوك غانة، ونصه:

(ملك التكرور وهو صاحب مالي، ومالي عبارة عن اسم إقليم والتكرور مدينة من مدنها... وملك التكرور هذا يدعي النسب إلى عبدالله بن صالح بن الحسن بن علي ابن أبي طالب). لكن ابن خلدون الذي جزم بأن عقب بني صالح هنالك معروفون، لم يبين هذا العقب المشهور والمعروف بل جحدهم وغمز في إسلامهم ظلماً وعدواناً وخدمة للموالي العبيد المماليك ملوك مصر في زمانه فقال في الجزء السادس من العبر ص**٢٣٧**.

(يذكرون أن أول من أسلم منهم ملك اسمه برمندانة هكذا ضبطه الشيخ عثمان، وحج هذا الملك واقتفى سننه في الحج ملوكهم من بعده. وكان ملكهم الأعظم الذي تغلب على صوصو وافتتح بلادهم وانتزع الملك من أيديهم اسمه ماري جاطه، ومعنى ماري عندهم الأمير الذي يكون من نسل السلطان وجاطه الأسد، واسم الحافد عندهم تكن، ولم يتصل بنا نسب هذا الملك).

فرغم شذوذه عن المؤرخين الذين قالوا بأن «برمندانة» أول من حج من ملوك مالي وليس من أسلم وافتياته على الشيخ عثمان دعوى إسلام ملك مالي موسى الأسود «برمندانة»، فلماذا لا يذكر له الشيخ عثمان: نسب برمندانة كما ذكر له إسلامه؟ ولماذا لم يبين ابن خلدون رابطة النسب بين «برمندانة» وحفيده ماري جاطه؟ ولماذا يحصي ابن خلدون تسعة عشر ملكاً توارثوا الملك على عرش مملكة من أكبر وأغنى ممالك العالم في زمانه في المغرب ولم يتصل به نسبهم؟ ثم يعلمه نسابة ومؤرخو المشرق كأبي الفداء إسماعيل الأيوبي، والصفدي، والعمري والقلقشندي؟ ثم أين

هم بنو صالح ملوك غانة الذين ذكر أن عقبهم هنالك معروفون؟

أما أحمد بن علي القلقشندي رحمه الله تعالى، فجمع بين ما ذكره أبو الفداء إسماعيل الأيوبي من انتساب ملك غانة إلى الحسن بن علي عليه السلام، وبين ما ذكره العمري عن دعوى انتساب ملوك مالي إلى الحسن رضي الله عنه أيضاً، مع تبعية ملوك غانة لمالي حينئذ، وتبعية ملوك مالي من قبل لغانة قبل استيلاء أهل الكفر عليها، أي: قبل سقوط مملكة غانة على يد الصوصو الوثنيين، وقيام مملكة مالي الجديدة بعد ذلك.

فكتب رحمه الله تعالى موفقاً وجامعاً بين ما كتبه أبو الفداء الأيوبي والعمري العدوي القرشي، ما نصه:

(ثم خرج من ورائهم من بلاد الكفرة رجل اسمه محمود ينسب إلى منساقو بن منساولي بن ماري جاطه ولقبه منسا مغا وغلب على الملك في سنة ثلاث وتسعين وسبعمائة.

قال في «التعريف»: وصاحب التكرور هذا يدعي نسباً إلى عبدالله بن صالح بن الحسن بن علي ابن أبي طالب كرَّم الله وجوههم. قلت: هو صالح بن عبدالله بن موسى بن عبدالله أبي الكرام بن موسى الجون بن عبدالله بن حسن المثنى بن الحسن السبط بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

وقد ذكر في «تقويم البلدان» أن سلطان غانة يدعي النسب إلى الحسن بن علي عليه السلام، فيحتمل أنه أراد صاحب هذه المملكة لأن من جملة من هو في طاعته غانة، أو من كان بها في الزمن القديم قبل استيلاء أهل الكفر عليها).

هكذا جمع القلقشندي رحمه الله تعالى بين ما كتبه أبو الفداء الأيوبي في «تقويم البلدان» والعمري في «التعريف» وأيضاً ما كتبه ابن خلدون عن عمود نسب بني صالح ضمن ثلاث سلاسل أحدثها في نسبهم لم يقل بها قائل قبله ولم يدعيها بنو صالح عن نسبهم ومن بينها هذه السلسلة: صالح بن عبدالله بن موسى الثاني بن عبدالله الساقي ـ ويلقب بأبي الكرام ـ

ابن موسى، فمشى القلقشندي في نسب بني صالح على هذه السلسلة اعتماداً على ابن خلدون، وليس على أبي الفداء الأيوبي، ولا العمري العدوي القرشي، ولا خليل بن أيبك الصفدي، ولا على ابن سعيد الغرناطي الأندلسي رحمهم الله جميعاً.

نعود بعد هذا التحقيق إلى الرحالة ابن بطوطة، فيزعم لنا أن: «الأمير الأسد «سندياتا كيتا» ويسميه هو: «سارق جاطه» الحفيد الثاني لموسى الأسود «برمندانة» هو أول من أسلم ويزعم ابن خلدون أن الجد الثاني «برمندانة» أول من أسلم من ملوك مالي» ويكذبهما البكري المتوفى سنة **٤٨٧** هجرية، فيقول: أول من أسلم من ملوك مالي، هو المسلماني منتصف القرن الخامس الهجري، فظهرت فضيحة ابن خلدون وابن بطوطة في زعم إسلام هؤلاء الملوك الشرفاء وجحد نسبهم الشريف.

وأما عن اتهام ابن بطوطة للملك منسا سليمان الذي زاره: بالبخل والحقارة وكراهة السودان له من أجل ذلك فيكذبه في ذلك كله القاضي ابن فضل الله شهاب الدين أحمد بن يحيى العمري، فقد وصف السيد الشريف السلطان سليمان بأوصاف تدل على أنه رحمه الله تعالى كان قاضياً عادلاً ومؤرخاً منصفاً، وليس طَمَّاعاً شَحَّاتاً جائراً.

وهذا نص ما كتبه رحمه الله تعالى:

(وملكها الآن اسمه سليمان، أخذ السلطان منسا سليمان بيده ما قد كان جمعه أخوه مما فتحه من بلاد السودان وأضافه إلى يد الإسلام، وبنى المساجد والجوامع والمواذن وأقام به الجمع والجماعات والأذان، وجلب إلى بلاده الفقهاء من مذهب الإمام مالك رضي الله عنه، وبقي بها سلطان المسلمين، وتفقه في الدين.

وصاحب هذه المملكة هو المعروف عند أهل مصر بملك التكرور، ولو سمع هذا أنف منه، لأن التكرور إنما هو إقليم من أقاليم مملكته، والأحب إليه أن يقال: «صاحب مالي» لأنه الاسم الأكبر وهو به أشهر، وهذا الملك هو أعظم ملوك السودان المسلمين، وأوسعهم بلاداً وأكثرهم

عسكراً، وأشدهم بأساً وأعظمهم مالاً، وأحسنهم حالاً، وأقهرهم للأعداء، وأقدرهم على إفاضة النعمان.

والذي تشتمل عليه هذه المملكة من الأقاليم: غانة، وزافون، وترنكا، وتكرور، وسنغانة، وبانيغو، وزرنطانيا، وبيترا، ودومورا، وزاغا، وكابرا، وبراغوري، وكوكو، وسكان كوكو قبائل يزنان، وإقليم مالي الذي به قاعدة الملك مدينة نيني. وكل هذه الأقاليم مضافة إليه.

والاسم المطلق عليه في هذه الأقاليم كلها مالي قاعدة أقاليم هذه المملكة، ذوات المدن والقرى والأعمال أربعة عشر إقليماً.

حدثني الشيخ الثقة الثبت أبو عثمان سعيد الدكالي، وهو ممن سكن مدينة نيني خمسة وثلاثين سنة، واضطرب في هذه المملكة: أنها هي مربعة، طولها أربعة أشهر أو أزيد وعرضها مثل ذلك، تقع جنوب مراكش ودواخل بر العدوة، وجنوباً بغرب إلى البحر المحيط، وطولها من مولى إلى طوروا، وهي على المحيط، وجميعها مسكونة إلا ما قل.

وأن في طاعة سلطان هذه المملكة بلاد «مفازة التبر»، يحملون إليه التبر في كل سنة، وهم كفار همج، ولو شاء أخذهم، ولكن ملوك هذه المملكة قد جربوا أنه ما فتح أحد منهم مدينة من مدن الذهب وفشا بها الإسلام، ونطق بها داعي الأذان، إلا قل وجود الذهب ثم يتلاشى حتى يعدم، ويزداد فيما يليه من بلاد الكفار.

وأنه لما صح هذا عندهم على التجريب، أبقوا بلاد التبر بأيدي أهلها الكفار، رضوا منهم ببذل الطاعة وحمول قررت عليهم.

وليس في مملكة صاحب هذه المملكة من يطلق عليه اسم ملك إلا «صاحب غانة» وهو كالنائب له وإن كان ملكاً.

وفي شمال بلاد مالي قبائل من البربر بيض تحت حكم سلطانها، وهم: ينتصر، ونيتفراس، ومدوسة، ولمتونة، ولهم أشياخ تحكم عليهم، إلا ينتصر فإنهم يتداولهم ملوك منهم تحت حكم صاحب مالي، وكذا في

طاعته قوم من الكفار، ومنهم من يأكل لحوم بني آدم، ومنهم من أسلم ومنهم من هو باق على هذا.

وقد ذكر هذا في موضعه.

ومدينة نيني ممتدة طولاً وعرضاً، تكون طول بريد تقريباً، وعرضها كذلك، لا يحيط بها سور، وأكثرها متفرقة. وللملك عدة قصور يستدير بها سور محيط بها، وفرع من النيل يستدير بهذه المدينة من جهاتها الأربع، وفي بعضها يخاض ويمشي فيه عند قلة الماء وفي بعضها لا يعبر إلا بالمراكب. . .).

وقد زار السيد الشريف السلطان سليمان بيت الله الحرام وحج متخفياً ويبدو أنه لم يمر بمصر خوفاً من إجباره على السجود للموالي المماليك، وتخفى بحجه خوفاً من نهب الأعراب لموكبه كما جرى مع شقيقه السيد الشريف السلطان موسى من قبله، وفي هذا الصدد جاء في كتاب: «المسلمون في غرب أفريقيا تاريخ وحضارة» ص٨٥، تأليف الباحثين: محمد فاضل علي باري وسعيد إبراهيم كريدية، وهذا نصه:

(تولى سليمان وهو أخ منسى موسى وعم «مغان» الأول الحكم عام **١٣٤١**م ودام حكمه حتى عام **١٣٦٠**م تميز سليمان بالتقوى والصلاح والتفقه بالدين وجلب إلى بلده عدد من أئمة المذهب المالكي الذي كان ينتمي إليه، وبنى المساجد والمنارات وأدى فريضة الحج عام **١٣٥٢**م).

ومن خلال هذه الأوصاف التي وصفت بها المراجع كرم وسخاء الشريف منسا سليمان، وصلاحه وتقواه، نكتشف زيف ما وصفه به الرحالة ابن بطوطة من أوصاف غير لائقة، وجحده لنسبهم الشريف.

○ ○ ○ ○ ○ ○

الفصل الثاني

مملكة مالي عند الجغرافيين المسلمين
ألفه صلاح الدين المنجد عام ١٩٦٣م

وقد أكملت بعض النواقص فيه:

١ ـ المقدمة.

٢ ـ ابن الفقيه أحمد بن محمد، والإصطخري إبراهيم بن محمد، والشريشي أحمد بن عبدالمؤمن.

٣ ـ ياقوت الحموي، والقزويني زكريا بن محمد.

٤ ـ ابن سعيد المغربي علي بن سعيد (المتوفى سنة ٦٨٥هـ/١٢٨٦م).

٥ ـ أبو الفداء إسماعيل بن علي (المتوفى ٧٣٢هـ/١٣٣١م).

٦ ـ ابن فضل الله العمري أحمد بن يحيى المتوفى (٧٤٩هـ/١٣٤٩م).

٧ ـ ابن بطوطة محمد بن إبراهيم (المتوفى ٧١٩هـ/١٣٧٧م).

٨ ـ بيان أخطاء وأوهام شائعة حول نسب وإسلام «قبيلة كيتا» ملوك مالي المنتسبين إلى بني صالح ملوك غانة.

٩ ـ القلقشندي أحمد بن علي (المتوفى سنة ٨٢١هـ/١٤١٨م).

مملكة مالي
عند الجغرافيين المسلمين




المقدمة

قامت في أفريقية الغربية، في القرن الرابع للهجرة ـ أي: الثالث عشر للميلاد ـ مملكة واسعة اسمها مملكة مالي، سميت باسم إحدى الدول المنضمة إليها، كانت تمتد من المحيط الأطلسي غرباً إلى بلاد البرنو ـ أي: نجيريا ـ شرقاً، ومن جنوب المغرب الأقصى شمالاً إلى ما يقرب من المحيط جنوباً. وكانت تتألف من خمسة دول أو أقاليم هي: مالي، غانة، صوصو، تكرور، كوكو.

وقد كان لهذه المملكة تاريخ مضيء، انتشر بها الإسلام، وازدهر العلم، وكانت أسبق دول أفريقية السوداء إلى الحضارة والتقدم والثقافة، وتبادل ملوكها السفارات مع الدول المحيطة بها والبعيدة عنها، وكان لأحد ملوكها منسى موسى شهرة رنانة في المشرق، فقد ملأ أسواق مصر، وجيوب رجالها ـ من السلطان إلى الخدم الصغار ـ بالذهب والتحف والهدايا. وخاطر ملك آخر من ملوكها بنفسه ليكشف المحيط الأطلسي ويعرف ماذا وراءه، فعل هذا قبل كل أوروبي ينسب إليه الفضل في ذلك.

لكن من المؤسف أنّ الذين عنوا بدراسة تاريخ هذه الإمبراطورية، وتتبعوا انتشار الإسلام في أنحائها، ومظاهر الحضارة التي ظهرت فيها، كانوا قلائل جداً، في المشرق الإسلامي. وقد ظهرت في السنوات الأخيرة دراسات عنها في سورية ومصر، لكنها اعتمدت على المصادر الأجنبية، ولم تستق مادتها من النصوص العربية، وكان بعضها سريعاً موجزاً لا يشفي

غُلّهُ، أو نهج طريقة الأوروبيين في إظهار الخصائص الأفريقية، وإهمال العامل الأول لمجدها التاريخي والحضاري، أعني الإسلام.

وقد أهملت الدراسات الأوروبية التي صدرت عن أفريقية الغربية الكثير من المصادر الإسلامية العربية أيضاً ولم يرجع مؤلفوها إليها، فجاءت ناقصة، هذا إلى عيوب أخرى فيها.

ومعنى هذا أن تاريخ هذه المملكة لم يكتب بعدُ كاملاً، ولم يُرجع في كتابته إلى جميع المصادر معاً سواء المحليّة منها أو الإسلامية العربية، أو الأجنبية. ولا شك أن في بعثرة النصوص الإسلامية في بطون المؤلفات المطبوعة والمخطوطة صعوبة للباحث، وقد يكون من العسير عليه معرفتها أو الوصول إليها.

لهذا كان لا بُدّ من جمع هذه النصوص الإسلامية العربية ونشرها. لتكون مرجعاً لأولئك الذين يريدون دراسة تاريخ هذه الإمبراطورية وحضارتها، ولتعرّف قرَّاء المشرق العربي والإسلامي بأخبار دولة إسلامية كان لها شأنها وعظمتها.

وقد بدأنا بتقديم أهم النصوص التي كتبها الجغرافيون والرحّالون، وسنتبعها في جزء ثان، بالنصوص التي وردت عن مالي في كتب المؤرخين.

❋ ❋ ❋

كانت مملكة غانة، القائمة على البحر المحيط الأطلسي، أقدم دولة في الإمبراطورية المالية وأعظمها. وجدت قبل الدول الأخرى، وبها بدأ الإسلام في الانتشار، منذ القرون الهجرية الأولى. لذلك نجد الجغرافيين قبل القرن الثامن الهجري ـ أي: قبل قيام إمبراطورية مالي بأقاليمها ـ أو دولها ـ الخمس ـ يتحدثون عن غانة. وقد يسمّونها «بلاد السودان» يقصدون ما كان في جنوب المغرب الأقصى من بلاد السود. أو يذكرون «بلاد التبر» التي كانت جنوب غانة. وهذه النصوص متشابهات على

الأغلب، وفيها معارف غير دقيقة أحياناً. وأكثرها يدور حول سفر التجار من المغرب الأوسط أو الأقصى إلى غانة، ومنها إلى بلاد التبر، سعياً وراء الذهب. وقد تذكر بعض مطاعم السودان وعاداتهم، أو انتشار الإسلام فيهم، ومدارس العلم عندهم، وصفات الجواري السود اللاتي كن يبعن في المشرق. إلى جانب معلومات جغرافية بحتة جافة.

ومن هذه النصوص ما ورد عند ابن الفقيه، وابن حوقل، والإصطخري، والإدريسي، والبكري، وياقوت، والشريشي، وابن سعيد.

ولم نجد اسم مالي إلا في نصوص القرن الثامن للهجرة، أي: بعد ظهور هذه الإمبراطورية واشتداد أمرها، وزيارة بعض ملوكها المشرق وحجهم إلى بيت الله الحرام. وأعظم ما كتب عن مالي نجده عند ابن فضل الله العمري في مسالك الأبصار. فقد قدم لنا وصفاً هاماً جداً ودقيقاً للمملكة وأقاليمها ومدنها، وقبائلها، وبناء دورها، وأقواتها، وثمارها وحيواناتها، ووحوشها، وعاداتها، وتقاليدها، وأوْبائها، وعساكرها، ومعادنها، وصلات ملوكها بما يجاورها، وساق طرفاً من سِير ملوكها. وما يزال هذا النص مخطوطاً. ونحن ننشره أول مرة.

وقد استقى مادته من أناس عاشوا في تلك البلاد، وعرفوا أخبارها، ومن أهل مالي أنفسهم أو ملوكهم الذين زاروا القاهرة، ومن آخرين صحبوا هؤلاء الملوك ونقلوا ما حدثوهم به، ومما عرفه هو نفسه أثناء وجوده في ديوان السلطان بالقاهرة. فما كتبه جدير بالثقة.

وزار مالي في القرن نفسه الرحالة ابن بطوطة. وفي وصفه معلومات مفيدة جداً عن أحوال مالي المعاشية وعادات أهلها وتقاليدها، ورجالها، وثقافتها، ونتاجها الزراعي. وقد ذم ملكها منسا سليمان لأنه لم يغدق عليه العطاء، ثم مدحه عندما أعطاه.

وفي القرن التاسع الهجري عقد القلقشندي فصلاً هاماً عن مالي. رتب فيه ما قاله مَنْ سبقه من المؤلفين، حسب أبواب أو موضوعات. فنقل عن العمري، وابن سعيد، وأبي الفداء، والحميري، والمهلبي وغيرهم.

وكان جلّ اعتماده على العمري. وقيمة نصّه أنه جمع الكثير من نصوص الجغرافيين، الذين لم تصل إلينا مؤلفاتهم نفسها، كالمهلبي.

فالنصوص الأساسية لمعرفة أخبار بلاد غانة والسودان الغربي عامة نجدها في المصادر التي كتبت قبل القرن السابع. والنصوص الأساسية لمعرفة أخبار إمبراطورية مالي نجدها عند ابن فضل الله، وابن بطوطة ثم عند القلقشندي.

وقد حرصنا أن نثبت هنا النصوص الثلاثة الأخيرة، لأنها أساسية لدراسة إمبراطورية مالي. في نشأتها وازدهارها وقبيل انحطاطها.

أما النصوص الأولى التي تتحدث عن غانة وبلاد السودان الغربي عامة فقد اخترنا منها ما كتبه من المشارقة ابن الفقيه، والإصطخري، وياقوت، والقزويني، وأبي الفداء، ومن المغاربة الشريشي وابن سعيد. والتشابه بينها شديد، وقد نقل المتأخر عن المتقدّم.

وإننا نأمل أن نخرج ترجمة فرنسية لهذه النصوص جميعاً في القريب العاجل. فقد نقل دُموميين إلى الفرنسية نص العمري، لكنه أخطأ في فهم كثير من عباراته، فبدّل المعنى ولم يصب الهدف، ومن هنا كان لا بد من إعادة الترجمة، وضم ترجمات النصوص الأخرى إليها.

وإن من دواعي السرور أن يكون اليوم في جمهورية مالي الحديثة رجال من المثقفين وأصحاب الرأي، والسياسة، يعتزون بماضيهم، ويفخرون بإسلامهم، ويحاولون أن يستمدوا من عظمة ماضيهم، لبناء حاضرهم، وضمان مستقبل يقوم على دعائم ثابتة من الإيمان الذي زرعه في نفوسهم الإسلام، والثقافة الطليقة الجامعة التي ازدهرت في ديارهم في الماضي، وأقبلوا على ألوانها الجديدة في الحاضر، والسلام الذي يؤدي إلى الخير والرفاهية والخصب والمحبة. وأنا واثق أن مالي ستكون في طليعة الدول الأفريقية شأناً وتقدماً. آمنت بذلك بعد أن رأيت من ذكاء أهلها وتوقدهم وإخلاصهم وإيمانهم. ورأيت ذلك كله متمثلاً في صديقي السيد عبدالوهاب دكور، القائم بأعمال سفارة مالي في جدة. وإني لأذكر

أني ما كدت أحدثه عن ضرورة نشر النصوص العربية المتعلّقة بمالي، حتى أخذته النشوة والحماسة، وألحّ علي في إخراجها. فهذا الكتاب آية حبه لبلاده، واعتزازه بماضيه.

❊ ❊ ❊

شكر

وإني لأشكر السيد عبدالوهاب دكّور عنايته بإخراج هذا الكتاب. وإمدادي بالجداول التي تتضمن أسماء بلاد جمهورية مالي اليوم، وتصحيحه بعض الألفاظ والأسماء مما يجده القارئ في التعليقات.

وأشكر الأستاذ فؤاد سيد الذي أرسل إليّ نص العمري، والدكتور هوبكنز، من جامعة كمبرج، الذي أمدّني بنص ابن سعيد.

والحمد لله

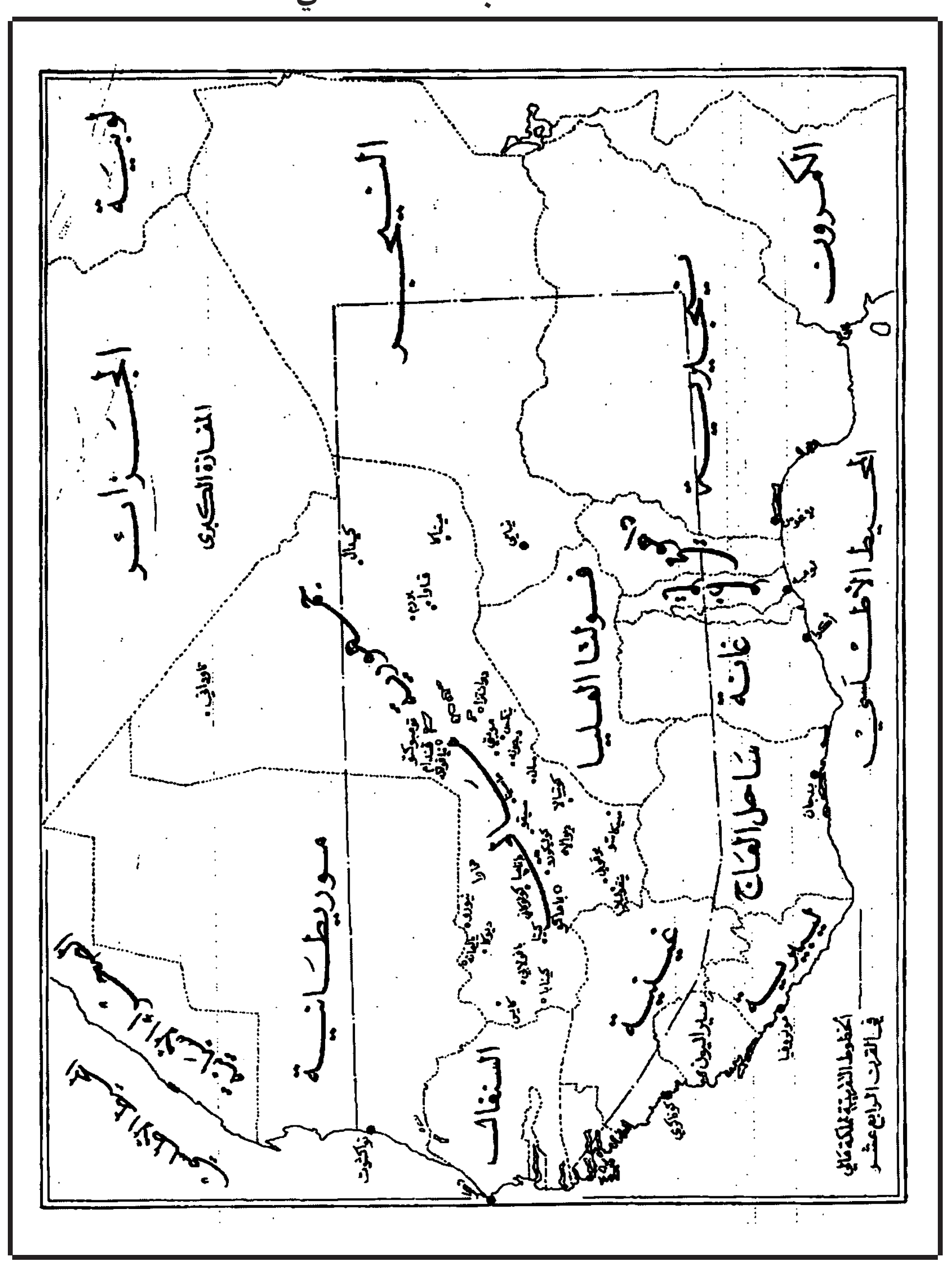
بيروت ١٩٦٣

صلاح الدين المنجد

خريطة جمهورية مالي

وضعها: الدكتور صلاح الدين المنجد

ملحقاً للكتاب: مملكة مالي



ابن الفقيه

أحمد بن محمد
(المتوفى بعد سنة ٢٩٠هـ - ٩٠٣م)



بلاد غانة

وبلاد غانة ينبتُ فيها الذهب نباتاً في الرمل كما ينبت الجزر، ويُقطف عند بزوغ الشمس. وطعامُهم الذرة واللوبياء، ويسمّون الذرة الدخن. ولباسهم جلود النمور، وهي هناك كثيرة[(١)].

○ ○ ○ ○ ○ ○

(١) ابن الفقيه، البلدان، نقلاً عن:

Description du Maghrib et de l'Europe au IIIe. - IXe, siècle. page 50).

الإصطخري

إبراهيم بن محمد
(المتوفى في النصف الأول من القرن الرابع الهجري)



السودان

وبلدان السودان بلدانٌ عريضةٌ، إلاَّ أنها قَفْرةٌ قَشِفةٌ جداً، ولهم في جبالٍ لهم عامةُ ما يكون في بلاد الإسلام من الفواكه، إلا أنهم لا يطعمونه، ولهم أطعمة يتغذُّون بها من فواكه ونبات وغير ذلك مما لا يُعرف في بلدان الإسلام.

والخدم السودُ الذين يُباعون في بلدان الإسلام منهم، وليس هم بنوبة ولا بزنجٍ ولا بحبشةٍ ولا من البجّة، إلا أنهم جنسٌ على حدة، أشد سواداً من الجميع وأصفى.

ويُقال إنه ليس في أقاليم السودان من الحبشة والنوبة والبجة وغيرهم إقليم هو أوسع منه، ويمتدّون إلى قُرْبِ البحر المحيط مما يلي الجنوب، ومما يلي الشمال على مفازة تنتهي إلى مفاوز مصر، من وراء الواحات، ثم على مفاوز بينها وبين أرض النوبة، ثم على مفاوز بينها وبين أرض الزنج. وليس لها اتصال بشيء من الممالك والعمارات إلا من وجه المغرب، لصعوبة المسالك بينها وبين سائر الأمم[١].

○ ○ ○ ○ ○ ○

(١) المسالك والممالك، ص٣٤، طبعة الحيني، القاهرة ١٩٦١م.

الشريشي

أحمد بن عبدالمؤمن
(المتوفى سنة ٦١٩هـ - ١٢٢٣م)



غانة

غانةُ بَلَدٌ من بلاد السودان. وإليها ينتهي التجار ـ (يعني من المغرب). والمدخَلُ إليها من سجلماسة. ومن سجلماسة إليها ذهاباً مسيرةُ ثلاثة أشهر. ومن غانة إلى سجلماسة إياباً مسيرة شهر ونصف، ودون ذلك. وسببُ ذلك أنَّ الرفاق تتجهَّز إليها من سجلماسة بالأمتعة والأثقال، فتُباعُ في غانة بالتبر. فمن سافر إليها بثلاثين حملاً يرجع منها بثلاثة أحمال أو بحملين: واحد لركوبه، وثانٍ للماء بسبب المفازة التي في طريقها. حدَّثني غيرُ واحدٍ من تُجَّارها أنهم يقطعون المفازة في ستة عشر يوماً لا يرون فيها ماء إلاَّ على ظهور الإبل. فأثمان أحمال الثلاثين جَمَلاً يجتمع فيها من التبر ما يُجعل في مزوَد، فيطوون المراحل للخفَّة.

وغانة بلد مملكة السودان. وانتشر الإسلام في أهلها، وبها مدارس للعلم، وبها من تجَّار المغرب كثيرٌ يدخلون للتجارة فيُصيبون الخصبَ والأمنَ وكثرةَ المتاجر فيشترون بها خدَماً للتسرّي، ويقيمون بها عند أميرها في غاية الكرامة.

والإماء فيها قد جعل الله فيهنَّ من الخصال الكريمة في خَلْقهِنَّ وخُلُقِهِنَّ فوق المراد: من ملاسة الأبدان، وتفتّق السواد، وحسن العينين، واعتدال الأُنوف، وبياض الأسنان، وطيب الروائح[١].

(١) شرح مقامات الحريري، نقلاً عن الاستقصا، ٥/٩٩ ـ ١٠٠.

ياقوت الحموي

(المتوفى سنة ٦٢٦هـ - ١٢٢٨م)



غانة

بعد الألف نون.

كلمة عجمية لا أعرف لها مُشاركاً من العربية. وهي مدينة كبيرة في جنوبي بلاد المغرب متصلة ببلاد السودان يجتمع إليها التجار، ومنها يدخل في المفازات إلى بلاد التبر. ولولاها لتعذّر الدخولُ إليهم لأنها في موضع منقطع عن الغرب عند بلاد السودان فمنها يتزوَّدون إليها. وقد ذكرتُ القصة في ذلك في التبر[١].

❊ ❊ ❊



التِبْر

بلاد من بلاد السودان تعرف ببلاد التبر، وإليها يُنسب الذهبُ الخالص، وهي في جنوب المغرب. تسافر التجار من سِجِلْماسة إلى مدينة في حدود السودان يُقال لها غانة. وجهازهم الملح، وعقد خشب الصنوبر

(١) معجم البلدان، مادة: «غانة».

ـ وهو من أصناف خشب القطران إلاَّ أنَّ رائحته ليست بكريهة، وهو إلى العطرية أميلُ منه إلى الزفر ـ، وخرز الزجاج الأزرق، وأسورة نحاس أحمر، وحلق، وخواتم نحاس لا غير. ويحملون منها الجمال الوافرة القويَّة أوقارها، ويحملون الماء من بلاد لمتونة ـ وهم الملثّمون، وهم قوم من بربر المغرب ـ في الروايا والأسقية ويسيرون فيرون المياه فاسدة مهلكة، ليس لها من صفات الماء إلاَّ التميّع، فيحملون الماء من بلاد لمتونة ويشربون ويسقون جمالهم، ومن أول ما يشربونها تتغيَّر أمزجتهم ويسقمون، خصوصاً من لم يتقدَّم له عادةٌ بشربه، حتى يصلوا إلى غانة بعد مشاقَّ عظيمة. فينزلون فيها ويتطيّبون، ثم يستصحِبون الأدلاَّء، ويستكثرون من حمل المياه، ويأْخذون معهم جهابذة وسماسرة لعقد المعاملات بينهم وبين أرباب التِبر. فيمرُّون بطريقهم على صحارى فيها رياح السموم تنشّف المياه داخل الأسقية، فيتحيَّلون بحمل الماء فيها ليرمقوا به، وذلك أنهم يستصحبون جمالاً خالية لا أوقار عليها يُعطشونها قبل ورودهم على الماء نهاراً وليلاً، ثم يسقونها نَهْلاً وعَلاًّ إلى أن تمتلئ أجوافها، ثم تسوقُها الحُداةُ فإذا نشف ما في أسقيتهم، واحتاجوا إلى الماء نحروا جملاً، وترنّقوا بما في بطنه، وأسرعوا السير، حتى إذا وردوا مياهاً أُخر ملأوا منها أسقيتهم، وساروا مجدّين بعناءٍ شديد حتى يقدموا الموضع الذي يحجز بينهم وبين أصحاب التبر. فإذا وصلوا ضربوا طبولاً معهم عظيمة تسمع من الأفق الذي يُسامت هذا الصِنْفَ من السودان.

ويُقال إنهم في مكامن وأسراب تحت الأرض، عُراة لا يعرفون ستراً كالبهائم، مع أن هؤلاء القوم لا يَدَعون تاجراً يراهم أبداً، وإنما هكذا تُنْقَلُ صفاتهم. فإذا علم التجَّار أنهم قد سمعوا الطبل، أخرجوا ما صحبهم من البضائع المذكورة، فوضع كُلُّ تاجر ما يخصّه من ذلك، كلّ صنف على جهة، ويذهبون عن الموضع مرحلة، فيأتي السودان ومعهم التبر فيضعون إلى جانب كل صنف منها مقداراً من التبر وينصرفون. ثم يأتي التجار بعدهم، فيأخذ كلّ واحد ما وجد بجنب بضاعته من التِبْر، ويتركون البضائع وينصرفون بعد أن يضربوا طبولهم.

وليس وراء هؤلاء ما يُعلم. وأظنُّ أنه لا يكون ثمَّ حيوانٌ لشدَّة إحراق الشمس.

وبين هذه البلاد وسجلماسة ثلاثة أشهر.

قال ابن الفقيه: والذهب ينبُت في رمل هذه البلاد كما ينبُت الجزر، وإنه يُقطفُ عند بزوغ الشمس.

قال: وطعام أهلِ هذه البلادِ الذرة والحمّص واللوبيا. ولبسهم جلود النمور لكثرة ما عندهم[١].

❋ ❋ ❋

تكرور

تكرور: براءين مهملتيْن.

بلاد تنسب إلى قبيل من السودان في أقصى جنوب المغرب وأهلُها أشبه الناس بالزنوج[٢].

❍ ❍ ❍ ❍ ❍ ❍

(١) معجم البلدان، مادة: «تبر».

(٢) معجم البلدان، مادة: «تكرور».

القزويني

زكريا بن محمد
(المتوفى سنة ٦٨٢هـ ـ ١٢٨٣م)




بلاد السودان

هي بلاد كثيرة، وأرض واسعة، ينتهي شمالها إلى أرض البربر وجنوبها إلى البراري، وشرقها إلى الحبشة، وغربها إلى البحر المحيط.

أرضها محترقة لتأثير الشمس فيها، والحرارة بها شديدة جداً لأن الشمس لا تزال مسامتة لرؤوسهم. وأهلُها عُراة لا يلبسون من شدَّة الحر. منهم مسلمون ومنهم كفّار.

أرضهم منبت الذهب، وبها حيوانات عجيبة: كالفيل والكركدن والزرافة، وبها أشجار عظيمة لا توجد في غيرها من البلاد.

وحدَّثني الفقيه علي الجنحاني المغربي أنَّه شاهد تلك البلاد، ذكر أنَّ أهلها اتخذوا بيوتهم على الأشجار العظيمة من الأرَضة، وأنَّ الأرَضة بها كثيرة جداً. ولا يتركون شيئاً من الأثاث والطعام على وجه الأرض إلاَّ وأفسده الأرَضة. فجميع قماشهم وطعامهم في البيوت التي اتخذوها على أعالي الأشجار. وذكر رحمه الله، أنه أوَّل ما نزل بها نام في طرفٍ منها فما استيقظ إلاَّ والأرضة قرضت من ثيابه ما كان يلاقي وجه الأرض[١].

❋ ❋ ❋

(١) آثار البلاد، طبعة صادر، بيروت، ص٢٤.

تكرور

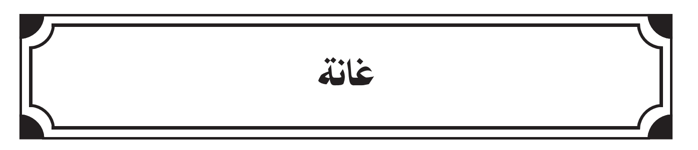
مدينة في بلاد السودان عظيمة مشهورة.

قال الفقيه علي الجنحاني المغربي: شاهدتُها، وهي مدينة عظيمة لا سور لها، وأهلها مسلمون وكفَّار، والمُلْك فيها للمسلمين، وأهلُها عُراة رجالهم ونساؤهم، إلاَّ أشراف المسلمين فإنهم يلبسون قُمُصاً طولها عشرون ذراعاً، ويحمل ذيلهم معهم خدمهم للحشمة. ونساء الكُفَّار يسترن قُبلُهنّ بخرزات العقيق، ينظمْنها في الخيوط ويُعلقنها عليهن، ومن كانت نازلة الحال فخرزات من العظم.

وذكر أيضاً أن الزراقة بها كثيرة، يجلبونها ويذبحونها مثل البقر. والعسل والسمن والأرز بها رخيصٌ جداً. وبها حيوان يُسمَّى لبطي، يؤخذ من جلده المِجَنّ، يُبتاع كلّ مِجنّ بثلاثين ديناراً، وخاصيته أنَّ الحديد لا يعمل فيه البتة.

وحكى أنَّه لما كان بها إذ ورد قاصد من بعض عُمَّال الملك يقول: قد دهمنا سواد عظيم لا نعرف ما هو. فاستعدَّ الملك للقتال وخرج بعساكره. فإذا فيلة كثيرة جاوزت العدّ والحصر. فجاءت حتى تَرِدَ الماء بقرب تكرور. فقال الملك: احشوها بالنبل. فلم يكن يعمل فيها شيءٌ من النبال. وكانت تُخفي خراطيمها تحت بطنها لئلا يصيبها النبل. وإذا أصاب شيئاً من بدنها أَمَرَّت عليها الخرطوم ورمتْها فشربت الماء ورجعت[1].

❋ ❋ ❋



غانة

مدينة كبيرة في جنوب بلاد المغرب، متصلة ببلاد التِبْر. يجتمع إليها

---

(١) آثار البلاد، ص٢٦ ـ ٢٧.

التجار ومنها يدخلون بلاد التبر، ولولاه لتعذَّر عليهم ذلك. وهي أكثر بلاد الله ذهباً لأنها بقرب معدنه. ومنها يُحمل إلى سائر البلاد. وبها من النمور شيءٌ كثير. وأكثر لباس أهلها جلد النمر.

وحكى الفقيه أبو الربيع الملتاني أنَّ في طريق غانة من سجلماسة إليها أشجاراً عظيمة مجوفة، يجتمع في تجاويفها مياه الأمطار فتبقى كالحياض. والمطر في الشتاء بها كثيرٌ جداً، فتبقى المياه في تجاويف تلك الأشجار إلى زمان الصيف، فالسابلةُ يشربونها في مرورهم إلى غانة، ولولا تلك المياه لتعذَّر عليهم المرور إليها. ويتخذون أقتاب البُعْران من خشب الصنوبر، فإن مات البعير فَقِتْبُ رحله يفي بثمنه[١].



بلاد التبر

هي بلاد السودان في جنوب المغرب.

قال ابن الفقيه: هذه البلادُ حرّها شديد جداً، أهلها بالنهار يكونون في السراديب تحت الأرض. والذهب ينبت في رمل هذه البلاد كما ينبت الجزر بأرضنا. وأهلُها يخرجون عند بزوغ الشمس ويقطفون الذهب. وطعامهم الذرة واللوبيا، ولباسهم جلود الحيوانات، وأكثر ملبوسهم جلد النمر، والنمر عندهم كثير.

ومن سِجِلْماسة إلى هذه البلاد ثلاثة أشهر، والتجار من سِجلماسة يمشون إليها بتعبٍ شديد. وبضائعهم الملح، وخشب الصنوبر، وخشب الأرز، وخرز الزجاج، والأسورة، والخواتيم منه، والحلق النحاسية.

وعبورهم على براري معطشة، فيها سمائم، بماء فاسد لا يُشبه الماء

(١) آثار البلاد، ص٥٧.

إلا في الميعان، والسمائم تنشّف المياه في الأسقية، فلا يبقى الماء معهم إلا أيَّاماً قلائل. فيحتالون بأن يستصبحوا معهم جمالاً فارغة من الأحمال، ويعطِّشونها قبل ورودهم الماء الذي يدخلون منه في تلك البراري، ثم أوردوها على الماء نَهلاً وعَلَلاً حتى تمتلئ أجوافها، ويشدّون أفواهها كي لا تجتر فتبقى الرطوبة في أجوافها، فإذا نشف ما في أسقيتهم واحتاجوا إلى الماء نحروا جَملاً، وترمَّقوا بما في بطونها، وأسرعوا بالسير حتى يرِدوا مياهاً أُخرى وحملوا منهاا في أسقيتهم.

وهكذا ساروا بعناء شديد حتى قدموا الموضع الذي يحجز بينهم وبين أصحاب التبر. فعند ذلك ضربوا طبولاً، ليعلم القوم وصول القَفْل. يُقال إنهم في مكان وأسراب من الحرّ، وعُراة كالبهائم لا يعرفون الستر، وقيل: يلبسون شيئاً من جلود الحيوان، فإذا علم التجَّار أنهم سمعوا صوت الطبل أخرجوا ما معهم من البضائع المذكورة، فوضع كل تاجر بضاعته في جهة منفردة عن الأُخرى، وذهبوا، وعادوا مرحلة. فيأْتي السودان بالتبر، ووضعوا بجنب كل متاع شيئاً من التبر وانصرفوا. ثم يأتي التجار بعدهم فيأْخذ كل واحد ما وجد بجنب بضاعته من التبر ويترك البضاعة، وضربوا بالطبول وانصرفوا، ولا يذكر أحدٌ من هؤلاء التجَّار أنه رأى أحداً منهم[1].

○ ○ ○ ○ ○ ○

(١) آثار البلاد، ص١٨ ـ ١٩.

ابن سعيد المغربي

علي بن سعيد
(المتوفى سنة ٦٨٦هـ ـ ١٢٨٦م)



التكرور

وأول ما يلقاك على غربي النيل من مدائن التكرور مدينة قلنبوا، وهي فرضة مشهورة، وكانت في زمن أبي عبيد البكري للكفار، وأما في عصرنا فما على شاطئ النيل من بلاد التكرور مدينةٌ إلا وقد دخلها الإسلام. وجميعها لسلطان التكرور، وقاعدتها على جانبي النيل اسمها تكرور فيها عرّفوا. ونسلهم يقال له مفزارة، وهم قسمان: قسم تحضّر ويسكن المدن، وقسم رحالة في البوادي. وأكثر مجالاتهم في جانب النيل الشمالي، ولهم في الجنوب قليل، ومعظمه يستغرقه مجالات لملم. وهم كفار مهملون يأكلون الناس.

وموضوع مدينة تكرور حيث الطول ١٧ درجة والعرض ١٣ درجة و٣٠ دقيقة، وصاحبها يسبى رقيق لملم، وهم بواد، ولهم في الكتب مدينة كالقرية اسمها مويه، وفيها بيت دكاكيرهم، وهي الأوثان، وموضوعها على البحر الميحط حيث العرض ٦ درجات.

○ ○ ○ ○ ○ ○




الجزء الثاني من الإقليم الأول

أول ما يلقاك منه مدينة بريسا وهي من أشهر بلاد التكرير، وإن ضعف سلطان التكرور انفرد صاحب بريسا بنفسه، والمسافرون يترددون إليها، وهي آخر مدائن التكرور، وعلى شمالي النيل حيث الطول **٢٢** درجة والعرض **١٣** درجة و**٣٠** دقيقة.

والغالب على لباس السودان التكرور وغيرهم الجلود. وإذا احتشى الواحد منهم كان الجلد مدبوغاً، ومن خالط البيض وتخصّص اتخذ لباسه من الصوف والقطن وذلك مجلوب لهم. والغالب على مأكلهم أنواع القطانيا عصائد غير مختمرة، والخبز عندهم لا يوجد إلا طُرفة عند الملوك المتخلقين بأخلاق البيض. وخيلهم قصار غير سابقة. وسلاحهم دبابيس الأبنوس، وهو كثير على النيل ومنه يحتطبون. ولهم قسي وسهام من القصب الشكري، ومنه يصنعون أوتارها. والبقلة التي يسمّون بها سلاحهم كثيرة على شطوط نيلهم. وفي ديارهم شجر القطن. ولا يبنى بالحجر والآجر إلا ملك أو من أذن (ص١٣) له في ذلك من أهل الرَفَه والتخصص، وباديهم عُراةٌ: المسلمون منهم يسترون فروجهم بعظام أو جلود، والكفار لا يسترون.

وفي شرقي بريسا وشماليها يصب نهر لمى المنحدر من الجبل الذي في جنوب مدينة لمى. وهذه المدينة كالقرية تحت طاعة كفار لملم، وأهلها يهود يعرف جنسهم في الرقيق ببلاد المغرب.

وجبل لمى امتداده من الغرب إلى الشرق **٧** مراحل، يخرج من طرفه الغربي نهر لمى المذكور، فيمر في عمائرهم حتى يصب في النيل. ويخرج من طرفه الشرقي نهر ملل، ويتقوَّس حتى يمر على مدينة ملل، وهي من مدن الكفار المهملين. وعرض مدينة لمى **١٠** درجات، وطول لمى على مسامت لطول بريسا. وطول ملل **٢٦** درجة، ونهرها يصب في النيل في سمت مدينة درهم من مدنا لكفار المهملين.

وهي في وسط المسافة التي بين لمى وملل.

في شرقي ما ذكر مصب نهر الهو، وهو من الأنهار التي ذكرها بطليموس، ينحدر من جبل الهو الذي جنوبه خلف خط الاستواء، وهذا الجبل رأْسه حيث الطول **٣٢** درجة والعرض **٩** درجات خلف الخط، فيمتد من هنالك إلى أن يجوز الخط بدرجتين ودقائق، ويخرج منه مع الخط شعبة طولها درجتان، يخرج من رأْسها الغربي النهر المذكور ويلتوي الشمال كالنون ثم ينحدر إلى النيل حيث الطول عن مدينة ملل درجتان و**٣٠** دقيقة.

وعلى شطي هذا النهر من مبتدئه إلى قريب مصبه مجالات نمنم، وهم إخوة لملم في النسب وأشباههم في الأفعال، وفي شرقيه على أميال، جبل سامقدي كبيرٌ مشرف، فيه عقاقير ونبات من منافع تلك البلاد، ويأْوي إليه خلق من كفرة السودان المهملين المعروفين بسامقدي وبهم عرفت مدينة سامقدي. وهي في رأس هذا الجبل حيث الطول **٣٠** درجة والعرض **٨** درجات.

ومدينة غانة على ضفتي النيل، تقع من هذا الجزء حيث الطول **٢٩** درجة والعرض **١٠** درجات و**١٥** دقيقة، وبها يحلُّ سلطان بلاد غانة. وهو من ذرية الحسن بن علي رضي الله عنهما. وله تبرة كبيرة فيها نَصْبٌ يربط فيه فرسه

ويفخر بذلك على سائر ملوك السودان. وهو كثير الجهاد للكفار وبذلك عرف بيته.

وفي شرقي مدينته جزيرة التبر، رأْسها الغربي حيث الطول **٣١** درجة و**٣٠** دقيقة، ورأْسها الشرقي حيث الطول **٣٦** درجة و**٣٠** دقيقة، ووسطها حيث العرض في سمت غانة وضعها درجتان، وفي هذه الجزيرة يجدون التبر الكبير يبصُّ بالنيل إذا حسرت المياه الزائدة عن رملها.

وعلى هذه الجزيرة مدن مشهورة معجمة منها مدينة سمغارة وهي على الذراع الشمالي في آخر هذا الجزء. وأشهر ما في هذا الجزء بعد غانة من مدن التِبْر غيارو، وهي على خليج يخرج من جنوبي نيل الجزيرة حيث الطول **٣٤** درجة والعرض **١٥** درجة، وعن جنوبي نيل غانة مجالات نمنم المتقدمة الذكر، وعن شماليه مجالات ونقارة، وهم سودان البلاد، وقد فشا فيهم الإسلام.

❊ ❊ ❊

الجزء الثالث من الإقليم الأول

أول ما يلقاك منه جبل ثلا، رأسه الجنوبي في بحيرة كوري التي يخرج منها النيل، ورأسه الشمالي يخرج منه نيل غانة، وفي شرقيه بلاد كوكو، وهي منسوبة إلى مدينة صاحب البلاد، وهو من كفار السودان، وجبل كَوْكَوْ يضرب به المثل، وهو يُقابل من غربيه مسلمي غانة، ومن شرقيه مسلمي الكانم، ومدينة كوكو في شرقي النهر المنسوب إليها، حيث الطول **٤٤** درجة والعرض **١٠** درجات و**١٥** دقيقة. ومنبع نهر كَوْكَوْ المغرب عن النيل من جبل مقورس، وهو من الجبال التي ذكرها بطليموس، حده الشمالي حيث الطول **٤٣** درجة و**٣٥** دقيقة، والعرض خارج عن الإقليم الأول إلى الثاني، ويتصل به جبل بدي المتصل ببحيرة كوري التي يخرج منها النيل. وقد قيل إن نهر كَوْكَوْ مادته من بحيرة كوري

ومن نيل غانة، وإنه يغوص منه ماء كثير في هذا الجبل، ثم يخرجُ منه نهر كوكو، ويمرّ شماليها مسامتا لنيل غانة حتى يغوص في رمال ودهاس في الجزء الثاني مسامتا لوسط جزيرة التبر، وعليه مجالات كوكو في شطيه، وهم عُراة مهملون. وفي طرفه الغربي مجالات بغامة، وهم برابر سود من نوع كوكو. وبين كوكو ومدينة بدي التي يخرج من جنوبيها نيل غانة ٤ درجات وخروجه. حيث الطول ٤٨ درجة والعرض ٦ درجات و٣٠ دقيقة.

قال ابن فاطمة: فيكون مسافة جريته من بحيرة كوري إلى البحر المحيط بحساب تعرّجاته ٣٠٠٠ ميل.

في هذا الجزء الثالث بحيرة كوري التي يخرج منها نيل مصر ونيل مقدشو ونيل غانة، وقد تقدم انحدار أنهار البطيحتين إليها عند مماسة خط الاستواء وصعودها فوق الخط دائر على ٣٠ دقيقة، يزيد قليلاً أو ينقص قليلاً، وطولها ١٠٠٠ ميل، ورأسها المشرقي حيث الطول ٥١ درجة، وآخرها المغربي مع خط الجزء الثالث، وسعها عند الرأس ٩ درجات و٣٠ دقيقة. ثم تتَّسع قليلاً قليلاً على ما رسم إلى أن يكون وسع وسطها ٤٥٠ ميلاً ويكون وسع ذيلها ٣٦٠ ميلاً.

قال ابن فاطمة: ولم أَر مَنْ رأَى جانبها الجنوبي، وإنما يركبها الكانميون وجيرانهم ممن لقيناه بالجانب الشمالي.

ويحدق بها من جميع جهاتها أمم طاغية من السودان الكفرة الذين يأكلون الناس. وأكثر هؤلاء الذين نذكرهم، فسكان الجانب الشمالي: منهم بدى، ومدينتهم تعرف بهم، ومن تحتها يخرج نيل غانة، ومجالاتهم حولها، ويجاورهم من الجانب بالغربي جابي، وهم الذين يبردون أسنانهم، وإذا مات لهم ميِّت دفعوه إلى جيرانهم يأْكلونه، وكذلك يفعل معهم جيرانهم، وعلى جنوبي البحيرة انكزار، وعلى شرقيها كوري الذين تنسب البحيرة إليهم.

وفي شرقي مدينة بدى من الكانم المسلمين مدينة جاجة، وهي كرسي مملكة مفردة، ولها مدن وبلاد، وهي الآن لسلطان الكانم، وهي موصوفة

بالخصب وكثرة الخيرات، وبها الطواويس والببغاء والدجاج الرقط، والغنم البلق التي على دون الحمير الصغار، ولها صور تخالف صور كباشنا، والزرافات كثيرة في أرض جاجة.

وفي شرقي مدينتها على ركن البحيرة المغزا، حيث دار الصناعة لسلطان الكانم، وكثيراً ما يغزو من هنالك في أسطوله بلاد الكفَّار التي على جوانب هذه البحيرة، ويقطع على مراكبهم، فيقتل ويسبى. وموضوع مدينة جاجة، حيث الطول **٤٨** درجة و**٢٠**ص **١٦** دقيقة، والعرض **٧** درجات، وفي سمت ركن البحيرة، حيث الطول **٥١** درجة.

من مدن الكانم المشهورة مانان وعرضها **١٣**، وفي شرقيها وجنوبيها قاعدة الكانم جيمي، حيث الطول **٥٣** درجة والعرض **٩** دقائق، وفيها سلطان الكانم المشهور بالجهاد وأفعال الخير محمدي، وهو من ولد سيف بن ذي يزن، وكانت قاعدة جدوده الكفرة قبل أن يسلموا مدينة متان، ثم أسلم منهم جده الرابع على يد فقيه، ففشا الإسلام في بلد الكانم. ولهذا السلطان هنالك مثل سلطنة تاجوة ومملكة كوار ومملكة فران، وقد أيده الله وكثر نسله وعساكره، والثياب تُحمل له من الحضرة التونسية، وعنده الفقهاء[1].

○ ○ ○ ○ ○ ○

---

(١) ابن سعيد، كتاب بسط الأرض في الطول والعرض، نشرة خوان فرنيط خينس، تطوان ١٩٥٨، ص٢٤ ـ ٢٨.

أبو الفداء

إسماعيل بن عليّ
(المتوفى ٧٣٢هـ - ١٣٣١م)

سطر العدد	الأسماء	أسماء المنقول عنهم	السابع والعشرون من الأقاليم العرفية وهو الجانب الجنوبي وهو بلاد السودان						ضبط الأسماء
			الطول		العرض		الإقليم الحقيقي	الإقليم العرفي	
			درج	دقائق	درج	دقائق			
١	مدينة بريسا	بعضهم	كں	٠	م	ل	من الأوّل	من التكرور	قد كتبناها في الجدول حسبما وجدناها
٢	مدينة غانة	ابن سعيد	كط	٠	س	ه	خارجة عن الأوّل في الجنوب	من بلاد السودان	بفتح الغين المعجمة والألف ثم نون وهاء في الآخر
٣	كوكو	ابن سعيد قانون	مں ل	٠ ٠	س ٠	ه ٠	خارجة عن الأوّل في الجنوب	قاعدة من بلاد السودان	الظاهر أنها لا تقبل التصحيف وهي مكتوبة في الكتب بكافين وواوين
٤	سعالة الزنج	قانون	ن	ح	ں	٠	في جنوبي خطّ الاستواء	من بلاد الزنج	بالسين المهملة والفاء ثم ألف ولام وهاء في الآخر
٥	جرمى قاعدة الحبشة	أطوال قانون	نه ما	٠ م	ط ط	ل م	من الأوّل	قاعدة الحبشة	بالجيم المفتوحة والراء المهملة الساكنة ثم ميم مكسورة وياء مثناة تحتية في الآخر كذا وجدناها مضبوطة بخطّ ابن سعيد






الأوصاف والأخبار العامّة

قال ابن سعيد: ومدينة بريسا من أشهر بلاد التكرور وهي على شمالي نيل غانة ولا يوجد بها الخبز إلاّ طرفة عند ملوكهم والأبنوس عندهم كثير وفي ديارهم شجر القطن [قال الشريف الإدريسي: مدينة أبريسا مدينة صغيرة لا سور لها غير أن أهلها تجار متموّلون وهي كالقرية الحضارة وفي جنوبيها على مسيرة عشرة أيام أرض لملم طائفة من السودان].

ومدينة غانة محلّ سلطان بلاد غانة ويدّعى أنه من نسل الحسن بن عليّ عليهما السلام وإلى غانة تسير التجار المغاربة من سجلماسة في برّ مقفز ومفاوز عظيمة سحفير المعرب(١) نحو خمسين يوماً ولا يحضرون منها غير الذهب الأحمر وقد حكى ابن سعيد أن لغانة نيلاً هو شقيق نيل مصر قال: ومصبّه في البحر المحيط عند طول عشرة ونيف وعرض أربع عشرة فيكون بين مصبّه وبين غانة نحو أربع درج وغانة على ضفّتي نيلها قال: وغانة مدينتان إحداهما يسكنها المسلمون والأخرى الكفار.

قال ابن سعيد: وكوكو مقرّ صاحب تلك البلاد وهو كافر يقابل من غربيه مسلمي غانة ومن شرقيه مسلمي الكانم ولكوكو نهر منسوب إليها وهي في شرقي نهرها قال في القانون: وكوكو واقعة بين خطّ الاستواء

---

(١) تقويم البلدان.

وبين أوّل الإقليم الأول قال في العزيزي: وعرض كوكو عشر [درج] قال: وهم مسلمون [قال الإدريسي: الذي صحّ أن نهرها يخرج من ناحية الشمال فيمرّ بها ويجوزها بأيّام كثيرة ثم يغوص في الصحراء في رمال قال: ومن كوكو إلى مدينة غانة شهر ونصف].

من القانون وسفالة من الزنج وأهلها مسلمون وهم جنوبي خطّ الاستواء والعرض المذكور جنوبي قال ابن سعيد وأكثر: معايشهم من الذهب والحديد ولباسهم جلود النمور وذكر المسعودي أن الزنج لا يعيش عندهم الخيل فعسكرهم رجالة ويقاتلون على البقر أقول وسفالة أيضاً من الهند.

وهي مدينة ذكرها أكثر المصنّفين في كتب المسالك والممالك والأطوال والعروض وأنها كرسيّ مملكة الحبشة وقاعدتهم.

○ ○ ○ ○ ○ ○




تكرور

«. . .وكذلك بلاد السودان في جهة جنوب (أي: جنوب المغرب)، فإنها أيضاً بلاد كثيرة الأجناس مختلفة من الحبش والزنج والنوبة والتكرور والزيلع وغيرهم، فإنه لم يقع إلينا من أخبار بلادهم إلَّا القليل النادر»[(١)].

«. . . ومن بلاد السودان قاعدة التكرور. قال ابن سعيد: وهي على جانبي النيل. . .

قال: «والتكرور قسمان. قسم حضر يسكنون المدن، وقسم رحالة في البوادي»[(٢)].

قال ابن سعيد: وأودغست يسكنها أخلاط من البربر المسلمين. والرياسة فيها لصنهاجة. قال في القانون: وهي في براري سودان المغرب.

قال ابن سعيد أيضاً: وغربي هذه المدينة صحراء يسر التي يقطعها المسافرون بين سِجلماسة وغانة. وهي طويلة عريضة، يُكابدون فيها شدَّة العطش والوهج. وربما هبت ريح جنوبيَّة عليهم فنشّفت مياههم بقربهم، فهم يعدّون لذلك المياه التي تكون في بطون الإبل، يذبحونها ويشربون مياه أجوافها. وليس فيها ماءٌ ولا مرعى، وأكثر ما يكون فيها اللَّمط لصبره على

(١) تقويم البلدان، ط. باريس، ص٢.
(٢) تقويم البلدان، ص١٥٣.

العطش. وهو حيوان يشبه الغزال، ولكنه أشدّ منه.

ووجدتُ صحراء يسر مكتوبة في كتاب الإدريسي «نزهة المشتاق» صحراء نيسر بنون قبل الياء[١].

○ ○ ○ ○ ○ ○

(١) تقويم البلدان، ص١٣٧.

ابن فضل اللّه العمري

أحمد بن يحيى
(المتوفى سنة ٧٤٩هـ - ١٣٤٩م)



وكتب العمري عن بني صالح ملوك غانة في الجزء الرابع والعشرين من «مسالك الأبصار في ممالك الأمصار» ضمن دول الحسنيين ص**٢٩ ـ ٣٢** هذا النص.

(أمراء مكة من العلويين):

(وسنذكر من أين نمى أصلهم وهم من ولد أبي الكرام عبدالله بن موسى الجون ابن عبدالله الكامل ابن الحسن المثنى، وكان عبدالله هذا له صيت بالحرمين، فلما حج الرشيد وزار، أبصر ميل الناس إليه، فحمل حقد هذا عليه، ثم لما أتى الرشيد قبر النبي ﷺ قال كالمتكبر على رؤوس الأشهاد: السلام عليك يا ابن عم، فعارضه لوقته أبو الكرام، وقال: السلام عليك يا أبه، فكاد الرشيد يتميز من الغيظ، وقال: بهذا ارتكبنا من بني علي ما ارتكبناه، ثم طرده فمات ولا يعرف له مكان، ومن بنيه الكراميون، ومنهم الصالحيون وصالح وابنه شاعران جليلان، فأما صالح ابن أبي الكرام فهو الجوال، وسمي بذلك لأنه جال أقطار الأرض لخوفه ونشأ بالمدينة والإمامة في رأسه والدعاة تأتيه ولم يمكنه الخروج بجزيرة العرب، فخرج بخراسان فحمل إلى المأمون، فلما دخل عليه لامه وقال: ما حملك على الخروج علي وأنت القائل:

إذا كـان عـنـدي قـوت يـوم ولـيـلـة وخمر تقضي هم قلبي إذ اجتمع
فـلـن تـراني سـائـلاً عـن خـلـيـفـة ولا عن وزير للخليفة ما صنع

ثم حبسه.

وأما ابنه محمد بن صالح فهو شاعر مذكور وبطل مشهور، وكان يعرف بالأعرابي للزومه البادية، ومن شعره: [الكامل]

طـرب الـفـؤاد فـعـاده أحـزانـه

وكان قد أخذ أيام المتوكل لخروجه، فحبس ثم أطلق لقصيدة عرضها الفتح بن خاقان ومما كتب من حبسه إلى امرأته قوله: [الطويل]

لـو أن الـمـنـايا تشتري لاشترينها لأم حـمـيـد بـالـغـلاء عـلـى عـمـد
ولـكـن بـي أنـي أعـيـش بـغـبـطـة وندمت أن يحظى بها أحد بعدي

وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى في الشعراء.

وفي هؤلاء الصالحيين ملك متوارث بغانة، وقد ذكرناه مكانه وكتب العمري عن «بني صالح ملوك غانة» في الجزء الأول من مسالك الأبصار ص٤٢٩ ما نصه:

(الإقليم الأول:

والذي وقع في هذا الإقليم الأول من البلاد والجزائر العامرة مما اشتهر اسمه مما وقع بالبحر الهندي وفروعه الخارجية منه وما اتصل به من البحر المحيط في الشرق والغرب نذكره: وأول ما نبدأ من الغرب على خط الأقاليم بلاد مقزارة الذهب، ومن مدنها مدينة أوليل، وبها الملاحة التي تمد جميع بلاد السودان، قال الشريف: ولا نعلم ببلاد السودان ملاحة سواها، ومدينة مالي، ومدينة بريس، وينبت على شاطئ النيل بها الأبنوس، وبلاد لملم، ومن مدنها مدينة ملل، وبلاد غانة، ومن مدنها مدينة غانة وهي كبيرة مقصودة، ولما صنف الشريف كتابه: «آجار» ذكر أن

ملكها من ذرية صالح بن عبدالله بن الحسن بن علي ابن أبي طالب ﷺ، وإسلامها قديم، وهي متصلة ببلاد ونقارة الذهب.

قال الشريف: فما كان على عهده والذي يعلمه أهل المغرب الأقصى علماً يقيناً أن له: «يعني ملكها» في قصره لبنة ذهب وزنها يكون ثلاثين رطلاً تبرة واحدة خلقها الله تعالى تامة من غير أن تسبك في نار ولا تطرق بآلة، وقد نفذ فيها ثقباً وهي مربط لفرس الملك، قال: وهي من الأشياء الغريبة التي ليست عند غيره ولا صحت إلا له وهو يخفر بها، ومن مدن غانة: غربيل وبيرقي وهي مدينة كبيرة، ومراسة، وسمغارة، وجزيرة ونقارة، يحيط بها النيل، وطولها ثلاثمائة ميل وعرضها مائة وخمسون ميلاً، يركبها النيل في زمن زيادته، وتخرج أهلها عنها، فإذا نزل الماء عنها رجع أهلها إليها، وبحثوا أرضها واستخرجوا التبر، وسنذكره في مكانه مفصلاً إن شاء الله تعالى.

وكتب العمري أيضاً عن سلطان مالي الشريف منسى موسى «الملقب: كانْكانْ موسى» في كتابه: «التعريف بالمصطلح الشريف» ص٤٤ ـ ٤٥ تحت عنوان: «ملك التكرور».

(وهو صاحب مالي، ومالي عبارة عن اسم إقليم، والتكرور مدينة من مدنها، وكذلك كوكو، وحدُّ مملكته في الغرب البحر المحيط، وفي الشرق بلاد البرنو، وفي الشمال جبال البربر، وفي الجنوب الهمج.

وأما «غانة» فإنه لا يملكها وكأنه مالكها، يتركها عن قدرة عليها لأن بها وبما وراءها جنوباً منابت الذهب، وقد جرب أن بلاد منابت الذهب متى أخذت وفشا فيها الإسلام والأذان عدم نبات الذهب فيها، فصاحب مالي يتركها لذلك لأنه مسلم، وله عليها إتاوة كبيرة، مقررة تحمل إليه في كل سنة، ونبات الذهب بها يبدأ في شهر «أغشت» ويقع ـ والله أعلم ـ أنه مركب من تموز وآب، حيث سلطان الشمس قاهر، وذلك عند أخذ النيل في الارتفاع والزيادة، فإذا انحط النيل تُتُبِّع حيث ركب عليه من الأرض، فيوجد منه ما هو نبات يشبه النجيل وليس به، فمن قراميه الذهب، ومنه ما

يوجد كالحصى، والأول أفْحلُ وأخلص وأقوم في العيار.

وملك التكرور هذا يدعي النسب إلى عبدالله بن صالح بن الحسن بن علي ابن أبي طالب.

ورسم المكاتبة إليه: أدام الله تعالى نصر المقر العالي، السلطان، الجليل، الكبير، العالم، العادل، المجاهد، المؤيَّد، الأوحد، عز الإسلام، شرف ملوك الأنام، ناصر الغزاة والمجاهدين، زعيم جيوش الموحدين، جمال الملوك والسلاطين، سيف الخلافة، ظهير الإمامة، عضد أمير المؤمنين، الملك فلان ويدعى له بما يناسب. وبعد هذا سلام وتشوق، هذه المفاوضة تبدي، ولا يعرض له، ولا يقرُّ بشيء من الألقاب الدالة على النسب العلوي.

دعاء وصدر يختصان به: ويسَّر له القيام بفرضه، وأحسن المعاملة في قرضه، وكثَّر سواده الأعظم وجعلهم بيض الوجوه، يوم عرضه، ومتَّعه بملك يحدُّ الحديدُ سجف سمائه، والذهب نبات أرضه.

صدرت هذه المفاوضة، وصدرها به مملو، وشكرها عليه مجلو، ومزايا حبه في القلوب سر كل فؤاد، وسبب ما جلي به الطرف والقلب من السواد، تُنزلُ به سُفنها المسيرة في البر وترسى، وتحل عند ملك ينقُصُ به زائدُه ويُنسى موسى منسى، وتقيم عليه والدهر لا يطرقه فيما ينوب، والفكر لا يشوقه إلا إذا هبت صباً من أرضه أو جنوب).

قلت: وسبب عدم إقرار السلطان المملوكي الناصر محمد بن قلاوون للسلطان الشريف منسى موسى بالشرف، هو حسده وبغضه للأشراف الخارجين عن طاعته، وقد بلغ حقده عليه أن أمره بالسجود له من دون الله.

والآن مع ما كتبه العمري عن مملكة مالي عامة وملوكها من بني صالح خاصة.

○ ○ ○ ○ ○ ○



مملكة مالي وما معها

اعلم أن هذه المملكة في جنوب نهاية المغرب متصلة بالبحر المحيط.

قاعدة الملك بها مدينة بني.

وهذه المملكة شديدة الحر، قشفة المعيشة، قليلة أنواع الأقوات، وأهلُها طِوالٌ في غاية السواد وتَفَلْفُل الشعور. وغالبُ طول أهلها من سوقهم لا من هياكل أبدانهم.

وملكُها الآن اسمه سليمان. أخذ السلطانُ موسى مَنْسا بيده ما كان قد جمعه أخوه مما فتحه من بلاد السودان وأضافه إلى يد الإسلام. وبنى المساجدَ والجوامعَ والمواذن، وأقام بها الجمُعَ والجماعاتِ والأذان، وجلب إلى بلاده الفقهاءَ من مذهب الإمام مالكٍ ﷺ، وبقي بها سلطانَ المسلمين، وتفقّه في الدين.

وصاحبُ هذه المملكة هو المعروف عند أهل مصر بملك التكرور، ولو سمع هذا أنف منه، لأن التكرور إنَّما هو إقليمٌ من مملكته. والأحبّ إليه أن يُقال صاحب مالي، لأنه الاسم الأكبر، وهو به أشهر.

وهذا الملك هو أعظم ملوك السودان المسلمين، وأوسعهم بلاداً، وأكثرهم عسكراً، وأشدّهم بأساً، وأعظمهم مالاً، وأحسنهم حالاً، وأقهرهم للأعداء، وأقدرهم على إفاضة النعماء.

والذي تشتمل عليه هذه المملكة من الأقاليم.

غانة، وزافون[١]، وتُرْنكا، وتكرور، وسنغانة[٢]، وبانْبُغُو، وزارفيرطا[٣]، وتَنْبَرا[٤]، ودرمودا، وزاغا، وكابرا، وبراغوري[٥]، وكوكو. وسكَّان كَوْكَوْ قبائل يربا[٦]، وإقليم مالي الذي به قاعدة الملك مدينة يني.

وكُلّ هذه الأقاليم مضافة إليه.

والاسم المطلق عليه في هذه الأقاليم كُلّها مالي قاعدة أقاليم هذه المملكة، ذوات المدن والقُرى والأعمال أربعة عشر إقليماً.

حدثني الشيخ الثقةُ الثَبْتُ أبو عثمان سعيد الدُكَّالي، وهو ممن سكن مدينة يني خمسة وثلاثين سنة، واضطرب في هذه المملكة: أنها هي مربَّعة، طولُها أربعة أشهر أو أزيد، وعرضُها مثل ذلك. تقع جنوب مرَّاكُش ودواخل برِّ العدوة، وجنوباً بغرب إلى المحيط. وطولُها من مولي إلى طورا وهي على المحيط. وجميعُها مسكونة إلاَّ ما قلّ. وأن في طاعة سلطان هذه المملكة بلاد مفازة التبر، يحملون إليه التبر في كلِّ سنة، وهم كفَّارٌ هَمَجٌ، ولو شاءَ أَخَذَهم، ولكنّ ملوك هذه المملكة قد جرَّبوا أنه ما فَتَحَ أحدٌ منهم مدينةً من مُدُن الذهب ونشأ بها الإسلام، ونطق بها داعي الأذان، إلاَّ قلَّ وجودُ الذهب ثم يتلاشى حتى يعدم، ويزداد فيما يليه من بلاد الكفَّار. وأنَّه لمَّا صَحَّ هذا عندهم على التجريب، أبقوا بلاد التبر بأيدي أهلها الكفَّار، رضوْا منهم بِبَذْلِ الطاعة وحُمولٍ قُرِّرَتْ عليهم.

وليس في مملكة صاحب هذه المملكة مَنْ يُطلَقُ عليه اسم ملك إلاَّ صاحب غانة، وهو كالنائب له وإن كان ملكاً.

---

(١) في الأصل: «زاقول» وهو خطأ.

(٢) هي السنغال اليوم.

(٣) في الأصل: «زرفطابيا».

(٤) في الأصل: «بترا» مصفحة.

(٥) لعلها برغو في الداهومي.

(٦) في الأصل: «يربان».

وفي شمال بلاد مالي قبائلُ من البربر بيضٌ تحت حكم سلطانها، وهم: ينتصر وشغراسن[١] ومديونة[٢]، ولمتونة. ولهم أشياخٌ تحكم عليهم، إلا ينتصر فإنهم يتداولهم ملوكٌ منهم تحت حكم صاحب مالي.

وكذلك في طاعته قومٌ من الكُفَّار، ومنهم مَنْ يأْكلُ لحومَ بني آدم، ومنهم مَنْ أسلم، ومنهم مَنْ هو باقٍ على هذا. وقد ذُكر هذا في موضعه.

ومدينة يني ممتدَّة طولاً وعرضاً، تكون طول بريد تقريباً. وعرضُها كذلك. لا يحيط بها سور. وأكثرها متفرّقة. وللملك عدَّة قصور يستدير بها سورٌ محيط بها. وفرع من النيل يستدير بهذه المدينة من جهاتها الأربع. وفي بعضها يُخاضُ ويُمشى فيه عند قلَّةِ الماءِ، وفي بعضِها لا يُعْبَرُ إلاَّ بالمراكب.

وبناء هذه المدينة بإيادٍ[٣] من الطين، مثل جدران بساتين دمشق. وهو أن يُبنى تقدير ثُلُثَيْ ذراع بالطين، ثم يترك حتى يجفّ، ثم يُبنى عليه مثله، ثم يُترك حتى يجفّ، ثم يُبْنى عليه مثله، هكذا حتى يتناهى.

وسقوفُها بالأخشاب والقصب، وغالب سقوفها قبابٌ أو جملونات كالأقباء.

وأرضُها تُرابٌ مُرْمِل.

وشُربُ أهلها من ماء النيل، وآبارٍ منحفرة.

وجميع هذه البلاد مخضرَّة نخيلة، وجبالها ذوات أشجار بريَّةٍ مشتبكةٍ غليظة السوقِ إلى غاية يكون منها الشجرة الواحدةُ تُظلّ خمس مئة فارس.

وغالب أقواتهم الأرز، والفوتى ـ وهو دقٌّ مزغب يُدْرَسُ فيخرجُ منه شبيه حبّ الخَرْدَل أو أصغر ـ وهو أبيض يُعسل ثم يُطحن ثم يُعْجَنُ، ويؤكلُ.

---

(١) في الأصل: «يسعراس».
(٢) في الأصل: «مدوسه».
(٣) في الأصل غير منقوطة.

وعندهم الحنطةُ، وهي قليلة، والذرة وفيها لهم قوتٌ وعليقُ خيلهم وطعم دوابهم.

وعندهم الخيلُ من نوعِ الأكاديش التتريَّة، والبغالِ كُلُّها صِغار المقادير جداً. وكذلك كل دوابهم من البقر والغنم والحُمُرِ ليس يوجدُ منها إلاَّ ذميمُ الخلق صغيرُ الجثَّة.

ويزرعُ عندهم شيءٌ اسمه القافي، وهو قرون دِقاق تُدفن في الأرض فتزكو حتى تصير غِلاظاً، طعمُها شبيه بالقلقاس لكنَّه ألذُّ من القلقاس. وهو يُزرَعُ في الخلاء، فإن اطَّلع الملكُ على أنَّ أحداً سرق شيئاً منه قطع رأسه وعلَّق مكانه ما قطعه، هذه سُنَّةٌ عندهم يتوارثها كابرٌ عن كابر لا ترخصها مسامحة ولا تَنْفَعُ فيها شفاعة.

ويُزرعُ عندهم اللوبيا، والقَرْع، واللّفْت، والبَصَلِ، والثوم، والباذنجان، والكرنب. لكن الباذنجان والكرنب قليل عندهم. وتطلع الملوخيا برِيَّة.

وعندهم من الفواكه البستانية الجميّز، وهو كثير عندهم. وتطلع عندهم أشجار بريّة ذوات ثمارٍ مأكولة مُسْتَطابة فيها شجر يُسمَّى تادموت يحمل مثل القواديس وفي كبرها، وفي داخلها شيءٌ شبيهُ دقيق الحنطة، ساطع البياض، مُزٌّ، طعمُه لذيذ. ويُعمل منه إذا جفَّ في الحناء فيسوّده مثل النوشادر. وهو يُدّخر عندهم للأكل والحِطاب.

ومنها شجرٌ يُسمَّى زبيزور تخرج ثمرته مثل قرون الخرّوب، يخرج منه شبيه بدقيق الترمس، حلو، لذيذ الطعم، وله نوى.

ومنها شجرٌ يُسمَّى قومي يحملُ شبيه السفرجل، طعمه لذيذٌ، يشبه طعم الموز، وله نوى شبيه بغضروف العَظْم يأكُلُه بعضُهم معه.

وشجر اسمه قاريتي يحمل شبيه الليموه، وطعمه شبيه طعم الكمثرى، بداخله نوًى مُلحم، يؤخذ ذلك النوى وهو طريٌّ ويُطحَنُ فيخرج منه شبيه السمن، ويجمد مثله. تُبيّضُ به البيوتُ، وتوقَدُ منه السُرُج والقناديلُ،

ويُعمل منه صابون. وإذا أُريد أن يُؤَكَلَ ذلك الدهن يُحرق بتدبير، وصورة تدبيره أن يوضَع على نارٍ ليِّنة ويُغطّى ويُترَك إلى أن يقوى غليانه، ويبقى الذي يدبّره يُسارقه مُسارقةً في اختباره، ويرضعُه بالماء قليلاً قليلاً مرَّات، وهو مُغطًى مُحْتَرزٌ عليه إلى أن يتناهى على مقدار القوَّة، ثم يُترَكُ حتى يبرد، ويُستعمل في المأكل كالسمن. ومتى فوجئ بكشف الغطاء فار وطلع وتصاعد إلى السقف، وربما انعقد منه نار فأحرقت الدار، وربَّما زاد فأحرقت البلد. وهذا الدهنُ يحرقُ كلَّ جلدٍ وُضع فيه، ولا يحمله إلاَّ ظروف القرع.

ويوجد بها من الثمرات البريَّة ما هو شبيه بكلّ الفواكه البستانيَّة على اختلاف أنواعها، لكنَّها حرِّيفة لا تُستَطابُ ولا يأْكُلُها إلاَّ السودان، وهي قوتُ كثير منهم.

وعندهم الملح يوجد بخلاف الجوانيّين والمسامتين بسِلجماسة. وما وراءها.

وفي صحاريهم الجواميسُ، بريّةً، تُصادُ كالوحش. وصورةُ صيدهم لها أنهم يحملون من بطوسها الصغار وما يرى عندهم في البيوت، فإذا أرادوا صَيْدَ الجواميس أخرجوا واحداً منها إلى موضع الجواميس لتراه وتقصده وتتألف به للجنسيَّة التي هي علة الضمّ. فإذا تألّفتَ بها رموها بنشَّاب مسموم عندهم، ثم يقطعون مواضع السمّ، وهو موضع الرمية وما حوله، ثم يؤكل ما فيه.

وأغنامهم ومعزهم لا مَرْعى لها، وإنما هي جلالات على القمامات والمزابل.

وتلدُ الواحدة من المعز في بطن واحد سبعة وثمانية.

وبصحاريهم أنواعُ الوحش من الحُمُر والبقرِ والغزلان والنعام وما يجري مجراها. والفِيَلَةُ والآسادُ والنمورُ، وكلّها لا تؤذي إلاَّ مَنْ تعَرَّض لها أو تحرَّش بها، وربَّما مَرَّ الرجلُ إلى جانبها فلا تعترضه ما لم يفجئها.

وعندهم وحشٌ يُسمَّى تُرُمّى بضم التاء المثنَّاة والراء المهملة وتشديد الميم، ولا يكون إلا خنثى له ذكرٌ وفَرْجٌ مولَّد بين الذئاب والضباع. قال الشيخ سعيد الدُكّالي: رأيتُه بعيْنيّ، وهو خُنثى، قدر الذئب، متى وَجَدَ في الليل آدَميًّا صغيراً أو مُرَاهِقاً خطَفَه وأكله، فأمَّا بالنهار فلا يؤذي، ولا له إقدامٌ على الرجل التَمام. وهو ينعر كنُعار الثور إذا أراد النطاح. وهو ينبش الموتى ويأْكُلُهم. وأسنانُه كأسنان التمساح مصفّحة، ذكرٌ في أُنثى.

وفي مجرى النيل عندهم تماسيحُ كبارٌ هائلةُ المقادير، يوجد منها ما يكونُ طوله عشرة أذرع وأزيد. قال الدُكّالي: وصِيدَ منها تمساحٌ وُضِعَ في قلبه رمحٌ طولُه عشرة أشبار. ومرارته سُمّ، وهي تُحمل إلى خزانة ملكهم.

قال: والفيلُ يُصادُ في بلاد الكُفَّار المجاورة لهم بالسحر حقيقةً لا مجازاً.

والسحرُ بهذه البلاد كلّها كثيرٌ إلى الغاية، وخصوصاً ببلاد غانة، وفي كلّ وقتٍ يتحاكمون عند ملكهم بسببه، ويُقال: إنَّ فلاناً قتل بالسحر أخي أو ولدي أو ابنتي أو أُختي. ويُحكم على القاتل بالقصاص، ويُقتَلُ الساحرُ.

وسلطان هذه المملكة يجلس في قصره على مصطبة كبيرة تُسمَّى عندهم بَنْبى، بالباء الموحّدة، والنون، والباء الموحّدة، على ذكَّة كبيرة من ابنوس كالتخت، يكون قدر المجلس العظيم المتَّسع، عليها أنيابُ الفِيَلَةِ في جميع جوانبها، الناب إلى الناب. وعنده سلاحُه من ذهب كله: سيفٌ ومِزْراق(١) وتركاش(٢) وقوسٌ ونشاب، وعليه سراويلُ كبير مفصَّل من نحو عشرين نصفيَّة لا يلبسه أحد، ويقف خلفه نحو ثلاثين مملوكاً من الترك وغيرهم ممن يُبتاع له من مصر، بيد واحد منهم جتر(٣) حرير عليه قبة،

(١) المزراق: الرمح القصير، ج مزاريق (المعجم الوسيط).

(٢) لفظ فارسي، معناه الجعبة أو الكنانة التي وضع فيها السهام.

(٣) هي المظلة التي تحمل فوق رأس الملك. (صبح الأعشى، ج٤، ص٧ ـ ٨).

وطائر من ذهب، والطير صفة بازي يحمل على يساره، وأُمراؤه جلوس حوله من تحت سماطين يميناً ويساراً ثم دونهم أعيانٌ من فرسان عسكره جلوس، وبين يديه شخصٌ يغنِّي له وهو سيَّافه، وآخرُ سفيرٌ بينه وبين الناس، يسمى الشاعر، وحولهم أُناسٌ بأيديهم طبولٌ يدقّون بها، وبين يديه أُناس يرقصون، وهو يتفرَّج عليهم ويضحكُ منهم، وخلفه صنجَقان منشوران، وقُدامه فَرَسَان مشدودان محصّلان لركوبه متى شاء.

ومَنْ عَطَسَ في مجلسه ضُرِب ضرباً مؤلماً، ولا يُسامَحُ أحداً في هذا، وإنما إذا جاء أحدهم العطسة انبطح على الأرض وعطس حتى لا يُعلم به.

وأما الملك فإنه إذا عطس ضرب الحاضرون على صدورهم.

ولباسُهم عمائم تحنّك مثل العرب. وقماشهم بياض من قطن يُزرَعُ عندهم، ويُنسج، في نهاية الرفع واللطف، يُسمى الكميصا[١].

وزيّهم شبيه بزيّ المغاربة: جبابٌ ودراريع بلا تفريج. ويلبس أبطالُهم الفرسان أساورَ ذهب، فَمَنْ زادت فروسيته لبس معها أطواقاً من ذهب، فإن زادت لبس معها خلاخلَ ذهب. وكلّما زادت فروسيةُ البطلِ منهم ألبسه الملك سراويلاً متسعاً. وكلما زادت فروسية الفارس يزيدون في كبر سراويله. وصفة سراويلاتهم ضيق أكمام الساقين وسعة السرج.

ويمتاز الملك في زيه بأنه يُرخى له عذبة بين يديه. ويكون سراويله من عشرين نِصفِيَّة. لا يتجاسرُ على لبس هذا أحدٌ غيره.

وملوكُ هذه المملكة يُجلب إليها الخيلُ العِراب. وتُبذل الأثمانُ الكثيرة فيها.

ومقدارُ عسكره مئة ألف نفر. منهم عشرة آلاف فارس فرسان خيَّالة.

(١) هذه الكلمة محرفة عن «القميص» العربية.

وسائرهم رجالة لا خَيْلَ لهم، ولا مراكب. والجمال عندهم موجودة، ولا يعرف بها ركوب كور.

والشعيرُ عندهم معدوم بالجملة الكافية، لا ينبت بها البتة.

ولأُمراء هذا الملك وجنده إقطاعات وإنعامات. مِنْ أكابرهم مَنْ يبلغُ جملةُ ماله على الملك في كل سنة خمسين ألف مثقال من الذهب. ويتفقدهم بالخيل والقماش. وهمته كلها في تجميل زيّهم، وتمصير مدنه.

ولا يدخل أحد دار هذا الملك إلا حافياً، كائناً مَنْ كان. فمن لم يخلع نعليه ساهياً كان أو عامداً قُتل بلا عفو.

وإذا قدم القادمُ على هذا الملك من أمرائه أو غيرهم أوقفه زماناً قُدَّامه. ثم يُومي القادم بيده اليمنى مثل مَنْ يضرب الجوك[1] ببلاد توران وإيران. فإذا أنعم على أحد إنعاماً أو وعده بجميلٍ، أو شكره على فِعْلٍ تمرّغ ذلك المُنْعَم عليه بين يديه من أول المكان إلى آخره. فإذا وصل إلى آخر ذلك المكان أخذ غلمان ذاك المنعم عليه أو مَنْ هو من أصحابه من رمادٍ يكون موضوعاً في آخر مجلس الملك مُعَدّاً هُناك دائماً لأجل مثل هذا. فيذرّ في رأس المنعَم عليه. ثم يعود متمرّغاً إلى أن يصير إلى بين يديْ الملك. ويضربُ جوكاً آخر بيده كما تقدَّم، ثم يقدم.

وأما صورة هذا المشبه بضرب الجوك أن يرفع الرجلُ يده اليمنى إلى قريب أذنه، ثم يضعها وهي قائمة منتصبة، ويلقيها بيده اليسرى فوق فخذه، واليد اليسرى مبسوطة الكفّ لتلتقي مرفق اليمنى مبسوطة الكف مضمومة الأصابع بعضُها إلى جانب بعض كالمشط يماس شحمة الأذن.

وأهل هذه المملكة يركبون بالسروج العربيَّة، وهم في غالب أحوالهم

---

(١) الجوك أو الجوكان، أصلاً، المحجن الذي يضرب به الكرة، ويعبر عنه أيضاً باختصار لجان. (صبح الأعشى، ج٥، ص٤٥٨). وانظر: السلوك للمقريزي، القسم الأول، ص٤٣٥ حاشية ١. ولعل العمري عني عن لعبة الكرة نفسها باسم أحد أدواتها.

كأنهم منهم، ولكنهم يبدأون في الركوب بالرجل باليمنى خلاف الناس جميعاً.

ومن عادتهم أن لا يُدْفَنَ عندهم ميتٌ إلاَّ إذا كان ذا قَدْرٍ وحشمة، وإلاَّ فكُلُّ مَنْ كان سوى هؤلاء ممن لا قَدْرَ له، والفقراء والغرباء، فإنه يُرمى رمياً في الفلاة مثل ما يُرمى باقي الميتات.

وهي بلادٌ يُسرعُ فيها فسادُ المدخورات، وخصوصاً السمن فإنه ينتنُ ويجيف في يومين.

قلتُ: وليس هذا غريباً لأن أغنامهم جلالات تأكُل القُمامات والمزابل. وبلادهم شديدة الحرّ سريعة التحليل.

وملكُ هذه المملكة إذا قَدِم من السفر يحمل على رأسه لَجْتر، راكباً، ويُنشر على رأْسه عَلم، ويضرب قدَّامه الطبول والطنابير والبوقات بقرونٍ لهم فيها صناعة محكمة.

ومن عادتهم أنه إذا عاد إليه أحد ممن بعث به في شُغُل أو مُهِمّ يسأله عن كلِّ ما تمَّ له من حالٍ، من حين مفارقته إلى حين عوده مفصَّلاً.

والشكاوى والمظالم تُنْهى إلى هذا الملك فيفصلها بنفسه، وفي الغالب لا يكتب شيئاً، بل أمرهُ بالقولِ غالباً، وله قُضاةٌ وكُتَّابٌ ودواوين. هذا ما حدَّثني به الدُكَّالي.

وحكى لي الأميرُ أبو الحسن عليّ بن أمير حاجب أنَّه كان كثير الاجتماع بالسلطان موسى ملك هذه البلاد لما قدم مصر حاجًّا. وكان هو نازلاً بالقرافة، وابن أمير حاجب والي مصر والقرافة إذ ذاك، واتحدت بينهما الصحبة. وأنَّ هذا السلطان موسى حدَّثه بكثير من أحواله وأحوال بلاده ومَنْ يجاورُه من أُمم السودان.

قال: ومما حدَّثني به أن بلاده متسعةٌ اتساعاً كثيراً، وهي متصلة بالبحر المحيط، فتح فيها بسيفه وجنده أربعاً وعشرين مدينة ذوات أعمال وقُرى وضياع. وهي كثيرةُ الدواب من البقر والمعز والغنم والخيل

والبغال، وأنواع الطير الدواجن كالإوز والحمام والدجاج، وأنَّ أهل بلاده عددٌ كثير وجَمٌ غفير، وهم بالنسبة إلى مَنْ جاوَرَهم من أُمم السودان المتوغلين في الجنوب كالشامة البيضاء في البقرة السوداء.

وفي مهادنته أهل بلاد الذهب ـ وله عليهم القطيعة ـ قال:

فسألتُه: كيف نباتُ الذهب؟

فقال: يؤخذ على نوعين: نوع في زمان الربيع ينبت عُقَيْب الأمطار في الصحراء، وله ورقٌ شبيه بالنخيل أُصوله التِبْر. والنوع الآخر يوجد في جميع السنة في أماكن معروفة على ضِفاف مجاري النيل. فتحفر هناك حفائر فتؤخذ أُصول الذهب كالحجارة والحصى. وكلاهما هو المسمَّى بالتبر، والأولُ أفحلُ في العيار وأفضَلُ في القيمة.

قال: وحدَّثني السلطان موسى أنَّ الذهب حمًى له، يُجمعُ متحصِّلة كالقطيعة إلاَّ ما يأخذه أهلُ تلك البلاد منه على سبيل السرقة.

قلتُ: والذي قاله الدكّالي إنما يُهادى بشيءٍ منه كالمصانعة، ويتكسَّب عليهم في المبيعات، لأن بلادهم لا شيء بها. وقول الدكّالي أثبت.

قال ابنُ أمير حاجب: وشعارُ هذا السلطان أصفرُ في أرض حمراء تنشر عليه الأعلام، حيث يركب. وهي ألوِيةٌ كبارٌ جداً.

وخدمةُ القادم عليه أو المنْعَمِ عليه أن يكشف مقدَّم رأْسه، ويضربُ بيده اليمنى جوكاً إلى الأرض نحوَ ما يعملُ التتار، فإذا احتاج إلى أكثر من هذه الخدمة تمرَّغ بين يديه.

قال ابنُ أمير حاجب: وأنا رأيتُ هذا بالمشاهدة والعيان.

قال: ومن عادة هذا السلطان أنه لا يأْكلُ بحضور أحدٍ من الناس كائناً مَنْ كان، بل يأْكلُ دائماً وَحْدَهُ بمفرده.

ومِن عادة أهل مملكته أنه إذا نشأ لأحدٍ منهم بنتٌ حسناء قدَّمها له

أَمَةً موطوءةً، فيملكها بغير تزويج، مثل ما مُلكت اليمين، مع ظهورِ الإسلامِ بينهم وتمذهبهم بمذهب المالكيَّة.

قال ابن أمير حاجب: هذا مع كون هذا السلطان موسى كان متديّناً مُحافظاً على الصلاة والقراءة والذكر.

قال: فقلتُ له: إنَّ مثلَ هذا لا يجوز، ولا يحلّ لمسلمٍ شرعاً ولا نقلاً.

فقال: ولا للملوك؟

فقلتُ: ولا للملوك. وسَلِ العلماء.

فقال: والله ما كنتُ أعلمُ. وقد تركتُ هذا، ورجعتُ رجوعاً كليًّا عنه.

قال ابنُ أمير حاجب: ورأيتُ هذا السلطان موسى محبًّا للخير، وأهلِه. وترك مملكته واستناب بها ولده محمداً، وهاجر إلى الله ورسوله فأدَّى فريضة الحج، وزار النبيَّ ﷺ، وعاد إلى بلاده على أن يقرِّر لابنه الملك، ويتركه له بالكُليَّة، ويعودَ إلى مكة المعظَّمة، ويُقيم مجاوراً بها. فأتاه أجله رحمه الله تعالى.

قال ابنُ أمير حاجب: وسألتُه إن كان له أعداء بينهم حروب؟

فقال: نعم لنا عدو شديدٌ هم في السودان، كالتتار لكم. وبينهم وبين التتار مناسبة من جهات أنهم وساع الوجوه، فُطْسُ الأنوف، يجيدون الرمْيَ بالنشَّاب، وخيولهم أكاديش، مُسقَّفة الأُنوف، ولنا ولهم وقائع، ولهم بأسٌ شديدٌ بإصابة رميهم بالنشَّاب، وبيننا وبينهم نُوَبٌ، والحروب بيننا تارات.

قلتُ: وقد ذكر ابنُ سعيد في «المغرب» طائفة الدمادم الذين خرجوا على أصناف السودان فأهلكوا بلادهم. وهم يُشبّهون بالتَتَر. وكان خروج الفريقين في عصرٍ واحد. انتهى كلامه في هذا المعنى.

قال ابن أمير حاجب: سألتُ السلطان موسى كيف انتقلت إليه المملكة فقال:

نحن أهل بيت يتوارث الملك، وكان الذي قبلي لا يُصَدِّق أن البحر المحيط لا يُمكن الوقوف على آخره، وأحبّ الوقوف على هذا، وولع به، فجهز مئين مراكب مملوءة من الرجال، وأمثالها مملوءة من الذهب والماء والزاد، ما يكفيهم سنين، وقال للمتقدمين فيها: لا ترجعوا حتى تبلغوا نهايته، أو تنفد أزوادكم وماؤكم. فساروا، وطالتْ مدَّةُ غَيْبتهم، لا يرجع أحدٌ منهم، حتى مضت مدة طويلة. ثم عاد مركبٌ واحدٌ منها. فسألنا كبيرهم عما كان من أثرهم وخبرهم. فقال: نعم، أيّها السلطان. إنَّا سِرْنا زماناً طويلاً حتى عرض في لجّة البحر وادٍ له جريةٌ قوية، وكنتُ آخر تلك المراكب، فأما تلك المراكب فإنها تقدمت، فلما صارت في ذلك المكان ما عادت ولا بانت، ولا عرفنا ما جرى لها. وأما أنا فرجعتُ من مكاني ولم أدخل ذلك الوادي.

قال: فأنكر عليه.

قال: ثم إنَّ السلطان أعدَّ ألفيْ مركب، ألفاً له ولرجالٍ استصحبهم معه، وألفاً للماء والزاد. ثم استخلفني وركب بمن معه البحر المحيط وسار فيه. وكان آخر العهد به وبجميع مَن معه. واستقلّ لي الملك.

قال ابن أمير حاجب: ولقد كان هذا السلطان موسى مدَّة مقامه بمصر، قبل توجُّهه إلى الحجاز الشريف وبعده على نمط واحدٍ في العبادة والتوجّه إلى الله عزَّ وجلَّ كأنه بين يديه لكثرة حضوره، وكان هو وكلّ مَنْ معه على مثل هذا، مع حسن الزيّ في الملبس والسكينة والوقار. وكان كريماً جواداً كثير الصدقة والبرّ. خرج من بلده بمئة وسق من الذهب أنفقها في حجّته على القبائل بطريقه من بلاده إلى مصر، ثم بمصر، ثم من مصر إلى الحجاز الشريف، في التوجّه والعود حتى احتاج إلى القرض من مصر. فاستدان على ذمته من التجار بمكاسب كثيرة وافرة جعلها لهم،

بحيث حصل لهم في ثلاث مئة دينار سبع مئة دينار ربحاً، ثم بعثها إليهم بالراجح.

قال ابن أمير حاجب: وبعث لي خمس مئة مثقال ذَهَباً على سبيل الافتقاد.

وأخبرني ابن أمير حاجب أنَّ المعاملة في بلاد التكرور بالودَع، وأَنَّ التجار أكثر ما تجلب لهم الودَع وتستفيد به فائدة جليلة. انتهى كلام ابن أمير حاجب.

قلتُ: وقد كان بلغني أول قدومي مصر وإقامتي بها حديث وصول هذا السلطان موسى حاجًّا، ورأيتُ أهل مصر لهجين بذكر ما رأوه من سعة إنفاقهم. فسألت الأمير أبا العباس أحمد بن الحاكي المهمندار رحمه الله عنه، فذكر لي ما كان عليه هذا السلطان من سعة الحال والمروّة والديانة وقال:

لما خرجتُ لملتقاه، أعني من جهة السلطان الأعظم الملك الناصر أكرمني إكراماً بليغاً. وعاملني بأجمل الآداب، ولكنه ما كان يكلمني إلاَّ بترجمان، مع إجادة معرفته التكلم باللسان العربي. ثم إنه قدَّم إلى الخزانة السلطانية جملاً كثيرة من الذهب المعدني الذي لم يصغ وغير ذلك. وحاولته أن يطلع للقلعة ويجتمع بالسلطان فأبى عليَّ وامتنع وقال:

أنا جئتُ لأحجّ لا لشيءٍ آخر. وما أُريدُ أن أخلط حجّي بغيره. وشرع في الاحتجاج بهذا وأنا أفهم أنه يرى الحضور نقصاً عليه لما يضطرُّ إليه من تقبيل الأرض أو اليد. وبقيت أحاوله، وهو يتعلَّل ويعتذر. والمراسم السلطانية تتقاضاني في إحضاره. فما زلتُ به حتى وافق. فلما وصل إلى حضرة السلطان قلنا له: قبِّل الأرض. فتوقَّف وأبى إباءً ظاهراً. وقال: كيف يجوز هذا؟ فأسرّ إليه رجلٌ عاقل كان معه كلاماً ما نعلمه. فقال: أنا أسجد لله الذي خلقني وفَطرني. ثم سجد، وتقدَّم إلى السلطان. فقام له بعض قيام وأكرمه، وأجلسه إلى جانبه. وتحادثا حديثاً طويلاً. ثم خرج السلطان موسى. فبعث إليه السلطان بعدة من الخِلع الكاملة له

ولأصحابه، ولكلِّ مَنْ حضر معه، وخيلاً مسرجة ملجمة له ولأعيان مَنْ معه. وكانت خلعته طَرْدَ وَحْش مقصَّب كبير، بسنجاب مقندس مطرّز بزركش على مفرّج إسكندري، وكلّوتة وزركش، وكلاليب ذهب، وشاش بحرور، وَرَقْم خليفتي، ومنطقة ذهب مرصّعة، وسيف محلًّى، ومنديل بذهب خزّ، وأعلام، وفرسيْن، مسرّحين ملجمين بمراكب مصل محلاَّة. وأجرى عليه الإنزال والإقامات الوافرة مدة مقامه. فلما آن أوان الحج بعث إليه بمبلغ كبير من الدراهم، وجمالٍ، وهجن خاص، كاملات الأكوار والعدد لمراكبه، وأتباعٍ لأصحابه ومَنْ حَضَرَ معه، وأزوادٍ جمَّة، وركز له العليق في الطُرُق، ورسم لأُمراء الركب بإكرامه واحترامه.

ثم لما عاد تلقيتُ وأنزلْتُهُ، واستمرّ على علوفاته وإنزاله، وبعث إلى السلطان متبرّكاً من هدايا الحجاز الشريف، فقبله السلطان منه، وبعث إليه بالخلع الكوامل له ولأصحابه، والألطاف والغوالي من البزّ الإسكندري، والأمتعة الفاخرة. ثم عاد إلى بلاده.

قال المهمنْدار: ولقد أفاض هذا الرجل بمصر فَيْض الإحسان، لم يدع أميراً مقرّباً ولا ربّ وظيفة سلطانيَّة حتى وصله بجملة من الذهب. ولقد كسب أهل مصر عليه وعلى أصحابه في البيع والشراء والعطاء والأخذ ما لا يُحصر، وبدَّلوا الذهب حتى أهانوا في مصر قدره، وأرخصوا سعره.

قلتُ: ولقد صدق المهمندار، فإنه حكى مثل هذا غير واحد، ولما مات المهمندار وجد الديوان فيما خلَّفه آلافاً من الذهب المعدني مما أعطاه له، باقياً على حاله في ترابه لم يُصَغْ.

وحدَّثني خلقٌ من تجّار مصر والقاهرة عما حصل لهم من المكاسب والربح عليهم، فإن الرجل منهم كان يشتري القميص أو الثوب والإزار وغير ذلك بخمسة دنانير وهو لا يسوى ديناراً واحداً، وكانوا في غاية سلامة الصدور والطمأنينة، يجوز عليهم مهما حزر عليهم، ويأخذون كلّ قول يُقال بالقبول والصدق، ثم ساءت ظنونهم بأهل مصر غاية الاستياء لما

ظهر لهم من غشّهم لهم في كلّ قَوْل، وفي تزاحمهم المفرط عليهم في أثمان ما يُباع عليهم من الأطعمة والسلع، حتى إنهم لو رأوا اليوم أكبر أئمة العلم والدين، وقيل لهم إنه مصري أمهنوه، وأساؤوا به الظن، لما رأوا من سوء معاملتهم.

وحدَّثني مُهنا بن عبدالباقي العجرمي الدليل أنه كان في صحبة السلطان موسى لما حجّ، وأنَّه أفاض على الحجيج وأهلِ الحرمين سجالَ الإحسان. وكان في غاية التجمّل وحسن الزيّ في سَفَره هو ومَنْ معه، وتصدَّق بمالٍ كثير.

قال: ونابني منه نحو مائتي مثقالٍ من الذهب. وأعطى رفاقي جُملاً أخرى. وبالغ مُهَنَّا في وصف ما رآه منه من الكرم وسعة النفس ورفاهية الحال.

قلتُ: ولقد كان الذهب مرتفع السعر بمصر إلى أن جاء إليها في تلك السنة. كان المثقال لا ينزل عن خمسة وعشرين درهماً، وما زاد عليها في الغالب. فمن يومئذ نزلت قيمته ورخُص سعره، واستمرَّ على الرخص إلى الآن لا يتعدَّى المثقال اثنين وعشرين درهماً وما دونها، هذا من مدَّة تُقارب اثني عشر سنة إلى اليوم لكثرة ما جلبوا من الذهب إلى مصر وأنفقوه بها.

قلتُ: ولقد جاء كتاب من هذا السلطان إلى الحضرة السلطانية بمصر، وهو بالخط المغربي في ورق عريض، السطر إلى جانب السطر، وهو يمسك فيه ناسوتاً لنفسه مع مراعاة قوانين الأدب، كتبه على بعض يد خواصِّه ممن جاء يحجّ، ومضمونه السلام والوصيَّة بحامله. وجهَّز معه على سبيل الهدية خمسة آلاف مثقال من الذهب.

وبلاد مالي وغانة وما معها يُسلك إليها من غربي صعيد مصر، على الواحات، في برٍّ مقفر يسكنه طوائف من العرب، ثم من البربر، إلى عمران يتوصل منه إلى مالي وغانة. وهي مسامتة جبال البربر في جنوب مراكش وما يليها في قفار طويلة، وصحارٍ ممتدَّة موحشة.

وحدَّثني الفقيه العلاَّمة أبو الروح عيسى الزواوي قال: حدثني السلطان موسى منسى أن طول مملكته نحو سنة.

وبمثل هذا أخبرني عنه ابن أمير حاجب.

وأمَّا ما قاله الدُكَّالي فقد تقدَّم ذكره، وهو أنها أربعة أشهر طولاً في مثلها عرضاً. وقول الدُكالي أثبت، لأن موسى منسى ربَّما عظَّم شأن ملكه.

وقال الزواوي: قال لي هذا السلطان موسى أنَّ عنده في مدينة اسمها زكرى معدن النحاس الأحمر، يجلب منه قضبان إلى مدينة يني.

وقال: ليس لي في مملكتي شيءٌ ممكَّس سوى هذا النحاس المعدني الذي يجلب، فإنه يؤخذ منه خاصَّةً لا غير، ونحن نبعثه إلى بلاد السودان الكفَّار نبيعه وزن مثقال بثلثي وزنه من الذهب. فنبيع كل مئة من هذا النحاس بستة وستين مثقالاً وثلثي مثقال من الذهب.

قال: وقال لي إنَّ عنده أُمماً من الكفَّار في مملكته وهو لا يأخذ منهم جزية، وإنما يستعملهم في استخراج الذهب من معادنه.

وقال لي: إن معادن الذهب تحفر الجورة عمق قامة أو ما يُقاربها، فيوجد الذهبُ في جنباتها، وربَّما يوجد مجتمعاً في سفل تلك الحفائر.

ومَلكُ هذه المملكة في جهاد دائم وغزو ملازم لمن جاوره من كفَّار السودان، وهم أُمم لا يستوعبهم الزمان.

قال لي الدُكالي: وأهل هذه المملكة كثيرٌ فيهم السحر والسُم، ولهم عناية بهما وتدقيق فيهما. وعندهم حشائش وحيوانات يركّبون منها السموم القتّالة، ولا سيَّما من نوع من السمك يوجد عندهم، ومرارات التماسيح فإنها سموم لا دواء لها.

وحدَّثني الشيخ الإمام أبو عبدالله محمد بن الصايغ الأُموي قال: حدَّثني الوزير أبي عبدالله محمد بن راعنوه من أهل بلدنا المريّة بالأندلس،

وهو ثقة من الفقهاء العلماء قال: ركبتُ في مركب تجارة لي مع جملة تجَّار من فم الابلابه وهو مدخل البحر المحيط قاصدين بعض بلاد العدوة. فلعبت بنا الريح، وتقاذفت بنا الأمواج إلى أن عدَّينا المكان المقصود وتمادى بنا الحال إلى أن عجزنا عن الإرساء إلى البر، ولم نَزَل على هذا نتغلغل في المحيط إلى الجنوب، إلى أن دُفعنا في ظلمات ممتدة إذا أخرج الإنسان بها يده لم يكد يراها. وأيقنَّا بالهلاك لوقوعنا في الظلمات. ثم لطف الله تعالى بسكون الريح. فداريْنا المركب ووقفنا به، وقصدنا ناحية البر إلى أن وَصَلْنا إلى البرِّ وأرسيْنا به وخَرَجْنا نطلب الخلاص لأنفسنا. فرأينا أعلام مدينة فقصدناها، فوجدنا بها أمة من السودان لمَّا رأونا بيضاً عجبوا منَّا واعتقدوا أنَّا صبغنا جسومنا بالبياض، فحكّوا جسومنا بالليف، فلما ظهر لهم أنه خلقة بقي كل واحد منهم يتعجَّبُ، ويتحدَّثون بذلك بعضهم مع بعض. فأقمنا عندهم فوجدنا غالب أكلهم لحم الثعابين والحيَّات. وهي كثيرة في أرضهم جداً يتصيَّدونها ويأكلون لحومها، ليس بأرضهم نبات ولا مرعى، فأقمنا عندهم مدَّة حتى خرج منهم أناسٌ إلى بلاد مجاورة لهم في بعض أشغالهم، فخرجنا معهم. ثم تنقلنا من مكان إلى مكان إلى أن وصلنا إلى برّ العدوة.

وحدَّثني أبو عبدالله بن الصايغ أن الملح معدوم في داخل بلاد السودان. فمن الناس من يغرّر ويصل به إلى ناس منهم يبذلون نظير كلّ صبرة ملح مثله من الذهب.

قال: وحُدّثتُ أن من أمم السودان الداخلة مَنْ لا يظهر، بل إذا جاء التجار وضعوا الملح ثم غابوا فيضع السودان إزاءه الذهب. فإذا أخذ التجَّار الذهب أخذوا هم الملح.

وحكى لي عيسى الزواوي قال:

حُدّثْتُ أنَّ رجلاً دخل بملح ووصل إلى مدينةٍ من مدن كُفَّار السودان، قال: فأهديتُ إلى ملكها شيئاً من الملح فقبله، وبعث إليَّ بجاريتين من أحسن السودان صورةً. ثم حضرتُ عنده بعد أيام فقال: بعثنا

إليك بتلك الجاريتين فاذبحهما وكُلْهُما. فإنَّ لحمهما أطيب ما يؤكل عندنا، فلأي شيء ما ذبحتهما؟

فقلتُ: ما يحلُّ هذا عندنا.

فقال: فأيّ شيء تأْكُل؟

قلتُ: لحم البقر والغنم.

فبعث ببقرٍ وغنم.

قال: وحدثتُ أيضاً أن في بلاد هؤلاء السودان جبلاً عالياً لا يمكن الصعود إليه، فيه أنواع من الفواكه والثمار ولا سبيل لهم إليها إلاَّ بما ألقت الرياحُ إليهم مما يتساقط من أوراقها وثمارها.

قلتُ: ولم يذكر هذا عن بلاد الكُفار، وإن كان ليس من شرطنا، لكنِّي ذكرتُه لغرابته، وزيادة فائدة، ولأنه يتعلَّق ببلاد السودان. وأما ما أقوله فهو أنه أكثُر القولُ عمَّن يأكل من السودان لحومَ الناس، وهم الذين بلادُهم موغلة في غاية الجنوب ومنهم من الزنج[١].

○ ○ ○ ○ ○ ○

(١) ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، مخطوطة دار الكتب بالقاهرة.

ابن بطوطة

محمد بن إبراهيم
(المتوفى ٧٧٩هـ ـ ١٣٧٧م)



وتوجهتُ برسم السفر إلى بلاد السودان، فَوصلت إلى مدينة سجلماسة، وهي من أحسن المدن، وبها التمر الكثير الطيِّبُ، وتشبهها مدينةُ البصرة في كثرة التمر، لكنَّ تمر سجلماسة أطيبُ وصنف إيرار منه لا نظيرَ لهُ في البلاد. ونزلتُ منها عند الفقيه أبي محمد البشري، وهو الذي لقيتُ أخاهُ بمدينة قنْجَنْفُو من بلاد الصين، فيا شدَّ ما تباعدا، فأكرمني غاية الإكرام، واشتريت بها الجمال، وعلفتُها أربعة أشهر.

ثم سافرتُ في غرَّة شهر الله المحرّم سنة ثلاث وخمسين في رفقة مقدّمها أبو محمد يند كان المسُّوفي رحمه الله، وفيها جماعةٌ من تُجَّار سِجلِماسة وغيرهم، فَوصلنا بعد خمسةٍ وعشرين يوماً إلى تغازى، وهي قريةٌ لا خير فيها، ومن عجائبها أن بناء بيوتها ومسجدها من حجارة الملح، وسقفها من جلود الجمال، ولا شجرَ بها، إنما هي رملٌ فيه معدنُ الملح، يُحفَرُ عليه في الأرض، فيوجدُ منهُ ألواحٌ ضخام متراكبة كأنها قد نُحتتْ ووُضعتْ تحت الأرض، يحملُ الجملُ منها لوحين، ولا يسكنها إلا عبيدُ مسُّوفة الذين يحفرون على الملح، ويتعيشون بما يجلبُ إليهم من تمر درعة وسجلماسة، ومن لحوم الجمال، ومن أنلي المجلوب من بلاد السودان، ويصلُ السُّودان من بلادهم فيحملون منها الملح، ويُباعُ الحملُ منه بإيوالاتن، بعشرة مثاقيل إلى ثمانية، وبمدين ماليّ بثلاثين مثقالاً إلى عشرين، وربَّما انتهى إلى أربعين مثقالاً.

وبالملح يتصارفُ السودان كما يُتصارف بالذهب والفضة يقطعونه قطعاً، ويتبايعون به، وقرية تَغَازَى على حقارتها يُتعاملُ فيها بالقناطير المُقنطرة من التبر. وأقمنا بها عشرة أيام في جهد لأن ماءها زُعاقٌ، وهي أكثرُ المواضع ذباباً، ومنها يُرفعُ الماء لدخول الصحراء التي بعدها، وهي مسيرة عشر لا ماء فيها إلا في النادر، ووجدنا نحنُ بها ماءً كثيراً في غدران أبقاها المطر، ولقد وجدنا في بعض الأيام غديراً بين تلّين من حجارة، ماؤه عذبٌ، فتروّينا منه، وغسلنا ثيابنا.

والكمأة بتلك الصحراء كثيرةٌ، ويكثُرُ القملُ حتى يجعل الناس في أعناقهم خيوطاً فيها الزئبقُ، فيقتلُها.

وكنّا في تلك الأيام نتقدَّم أمام القافلة؛ فإذا وجدنا مكاناً يصلحُ للرّعي رعينا الدّواب به، ولم نزل كذلك حتى ضاع في الصحراء رجلٌ يُعرفُ بـ: ابن زيري، فلم أتقدم بعد ذلك ولا تأخرت. وكان ابن زيري وقعت بينهُ وبين ابن خاله ـ ويعرف بـ: ابن عدّي ـ منازعة ومشاتمة، فتأخَّر عن الرفقة، فضلّ، فلمّا نزلَ الناس لم يظهر لهُ خبر. فأشرتُ على ابن خاله بأن يكتري من مسوفة مَن يقصُّ أثرهُ لعلَّهُ يجدهُ، فأبى، وانتُدبَ في اليوم الثاني رجلٌ من مسوفة دون أجرة لطلبه، فوجد أثره، وهو يسلكُ الجادة طوراً، ويخرجُ عنها تارةً، ولم يقع له على خبر. ولقد لقينا قافلة في طريقنا فأخبرونا أن بعض رجال انقطعوا عنهم، فوَجدنا أحدهم ميتاً تحت شجيرة من أشجار الرمل، وعليه ثيابهُ وفي يده سوط، وكان الماء على نحو ميلٍ منه.

ثم وصَلنا إلى تاسَرَهْلا، وهي أحساء ماء تنزل القوافل عليها، ويقيمون ثلاثة أيام فيستريحون ويصلحون أسقيتهم، ويملأونها بالماء، ويخيطون عليها التلاليس خوف الريح، ومن هنالك يُبعثُ التكشيفُ.

● ذكر التكشيف:

والتكشيفُ: اسمٌ لكل رجل من مسُّوفة يكتريه أهل القافلة فيتقدَّمُ إلى

إيوالاتن بكتب الناس إلى أصحابهم بها؛ ليكتروا لهم الدور، ويخرجون للقائهم بالماء مسيرة أربع، ومَن لم يكن له صاحبُ بإيوالاتن كتبَ إلى مَن شُهرَ بالفضل من التجار بها، فيشاركه في ذلك، وربَّما هلك التكشيف في هذه الصحراء، فلا يعلَمُ أهلُ إيوالاتن بالقافلة، فيهلكُ أهلُها أو الكثيرُ منهم.

وتلك الصحراء كثيرة الشياطين، فإن كان التكشيفُ منفرداً لعبت به واستهوته حتى يضلَّ عن قصده، فيهلك، إذ لا طريقَ يظهرُ بها ولا أثر، إنما هي رمالٌ تسفيها الريح فترى جبالاً من الرمل في مكان، ثم تراها قد انتقلت إلى سواه. والدليلُ هنالك مَن كثر تردده، وكان له قلب ذكيّ. ورأيتُ من العجائب أن الدليل الذي كان لنا هو أعور العين الواحدة، مريضُ الثانية، وهو أعرفُ الناس بالطريق.

واكترينا التكشيف في هذه السفرة بمائة مثقال من الذهب، وهو من مسوفة. وفي ليلة اليوم السابع رأينا نيران الذين خرجوا للقائنا، فاستبشرنا بذلك. وهذه الصحراء منيرةٌ مشرقةٌ ينشرحُ الصّدر فيها، وتطيبُ النفسُ، وهي آمنة من السّرّاق، والبقرُ الوحشيةُ بها كثيرةٌ يأتي القطيعُ منها حتى يقرب من الناس، فيصطادونهُ بالكلاب والنشّاب، لكن لحمها يولدُ أكلهُ العطش، فيتحاماه كثيرٌ من الناس لذلك. ومن العجائب أن هذه البقر إذا قُتلت وُجد في كروشها الماء، ولقد رأيتُ أهل مسوفة يعصرون الكَرِش منها ويشربون الماء الذي فيه. والحيَّاتُ أيضاً بهذه الصحراء كثيرة.

• حكاية ملاعب الحيات:

وكان في القافلة تاجرٌ تلمساني يعرف بـ: الحاج زيّان، ومن عادته أن يقبضَ على الحيات، ويعبثَ بها، وكنت أنهاهُ عن ذلك، فلا ينتهي، فلما كان ذات يوم أدخل يده في جحر ضب ليخرجه، فوجد مكانه حيَّةً فأخذها بيده، وأراد الركوب فلسعتهُ في سبابته اليمنى، وأصابَهُ وجعٌ شديد، فكويت يدهُ، وزاد ألمهُ عشيّ النهار، فنحر جملاً، وأدخل يده في كرشه، وتركها كذلك ليلة، ثم تناثر لحمُ إصبعه فقطعها من الأصل.

وأخبرنا أهل مسوفة أن تلك الحية كانت قد شربت الماء قبل لسعه، ولو لم تكن شربت لقتلتهُ.

ولمّا وصل إلينا الذين استقبلونا بالماء شربت خيلُنا، ودخلنا صحراء شديدة الحرِّ ليست كالتي عهدنا، وكنا نرحلُ بعد صلاة العصر، ونسري الليلَ كلّه، وننزلُ عند الصباح، وتأتي الرجالُ من مسوفة وبَرْدامة، وغيرهم، بأحمال الماء للبيع.

ثم وصلنا إلى مدينة إيوالاتن في غرة شهر ربيع الأول، بعد سفر شهرين كاملين من سجلماسة، وهي أوّلُ عُمالة السودان، ونائبُ السلطان بها فرْبا حسين، وفَرْبَا معناه: النائب، ولمَّا وصلناها جعل التجار أمتعتهمْ في رحبة، وتكفَّل السودان بحفظها، وتوجَّهوا إلى الفربا. وهو جالس على بساط في سقيف، وأعوانه بين يديه، بأيديهم الرماح والقسيّ، وكبراء مسوفة من ورائه، ووقف التجارُ بين يديه، وهو يكلِّمهم بترجمان على قربهم منه، احتقاراً لهم، فعند ذلك ندمتُ على قدومي بلادهم لسوء أدبهم واحتقارهم للأبيض، وقصدتُ دار ابن بدّاء، وهو رجلٌ فاضل من أهلا سلا، كنتُ كتبتُ لهُ أن يكتري لي داراً، ففعل ذلك. ثم إن مشرف إيوالاتن، ويسمّى: منْشاجُو، استدعى مَن جاء في القافلة إلى ضيافته، فأبيتُ حضور ذلك، فعزَم الأصحابُ عليّ أشد العزم. فتوجهتُ فيمن توجَّه، ثم أوتيَ بالضيافة، وهي جريش أنلي مخلوطاً بيسير عسل ولبن، قد وضعوه في نصف قرعة صيروه شبه الجفنة، فشرب الحاضرون وانصرفوا، فقلتُ لهم: ألهذا دعانا الأسود؟ قالوا: نعم. وهي الضيافة الكبيرة عندهم، فأيقنتُ حينئذٍ أن لا خير يُرجى منهم، وأردتُ أن أسافر مع حجاج إيوالاتن، ثم ظهر لي أن أتوجه لمشاهدة حضرة ملكهم.

وكانت إقامتي بإيوالاتن نحو خمسينَ يوماً، وأكرمني أهلها وأضافوني؛ منهم: قاضيها محمد بن عبدالله بن ينومر، وأخوه الفقيه المدرس يحيى. وبلدة إيوالاتن شديدة الحرّ، وفيها يسيرُ نخيلات يزرعون في ظلالها البطيخ، وماؤهم من حساء بها، ولحمُ الضأن كثيرٌ بها، وثيابُ

أهلها حسان مصريَّة، وأكثر السكان بها من مسوفة، ولنسائهم الجمالُ الفائق، وهنَّ أعظم شأناً من الرجال.

● ذكر مسوفة الساكنين بإيوالاتن:

وشأن هؤلاء القوم عجيب، وأمرهم غريب. فأما رجالهم فلا غيرةَ لديهم، ولا ينسبُ أحدهم إلى أبيه؛ بل ينتسبُ لخاله، ولا يرثُ الرجلَ إلا أبناء أخته دون بنيه، وذلك شيء ما رأيته في الدنيا إلا عند كفّار بلاد المُليبار من الهنود، وأما هؤلاء فهم مسلمون محافظون على الصلوات وتعلم الفقه وحفظ القرآن، وأمّا نساؤهم فلا يحتشمن من الرجال، ولا يحتجبن مع مواظبتهن على الصلوات، ومَن أراد التزوج منهنَّ تزوَّج لكنهن لا يسافرن مع الزوج، وإن أرادت إحداهن ذلك لمنعها أهلها.

والنساء هنالك يكون لهنّ الأصدقاء والأصحاب من الرجال الأجانب، وكذلك للرجال صواحبُ من النساء الأجنبيَّات، ويدخلُ أحدهم داره، فيجدُ امرأته ومعها صاحبها فلا ينكر ذلك.

● حكاية القاضي وصاحبته:

دخلتُ يوماً على القاضي بإيوالاتن، بعد إذنه في الدخول، فوجدتُ عنده امرأة صغيرة في السن، بديعة الحسن، فلمَّا رأيتُها ارتبتُ وأردتُ الرجوع، فضحكت مني ولم يدركها الخجل، وقال لي القاضي: لِم ترجعُ؟ إنها صَاحبتي. فعجبت من شأنهما؛ فإنه من الفقهاء الحجاج، وأُخبرتُ أنَّهُ استأذنَ السلطانَ في الحج في ذلك العام مع صاحبته، لا أدري أهي هذه أم لا، فلم يأذن لهُ.

● حكاية نحوها:

دخلتُ يوماً على أبي محمد يند كان المسوفي، الذي قدمنا في صحبته، فوَجدته قاعداً على بساط، وفي وسط داره سريرٌ مظلَل، عليه امرأةٌ معها رجلٌ قاعد، وهما يتحدثان، فقلت له: مَن هذه المرأة؟ فقال:

هي زوجتي. فقلت: وما الرجلُ الذي معها؟ فقال: هو صاحبها. فقلتُ لهُ: أترضى بهذا وأنت قد سكنت بلادنا وعرفت أمور الشرع؟ فقال لي: مصاحبة النساء للرجال عندنا على خير وحسن طريقة لا تُهمةَ فيها، ولسنَ كنساء بلادكم. فعجبتُ من رعونته، وانصرفتُ عنه، فلم أعد إليه بعدها، واستدعاني مراتٍ، فلم أجبه.

❍ ❍ ❍ ❍ ❍ ❍





في الطريق إلى مالي

ولما عزمتُ على السفر إلى مالي، وبينها وبين ايوالاتن مسيرةُ أربعة وعشرين يوماً للمُجدّ، اكتريتُ دليلاً من مسوفة، إذ لا حاجة إلى السفر في رِفْقةٍ لأَمْنِ تلك الطريق، وخرجتُ في ثلاثة من أصحابي.

وتلك الطريق كثيرة الأشجار، وأشجارها عاديَّة ضخمة، تستظلّ القافلة بظلّ الشجرة منها، وبعضُها لا أغصانَ لها ولا ورق، لكن ظلّ جسدها بحيث يَستظلَّ به الإنسان، وبعضُ تلك الأشجار قد استأْسَنَ داخلها واستنْقَعَ فيه ماءُ المطر، فكأنها بئر، ويشربُ الناسُ من الماء الذي فيها. ويكون في بعضها النحلُ والعسلُ فيشتاره الناس منها. ولقد مررتُ بشجرة منها فوجدتُ في داخلها رجلاً حائكاً قد نَصبَ بها مرمَّته وهو ينسج. فعجبتُ منه.

قال ابن جُزَيّ: إن ببلاد الأندلس شجرتين من شجر القسطل في جوْف كل واحدة منهما حائك ينسج الثياب. إحداهما بسَنَد وادي آش، والأخرى ببشَّارة غرناطة.

وفي أشجار هذه الغابة التي بين ايوالاتن ومالي، ما يُشبه ثمرة الإجَّاص والتفَّاح والخوخ والمشمش، وليست بها. وفيها أشجار تثمر شبه الفَقُّوس فإذا طاب انفلق عن شيءٍ شبه الدقيق، فيطبخونه ويأْكلونه ويُباع بالأسواق.

ويستخرجون من هذه الأرض حبَّات الفول فينقلونها ويأْكلونها. وطعْمُها كطعم الحمّص المقلو، وربَّما طحنوها وصنعوا منها شبه الإسفنج، وقَلَوْه بالغَرْتي. والغرتي هو ثمر كالإجَّاص شديدُ الحلاوة، مضرٌ بالبيضان إذا أكلوه، ويُدَقّ عظمه فيستخرجُ منه زيت، لهم فيه منافع، فمنها أنهم يطبخون به، ويسرجون السُرُج، ويقلون به هذا الإسفنج، ويدّهنون به، ويخلطونه بتراب عندهم ويسطحون به الدورَ، كما تُسطح بالجير. وهو عندهم كثيرٌ مُتيسَّر، ويُحمل من بلدٍ إلى بلدٍ في قَرْع كِبارٍ تَسَعُ القرعةُ منها قدر ما تَسَعُه القُلَّةُ ببلادنا.

والقَرْعُ ببلاد السودان يعظم، ومنه يصنعون الجفان، يقطعون القرعة نصفَيْن فيصنعون منها جَفْنَتَيْن، وينقشونها نقشاً حسناً، وإذا سافر أحدُهم يتبعُه عَبيدهُ وجواريه يحملون فرشه وأوانيه التي يأْكلُ ويشربُ فيها وهي من القَرْع.

والمسافرُ بهذه البلاد لا يحملُ زاداً ولا إداماً ولا ديناراً ولا درهماً إنَّما يحملُ قِطعَ الملح وحَلْي الزجاج الذي يسميه الناس النظم، وبعضَ السلعِ العطريّة، وأكثرُ ما يُعجبُهم منها القرنفُل والمصطكى وتاسرغنت، وهو بخُورهم. فإذا وصل قرية جاء نساء السودان بأنلي، واللبن، والدجاج، ودقيق النبق، والأرْز، والفوتي[1]، وهو كحب الخردل يُصنع منه الكسكسو والعصيدة، ودقيق اللوبياء، فيشتري منهن ما أحب من ذلك، إلاَّ أن الأرز يضرّ أكله بالبيضان والفوتي خيرٌ منه.

وبعد مسيرة عشرة أيام من ايوالاتن وصلنا إلى قرية زاغَري. وهي قريةٌ كبيرة يسكنُها تُجَّار السودان، ويَسَمّوْن «وَنْجراته»، ويسكنُ معهم جماعةٌ من البيضان يذهبون مذهب الإباضية من الخوارج، ويُسَمَّوْن صَغَنَغو. والسنيُّون المالكيُّون من البيض يسمّون عندهم تُوري. ومن هذه القرية يجلب أنلي إلى إيوالاتن.

---

(١) في المطبوع «الفوني». ومر بنا في نص العمري «الفوتي».

ثم سرنا من زَاغَرى، فوصلنا إلى النهر الأعظم وهو النيل[١]. وعليه بلدة كارْسَخو. والنيلُ ينحدر منها إلى كابَرَة، ثم إلى زاغة. ولكابرة وزاغة سلطانان يودِّيان الطاعة لملك مالي. وأهلُ زاغة قدماءُ في الإسلام، لهم ديانةٌ وطلبٌ للعلم. ثم ينحدر النيلُ من زاغة إلى تُنْبُكْتُو، ثم إلى كَوْكَوْ ـ وسنذكرهما ـ، ثم إلى بلدة مولي، من بلاد الليميين، وهي آخر عمالة مالي، ثم إلى يُوفي ـ وهي من أكبر بلاد السودان، وسلطانها من أعظم سلاطينهم، ولا يدخلها الأبيض من الناس لأنهم يقتلونه قبل الوصول إليها ـ، ثم ينحدر منها إلى بلاد النوبة، وهم على دين النصرانية، ثم إلى دُنْقُلة ـ وهي أكبر بلادهم، وسلطانها يُدعى بابن كنز الدين، أسلم على أيام الملك الناصر ـ ثم ينحدر إلى جنادل، وهي آخر عُمالة السودان وأول عُمالة أسوان من صعيد مصر.

ورأيتُ التمساح بهذا الموضع من النيل، بالقرب من الساحل، كأنه قاربٌ صغير. ولقد نزلتُ يوماً إلى النيل لقضاء حاجة فإذا بأحد السودان قد جاء ووقف فيما بيني وبين النهر. فعجبتُ من سوء أدبه وقلَّة حيائه. وذكرتُ ذلك لبعض الناس فقال: إنما فعل ذلك خوفاً عليك من التمساح، فحالَ بينك وبينه.

ثم سرنا من كارْسَخُو فوصلنا إلى نهر صَنْصَرَة؛ وهو على نحو عشرة أميال من مالي. وعادتُهم أن يُمنع الناس من دخولها إلاَّ بإذن. وكنتُ كتبتُ قبل ذلك لجماعة البيضان وكبيرهم محمد ابن الفقيه الجزولي، وشمس الدين ابن النقويش المصري، ليكتروا لي داراً. فلما وصلتُ إلى النهر المذكور جزتُ في المعدّية، ولم يمنعني أحد، فوصلتُ إلى مالي حضرة ملك السودان.

فنزلتُ عند مقبرتها، ووصلتُ إلى محلَّة البيضان، وقصدتُ محمداً ابن الفقيه، فوجدتُه قد اكترى لي داراً إزاء داره، فتوجهت إليها، وجاء

---

(١) يقصد نهر النيجر.

صهره الفقيه المقرئ عبدالواحد بشمعة وطعام، ثم جاء ابن الفقيه إليّ من الغد، وشمس الدين ابن النقويش وعليّ الزودي المراكشي، وهو من الطلبة، ولقيتُ القاضي بمالي عبدالرحمٰن جاءني، وهو من السودان حاجٌ فاضلٌ له مكارمُ أخلاق، بعث إليَّ بقرةً في ضيافته، ولقيتُ الترجمان دوغا، وهو من أفاضل السودان وكبارهم. وبعث إليّ بثور. وبعث إليَّ الفقيه عبدالواحد غرارتين من الفوتي، وقرعة من الغرتي[1]. وبعث إليَّ ابن الفقيه الأرز والفوتي. وبعث إليَّ شمس الدين بضيافة، وقاموا بحقي أتمّ قيام. شكر الله حسن أفعالهم.

وكان ابن الفقيه متزوجاً ببنت عمِّ السلطان. فكانت تتفقَّدُنا بالطعام وغيره. وأكلنا بعد عشرة أيام من وصولنا عصيدة تُصنع من شيءٍ شبه القلقاس يُسمَّى القافي. وهي عندهم مفضَّلة على سائر الطعام، فأصبحنا جميعاً مرضى، وكُنَّا ستة، فماتُ أحدُنا. وذهبتُ أنا لصلاة الصبح فغُشِي عليَّ فيها، وطلبتُ من بعض المصريين دواءً مُسهلاً، فأتى بشيءٍ يُسمَّى بَيْدَر، وهو عروق نبات، وخَلَطَه بالأنيسون والسُكَّر، وَلَتَّه بالماء، فشربتُه وتقيَّأْتُ ما أكلتهُ مع صفراء كثيرة. وعافاني الله من الهلاك ولكني مرضتُ شهرين.

❊ ❊ ❊

ذكر سلطان مالي

وهو السلطان مَنْسى سليمان. ومنسى معناه السلطان، وسليمان اسمه.

وهو ملك بخيل لا يُرجى منه كبيرُ عطاء. واتَّفق أني أقمتُ هذه المدَّة ولم أره بسبب مرضي. ثم إنه صنع طعاماً برسم عزاء مولانا أبي

(١) فسر ابن بطوطة معنى الغرتي قبل قليل.

الحسن ﵁، واستدعى الأُمراء والفقهاء والقاضي والخطيب، وحضرتُ معهم، فأتوا بالربعات وخِتَم القرآن، ودعوا لمولانا أبي الحسن[(١)] ﵀، ودعوا لمنسى سليمان. ولَما فُرِغ من ذلك تقدَّمتُ فسلَّمتُ على منسى سليمان، وأعلمه القاضي والخطيبُ وابنُ الفقيه بحالي، فأجابهم بلسانهم. فقالوا لي: يقولُ لك السلطان: اشكر الله. فقلتُ: الحمدُ لله والشكر، على كل حال.

❊ ❊ ❊

ذكر ضيافتهم

ولما انصرفتُ بَعث إليَّ الضيافة فوُجّهتْ إلى دار القاضي، وبعثَ القاضي بها مع رجاله إلى دارِ ابن الفقيه. فخرج ابن الفقيه من داره مُسْرِعاً حافي القدمين، فدخل عليَّ، وقال: قم! قد جاءك قماشُ السلطان وهديَّتُه. فقمتُ وظننتُ أنها الخِلع والأموال. فإذا هي ثلاثة أقراصٍ من الخبز، وقطعةُ لحم بقريّ مقلوِّ بالغرتي، وقرعةٌ فيها لبنٌ رائب. فعندما رأيتُها ضحكتُ وطال تعجّبي من ضعف عقولهم، وتعظيمهم للشيء الحقير.

❊ ❊ ❊

ذكر كلامي للسلطان بعد ذلك وإحسانه إليَّ

وأقمتُ بعد بعث هذه الضيافة شهرين لم يصل إليَّ فيهما شيءٌ من قِبلِ السلطان. ودخل شهرُ رمضان. وكنتُ خلال ذلك أتردَّد إلى المشْوَر وأسلّم عليه، وأقعدُ مع القاضي والخطيب. فتكلمتُ مع دوغا الترجمان، فقال: تكلّم عنده وأنا أُعبّر عنك بما يجب.

---

(١) أي: أبي الحسن المريني صاحب المغرب.

فجلس في أوائل رمضان، وأقمتُ بين يديه وقلتُ له: إني سافرتُ بلاد الدنيا، ولقيتُ ملوكها، ولي ببلادِك أربعة أشهر، ولم تُضفْني ولا أعطيتني شيئاً، فماذا أقول عنك عند السلاطين؟

فقال: إني لم أرك، ولا علمتُ بك.

فقام القاضي وابنُ الفقيه فردّا عليه، وقالا: إنه قد سلَّم عليك، وبعثتَ إليه الطعام.

فأمر لي عند ذلك بدارٍ أنزلُ بها، ونفقةٍ تُجْرى عليَّ، ثم فرَّق على القاضي والخطيب والفقهاء مالاً ليلة سبع وعشرين من رمضان، يسمّونه الزكاة، وأعطاني معهم ثلاثة وثلاثين مثقالاً وثُلُثاً، وأحسن إليَّ عند سفري بمئة مثقال ذهباً.

❊ ❊ ❊

ذكر جلوسه بقبته

وله قبةٌ مرتفعةٌ، بابُها بداخل داره، يقعدُ فيها أكثر الأوقات، ولها من جهة المشْوَرِ طيقانٌ ثلاث من الخشب، مغشَّاةٌ بصفائح الفضَّة، وتحتها ثلاثٌ مغشَّاة بصفائح الذهب، أو هي فضة مذهبة، وعليها ستور ملف.

فإذا كان يوم جلوسه بالقبَّة رُفعت الستور، فَعُلِم أنه يجلس، فإذا جلس أُخرج من شباك إحدى الطاقات شرَّابةُ حرير قد رُبط فيها منديل مصري مرقوم. فإذا رأى الناسُ المنديل ضُربت الأطبالُ والأبواق، ثم يخرجُ من باب القصر نحو ثلاث مئة من العبيد في أيدي بعضهم القسيّ، وفي أيدي بعضهم الرماح الصغار والدَّرَق، فيقف أصحاب الرماح منهم ميمنة وميسرةً، ويجلس أصحاب القسيّ كذلك. ثم يؤتى بفَرَسَيْن مُسْرَجَيْن مُلجمَيْن، ومعهما كبشان، يذكرون أنهما ينفعان من العين.

وعند جلوسه يخرجُ ثلاثةٌ من عبيده مسرعين، فيدعون نائبه قنجا

موسى، وتأتي الفراريَّة، وهم الأُمراء. ويأتي الخطيب والفقهاء فيقعدون أمام السلحدارية يمنةً ويسرة، في المشْوَر، ويقف دوغا الترجمان على باب المشْوَر، وعليه الثيابُ الفاخرة من الزردخانة وغيرها، وعلى رأسه عمامة ذات حواشٍ لهم في تعميمها صنعةٌ خاصة، وهو متقلِّدٌ سيفاً غمْدُه من الذهب، وفي رجليه الخفُّ والمهاميز، ولا يلبس أحدٌ ذلك اليوم خفًّا غيره، ويكون في يده رمحان صغيران أحدُهما من ذهب والآخر من فضَّة، وأسنَّتُهما من الحديد.

ويجلس الأجنادُ والولاةُ والفتيان والمسوّفةُ وغيرُهم خارجَ المشْوَر في شارعٍ هناك متَّسعٍ فيه أشجار، وكلُّ فراري بين يديه أصحابُه بالرماح والقسيّ والأطبالٍ والأبواق، وبوقاتهم من أنياب الفيلة، وآلات الطرب المصنوعة من القصب والقرع، وتُضرب بالسَّطاعة، ولها صوتٌ عجيب. وكل فراري له كنانةٌ قد علَّقها بين كتفَيْه، وقوسُه بيده، وهو راكبٌ فرسه، وأصحابه بين مُشاة وركبان، ويكون بداخل المشْوَر تحت الطيقان رجلٌ واقف، فمن أراد أن يكلم السلطان كلّم دوغا، ويكلم دوغا لذلك الواقف، ويكلم الواقفُ السلطانَ.

❊ ❊ ❊

ذكر جلوسه بالمشور

ويجلس أيضاً في بعض الأيام بالمشْوَر، وهناك مصطبة تحت شجرة لها ثلاث درجات يسمّونها البَنْي، وتُفرش بالحرير وتُجعلُ المخادّ عليها، ويرفعُ الشطر[1]، وهو شبه قبة من الحرير، وعليه طائر من ذهب على قدر البازي.

ويخرجُ السلطانُ من باب في ركن القصر، وقوسُه بيده، وكنانتُه بين

---

(١) مرت هذه الكلمة عند العمري «الجتر» وتحرفت أيام ابن بطوطة.

كتفيْه، وعلى رأْسه شاشيَّةٌ ذهب مشدودة بعصابة ذهب، لها أطرافٌ مثل السكاكين رقاق، طولُها أزْيَدُ من شبر. وأكثرُ لباسه جبة حمراء موبرة من الثياب الرومية التي تسمَّى المُطَنْفَس. ويخرجُ بين أيديه المغنون بأيديهم قنابرُ الذهب والفضَّة، وخلفه نحو ثلاث مئة من العبيد أصحاب السلاح، ويمشي مشياً رُوَيْداً، ويُكثر التأني، وربما وقف. فإذا وصل إلى البَنْي وقف ينظرُ في الناس. ثم يصعدُ برفق كما يصعدُ الخطيب المنبر، وعند جلوسه تُضرب الطبولُ والأبواق والأنفار، ويخرج ثلاثةٌ من العبيد مسرعين، فيدعون النائب والفرارية، فيدخلون ويجلسون، ويؤتى بالفرسَيْن والكبشيْن معهما، ويقف دوغا على الباب، وسائر الناس في الشارع تحت الأشجار.

❋ ❋ ❋

ذكر تذلل السودان لملكهم وتتريبهم له..

والسودان أعظمُ الناس تواضعاً لملكهم، وأشدّهم تذلّلاً له، ويحلفون باسمه فيقولون: مَنْسَى سليمان كي. فإذا دعا بأحدهم عند جلوسه بالقبة التي ذكرناها نزع المدعو ثيابه ولبس ثياباً خَلِقَةً، ونزع عمامتَه، وجعل شاشية وسخة، ودخل رافعاً ثيابه وسراويله إلى نصف ساقه، وتقدّم بِذِلَّة ومَسْكنةٍ، وضرب الأرضَ بمرفقَيْه ضرباً شديداً، ووقف كالراكع يسمع كلامه.

وإذا كلَّم أحدُهم السلطان فرَدّ عليه جوابه كشف ثيابه عن ظهره، ورمى بالتراب على رأسه وظهره، كما يفعلُ المغتسلُ بالماء، وكنت أعجبَ منهم كيف لا تعمى أعينهم.

وإذا تكلَّم السلطانُ في مجلسه بكلام وضع الحاضرون عمائمهم عن رؤوسهم وأنصتوا للكلام. وربَّما قام أحدهم بين يديه، فيذكر أفعاله في خدمته ويقولُ: فعلتُ كذا يوم كذا، وقتلتُ كذا يوم كذا. فيصدّقه مَنْ علم ذلك. وتصديقُهم أن ينزع أحدُهم وَتَرَ قوسه ثم يُرسلها كما يفعل إذا رمى،

فإذا قال له السلطان: صدقْتَ أو شكره، نَزَع ثيابه وتَرّب. وذلك عندهم من الأدب.

قال ابن جُزَيّ: وأخبرني الصاحب العلاَّمةُ أبو القاسم ابن رضوان، أعزَّه الله، أنه لما قدم الحاج موسى الونجراني رسولاً عن مَنْسَى سليمان إلى مولانا أبي الحسن رضي الله عنه، كان إذا دخل المجلس الكريم حمل بعضُ ناسه معه قفَّة من تُراب، فيترَّبُ مهما قال له مولانا كلاماً حسناً، كما يفعل ببلاده.

❁ ❁ ❁

ذكرُ فعله في صلاة العيد وأيامه

وحضرتُ بمالي عيديْ الأضحى والفطر. فخرج الناسُ إلى المصلّى، وهو بمقربة من قصر السلطان، وعليهم الثيابُ البيضُ الحِسان، وركب السلطانُ وعلى رأْسه الطيلسان، والسودان لا يلبسون الطيلسان إلاَّ في العيد، ما عدا القاضي والخطيب والفقهاء، فإنهم يلبَسونه في سائر الأيَّام. وكانوا بعد العيد بين يديْ السلطان، وهم يهلّلون ويكبّرون، وبين يديه العلامات الحمْرُ من الحرير، ونُصب عند المصلّى خباءٌ، فدخل السلطانُ إليه وأصلح من شأنه، ثم خرج إلى المصلّى. فقُضيَتْ الصلاةُ والخطبة ثم نزل الخطيبُ وقعد بين يدي السلطان وتكلَّم بكلام كثير. وهنالك رجلٌ بيده رمحٌ يُبَيّنُ للناس بلسانهم كلامَ الخطيب، وذلك وعظ وتذكير، وثناءٌ على السلطان، وتحريضٌ على لزوم طاعته وأداء حقه.

ويجلس السلطان في أيام العيدين بعد العصر على البَنْي، ويأتي السِلَحْداريَّة بالسلاح العجيب من تراكش الذهب، والفضة، والسيوف المحلاَّة بالذهب، وأغمادُها منه، ورماح الذهب والفضة، ودبابيس البلّور، ويقف على رأسه أربعة من الأُمراء يشرّدون الذباب، وفي أيديهم حِلْيَةٌ من الفضة تُشبه ركاب السرج. ويجلس الفرارية والقاضي والخطيب على

العادة، ويأْتي دوغا الترجمان بنسائه الأربع وجواريه، وهن نحو مئة، عليهن الملابسُ الحسان، وعلى رؤوسهن عصائبُ الذهب والفضَّة، فيها تفافيح ذهب وفضَّة، ويُنْصَبُ لدوغا كرسيّ يجلس عليه، ويُضرب بالآلة التي هي من قصب، وتحتها قُرَيْعات، ويُغني بشعر يمدح السلطان فيه، ويذكر غزواته وأفعاله، ويغني النساء والجواري معه، ويلعبن بالقسيّ.

ويكون معهن نحو ثلاثين من غلمانه، عليهم جبابُ اللفّ الحُمْر، وفي رؤوسهم الشواشي البيض، وكلّ واحد منهم متقلّدٌ طبلَه يضربه، ثم يأْتي أصحابُه من الصبيان فيلعبون ويتقلّبون في الهواء، كما يفعل السنديّ. ولهم في ذلك رشاقة وخفَّة بديعة. ويلعبون بالسيوف أجمل لعب. ويلعب دوغا بالسيف لعباً بديعاً، وعند ذلك يأْمر السلطانُ له بالإحسان، فيؤتى بصرّةٍ فيها مائتا مثقال من التبر، ويُذكر له ما فيها على رؤوس الناس، وتقوم الفرارية فينزعون في قسيّهم شكراً للسلطان، وبالغد يُعطي كلُّ واحد منهم لدوغا عطاء على قدره. وفي كل يوم جمعة بعد العصر، يفعل دوغا مثل هذا الترتيب الذي ذكرناه.

❊ ❊ ❊

إنشاد الشعراء للسلطان

وإذا كان يوم العيد وأتمّ دوغا لَعِبَه جاء الشعراءُ، ويُسَمَّوْن الجُلا، وأحدهم جالي. وقد دخل كلُّ واحدٍ منهم في جوف صورةٍ مصنوعة من الريش تشبه الشقشاق، وجُعل لها رأس من الخشب له منقارٌ أحمرُ كأنه رأْس الشقشاق. ويقفون بين يديْ السلطان بتلك الهيئة المضحكة فيُنشدون أشعارهم. وذُكر لي أنَّ شعرهم نوع من الوعظ يقولون فيه للسلطان: إنَّ هذا البَنْي الذي عليه، جلس فوقه من الملوك فلان، وكان من حسن أفعاله كذا، وفلان وكان من أفعاله كذا، فافعل أنتَ من الخير ما يُذكرُ بعدك، ثم يصعد كبيرُ الشعراء على درج البَنْي، ويضع رأسه في حجر السلطان، ثم

يصعد إلى أعلى البَنْي فيضع رأسه على كتف السلطان اليمنى، ثم على كتفه اليسرى، وهو يتكلَّم بلسانهم، ثم ينزل. وأُخبرتُ أنَّ هذا الفعل لم يزل قديماً عندهم قبل الإسلام، فاستمرُّوا عليه.

❊ ❊ ❊

السلطان يتبرأ من الظلم

وحضرتُ مجلس السلطان في بعض الأيام، فأتى أحدُ فقهائهم وكان قَدِمَ من بلاد بعيدة، وقام بين يديْ السلطان وتكلَّم كلاماً كثيراً. فقام القاضي فصدّقه، ثم صدّقهما السلطان، فوضع كلّ واحدٍ منهما عمامته عن رأسه، وتَرّب بين يديه. وكان إلى جانبي رجلٌ من البيضان فقال لي: أتعرف ما قالوه؟

فقلتُ: لا أعرف.

فقال: إن الفقيه أخبر أنَّ الجراد وقع ببلادهم، فخرج أحدُ صلحائهم إلى موضع الجراد، فهاله أمره، فقال:

ـ هذا جراد كثير.

فأجابتْه جرادةٌ منها وقالت:

ـ إن البلاد التي يكثُر فيها الظلم يبعثنا الله لفساد زرعها.

فصدَّقه القاضي والسلطان. وقال عند ذلك للأُمراء.

ـ إني بريء من الظلم. ومَنْ ظلم منكم عاقبتُه. ومَنْ علم بظالم ولم يُعلمني به فذنوبُ ذلك الظالم في عُنقه، واللَّهُ حسيبُه وسائله.

ولمَّا قال هذا الكلام وضع الفراريَّة عمائمهم عن رؤوسهم وتبرّؤُوا من الظلم.

❊ ❊ ❊

حكاية عن عدل السلطان

وحضرتُ الجمعة يوماً، فقام أحد التجّار من طَلَبَة مَسُّوفة ويُسمَّى بأبي حفص فقال:

ـ يا أهل المسجد! أُشهدكم أن مَنْسى سليمان في دعوتي إلى رسولِ الله ﷺ.

فلما قال ذلك خرج إليه جماعةُ رجال من مقصورةِ السلطان فقالوا له:

ـ مَنْ ظلمك؟ مَنْ أخذ لك شيئاً؟

فقال:

ـ منشاجو ايوالاتن، يعني: مُشْرِفُها، أخذ مني ما قيمتُه ست مئة مثقال وأراد أن يُعطيني في مقابلته مئة مثقال خاصَّة.

فبعث السلطان إليه للحين، فحضر بعد أيام، وصرفهما للقاضي. فثبت للتاجر حقه، فأخذه. وبعد ذلك عُزل المشرف عن عمله.

❋ ❋ ❋

زوجة السلطان وبنات عمه

واتفق في أيّام إقامتي بمالي أنَّ السلطان غضب على زوجته الكبرى بنت عمِّه المدعوة بقاسا. ومعنى قاسا عندهم الملكة. وهي شريكتُه في المُلْك على عادة السودان، ويُذكر اسمُها مع اسمه على المنبر، وسَجَنَها عند بعض الفرارية، وولّى في مكانها زوجته الأخرى بنجو، ولم تكن من بنات الملوك، فأكثر الناسُ الكلامَ في ذلك، وأنكروا فعله، ودخل بناتُ عمِّه على بنجو يهنّئْنَها بالمملكة، فجعلن الرماد على أذرعهن ولم يُتربْن رؤوسهنَّ. ثم إن السلطان سرَّح قاسا من ثقافها، فدخل عليها بناتُ عمِّه

يهنئنها بالسراح، وتَرَّبن على العادة. فشكت بنجو إلى السلطان ذلك. فغضب على بنات عمِّه، فخفْنَ منه، واستجَرْن بالجامع، فعفا عنهن واستدعاهن.

وعادتهنَّ إذا دَخَلْنَ على السلطان أن يتجرَّدْن عن ثيابهن، ويدخلن عرايا. ففعَلْنَ ذلك، ورضي عنهن، وصِرْن يأْتين باب السلطان غُدُوّاً وعَشِيًّا مدَّة سبعة أيام. وكذلك يفعل كلّ مَنْ عَفَا عنه السلطان.

وصارت قاسا تركب كُلَّ يوم في جواريها وعقيدها، وعلى رؤوسهم التراب، وتقف عند المشور متنقبةً لا يُرى وجهُهَا، وأكثر الأُمراءُ الكلام في شأْنها، فجمعهم السلطان في المشور، وقال لهم دوغا على لسانه:

إنكم قد أكثرتم الكلام في أمر قاسا، وإنها أذنبت ذنباً كبيراً.

ثم أتى بجارية من جواريها مقيَّدة مغلولة، فقيل لها:

ـ تكلَّمي بما عندك.

فأخبرتْ أنَّ قاسا بعثتْها إلى جاطل ابن عم السلطان الهارب عنه إلى كنبرني، واستدعَتْه ليخلع السلطان عن مُلكه، وقالت له:

ـ أنا وجميع العساكر طوعُ أمرك.

فلما سمع الأُمراء ذلك قالوا:

ـ إن هذا ذنب كبير، وهي تستحق القتلَ عليه!

فخافت قاسا من ذلك، واستجارت بدار الخطيب، وعادتُهم أن يستجيروا هنالك بالمسجد، وإن لم يمكن فبدار الخطيب.

وكان السودان يكرهون مَنْسى سليمان لبخله.

وكان قبله منسى مَغَا.

وقبل منسى مغا منسى موسى، وكان كريماً فاضلاً يحبّ البيضان ويُحسن إليهم. وهو الذي أعطى لأبي إسحاق الساحلي في يوم واحد أربعة آلاف مثقال. وأخبرني بعض الثقات أنه أعطى لمدرك بن فقوص ثلاثة

آلاف مثقال في يوم واحد. وكان جدّه سارق جاظه أسلم على يدي جدّ مُدْرك هذا.

❊ ❊ ❊

حكاية الحسنة بعشر أمثالها

وأخبرني الفقيه مدرك هذا أن رجلاً من أهل تلمسان، يُعرف بابن شيخ اللبن، كان قد أحسن إلى السلطان مَنْسى موسى في صغره بسبعة مثاقيل وثلث، وهو يومئذ صبيٌّ غير معتبر. ثم اتفق أن جاء إليه في خصومةٍ وهو سلطان، فعرفه وأدناه منه حتى جلس معه على البني. ثم قرَّره على فعله معه، وقال للأُمراء:

ـ ما جزاء مَنْ فعل ما فعله من الخيْر؟

فقالوا له:

ـ الحسنةُ بعشر أمثالها، فاعْطِهِ سبعين مثقالاً!

فأعطاه عند ذلك سبع مئة مثقال، وكسوة، وعبيداً، وخدماً. وأمره أن لا ينقطع عنه.

وأخبرني بهذه الحكاية أيضاً ولد ابن شيخ اللبن المذكور، وهو من الطلبة يُعلِّم القرآن بمالي.

❊ ❊ ❊

ذكر ما استحسنته من أفعال السودان

فمن أفعالهم الحسنة قلة الظلم. فهم أبعدُ الناس عنه، وسلطانُهم لا يُسامح أحداً في شيءٍ منه.

ومنها شمولُ الأمن في بلادهم، فلا يخافُ المسافرُ فيها ولا المقيم من سارق ولا غاصب.

ومنها عدمُ تعرّضهم لمال من يموتُ ببلادهم، من البيضان، ولو كان القناطيرَ المقنطرة. إنَّما يتركونه بيد ثقة من البيضان حتى يأخذه مستحقُّه.

ومنها مواظبتُهم للصلوات والتزامهم لها في الجماعات، وضربهم أولادهم عليها، وإذا كان يوم الجمعة ولم يبكر الإنسان إلى المسجد لم يجد أين يصلي لكثرة الزحام.

ومن عادتهم أن يبعث كلّ إنسان غلامه بسجادته فيبسطها له بموضع يستحفظُه بها، حتى يذهب إلى المسجد. وسجَّاداتهم من سعف شجر يشبه النخل، ولا ثمرَ له.

ومنها لباسُهم الثياب البيض الحِسان يوم الجمعة، ولو لم يكن لأحدهم إلاَّ قميص خَلَق، غَسَلَهُ ونظَّفه وصلى به الجمعة.

ومنها عنايتُهم بحفظ القرآن العظيم. وهم يجعلون لأولادهم القيود إذا ظهر في حقّهم التقصير في حفظه، فلا تُفكُّ عنهم حتى يحفظوه. ولقد دخلتُ على القاضي يوم العيد، وأولاده مقيَّدون، فقلتُ له:

ـ ألا تسرّحهم؟

فقال:

ـ لا أفعل حتى يحفظوا القرآن.

ـ ومررتُ يوماً بشابٍ منهم حسن الصورة، عليه ثياب فاخرة، وفي رجله قيد ثقيل. فقلتُ لمن كان معي:

ـ ما فَعَلَ هذا؟ أَقَتَلَ؟

ففهم عني الشاب وضحك، وقيل لي:

ـ إنما قُيّد حتى يحفظ القرآن.

ومن مساوئ أفعالهم كونُ الخدم والجواري والبنات الصغار يظهرن للناس عرايا باديات العورات. ولقد كنت أرى في رمضان كثيراً منهن على تلك الصورة، فإن عادة الفرارية أن يُفطروا بدار السلطان، ويأْتي كلّ واحد منهم بطعامه، تحمله العشرون فما فوقهن من جواريه، وهنّ عرايا.

ومنها دخولُ النساء على السلطان عرايا غَيْر مستترات، وتعرِّي بناته. ولقد رأيتُ في ليلة سبع وعشرين من رمضان نحو مئة جارية خرجْنَ بالطعام من قصره عرايا، ومعهن بنتان له ناهِدان، ليس عليهما ستر.

ومنها جعلُهم التراب والرماد على رؤوسهم تأدّباً.

ومنها ما ذكرتُه من الأُضحوكة في إنشاد الشعراء، ومنها أن كثيراً منهم يأْكلون الجيف والكلاب والحمير.

❊ ❊ ❊

ذكر سفري عن مالي

وكان دخولي إليها في الرابع عشر لجُمادى الأولى سنة ثلاث وخمسين، وخروجي عنها في الثاني والعشرين لمحرَّم سنة أربع وخمسين. ورافقني تاجر يُعرف بأبي بكر ابن يعقوب. وقصدنا طريق مسيمة. وكان لي جَمَل أركبه لأن الخيْلَ غالية الأثمان يُساوي أحدُها مئة مثقال.

فوصلنا إلى خليج كبير يخرج من النيل، لا يُجاز إلاَّ في المراكب، وذلك الموضع كثير البعوض، فلا يمرّ أحد به إلاَّ بالليل. ووصلنا الخليج ثلث الليل، والليلُ مُقمر.

❊ ❊ ❊

ذكر الخيل التي تكون بالنيل

ولمَّا وصلنا الخليج رأيتُ على ضفّته ست عشرة دابة ضخمة الخلقة، فعجبتُ منها، وظننتُها فِيَلَةَ لكثرتها هناك. ثم إني رأيتُها دَخلت في النهر. فقلتُ لأبي بكر ابن يعقوب: ما هذه الدوابّ؟ فقال: هي خيل البحر، خرجت ترعى في البرّ، وهي أغلظُ من الخيل، ولها أعرافٌ وأذناب، ورؤوسها كرؤُوس الخيل، وأرجلُها كأرجل الفيلة.

ورأيتُ هذه الخيلَ مرَّة أخرى لمَّا ركبنا النيل من تُنْبُكتو إلى كَوْكَوْ. وهي تعومُ في الماء وترفع رؤُوسها، وتنفخ. وخاف منها أهل المركب فقربوا من البرِّ لئلا تغرقهم. ولهم حيلةٌ في صيدها حسنة، وذلك أن لهم رماحاً مثقوبة قد جُعل في ثقبها شرائط وثيقة، فيضربون الفرس منها، فإن صادفت الضربةُ رجله أو عنقَه أنفذته، وجذبوه بالحبل حتى يصل إلى الساحل، فيقتلونه ويأْكلون لحمه. ومن عظامها بالساحل كثير.

❋ ❋ ❋

لا سارق في تلك البلاد

وكان نزولنا عند هذا الخليج بقرية كبيرة عليها حاكم من السودان، حاجّ فاضل، يُسمَّى فَربا مغَا. وهو ممَّن حجَّ مع السلطان منسى موسى لما حجَّ.

أخبرني فَربا مغَا أنَّ مَنْسى موسى لما وصل إلى هذا الخليج كان معه قاضي من البيضان يُكنى بأبي العباس، ويُعرف بالدُكَّالي. فأحسن إليه بأربعة آلاف مثقال سُرِقَتْ له من داره. فاستحضر السلطان أمير ميمة، وتوَّعده بالقتل إن لم يُحضر مَنْ سَرَقها. وطلب الأميرُ السارق فلم يجد أحداً. ولا سارقَ يكون بتلك البلاد. فدخل دار القاضي واشتدَّ على

خُدَّامه، وهدَّدهم. فقالت إحدى جواريه: ما ضاع له شيءٌ، وإنما دفنها بيده في ذلك الموضع. وأشارت له إلى الموضع. فأخرجها الأمير وأتى بها السلطان، وعَرَّفه الخبر. فغضب على القاضي ونفاه إلى بلاد الكُفَّار الذين يأْكلون بني آدم. فأقام عندهم أربع سنين. ثم ردّه إلى بلده. وإنما لم يأكله الكفَّار لبياضه، لأنهم يقولون: إنَّ أكل الأبيض مُضرٌ. والأسودُ هو النضج بزعمهم.

❀ ❀ ❀

تنبكتو

. . . ثم رحلنا إلى بلدة ميمة فنزلنا على آبارٍ بخارجها.

ثم سافرنا منها إلى مدينة تُنْبُكْتُو، وبينها وبين النيل أربعة أميال. وأكثر سكَّانها مسُّوفة أهلُ اللثام. وحاكمها يُسمى فربا موسى. حضرتُ عنده يوماً وقد قدم أحد مسّوفة أميراً على جماعة، فجعل عليه ثوباً وعمامة وسراولاً كلّها مصبوغة. وأجلسه على درقة، ورفعه كبراء قبيلته على رؤُوسهم.

وبهذه البلدة قبر الشاعر المفلق أبي إسحاق الساحلي الغرناطي المعروف ببلده بالطُوَيْجن. وبها قبر سراج الدين ابن الكويْك أحدُ كبار التجار من أهل الإسكندرية.

وكان السلطان منسى موسى لما حجّ نزل بروضٍ لسراج الدين هذا، ببركة الحبَش، خارج مصر. وبها ينزل السلطان. واحتاج إلى مال فتسلّفه من سراج الدين. وتسلَّف منه أمراؤُه أيضاً. وبعث معهم سراج الدين وكيله يقتضي المال. فأقام بمالي. فتوجَّه سراج الدين بنفسه لاقتضاء ماله، ومعه ابنٌ له، فلما وصل تنبكتو أضافه أبو إسحاق الساحلي. فكان من القَدَرِ موته تلك الليلة. فتكلَّم الناس في ذلك، واتَّهموا أنَّه سُمَّ. فقال لهم ولدهُ: إني أكلتُ معه ذلك الطعام بعينه، فلو كان فيه سُمٌّ لقتلنا جميعاً، لكنه

انقضى أجله. ووصل الولد إلى مالي، واقتضى ماله، وانصرف إلى ديار مصر.

❊ ❊ ❊

أمير عنده المدهش لابن الجوزي

ومن تُنْبكتو ركبتُ النيل في مركب صغير منحوت من خشبة واحدة، وكنا ننزل كلّ ليلة بالقرى فنشتري ما نحتاج إليه من الطعام والسمن بالملح وبالعطريَّات وبحلي الزجاج، ثم وصلت إلى بلدٍ أُنسيتُ اسمه، له أمير فاضلٌ، حاجٌ، يُسمَّى فربا سليمان، مشهور بالشجاعة والشدَّة. لا يتعاطى أحدٌ النزع في قوسه. ولم أر في السودان أطول منه ولا أضخم جسماً. واحتجتُ بهذه البلدة إلى شيءٍ من الذرة، فجئتُ إليه، وذلك يوم مولد رسولِ الله ﷺ. فسلَّمتُ عليه. وسألني عن مقدمي. وكان معه فقيه يكتب له، فأخذتُ لوحاً كان بين يديه، وكتبتُ فيه: يا فقيه! قل لهذا الأمير إنَّما نحتاج إلى شيءٍ من الذرة للزاد، والسلام. وناولتُ الفقيه اللوح يقرأ ما فيه، ويكلّم سرًّا الأمير في ذلك بلسانه. فقرأ جَهْراً. وفهمه الأمير. فأخذ بيدي وأدخلني إلى مشْوَره، وبه سلاح كثير من الدَّرَق والقسيّ والرماح. ووجدتُ عنده كتاب المدهش لابن الجوزي، فجعلتُ أقرأُ فيه. ثم أتى بمشروب لهم يسمَّى الدَّقْنو، وهو ماء فيه جريش الذرة مخلوط بيسير عسلٍ أو لبن، وهم يشربونه عِوَض الماء، لأنهم إن شربوا الماء خالصاً أضرَّ بهم، وإن لم يجدوا الذرة خلطوه بالعسل أو اللبن. ثم أتى ببطيخ أخضر فأكلنا منه، ودخل غلام خماسيٌّ فدعاه وقال لي: هذا ضيافتُك، واحفظه لئلا يفرّ. فأخذتُه وأردتُ الانصراف، فقال: أقمْ حتى يأتي الطعام. وجاءت إلينا جارية له دمشقيَّة عربيَّة فكلمتني بالعربي.

فبينما نحن في ذلك سمعنا صراخاً بداره. فوَّجه الجارية لتعرف خبر ذلك. فعادت إليه فأعلمتْه أنَّ بنتاً له قد توفيت، فقال: إنِّي لا أحب

البكاء، فتعال نمشي إلى البحر، يعني النيل، وله على ساحله ديار. فأتى بالفَرَس فقال لي: اركب. فقلتُ: لا أركبه وأنت ماش. فمشينا جميعاً. ووصلنا إلى دياره على النيل. وأتى بالطعام. فأكلنا وودعتُه وانصرفت. ولم أر في السودان أكرم منه ولا أفضل. والغلامُ الذي أعطانيه باقٍ عندي إلى الآن.

❊ ❊ ❊

مدينة كوكو

ثم سرتُ إلى مدينة كَوْكَوْ، وهي مدينة كبيرة على النيل من أحسن مدن السودان، وأكبرها، وأخصبها. فيها الأرز الكثير، واللبن، والدجاج، والسمك. وبها الفقّوس العناني الذي لا نظير له. وتعامُلُ أهلها في البَيْع والشراء بالوَدَع. وكذلك أهلُ مالي. وأقمتُ بها نحو شهر.

وأضافني بها محمد بن عمر من أهل مكناسة، وكان ظريفاً مزّاحاً فاضلاً. وتوفي بها بعد خروجي عنها. وأضافني بها الحاج محمد الوجدي التازي، وهو ممَّن دخل اليمن، والفقيه محمد الفيلالي إمام مسجد البيضان(١).

ثم سافرتُ منها برسم تَكَداً في البر مع قافلة كبيرة للغدامسيّين، دليلهم ومقدمهم الحاج وُجّين، ومعناه: الذئب بلسان السودان، وكان لي جمل لركوبي وناقة لحمل الزاد، فلما رحلنا أول مرحلة وقفت الناقة، فأخذ الحاج وُجّين ما كان عليها وقسَّمه على أصحابه، فتوزَّعوا حملَه. وكان في الرفقة مغربي من أهل تادلي، فأبى أن يَرفع من ذلك شيئاً، كما فعل غيره، وعطش غلامي يوماً، فطلبت منه الماء فلم يسمح به.

ثم وصلنا إلى بلاد بِرْدامة، وهي قبيلة من البربر، ولا تسير القوافل

---

(١) رحلة ابن بطوطة، ص٦٧٨ ـ ٦٩٦، طبعة صادر، بيروت.

إلا في حُفارتهم، والمرأة عندهم في ذلك أعظم شأناً من الرجل، وهم رحَّالةٌ لا يقيمون، وبيوتهم غريبة الشكل؛ فيقيمون أعواداً من الخشب ويضعون عليه الحصر، وفوق ذلك أعوادٌ مشتبكة، وفوقها الجلود أو ثياب القطن. ونساؤهم أتمّ النساء جمالاً، وأبدعهنّ صوراً مع البياض الناصع والسّمن، ولم أر في البلاد مَن يبلغ مبلغهن في السمن، وطعامهنّ حليب البقر وجريش الذرة يشربنه مخلوطاً بالماء غير مطبوخ، عند المساء والصباح، ومَن أراد التَّزوّج منهن سكن في أقرب البلاد إليهن، ولا يتجاوز كوكو ولا إيوالاتن.

وأصابني المرض في هذه البلاد لاشتداد الحرّ وغلبة الصفراء. واجتهدنا في السير إلى أن وصَلنا إلى مدينة تكدّا، ونزلتُ بها في جوار شيخ المغاربة سعيد بن علي الجُزولي، وأضافني قاضيها أبو إبراهيم إسحاق الجاناتي، وهو من الأفاضل، وأضافني جعفر بن محمد المسّوفي.

وديار تكدّا مبنية بالحجارة الحمر، وماؤها يجري على معادن النحاس، فيتغير لونهُ وطعمه بذلك، ولا زرع بها إلاَّ يسيرٌ من القمح يأكله التجَّار والغرباء، ويُباع بحساب عشرين مُدّاً من أمدادهم بمثقال الذهب، ومدّهم ثلثُ المدّ ببلدنا، وتُباع الذّرة عندهم بحساب تسعين مدّاً بمثقال ذهب، وهي كثيرة العقارب، وعقاربها تقتل من كان صبيّاً لم يبلغ، وأمَّا الرجال فقلَّما تقتلهم. ولقد لدغَت يوماً، وأنا بها، ولداً للشيخ سعيد بن عليّ عند الصبح فمات لحينه، وحضرتُ جنازتهُ.

ولا شغل لأهل تَكدا إلا التجارة، يسافرون كل عام إلى مصر، ويجلبون من كلّ ما فيها من حسان الثياب، وسواها. ولأهلها رفاهية وسعة حال، ويتفاخرون بكثرة العبيد والخدم، وكذلك أهل ماليّ وإيوالاتن، ولا يبيعون المعلّمات منهنّ إلا نادراً وبالثمن الكثير.

• حكاية جوارٍ معلمات:

أردتُ لمَّا دخلتُ تَكَدّا شراء خادم معلّمة، فلم أجدها، ثم بعثَ إلي

القاضي أبو إبراهيم بخادم لبعض أصحابه، فاشتريتها بخمسة وعشرين مثقالاً، ثم إن صاحبها ندم ورغب في الإقالة، فقلت له: إن دللتني على سواها أقلتك؛ فدلَّني على خادم لعلي أغيول وهو المغربي التادلي الذي أبى أن يرفع شيئاً من أسبابي حين وَقعت ناقتي، وأبى أن يسقي غلامي الماء حين عطش، فاشتريتها منه، وكانت خيراً من الأولى، وأقلتُ صاحبي الأول. ثمَّ ندم هذا المغربي على بيع الخادم، ورغب في الإقالة وألحَّ في ذلك فأبَيتُ إلا أن أجازيه بسوء فعله، فكاد أن يُجنّ أو يهلك أسفاً، ثم أقلته بعدُ.

● ذكر معدن النحاس:

ومعدن النحاس بخارج تَكدا يحفرون عليه في الأرض، ويأتون به إلى البلد، فيسبكونه في دورهم، يفعلُ ذلك عبيدهم وخدمهم، فإذا سبكوه نحاساً أحمر صنَعوا منه قضباناً في طول شبر ونصف، بعضها رقاقٌ وبعضها غلاظ؛ فتُباع الغلاظُ منها بحساب أربعمائة قضيبٍ بمثقال ذهب، وتُباع الرّقاق بحساب ستمائة وسبعمائة بمثقال، وهي صرفهم يشترون برقاقها اللحم والحطبَ، ويشترون بغلاظها العبيد والخدم والذرة والسمن والقمح، ويحمل النحاس منها إلى مدينة كوبر من بلاد الكفَّار، وإلى زَغَاي، وإلا بلاد برنو، وهي على مسيرة أربعينَ يوماً من تكدا، وأهلها مسلمون، لهم ملك اسمه: إدريس، لا يظهرُ للناس، ولا يكلمهم إلا من وراء حجاب. ومن هذه البلاد يؤتى بالجواري الحسان والفتيان، وبالثياب المجسدة، ويُحملُ النحاسُ أيضاً منها إلى جوجوة وبلاد المورتبين وسواها.

● ذكر سلطان تكدّا:

وفي أيَّام إقامتي بها توجَّه القاضي أبو إبراهيم، والخطيب محمد، المدرّس أبو حفص، والشيخ سعيد بن عليّ إلى سلطان تكدّا، وهو بربري يسمَّى: إزار، وكان على مسيرة يوم منها، ووقعت بينه وبين التكركري

ـ وهو من سلاطين البربر أيضاً ـ منازعة فذهبوا إلى الإصلاح بينهما، فأردتُ أن ألقاه، فاكتريت دليلاً وتوجَّهت إليه، وأعلمه المذكورون بقدومي، فجاء إليّ راكباً فرساً دون سرج، وتلك عادتهم وقد جعل عوض السرج طُنفسة حمراء بديعة، وعليه ملحفة وسراويل وعِمامة كلها زرق، ومعه أولاد أخته، وهم الذين يرثون ملكه، فقمنا إليه وصافحناه، وسأل عن حالي ومقدمي فأُعلم بذلك وأنزلني ببيت من بيوت اليناطبين وهم كالوصفان عندنا، وبعث برأس غنم مشوي في السفود، وقَعب من حليب البقر، وكان في جوارنا بيت أمه وأخته، فجاءتا إلينا وسلَّمتا علينا، وكانت أمّه تبعث لنا الحليب بعد العتمة، وهو وقت حلبهم، ويشربونه ذلك الوقت وبالغدو، وأما الطعام فلا يأكلونه ولا يعرفونه. وأقمتُ عندهم ستة أيام، وفي كل يوم يبعثُ بكبشين مشويين عند الصباح والمساء، وأحسن إلي بناقة وعشرة مثاقيل من الذهب، وانصرفتُ عنه وعدت إلى تكدّا.

● ذكر وصول الأمر الكريم إليَّ:

ولمَّا عدت إلى تكدّا وصل غلام الحاج محمد بن سعيد السَّجلماسي بأمر مولانا أمير المؤمنين وناصر الدين المتوكّل على ربّ العالمين آمراً لي بالوصول إلى حضرته العلية، فقبَّلته وامتَثلته على الفور، واشتريت جملين لركوبي بسبعة وثلاثين مثقالاً وثلث، وقصدتُ السفر إلى توات، وإنما يوجد اللحم واللبن والسمن يُشترى بالأثواب. وخرجتُ من تكدا يومَ الخميس الحادي عشر لشعبان سنة أربع وخمسين في رفقة كبيرة، فيهم جعفر التواتي، وهو من الفضلاء، ومعنا الفقيه محمد بن عبدالله قاضي تكدّا، وفي الرفقة نحو ستمائة خادم، فوصلنا إلى كاهر من بلاد السلطان الكركري، وهي أرض كثيرة الأعشاب يشتري بها الناس من برابرها الغنم ويقددون لحمها، ويحمله أهل تاوت إلى بلادهم، ودخلنا منها إلى برية لا عمارة بها إلا أن بها الماء، ووصَلنا إلى الموضع الذي يفترق به طريقُ غات الآخذ إلى ديار مصر وطريقُ توات. وهنالك أحساء ماء يجري على الحديد، فإذا غسل به الثوب الأبيض اسودّ لونه.

وسرنا من هنالك عشرة أيام ووصلنا إلى بلاد هكَّار، وهم طائفة من البربر ملثمون، لا خير عندهم، ولقينا أحد كبرائهم فحبس القافلة حتى غرموا له أثواباً وسواها، وكان وصولنا إلى بلادهم في شهر رمضان، وهم لا يغيرون فيه، ولا يعترضون القوافل، وإذا وجد سرّاقها المتاع بالطريق في رمضان لم يعرضوا له، وكذلك جميع مَن بهذه الطريق من البربر.

وسرنا في بلاد هكَّار شهراً، وهي قليلة النبات، كثيرة الحجارة، طريقها وعرٌ، ووصلنا يوم عيد الفطر إلى بلاد برابر أهل لثام كهؤلاء، فأخبرونا بأخبار بلادنا، وأعلمونا أن أولاد خراج وابن يغمور خالفوا وسكنوا تسابيت من توات، فخاف أهل القافلة من ذلك، ثم وصلنا إلى بودَا، وهي من أكبر قرى توات، وأرضها رمال وسباخٌ، وتمرها كثيرٌ ليس بطيب لكن أهلها يفضلونه على تمر سجلماسة، ولا زرع بها ولا سمن ولا زيت، وإنما يجلب لها ذلك من بلاد المغرب، وأكل أهلها التمر، والجراد، وهو كثير عندهم يختزنونه كما يختزن التمر ويقتاتون به، ويخرجون إلى صيده قبل طلوع الشمس؛ فإنه لا يطير إذ ذاك لأجل البرد.

وأقمنا ببودا أياماً، ثم سافرنا في قافلة ووصلنا في أوسط ذي القعدة إلى مدينة سجلماسة وخرجت منها في ثاني ذي الحجة، وذلك أوان البرد الشديد، ونزل بالطريق ثلج كثيرٌ، ولقد رأيتُ الطرق الصعبة والثلج الكثير ببخارى وسمرقند وخُراسان وبلاد الأتراك، فلم أر أصعب من طريق أم جُنيبة، ووصلنا ليلة عيد الأضحى إلى دار الطمع، فأقمتُ هنالك يوم الأضحى، ثم خرجتُ فوصلتُ إلى حضرة فاس، حضرة مولانا أمير المؤمنين، أيَّده الله، فقبَّلتُ يدهُ الكريمة، وتيمَّمتُ بمُشاهدة وجهه المُبارك، وأقمتُ في كنف إحسانه، بعد طول الرحلة، والله تعالى يشكر ما أولانيه من جزيل إحسانه، وسابغ امتنانه، ويديم أيامه، ويُمتّع المسلمين بطول بقائه.

وهٰهنا انتهت الرحلة المُسمَّاة: «تُحفة النظَّار، في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار»، وكان الفراغ من تقييدها في ثالث ذي الحجة عام ستة وخمسين وسبعمائة. والحمد لله، وسلام على عباده الذين اصطفى[(١)].

○ ○ ○ ○ ○ ○

(١) وبهذا ينتهي ما قيَّده الرحَّالة ابن بطوطة عن مملكة مالي الإسلامية.

الذب عن نسب وجناب
رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم تسليماً)

بيان أخطاء وأوهام شائعة حول
نسب وإسلام قبيلة كيتا ملوك مالي
المنتسبين إلى بني صالح ملوك غانة




المبحث الأول

ونتناول فيه عرضاً مفصلاً عن كل ما كتب ونشر وأشيع وأذيع عن إسلام أول ملك من ملوك مالي من أسرة كيتا وما ترتب على ذلك من نفي لنسبهم الشريف.

وسنخصص هذا المبحث الأول لسرد تاريخي واستعراض كامل لتلك الأخطاء والأوهام التي وقع فيها بعض المؤرخين والنسَّابين عن بداية دخول قبيلة كيتا في الإسلام وربط نسبهم بقبائل الماندنجو المالنكية السودانية فقط لا غير.

وتجنباً للإطالة ومخافة السآمة والملل سنخصص منشوراً آخر مستقلاً عن هذا المنشور ينشر لاحقاً إن شاء الله تعالى للرد على ما تم عرضه من أخطاء وأوهام ومغالطات في هذا المنشور الذي بين أيدينا فيجب الانتباه لهذا جيداً.

وقد قسمت هذا المبحث الأول إلى محورين:

أ ـ مقدمة نشرح فيها أسباب ورود بعض الأخطاء في الطبعة الأولى من كتابنا (تاريخ بني صالح شرفاء كمبي صالح ملوك غانة ومالي من بلاد السودان).

ب ـ عرض: نستعرض فيه تلك الأخطاء والأوهام والمغالطات التي هي عنوان هذا المنشور، فإلى:

أ ـ المقدمة

وهي بيان لتلك الأسباب التي أشرت إليها آنفاً.

١ ـ لقد كنت أنوي أن لا أكتب ولا أنشر شيئاً عن نسب وتاريخ بني صالح ملوك غانة ومالي من بلاد السودان، إلا بعد جمع واكتمال المادة العلمية موضوع البحث من المراجع والمصادر العلمية من جهة، والمخطوطات والوثائق المحلية من جهة أخرى.

إلا أن ظروف العمل والإقامة خارج غرب أفريقيا والتي هي بيئة البحث وميدانه حالت بيني وبين البحث في الموروث الثقافي المحلي من كتب ومخطوطات ووثائق.

ومخافة أن تفتر همتي وتضعف عزيمتي ويتوقف البحث نهائياً، قررت أن أكتب وأنشر بعض ما جمعت من معلومات من المراجع والمصادر النسبية والتاريخية التي توفرت لي ريثما ييسر الله لي فرصة أخرى للنزول إلى منطقة غرب أفريقيا مجال البحث بحكم تبعيتها التاريخية والجغرافية لمملكتي غانة ومالي سابقاً وهي موطن قبيلة بني صالح بفروعها اليوم.

إلا أنه وبعد صدور الطبعة الأولى من الكتاب يسر الله لي بعض المراجع والمصادر التي تطرقت لشرف بني صالح وملكهم لغانة ومالي لم تكن في متناولي من قبل.

وبناءً عليها اكتشفت أخطاء صدرت في الكتاب منها على سبيل المثال تحديد الفترة الزمنية التي وصل فيها بنو صالح إلى مملكة غانة وحكمهم لها، ومنها: اختلاف النسَّابين في عمود نسب جدنا صالح الجوني هل هو أخيضري؟ أم من نسل عبدالله الرضا الشيخ الصالح؟ وهل هو ابنه المباشر أم حفيده؟

ومنها: تحديد الفترة الزمنية لتأسيس ملوك مالي من أسرة كيتا ـ والتي تدعي الانتساب إلى بني صالح ملوك غانة ـ لمملكتهم، وتحديد أول من ملكها منهم.

كل هذه الأمور كان عندي فيها لبس قبل أن ينجلي بحصولي على مصادر ومراجع علمية جديدة.

مما جعلني أقوم بمراجعة وتقييم لما كتبته ونشرته سابقاً.

٢ ـ لم يسبق أن كتب باحث ولا مؤرخ قبلي بحثاً خاصاً مستقلاً بملوك غانة ومالي من الطالبيين حتى أعتمد عليه وينير لي درب البحث، وإنما كل ما كتب في هذا الموضوع عبارة عن نتف متشتتة في كتب النسَّابين والمؤرخين والسير والتراجم والجغرافيا والرحلات والبلدان مما يصعب مهمة من يتصدى للبحث فيها أولاً، وبخاصة إذا لم تتيسر له سبل الترحال والتجوال بين مراكز البحوث والدراسات ومكتبات المخطوطات مظان المادة العلمية للبحث، فقررت مستعيناً بالله وضع لبنة أولى تكون الأساس لتحقيق هذا الهدف، تمثلت في أربعة أجزاء، طبعت في مجلدين، خصصت الجزء الثالث منها للدفاع عن عقيدة التوحيد ومحاربة أهل البدع والأهواء من السحرة والمشعوذين وأصحاب الخرافة، وللذب عن نسب وجناب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تسليماً وتنقيته من انتحال المنتحلين لذلك النسب الشريف وإبطال المبطلين بدعوى الحيازة التي لا تستند على حكم شرعي قاطع ولا على دليل من نسب وبرهان ساطع. وركزت فيه على أدعياء النسب الشريف بالمغرب وموريتانيا لكثرة المدعين له في تلك البلاد بغير حق، وانعدام من ينكر عليهم ذلك.

مما عرضني منذ سنوات لحملة وهجمة شعواء بدأت بهدر دمي وتوجت بالطعن والتشكيك في صحة نسبي الشريف. بيد أن الأمر الذي يجهله أولئك الأدعياء للنسب الشريف زوراً وبهتاناً، أنني عاهدت الله أن أبذل روحي وحياتي فداء لنسب وجناب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تسليماً ما دامت رأسي على عنقي.

حتى ولو أثبتوا لي بالدليل القاطع والبرهان الساطع أني لست من نسل آدم عليه السلام.

٣ ـ يحتج عليّ أدعياء النسب الشريف زوراً وبهتاناً أني أذكر مسائل

في كتابي تتعلق بتفاصيل نسبي ثم أرجع عنها في مقالاتي التي أنشرها على صفحتي، وأن ذلك راجع إلى كذبي وتزويري للتاريخ والأنساب وهو قمة تناقضي.

فأبين لهم أني كتبت بحثاً ونشرته قبل اكتمال مادته العلمية، وأني أقوم بمراجعة وتصحيح لما نشرته سابقاً بناءً على ما يتيسر لي من مصادر ومراجع جديدة وأن الرجوع إلى الحق فضيلة وليس رذيلة.

ولكني فيما يتعلق بأنسابهم المزورة لم أكتب فيها إلا بعد اكتمال مادتها العلمية اعتماداً على كتب وبحوث متخصصة في الأنساب التي يزعمون أنهم ينتمون إليها كتبت قبلي بقرون، عكس المادة العلمية المتعلقة بنسبي والتي لم تجمع بعد كبحث مستقل مما يجعل حتمية التقديم والتأخير فيها والتصحيح والتعديل أمراً ضرورياً كلما استجدت معلومة من مصدر علمي قيم حتى يكتمل البحث، والكمال لله.

غير أن سيوفي التي أذود بها عن نسب وجناب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تسليماً، تفرق مفارق رؤوس الأدعياء، فيفقدون توازنهم، وينسون أن مسألة التصحيح والتصويب قاعدة علمية عند المحدثين والفقهاء والأطباء والمهندسين والنسَّابة والمؤرخين، وليست اختراعاً خرافياً اخترعه الحسن الصالحي الحسني.

وبهذا ننهي المقدمة وننتقل إلى العرض.

ب ـ عرض شامل ووافي للأخطاء والأوهام والمغالطات التي نيطت بنسب قبيلة كيتا ملوك مالي المنتسبين إلى بني صالح ملوك غانة

إن من أهم الأسباب التي أدت إلى وصف ملوك مالي من قبيلة كيتا من قبل بعض المؤرخين بأنهم أول من أسلموا من ملوك تلك المملكة يرجع إلى أن أولئك المؤرخين خلطوا بين مملكة (ملل، أو ملي، أو مالي)

القديمة قدم مملكة غانة وبين إمارة كانجابا السودانية الصغيرة والتي كانت تحكمها أسر من السودان الماندنجو (المالنكي) الزنجية قبل حكم أسرة كيتا لها شأنها في ذلك شأن (ملل) ثم أطلق ملوك كيتا بعد توسيع رقعة ملكهم على إمارتهم الجديدة اسم مملكة مالي القديم والتي كانت موجودة قبل ولادتهم ولم يملكوها يوماً، وإن كانتا توجدان ضمن إقليم واحد عرف بإقليم كانجابا، تقع مملكة ملل في شماله، وإمارة كانجابا الصغيرة في جنوبه.

وذلك قبل دخول الإسلام في القرن الخامس الهجري إلى المنطقة.

كما أنهم لم يميزوا بين من أسلم من ملوك السودان الوثنيين قبل الإسلام وبين من تولى العرش وهو مسلم أصلاً، فصار الاعتقاد السائد بأن أول ملك من أي أسرة تعقب أخرى كانت قبلها في الملك وأسلمت، أن ذلك الملك هو أول من أسلم من الأسرة الجديدة، فتم تكرار السيناريو عند بعض المؤرخين من القرن الحادي عشر الميلادي الخامس الهجري حتى القرن التاسع عشر الميلادي الثالث عشر الهجري.

يضاف إلى ذلك انصهار أسرة تعد على رؤوس الأصابع في سراب من السودان لا يعلم نهايتهم إلا الله وحده لا زالت الوثنية مستحكمة فيهم والعجمة طينتهم ورطانتهم فلم يستطع بعض المؤرخين تمييز الشعرة البيضاء من جنب الثور الأسود، وبهذا وقع الخلط والغلط والوهم بين نسب أسرة كيتا المتشبثة بأنها فرع من بني صالح ملوك غانة، وبين إسلام وأنساب ملوك السودان السابقين لهم والمعاصرين. حتى صار الاعتقاد السائد عند بعض أولئك المؤرخين أن أسرة كيتا هي أول أسرة حكمت ملل (مالي) وأن أول ملك أسلم من ملوكها هو من هذه الأسرة.

سنتعامل في هذا المبحث الأول كما وعدت سابقاً مع هذه الفرضية على أساس أنها صحيحة وأن أسرة كيتا من الزنوج المالنكي وأن ادعاءهم النسب الشريف هو محض الأوهام والأحلام ونشرع في عرض ما كتب حول هذه الفرضية على النحو التالي:

١ ـ إسلام ملك مالي (المسلماني) حسب رواية البكري في القرن الخامس الهجري.

٢ ـ إسلام ملك مالي (برمندانة) في القرن السادس الهجري حسب رواية ابن خلدون.

٣ ـ ذكر إسلام ملك مالي (ماري جاطه) في القرن السابع الهجري حسب رواية الرحالة المغربي ابن بطوطة.

٤ ـ ذكر إسلام (ماسري كيتا) الجد المباشر لأول رئيس لجمهورية مالي بعد استقلالها عن فرنسا، حسب رواية جعفر بن المهدي النعماوي.

٥ ـ عرض بعض الروايات الشفوية المنقولة من بعض الشخصيات المعاصرة على أن أسرة كيتا تنحدر من نسل الصحابي الجليل بلال الحبشي رضي الله عنه.

٦ ـ السبب في كل هذا هو الاعتماد على مصادر غير التي عاصرت تلك الحقبة التاريخية.

ونبدأ بالمصدر الأول البكري:

١ ـ كتب البكري المتوفى سنة **٤٨٧** هجرية في ج**٢** من كتابه المسالك والممالك ص**٣٦٦ ـ ٣٦٧** ما نصه: (ووراءه بلد اسمه ملل وملكهم يعرف بالمسلماني، وإنما سمي بذلك لأن بلاده أجدبت عاماً بعد عام، فاستسقوا بقرابينهم من البقر حتى كادوا يفنونها ولا يزدادون إلا قحطاً وسقاء.

وكان عنده ضيف من المسلمين يقرأ القرآن ويعلم السنَّة، فشكا إليه الملك وما دهمهم من ذلك فقال له: «أيها الملك لو آمنت بالله تعالى وأقررت بوحدانيته وبمحمد عليه الصلاة والسلام وأقررت برسالته واعتقدت شرائع الإسلام كلها لرجوت لك الفرج مما أنت فيه وحل بك، وأن تعم الرحمة أهل بلدك، وأن يحسدك على ذلك من عاداك وناوأك».

فلم يزل به حتى أسلم وأخلص نيته وأقرأه من كتاب الله ما تيسر عليه وعلَّمه من الفرائض والسنن ما لا يسع جهله.

ثم استأتى به إلى ليلة جمعة فأمره فتطهر فيها طهراً سابغاً وألبسه المسلم ثوب قطن كان عنده وبرزوا إلى ربوة من الأرض فقام المسلم يصلي والملك عن يمينه يأتم به، فصليا من الليل ما شاء الله والمسلم يدعو والملك يؤمن، فما انفجر الصباح إلا والله قد عمهم بالسقي.

فأمر الملك بكسر الدكاكير وإخراج السحرة من بلاده، وصح إسلامه وإسلام عقبه وخاصته، وأهل مملكته مشركون، فوسموا ملوكهم مذ ذاك بالمسلماني.

فعلى التسليم بصحة فرضية أن هذا الملك هو جد أسرة كيتا وأنه هو الملك السادس عشر قبل تأسيس ماري جاطه «سندياتا كيتا» مملكة مالي الحديثة والذي من المفترض أن يكون الملك السابع عشر من أسرة كيتا حسب بعض الروايات الشفوية المحلية.

فعلى التسليم بصحة هذه الفرضية يكون الإسلام قد ترسخ في أسرة كيتا ملوكاً وذرية وخاصتهم من القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي وبالتالي فهم مسلمون منذ ذلك التاريخ إلى آخر زعيم منهم اليوم الرئيس الحالي لجمهورية مالي إبراهيم أبو بكر كيتا.

وعليه فإن دعواهم الانتساب إلى بني صالح بن عبدالله أبي الكرام ابن موسى الجون، ملوك غانة باطل شرعاً بحكم أنهم كانوا عجماً كفاراً وباطل تاريخياً بحكم أنهم كانوا موجودون بالمنطقة قبل وصول بني صالح إلى مملكة غانة وحكمهم لها.

ولمعرفة إمكانية صحة هذه الفرضية من عدمها ننتقل إلى رواية ابن خلدون والتي تصب في نفس الاتجاه.

٢ ـ كتب ابن خلدون في ج٦ من كتابه العبر ص**٢٣٧** عن إسلام أول ملك من ملوك مالي من أسرة كيتا ما نصه: (ثم إن أهل مالي كثروا أمم

السودان في نواحيهم تلك، واستطالوا على الأمم المجاورين لهم فغلبوا على صوصو وملكوا جميع ما بأيديهم من ملكهم القديم، وملك أهل غانة إلى البحر المحيط من ناحية الغرب وكانوا مسلمين، يذكرون أن أول من أسلم منهم ملك اسمه برمندانة هكذا ضبطه الشيخ عثمان، وحج هذا الملك واقتفى سننه في الحج ملوكهم من بعده.

وكان ملكهم الأعظم الذي تغلب على صوصو وافتتح بلادهم وانتزع الملك من أيديهم اسمه ماري جاطه، ومعنى ماري عندهم الأمير الذي يكون من نسل السلطان، وجاطه الأسد، واسم الحافد عندهم تكن، ولم يتصل بنا نسب هذا الملك، وملك عليهم خمساً وعشرين سنة فيما ذكروه، ولما هلك ولي عليهم منن بعده ابنه منساولي، ومعنى منسا السلطان ومعنى ولي بلسانهم علي، وكان منساولي هذا من أعاظم ملوكهم. وحج أيام الظاهر بيبرس. . .

وإذا ما عدنا إلى بعض المصادر الشفوية المحلية فنجد أن (الأمير الأسد: ماري جاطه) والمعروف محلياً بسندياتا كيتا هو ابن (مغا: محمد) ابن بلو بخون بن بلو موسى كيتا المشهور بموسى الأكوري وبموسى دييغو وهو المعروف عند العرب ببرمندانة. انظر: مملكة مالي الإسلامية وعلاقتها بالمغرب وليبيا/ الهادي المبروك الدالي، والتاريخ الإسلامي لمحمود شاكر م٧، ص٣٠٧ ـ ٣٠٨، فإذا ما دققنا في رواية ابن خلدون نجد أن أهل مالي كانوا مسلمين وأن أول من أسلم منهم ملك اسمه برمندانة، وبرمندانة هذا كما مر معنا هو موسى كيتا الجد الثاني للأمير الأسد (ماري جاطه) مؤسس مملكة مالي الحديثة فإذا ما سلمنا بصحة رواية ابن خلدون عن إسلام (برمندانة) الذي عاش في القرن السادس الهجري فإننا سنجزم ببطلان ادعاء أسرة كيتا أنهم فرع من بني صالح ملوك غانة الذين تربعوا على عرش غانة مطلع القرن نفسه أي: السادس الهجري. بيد أن رواية ابن خلدون عن إسلام (برمندانة) أول ملك من ملوك مالي تدحضها وتنسفها رواية البكري التي سبقت رواية ابن خلدون بأزيد من ثلاثة قرون، فالبكري

كما مر معنا يقول بأن أول من أسلم من ملوك مالي هو المسلماني، وليس برمندانة وأنه حسن إسلامه وذريته وخاصته من بعده.

وللتأكد من إمكانية صحة رواية ابن خلدون عن إسلام (برمندانة) من عدمها نستعرض رواية ابن بطوطة ثم نقارن بينهما.

٣ ـ كتب ابن بطوطة ت سنة **٧٩٧** هجرية عن إسلام: ماري جاطه الأمير الأسد والذي يسميه هو: (سارق جاطه) حفيد موسى الأكوري (برمندانة) في رحلته ص**٣٦٧** ما نصه: (وكان السودان يكرهون منسى سليمان لبخله، وكان قبله منسى مغا، وقبل منسا مغا منسا موسى، وكان رجلاً كريماً فاضلاً يحب البيضان ويحسن إليهم، وهو الذي أعطى لأبي إسحاق الساحلي في يوم واحد أربعة آلاف مثقال، وأخبرني بعض الثقات أنه أعطى لمدرك بن فقوص ثلاثة آلاف مثقال في يوم واحد وكان جده (سارق جاطه) أسلم على يدي جد مدرك هذا.

هكذا كتب ابن بطوطة عن إسلام سارق جاطه أي: سندياتا كيتا مؤسس مملكة مالي بعد أن ذكر ابن خلدون رحمه الله تعالى أن جده برمندانة كان أول من سلم منهم وحج بيت الله الحرام واقتفى سننه في الحج ملوكهم من بعده.

فكيف يكون جد ماري جاطه مسلماً حج البيت الحرام رغم صعوبة الحج آنذاك وخطورة طريقه على الملوك ويخلفه ابنه من بعده ويحج أيضاً ثم يخلفهما ابنهما (سارق جاطه) كما يسميه ابن بطوطة وهو كافر يحكم دولة مسلمة شعباً وحكومة من لدن القرن الخامس الهجري عند البكري، والسادس الهجري عند ابن خلدون ثم يعتلي العرش حفيد من أحفادهم في القرن السابع الهجري وهو كافر مع أنه هو أعظم ملوكهم ومؤسس إمبراطوريتهم العظمى يسلم سليل الملوك المسلمين من جديد على يد بربري أحسن إليه بثلاثة آلاف مثقال من الذهب، حسب رواية ابن بطوطة.

فإذا سلمنا بصحتها فإننا بني صالح ملوك غانة نتبرؤ من أسرة كيتا ونعتبرها دخيلة على نسبنا الشريف وأن ادعاءات ملوكها أنهم من نسل

صالح بن عبدالله أبي الكرام ابن موسى الجون باطلة شرعاً وعقلاً.

غير أن رواية ابن بطوطة هذه تنسفها رواية ابن خلدون، ورواية ابن خلدون تنسفها رواية البكري قبلها، ورواية البكري تنسفها روايتا ابن خلدون وابن بطوطة بعدها، وروايات الجميع تنسفها رواية جعفر بن المهدي بعدهم فإليكموها:

٤ ـ (ماسري كيتا) ـ الذي عاش في القرن الرابع عشر الهجري القرن العشرين الميلادي وهو الجد المباشر لأول رئيس لجمهورية مالي بعد استقلالها عن فرنسا، الرئيس موديبو كيتا ـ يعلن إسلامه على يد جعفر بن المهدي النعماوي، ويكون بذلك أول من أسلم من أسرة كيتا، وليس المسلماني في القرن الخامس الهجري، ولا برمندانة في القرن السادس الهجري، ولا ماري جاطه في القرن السابع الهجري، بل إن أول زعيم أسلم من أسرة كيتا هو (ماسري كيتا) في القرن الرابع عشر الهجري، وإليكم نص الحكاية:

نشرت مجلة أقلام حرة على موقعها يوم الأحد ٩/٢٢/ ٢٠١٣م الساعة ١٧:٥٨ دقيقة ما نصه:

(الملك السادس يلتقي مولاي علي بن مولاي أحمد بن جعفر بن المهدي... جد أشراف النعمة بالشرق الموريتاني، ويمثل الشيخ مولاي علي أسرة أهل جعفر بن المهدي النعماوية، وعلى يد جده جعفر بن المهدي أسلم (ماسري كيتا) الجد المباشر لمؤسس جمهورية مالي الحديثة الرئيس السابق (موديبو كيتا).

فإذا سلمنا بصحة رواية جعفر بن المهدي النعماوي عن إسلام الجد المباشر لأول رئيس لجمهورية مالي موديبو كيتا فإننا بني صالح ملوك غانة نبرأ إلى الله من ادعاءات أسلاف أسرة كيتا الانتساب إلينا ونقول ببطلان نسبهم.

إلا أن رواية جعفر بن المهدي النعماوي هذه تنسفها روايات البكري وابن بطوطة وابن خلدون، وفي المقابل أيضاً فإنها هي تنسف رواياتهم هم

أيضاً فضرب الله روايات بعضهم بعضاً، مما يدل على أن أول من أسلم من ملوك مالي ليس من أسرة كيتا بل هو من أسر الزنوج الأخرى والتي حكمت مالي قبل ولادة أسرة كيتا.

وجميع هذه الروايات المتضاربة والتي يحاول البعض تشويه نسب وتاريخ أسرة كيتا من خلالها تنسفها بعض الروايات الشفوية المحلية أيضاً والتي تقول بأن أسرة كيتا ملوك مالي من نسل الصحابي الجليل بلال الحبشي رضي الله عنه وأرضاه، فإليكموها:

٥ ـ أسرة كيتا ملوك مالي من ذرية الصحابي الجليل بلال الحبشي رضي الله عنه.

كتب الدكتور حسين مؤنس في كتابه: أطلس تاريخ الإسلام، ص٣٧٣ ما نصه:

(سيطر الماندنجو وهم أصحاب دولة مالي على البلاد الممتدة من نهر النيجر إلى المحيط الأطلسي، وأقاموا قبل وصول الإسلام إلى هذه النواحي أسرار حاكمة مثل أسرة التروريين في حوض السنغال الأعلى وأسرة الكونتيين نسبة إلى كوناتة شمال بلاد التروريين، وأسرة كيتا التي لا نعرف شيئاً محققاً عن أصلها، وإن كانت المأثورات الشعبية في مالي تقول: إن منشئها كان رجلاً مسلماً من الماندنجو أو الفولا الخاضعين لهم يسمى موسى ديجيو تولى عرش مالي فيما بين سنتي ٥٩٧ ـ ٦١٦ هجرية/ ١٢٠٠ ـ ١٢١٨م. وهناك رواية تقول إنه من سلالة بلال الحبشي مؤذن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وأنه جاء طفلاً من الحجاز أو جاء أبوه إلى بلاد الماندنجو وتزوج منهم واستقر في بلاد التكرور).

وقد نشر موقع: Generale History of Afrik

نقلاً عن لفتزيون ١٩٧٣ ـ ص٦١، وش. مونتاي ١٩٢٩ ـ ص٣٤٥ ـ ٣٤٦ ما نصه: (وتزعم أسرة كيتا مؤسسة مالي أنها من نسل دجون بلالي أو بلال بن رباح من الصحابة وأول مؤذني الأمة الإسلامية، ويقال: إن لوالو، ابن المؤذن قدم للاستيطان في بلاد مندية حيث أسس مدينة كيري أوكي.

وقد أنجب لوالو هذا لاتال كلابي، الذي أنجب دامال كلابي، الذي أنجب بدوره لهيلاتول كلابي، وكان هذا الأخير أول من حج إلى مكة من ملوك مالي مندية، وكان حفيده المدعو مامادي كياني «سيدا صيادا» وهو الذي وسع مملكة آل كيتا ويمكن تحديد فترة حكم مامادي كاني بأوائل القرن الثاني عشر، وقد رزق أربعة أبناء من بينهم ميمون باماري تانيو غوكيلين، الذي أنجب مبالي نيني، جد ماغان كون فاتا، أو فراكوا ماغان كيني والد سنجاتا الفاتح ومؤسس إمبراطورية مالي، وحكم ماغان كون فاتا في بداية القرن الثالث عشر الميلادي.

وهكذا فحسب ما جاء في هذه الروايات يكون قد تولى على العرش ستة عشر ملكاً قبل سنجاتا، وتختلف قوائم الملوك السابقين لسونجاتا من مدرسة إلى أخرى، فقائمة «كبليه موتزون دي كيتا، تتحدث كما هو معلوم عن منسا بيريمون الذي رأينا فيه بارا مندار الذي ذكره ابن خلدون.

وتطلق روايات سيفيري الشفوية اسم ليهتول كلابي على أول ملك مندانغي يحج إلى مكة، بيد أن جميع الروايات تجمع على أن الملوك الأوائل كانوا «معلمين صيادين»).

هيا بنا نمعن النظر في بعض هذه الروايات المحلية الشفوية سواء تلك التي ترى أن أول ملوك مالي من أسرة كيتا هو (لوالو) الولد المباشر للصحابي الجليل بلال الحبشي رضي الله عنه، أو تلك التي تجعل أول ملوك مالي من أسرة كيتا هو رجل من أحفاد بلال رضي الله عنه، قدم من الحجاز إلى بلاد السودان وليس ابناً مباشراً له.

فعلى التسليم بصحة هذه الروايات تبطل دعوى ملوك مالي من أسرة كيتا أنهم فرع من بني صالح ابن عبدالله أبي الكرام ابن موسى الجون ملوك غانة، لكونهم أي: ملوك مالي من نسل الصحابي الجليل بلال الحبشي رضي الله عنه.

وتبطل هي بدورها ما ذكره كل من البكري وابن بطوطة وابن خلدون وجعفر بن المهدي من القرن الخامس الهجري وحتى القرن الرابع عشر

الهجري عن إسلام أول ملك من ملوك مالي، وتتابع إعلان إسلام ملوكهم وذريتهم جيلاً بعد جيل وقرناً بعد قرن وذلك مسلسل مدته تسعة قرون.

إذ كيف يعقل أن يكون ملوك مالي من أسرة كيتا من ذرية الصحابي الجليل بلال الحبشي رضي الله عنه والذي هو من السابقين إلى الإسلام في القرن الأول الهجري ثم يعلن أحفاده من آل كيتا إسلامهم بعد ذلك بخمسة قرون بل بستة قرون بل بسبعة قرون بل بتسعة قرون حسب الروايات السابقة.

ولكن هذه الرواية باطلة من الناحية التاريخية والشرعية والعقلية، حسب الآتي:

فمن الناحية التاريخية تحدد هذه الرواية فترة حكم مامادي كاني بأوائل القرن الثاني عشر الميلادي السادس الهجري وهو حفيد لوالو ابن المؤذن بلال رضي الله عنه لصلبه، مما يعني من الناحية الزمنية أن لوالو عاش في القرن الحادي عشر الميلادي الخامس الهجري، وفي نفس الوقت هو ابن بلال رضي الله عنه مما يعني أن الله جلَّ جلاله أطال في عمر «لوالو» هذا خمسة قرون فعاش مع أبيه بلال في القرن الأول الهجري وحكم مملكة مالي في القرن الخامس الهجري.

وما دام امتد عمره خمسة قرون حتى ملك مالي في القرن الخامس الهجري، فلربما ارتد في آخر عمره عن الإسلام أثناء ملكه لمملكة مالي ليسلم من جديد ويكون بذلك أول من أسلم من ملوك مالي في القرن الخامس الهجري حسب رواية البكري ويتلقب بلقب المسلماني ويحسن إسلامه من جديد وإسلام ذريته من بعده وخاصيته، ثم يقتفي سننه ذريته من بعده في إعلان إسلامهم وحجهم لبيت الله الحرام، ثم يأتي أحفادهم من بعدهم ليعلنوا إسلامهم من جديد ويستمر مسلسل الإعلانات الإسلامية والرحلات الحجية تسعة قرون متتالية.

ونقول بأن هذه الروايات باطلة شرعاً لأنها تناقض ما يذكره آل كيتا عن نسبهم الشريف وما نقله عنهم نسَّابة العرب مباشرة قبل هذه الروايات الشفوية التخمينية بقرون، ويكفي من بطلانها شرعاً أنها تؤجل إسلام آل كيتا

إلى القرن العشرين، وأسلافهم قد حجوا بيت الله الحرام قبل هذا التاريخ بأزيد من سبعة قرون.

وباطلة عقلاً لأن أصحاب العقول السليمة لا يمكن أن يسلموا بصحة هذه الروايات بتناقضاتها واضطرابها واختلاف بعضها البعض وما تحويه من اجتماع الضدين.

نخلص من كل ما سبق إلى جملة من الأسباب التي أدت إلى هذه الصورة القاتمة عن (بني أسد آل كيتا الشرفاء) في بعض المصادر من جهة وبعض الروايات الشفوية المحلية من جهة أخرى، من أهمها:

٦ ـ أن مملكة غانة كانت مملكة فدرالية وثنية سودانية قبل وصول الإسلام إليها في القرن الخامس الهجري وتحدها ممالك سودانية أخرى خارجة عن طاعتها كمملكة التكرور، وقد أسلم ملوك أعظم هذه الممالك في صدر القرن الخامس الهجري ومنتصفه.

وسنعتمد في هذا على البكري الذي ألف كتابه المسالك والممالك في القرن الخامس وتوفي سنة **٤٨٧** هجرية، وذكر عدة ملوك أسلموا من ملوك السودان قبل حركة المرابطين والتي يعزوا غالبية المؤرخين إسلام أهل السودان وملوكهم إليها وأنهم أسقطوامملكة غانة وفتحوها وحملوا ملوكها على الإسلام فدانوا به زوراً وبهتاناً.

يتحدث البكري في ج**٢** ص**٣٥٩ ـ ٣٦٠**، عن إسلام ملك التكرور ورعيته، وأيضاً إسلام ملك سلى ورعيته. فيقول:

١ ـ مدينة تكرور أهلها سودان، وكانوا على ما كان سائر السودان عليه من المجوسية وعبادة الدكاكير، والدكور عندهم: الصنم حتى وليهم وارحابي بن رابيس فأسلم وأقام عندهم شرائع الإسلام وحملهم عليها وحقق بصائرهم فيها.

وتوفي وارحابي سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة، فأهل التكرور اليوم مسلمون.

٢ ـ وتسير من مدينة تكرور إلى مدينة سلى وهي مدينتان على شاطئ النيل أيضاً وأهلها مسلمون، أسلموا على يدي وارحابي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وبين سلى ومدينة غانة مسيرة عشرين يوماً في عمارة السودان القبيلة. وملك سلى يحارب كفارهم.

٣ ـ ويتحدث في ٣٦٤ عن إسلام أهل غيارو (وبين مدينة غيارو والنيل اثنا عشر ميلاً وفيها من المسلمين كثير).

٤ ـ ويذكر في ص٣٦٦ ـ ٣٦٧، إسلام ملك مالي وخاصيته على يدي ضيفه المسلم كما سبق ذكره، وليس بغزو المرابطين كما جرت به عادة بعض المؤرخين من تشويه وتزوير لتواريخ السوادين.

(فلم يزل به حتى أسلم وأخلص نيته وأقرأه من كتاب الله تعالى ما تيسر عليه وعلمه من الفرائض والسنن ما لا يسع جهله. ثم استأتى به إلى ليلة جمعة فأمره فتطهر فيها طهراً سابغاً وألبسه المسلم ثوب قطن كان عنده وبرزوا إلى ربوة من الأرض فقام المسلم يصلي والملك عن يمينه يأتم به، فصليا من الليل ما شاء الله والمسلم يدعو والملك يؤمن، فما انفجر الصباح إلا والله قد عمهم بالسقي. فأمر الملك بكسر الدكاكير وإخراج السحرة من بلاده، وصح إسلامه وإسلام عقبه وخاصته).

٥ ـ ويتحدث البكري في ج٢ ص٣٦٧: عن إسلام ابن بسي ملك غانة «قنمر» بقوله: (وهناك مدينة ألكن وملكها يسمى «قنمر» بن بسي ويقال إنه مسلم يخفي إسلامه).

٦ ـ تشير الكثير من المصادر إلى أن بسي ملك غانة في القرن الخامس الهجري وابن أخته «تنكامنين» الذي ورث العرش من بعده سنة ٤٥٥ للهجرة: كانا مسلمين يخفيان إسلامهما عن رعيتهما حفاظاً على كرسي ملكهما كما أن بسي أصيب بالعمى في آخر عمره وأخفى ذلك عن رعيته، كما أسلم ابنه قنمر وأخفى إسلامه عن رعيته أيضاً.

وسنؤكد مسألة إسلام ملكي غانة بسي، وتنكامنين من استقرائنا لما كتبه عنهما البكري المعاصر لهما، ولم يسلما نتيجة غزو المرابطين المزعوم.

يصف لنا البكري في ج٢ ص٣٦٢ وما بعدها سيرة ملكي غانة في زمانه بسي وابن أخته تنكامنين فيقول:

(وغانة سمة لملوكهم، واسم البلد آوكار واسم ملكهم اليوم وهي سنة ستين وأربعمائة «تنكامنين»، وولي سنة خمس وخمسين).

وكان اسم ملكهم قبله بسي، ووليهم وهو ابن خمس وثمانين سنة وكان محمود السيرة محباً للعدل مؤثراً للمسلمين، وعمي في آخر عمره، وكان يكتم ذلك عن أهل مملكته ويريهم أنه يبصر وتوضع بين يديه أشياء فيقول: «هذا حسن وهذا قبيح»، وكان وزراؤه يلبسون ذلك على الناس ويلغزون للملك بما يقول، فلا تفهمه العامة. وبسي هذا خال تنكامنين... وفي مدينة الملك مسجد يصلي فيه من يفد عليه من المسلمين على مقربة من مجلس حكم الملك...

وتراجمة الملك من المسلمين، وكذلك بيت ماله وأكثر وزرائه.

هذه أوصاف ملكي غانة بسي وتنكامنين في حبهم وتقديرهم للمسلمين وتوليتهما مقاليد الأمور من الوزارات وخزانة المال وإدارة الديوان للترجمة، وبناء مسجد داخل القصر للمسلمين وإعفائهم من الانحناء للسلام، مع تأكيد إسلام قنمر بن بسي، ألا تدل هذه الأوصاف على إسلام ملوك غانة في القرن الخامس الهجري أيضاً.

قلت: وهذا إسلام ملوك السودان وجهادهم وذلك قبل قيام دعوة المرابطين، والتي وصفها البكري ج٢ ص٣٥١ بقوله: (وهذه القبائل هي التي قامت بعد الأربعين وأربعمائة بدعوة الحق ورد المظالم وقطع جميع المغارم، وهم على السنة ومتمسكون بمذهب مالك بن أنس ﷺ وكان الذي نهج ذلك فيهم ودعا الناس إلى الرباط ودعوة الحق عبدالله بن ياسين).

يضاف إلى ما سبق من التأكيد على أن ملكي غانة بسي وتنكامنين كانا مسلمين يخفيان إسلامهما عن رعيتهما حفاظاً على كرسي ملكهما، كما تصرح بذلك بعض المصادر أن مدينة غانة عاصمة مملكة غانة في

القرن الخامس الهجري كانت مقسمة إلى مدينتين.

إحداهما: تلك التي فيها الملك وقد رأينا أن المسلمين استحوذوا على إدارتها من وزارات وبيت مال وتراجم....

وأما المدينة الثانية فيصفها البكري ص**٣٦٣** بقوله: (ومدينة غانة مدينتان سهليتان إحداهما المدينة التي يسكنها المسلمون، وهي مدينة كبيرة، فيها اثني عشر مسجداً أحدها يجمعون فيه، ولها الأئمة والمؤذنون والراتبون، وفيها فقهاء وحملة علم).

كيف سمح الملك للمسلمين أن يتمكنوا من أسلمة نصف عاصمته ويديرونها بالكامل ثم يستحوذون على شؤون إدارة قصره إلى درجة بناء مسجد داخله.

وهو مع ذلك غير مسلم لا زال على الوثنية؟

العقل السليم يأبى ذلك.

زد على ذلك أن الممالك السودانية من حوله أسلم معظمها كمملكة التكرور، وسلي، ومالي.

فهل من المعقول أن نصدق مصادر تتحدث بعد هذا كله عن إسلام ملوك هذه الممالك في القرن السابع الهجري، بعد قرنين من رسوخ الإسلام فيها؟

وهل من المعقول أن المرابطين غزوا هذه الممالك وأسقطوها وحملوا أهلها على الإسلام فدانوا به واقتضوا منهم الجزية والغرامات كما يذكر ابن خلدون بعد هذا التاريخ بثلاثة قرون والبكري المعاصر للمرابطين وأول من دوَّن حياتهم كلها لا يتعرض لذلك الحدث الذي قلب السودان بدياناتهم وممالكهم رأساً على عقب؟ هذا كله تشويه وتزوير للتاريخ من مؤرخين لم يعاصروا هذه الحقبة من التاريخ ولم ينقلوا عن المصادر التي عاصرتها.

وبهذا ننهي المبحث الأول عن فرية إسلام ملوك مالي من أسرة كيتا.

كما يدندن عليها أبي الريان السليماني، وتلامذته شيخنا وسعد أبيه ويحيى الحساني للطعن من خلالها في نسبهم الشريف.

وفي المبحث الثاني القادم إن شاء الله تعالى سنفند هذه الأوهام والمغالطات والأخطاء.

كتبه: الحسن الصالحي الحسني

❍ ❍ ❍ ❍ ❍ ❍

القلقشندي

أحمد بن علي
(المتوفى سنة ٨٢١هـ - ١٤١٨م)

النسَّابة المؤرخ الكبير القلقشندي وما كتبه عن بني صالح ملوك غانة ومالي من بلاد السودان

هو أبو العباس شهاب الدين أحمد بن علي بن أحمد الفزاري المضري العدناني نسباً المصري وطناً الشافعي مذهباً القلقشندي ولادة، حيث ولد في قرية قلقشندة بمحافظة القيلوبية سنة ٧٥٦ هجرية ويعد شهاب الدين أحمد بن علي القلقشندي أبرز نسَّابة ومؤرخي القرن التاسع الهجري من أقران ابن خلدون والمقريزي.

برع القلقشندي في علم التاريخ والأنساب والأدب والإنشاء والفقه الشافعي.

ففي التاريخ ألف موسوعته «مآثر الإنافة في معرفة الخلافة»، وفي الفقه ألف كتاب: «الغيوث الهوامع في شرح جامع المختصر ومختصرات الجوامع»، وفي الأدب والإنشاء ألف موسوعته «صبح الأعشى في صناعة الإنشاء» وفي الأنساب ألف كتابيه «قلائد الجمان في معرفة عرب الزمان»، و«نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب»، وقد عمل مديراً بديوان الإنشاء في عهد السلطان الظاهر برقوق سنة ٧٩١ هجرية وبقي مديراً له حتى نهاية عهد برقوق حوالي عام ٨٠١ هجرية.

توفي رحمه الله تعالى سنة ٨٢١ هجرية.

وقد أولى: «نسب وتاريخ بني صالح ملوك غانة ومالي من بلاد السودان» أهمية كبيرة في كتابيه: نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، وصبح الأعشى في صناعة الإنشاء.

حيث خصص لهم مساحة كبيرة من ج٥ من كتاب «صبح الأعشى» ذكر فيه بالتفصيل نشأة مملكة مالي العلوية وذكر تسلسل ملوكها وسياسة المملكة الداخلية والخارجية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية والتطور البنياني والحضاري الذي شهدته المملكة على كافة الأصعدة.

كما نص على شرف ملوك هذه المملكة ونسبهم الصالحي الحسني العلوي.

ونبدأ بما كتبه عن بني صالح ملوك غانة في كتابه: «نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب» ونصه:

(بنو صالح: «بطن من بني الحسن السبط»، من العلويين، من بني هاشم من العدنانية.

وهم: بنو صالح بن عبدالله بن موسى ابن أبي الكرام ابن موسى الجون بن عبدالله بن حسن المثنى بن الحسن السبط كان لهم دولة ببلاد غانة من بلاد السودان من جهة البحر المحيط الغربي.

ذكرهم صاحب كتاب رجار في الجغرافيا.

قال في العبر: ولعل صالح هذا هو صالح بن يوسف بن محمد الأخيصر بن يوسف بن إبراهيم بن موسى الجون، المقدم ذكره).

وكتب في ج٥ من صبح الأعشى، عن بني صالح ملوك مالي تفاصيل من ١٤ صفحة وسيأتي نَصُّها وختامها قوله:

(ثم خرج من ورائهم من بلاد الكفرة رجل اسمه محمود ينسب إلى منساقو بن منساولي بن ماري جاظه ولقبه منسا مغا وغلب على الملك في سنة ثلاث وتسعين وسبعمائة.

قال في «التعريف»: وصاحب التكرور هذا يدعي نسباً إلى عبدالله بن صالح بن الحسن بن علي ابن أبي طالب كرَّم الله وجوههم. قلت: هو صالح بن عبدالله بن موسى بن عبدالله أبي الكرام ابن موسى الجون بن عبدالله بن حسن المثنى ابن الحسن السبط ابن أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب رضي الله عنه.

وقد ذكر في «تقويم البلدان»: أن سلطان غانة يدعي النسب إلى الحسن بن علي عليهما السلام، فيحتمل أنه أراد صاحب هذه المملكة لأن من جملة من هو في طاعته غانة، أو من كان بها في الزمن القديم قبل استيلاء أهل الكفر عليها).

ملاحظة: إن عمود النسب الذي أورده القلقشندي لبني صالح ملوك غانة ومالي من بلاد السودان والذي يبدأ بـ: «صالح بن عبدالله بن موسى بن عبدالله أبي الكرام»، هو غلط وقع فيه ابن خلدون وتبعه عليه آخرون، لأن عبدالله بن موسى الثاني منقرض. ومثله: صالح بن يوسف بن محمد الأخيصر بن يوسف بن إبراهيم بن موسى الجون والصحيح في عمود نسب بني صالح ملوك غانة ومالي من بلاد السودان هو ما ذكره المتقدمون مثل ابن سعيد الغرناطي والعمري والصفدي».

❍ ❍ ❍ ❍ ❍ ❍




المملكة الخامسة
ممالك الجهة الجنوبية
عن مملكة الديار المصرية

بلاد مالي ومضافاتها

ومالّي: بفتح الميم، وألفٌ بعدها لام مشدّدة مفخّمة، وياء مثناة من تحت في الآخر. وهي المعروفة عند العامة ببلاد التكرور.

قال في مسالك الأبصار: وهذه المملكة في جنوب المغرب، متصلة بالبحر المحيط.

قال في التعريف: وحدّها في الغرب البحر المحيط، وفي الشرق بلاد البرنو، وفي الشمال جبال البربر، وفي الجنوب الهمج.

ونقل عن الشيخ سعيد الدُكالي أنها تقع في جنوب مُرَّاكُش ودواخل برّ العدوة جنوباً بغرب إلى البحر المحيط.

قال في مسالك الأبصار: وهي شديدة الحرّ، قشِفَةُ المعيشة، قليلة أنواع الأقوات، وأهلُها طِوال في غاية السواد، وتفلفُل الشعور. وغالب طول أهلها من سوقهم لا من هياكل أبدانهم.

قال ابن سعيد: والتكرور قسمان: قسم حضر يسكنون المدن وقسم رحَّالة في البوادي.

وقد حكى في «مسالك الأبصار» عن الشيخ سعيد الدُكَّالي: أنَّ هذه المملكة مربَّعة. طولها أربعة أشهر أو أزيد، وعرضُها مثلُ ذلك، وجميعُها مسكونة إلاّ ما قلَّ. وهذه المملكة هي أعظم ممالك السودان المسلمين.

وتشتمل على ثمان جُمل:

❊ ❊ ❊

الجملة الأُولى
في ذكر أقاليمها ومدنها

وقد ذكر صاحب «العبر» أنها تشتمل على خمسة أقاليم، كل إقليم منها مملكة بذاتها.

الإقليم الأوَّل: مالّي:

وقد تقدَّم ضبطه. وهو إقليمٌ واسطة الأقاليم السبعة الداخلة في هذه المملكة. واقع بين إقليم صوصو وإقليم كوكو. صوصو من غربيِّه، وكوكو من شرقيِّه.

وقاعدته على ما ذكره في «مسالك الأبصار» مدينة بَنْبي[1].

قال في مسالك الأبصار: بالباء الموحّدة والنون ثم الباء الموحدة أيضاً.

قال: وهي ممتدَّة تقدير طول بريد في عرض مثل ذلك، ومبانيها

---

(١) الصحيح الذي في مسالك الأبصار أن قاعدة مالي هي يني كما مر، ص٤٣، أما بنبي الذي ضبطها العمري فيه اسم مصطبة السلطان. (انظر: ص٥١).

متفرقة، وبناؤُها بالبالستا[١]. وهو أنه يُبنى بالطين بقدر ثلثي ذراع، ثم يُترك حتى يجفّ، ثم يُبنى عليه مثله، وكذلك حتى ينتهي. وسقوفُها بالخشب والقصب، وغالبُها قبابٌ أو جملونات كالأقباء. وأرضها تُراب مُرْمل، وليس لها سور، بل يستدير بها عدَّة فروع من النيل من جهاتها الأربع، بعضُها يُخاض في أيام قلَّة الماء، وبعضها لا يُعبر فيه إلاَّ في السفن. وللملك عدة قصور ويدور بها سورٌ واحد.

الإقليم الثاني: صوصو:

بصادَيْن مهملتَيْن مضمومتين، بعد كُلٍّ منهما واو ساكنة. وربَّما أبدلوا الصاد سيناً مهملة، سُمِّي بذلك باسم سكانه.

قال في «العبر»: وهم يسمُّونها الإنكارية.

وهو في الغرب عن إقليم مالي المقدّم ذكره، فيما ذكره في العبر عن بعض النقلة.

الإقليم الثالث: بلاد غانة:

بفتح الغين المعجمة، وألف، ثم نون مفتوحة وهاء في الآخر، وهي غربيّ إقليم صوصو المقدَّم ذكره، تُجاور البحر المحيط الغربي.

وقاعدته (مدينة غانة) التي قد أضيفَ إليها.

قال في تقويم البلدان: وموقعها خارج الإقليم الأوَّل من الأقاليم السبعة إلى الجنوب. قال ابن سعيد: حيثُ الطول تسع وعشرين درجة، والعرض عشر درج.

قال في تقويم البلدان: وهي محلّ سلطان بلاد غانة.

وقد حكى ابن سعيد: أن لغانة نيلاً شقيقَ نيل مصر، يَصُبُّ في البحر المحيط الغربي عند طول عشر درج ونصف، وعرض أربعَ عشرة. وإليها

---

(١) لا توجد هذه الكلمة عند العمري. وعنده كلمة «إياد».

تسير التجَّار المغاربة من سِجِلْماسة في برٍّ مُقْفِر ومفاوز عظيمة في جنوب الغرب نحو خمسين يوماً. فيكون بين غانة وبين مصبَّه نحو أربع درج. وهي مبنيَّة على ضفَّتيْ نيلها هذا.

قال في العبر: وكان أهلُها قد أسلموا في أول الفتح الإسلامي.

وقد ذكر في تقويم البلدان أنها مدينتان على ضفَّتيْ نيلها إحداهما يسكنها المسلمون، والثانية يسكنها الكفَّار.

وقد ذكر في «الروض المعطار»: أن لصاحب غانة مَعْلِفيْن من ذهب، يُربط عليهما فَرَسان له أيام مقعده.

الإقليم الرابع: بلاد كوكو:

وهي شرقي مالّي المقدَّم ذكره.

قال في «الروض المعطار»: وملكها قائم بنفسه، له حشم وقُوَّاد وأجناد وزِيٌّ كامل. وهم يركبون الخيل والجمال. ولهم بأس وقهر لمن جاورهم من الأُمم. قال: وبها ينبت عود الحيَّة، وهو عودٌ يُشبه العاقر قَرْحاً، إلاَّ أنه أسود. من خاصَّته أنه إذا وُضع على جُحْر الحيَّة خرجت إليه بسرعة. ومن أمسكه بيده أخذ من الحيات ما شاء من غير جزع يُدْرِكه أو يقع في نفسه. ثم قال: والصحيح عند أهل المغرب الأقصى أنَّ هذا العود إذا أمسكه ممسك بيده أو علَّقه في عنقه لم تقربه حيَّةٌ البتَّة.

وقاعدتُه مدينة (كَوْكَوْ) بفتح الكاف وسكون الواو، وفتح الكاف الثانية وسكون الواو بعدها. وموقعها في الجنوب عن الإقليم الأول. قال ابن سعيد: حيث الطول أربع وأربعون درجة، والعرض عشر درج. قال: وهي مقرّ صاحب تلك البلاد. قال: وهو كافر، يُقاتل مَنْ غربيَّه من مسلمي غانة، ومَنْ شرقيَّه من مسلمي الكانم.

وذكر المهلّبي في «العزيزي»: أنهم مسلمون. وبينها وبين مدينة غانة مسيرة شهر ونصف.

قال في «الروض المعطار»: وهي مدينة كبيرة على ضفة نهر يخرج من ناحية الشمال. يمرّ بها ويجاوزُها بأيام كثيرة. ثم يغوص في الصحراء في رمال كما يغوص في بطائح العراق.

قال ابن سعيد: وكَوْكَوْ في شرقيِّ النهر. ولباسُ عامَّة أهلها الجلود يسترون بها عوراتهم. وتُجَّارهم يلبسون الأكسية، وعلى رؤُوسهم الكرازين، ولبس خواصهم الأزرق.

قال في «مسالك الأبصار»: وسُكَّانها قبائل يرنان(١) من السودان.

الإقليم الخامس: بلاد تكرور:

وهي شرقي بلاد كَوْكَوْ المقدَّم ذكره. ويليه من جهة الغرب مملكة البرنو المتقدمة الذكر. وبها عُرفت هذه المملكة على كبرها واشتهرت.

وقاعدته (مدينة تكرور)، بفتح التاء المثناة فوق، وسكون الكاف، وضمّ الراء المهملة، وسكون الواو، وراء مهملة في الآخر.

قال في «الروض المعطار»: وهي مدينة على النيل على الغرب من ضفافه أكبر من مدينة سلا من بلاد المغرب. وطعام أهلها السمك والذرة والألبان. وأكثر مواشيهم الجمال والمعز. ولباس عامة أهلها الصوف. وعلى رؤُوسهم كرازين صوف. ولباس خاصتهم القطن والمآزر. قال: وبينها وبين سِجلماسة من بلاد المغرب أربعون يوماً بسير القوافل. وأقرب البلاد إليها من بلا لَمْتونة بالصحراء آسِفي بينهما خمس وعشرون مرحلة.

قال: وأكثر ما يُسافر به تُجَّار المغرب الأقصى إليها الصوف، والنحاس والخَرَز، ويخرجون منها بالتبر والخدم.

قلتُ: وذكر في «مسالك الأبصار» أنَّ هذه المملكة تشتمل على أربعة عشر إقليماً، وهي: غانة، وزافون، وتُرْنكا، وتكرور، وسنغانة، وبانْبُغُو،

---

(١) كذا، وقد مرت عند العمري وصححناها يربا.

وزرنطابنا[(١)]، وبيترا[(٢)]، ودمورا[(٣)]، وزاغا، وكابرا، وبراغوري، وكَوْكَوْ، ومالّي. فذكر أربعة من الأقاليم الخمسة المتقدَّمة الذكر. وأسقط إقليم صوصو، وكأنها اضمحلَّت، وزاد باقي ذلك. فيحتمل أنها انضافت إلى صاحبها يومئذ بالفتح والاستيلاء عليها.

قال في «مسالك الأبصار»: وفي شماليّ بلاد مالّي قبائل من البربر بيض تحت حكم سلطانها: وهم نيتصر، ونيتغراسن، ومديونة، ولمتونة. ولهم أشياخ تحكم عليهم إلاَّ نيتصر. فإنهم يتداولهم ملوك منهم تحت حكم صاحب مالي.

قال: وكذلك في طاعته قومٌ من الكفَّار بعضهم يأكل لحم الآدميين.

ونقل عن الشيخ سعيد الدُكَّالي: أن في طاعة سلطانها بلاد مغارة الذهب، وهم بلاد همج. وعليهم أتاوة من التبر تُحمل إليه في كل سنة. ولو شاء أَخَذَهم. ولكن ملوك هذه المملكة قد جرَّبوا أنَّه ما فُتحت مدينة من هذه المدن وفشا بها الإسلام، ونطق بها داعي الأذان، إلاَّ قلَّ بها وجود الذهب ثم يتلاشى حتى يعدم ويزداد فيما يليه من بلاد الكفَّار. فرضوا منهم ببذل الطاعة وحمل ما قُرِّر عليهم.

وذكر نحو ذلك في «التعريف» في الكلام على غانة.

❁ ❁ ❁

الجملة الثانية
في الموجود بهذه المملكة

قد ذكر في (مسالك الأبصار) عن الشيخ سعيد الدُكَّالي أن بها الخيل

---

(١) كذا، وقد صححناها في نص العمري بـ «زارفيرطا».

(٢) كذا، وصححناها في نص العمري بـ «تنبرا».

(٣) عند العمري: «درمودا».

من نوع الأكاديش التتريَّة. قال: وتجلبُ الخيلُ العِراب إلى ملوكهم يتغالون في أثمانها، وكذلك عندهم البغال والحمير والبقر والغنم، ولكنها كلّها صغيرة الجُثَّة، وتلد الواحدة من المعز عندهم السبعة والثمانية، ولا مرعى لمواشيهم إنما هي جلالة على القمامات والمزابل. وبها من الوحوش الفيلة والآساد والنمورة، وكلّها لا تؤذي من بني آدم إلاَّ من تعرَّض لها. وعندهم وحش يُسمَّى تُرُمّي بضم التاء المثناة والراء المهملة وتشديد الميم، في قدر الذئب، يتولّد بين الذئب والضبع لا يكون إلا خُنْثى له ذكر وفرج، متى وجد في الليل آدمياً صغيراً أو مُراهقاً أكله. ولا يتعرَّض إلى أحد في النهار وهو ينعر كالثور، وأسنانه متداخلة.

وعندهم تماسيحُ عِظامٌ منها ما يكون طوله عشرة أذرع وأكثر. ومرارته عندهم سُمٌ قاتل تُحمل إلى خزانة ملكهم.

وعندهم بقر الوحش، وحمير الوحش والغزلان.

وفيما يُسامتُ سِجلماسة من بلادهم جواميسُ متوحشة تُصاد كما يُصاد الوحشُ.

وبها من الطيور الدواجن الإوزّ والدجاج والحمام.

وبها من الحبوب الأرز والغوثي[(١)]، وهو دق مُزغب، يُدرسُ فيخرج منه حب أبيض شبيه بالخردل في المقدار أو أصغر منه، فيغسل ثم يُطحن ويُعمل منه الخبز. وهذا الحب هو والأرز هما غالب قوتهم.

وعندهم الذرة. وهي أكثر حبوبهم، ومنها قوتُهم وعليق خيولهم ودوابهم، وعندهم الحنطة على قِلَّة فيها.

أما الشعير فلا وجود له عندهم البتة.

وعندهم من الفواكه البستانية الجمَّيْز وهو كثير لديهم، وعندهم أشجار بريَّة ذوات ثمار مأكولة مستطابة، منها شجرٌ يُسمى تادموت يحمل

---

(١) كذا، وقد مر في نص العمري: «الفوثي».

شيئاً مثل القواديس كِبَراً، في داخلها شيء شبيه بدقيق الحنطة، ساطع البياض، طعمه مزّ لذيذ يأكلون منه، وإذا جفّ جعلوه على الحنّاء فيسوّده كالنوشادر.

ومنها شجر يُسمَّى زبيزور تخرج ثمرته مثل قرون الخرّوب فيخرج منها شيءٌ شبيه بدقيق الترمس حلوٌ لذيذُ الطعم، له نوًى.

ومنها شجر يُسمّى قومى يحمل شبيه السفرجل، لذيذ الطعم يشبه طعم الموز، وله نوى شبيه بغضروف العظم يأكله بعضهم معه.

ومنها شجر اسمه فاريتي حملُه شبيهٌ بالليمون، وطعمه يشبه طعم الكمثرى، بداخله نوًى مُلحم، يؤخذ ذلك النوى وهو طريّ فيطحن فيخرج منه شيء شبيه بالسمن يجمَدُ وتُبَيَّضُ به البيوت وتوقدُ منه السُرُج، ويُعمل منه الصابون، وإذا قُصد أكلُه وُضع في قدرٍ على نارٍ ليِّنة. ويُسقى الماء حتى يقوى غليانه وهو مغطّى الرأس، ويُسارق كشف الغطاء في افتقاده، فإنه متى كُشف القِدرُ فار ولحق بالسقف. وربَّما انعقد منه نار فأحرق البيت، فإذا نضِج بُرّد، وجُعل في ظروف القَرْع، وصار يُستعمل في المأكل كالسمن. ومتى جُعل في غير ظروفِ القَرْعِ من الآنية خرقها.

ويوجدُ بها من الثمرات البريَّة ما هو شبيه بكل الفواكه البستانية على اختلاف أنواعها، ولكنَّها حِرِّيفة لا تُستطاب يأكلها الهمجُ من السودان، وهي قوتُ كثير منهم.

وبها من الخضراوات اللوبياء، واللفْت، والثوم، والبصل، والباذنجان، والكرنب، أما الملوخيَّة فلا تطلع عندهم إلاَّ بريَّة. والقرعُ عندهم بكثرة. وعندهم شيء شبيه بالقلقاس، يُزرع في الخلاء، فإن سرق منه سارق قطع الملك رأسه وعَلَّقه مكان ما قطع منه. عادةٌ عندهم يتوارثونها خلفاً عن سلف، لا توجدُ فيها رخصة، ولا تنفع فيها شفاعة.

وجبالُها ذوات أشجار مشتبكة، غليظة السوق إلى الغاية، تظلّ الواحدةُ منها خمس مئة فارس.

وفيها بِغانة، وما وراءها في الجنوب من بلاد السودان الهمج معادنُ الذهب.

❁ ❁ ❁

وقد حكى في (مسالك الأبصار) عن الأمير أبي الحسن عليٍّ ابن أمير حاجب عن السلطان منسا موسى سلطان هذه المملكة: أنه سأله عند قدومه الديار المصريَّة حاجًّا، عن معادن الذهب عندهم فقال:

توجد على نوعين: نوع في زمان الربيع ينبُت في الصحراء، له ورق شبيه بالنخيل، أصوله التبر. والثاني يوجد في أماكن معروفة على ضفَّات مجاري النيل، تُحفر هناك حفائر فيوجد فيها الذهب كالحجارة والحصى، فيؤخذ.

قال: وكلاهما هو المسمَّى بالتبر.

ثم قال: والأوَّلُ أفحلُ في العِيار وأفضلُ في القيمة.

وذكر في (التعريف) نحوه.

وذكر عن الشيخ عيسى الزواوي عن السلطان منسا موسى المقدَّم ذكره أيضاً أنه يُحفر في معادن الذهب كلّ حفيرة عمق قامة أو ما يُقاربها، فيوجد الذهبُ في جَنَباتها. ورُبَّما وُجد مجتمعاً في سُفْل الحفيرة. وأنَّ في مملكته أُمماً من الكفَّار لا يأْخذ منهم جزية، إنما يستعملهم في إخراج الذهب من معادنه.

ثم قد ذكر في «مسالك الأبصار» أن النوع الأوَّل من الذهب يوجد في زمن الربيع عقيب الأمطار ينبُت في مواقعها. والثاني يوجد في جميع السنة في ضفَّات مجاري النيل.

وذكر في «التعريف»: أنَّ نبات الذهب بهذه البلاد يبدأ في شهر (أغشت) حيث سلطان الشمس قاهر، وذلك عند أخذ النيل في الارتفاع والزيادة. فإذا انحطَّ النيل تُتُبِّعَ حيث ركب عليه من الأرض، فيوجد منه ما

هو نبات يشبه النخيل وليس به، ومنه ما يوجد كالحصى، فجعل الجميع مما يحدث في هذا الزمن في أماكن النيل خاصَّة. وفيه مخالفةً لما تقدَّم. بل قد قال: إنَّ شهر أغشت الذي يطلعُ فيه الذهب، وهو من شهور الروم، ويقع، والله أعلم، أنه يركّب من تمُّوز وآب، يعني من شهور السريان. وهذا غلط فاحش. فقد تقدَّم في المقالة الأُولى أنَّ شهور الروم منطبقة على شهور السريان في الابتداء والانتهاء، دون ابتداء أول السنة. وشهر أغشت من شهور الروم هو شهر آب من شهور السريان بعينه.

ثم قد حكى في «مسالك الأبصار» عن والي مصر عن منسا موسى المقدَّم ذكره أنَّ الذهب ببلاده حِمًى له، يُجمع له متحصِّلُه كالقطيعة، إلاَّ ما يأْخذه أهلُ تلك البلاد منه على سبيل السرقة.

وحكى عن الشيخ سعيد الدُّكَّالي أنه إنما يُهادى بشيءٍ منه كالمصانعة، وأنَّه يتكسَّبُ عليهم في المبيعات لأن بلادهم لا شيء بها.

ثم قال: وكلام الدُكَّالي أثبت، وعليه ينطبق كلامه في التعريف حيث ذكر غانة. ثم قال: وله عليها إتاوة مقرَّرة تُحمل إليه في كلِّ سنة.

وبهذه البلاد أيضاً معدن نُحاس، وليس يوجد في السِودان إلا عندهم. قال الشيخ عيسى الزواوي: قال لي السلطان موسى: إنَّ عنده في مدينة اسمها «نكوا» معدن نُحاس أحمر، يجلب منه قضبان إلى مدينة بنبي[1] قاعدة مالّي، فيبعث منه إلى بلاد السودان والكفَّار، فيُباع وزن مثقال بثُلُثَيْ وزنه من الذهب، يُباع كلّ مثقال من هذا النحاس بستة وستين مثقالاً، وثلثيْ مثقالٍ من الذهب.

وبهذه البلاد مَعْدِن مِلْح، وليس في شيءٍ من السودان الوالجين في الجنوب والمسامتين لسِجِلْماسة وما وراءها ملحٌ سواه. قال المقرُّ الشهابي بن فضل الله: حدَّثني أبو عبدالله بن الصائغ أنَّ الملح معدوم في داخل بلاد السودان. فمن الناس من يُغرِّر ويصلُ به إلى أناس منهم يبذلون

(١) كذا، ومر صوابها يني.

نظير كلّ صُبْرة ملح مثله من الذهب. قال ابن الصائغ: وحُدِّثتُ أنَّ من أمم السودان الداخلة مَنْ لا يظهر لهم، بل إذا جاء التجار بالملح وضعوه ثم غابوا، فيجيء السودان فيضعون إزاءه الذهب. فإذا أخذ التجار الذهب أخذ السودان الملح.

قال في مسالك الأبصار: قال لي الدُكَّالي: وأهل هذه المملكة كثيرٌ فيهم السحر، ولهم به عناية، حتى إنهم في بلاد الكفَّار منهم يصيدون الفيل بالسحر حقيقةً لا مجازاً، وفي كُلِّ وقت يتحاكمون عند ملكهم بسببه ويقولُ أحدهم: إن فلاناً قَتَلَ أخي أو ولدي بالسحر، والسلطان يحكم على القاتل بالقصاص وقتلِ الساحر.

وحكى عنه أيضاً أنَّ السموم بهذه المملكة كثيرة، فإن عندهم حشائش وحيوانات يركّبون منها السموم القتَّالة، ولا سيَّما من سمكٍ يوجد عندهم.

قال الشيخ سعيد الدُكَّالي: ومِنْ خصيصة هذه البلاد أن يُسْرِع فيها فسادُ المدَّخرات، لا سيَّما السَّمْن، فإنه يفسد ويُنتِنُ فيها في يومَيْن.

❊ ❊ ❊

الجملة الثالثة
في معاملة هذه المملكة

ذكر في مسالك الأبصار عن ابن أمير حاجب: أن المعاملة عندهم بالوَدَع، وأنَّ التجَّار تجلبه إليهم كثيراً، فتربح فيه الربح الكثير. وكأنه هذا في المعاملات النازلة من مثل المآكل وما في معناها، وإلاَّ فالذهب عندهم على ما تقدَّم من الكثرة.

❊ ❊ ❊

الجملة الرابعة
في ذكر ملوك هذه المملكة

قد تقدَّم أنَّ هذه المملكة قد اجتمع بها خمسة أقاليم: وهي: إقليم مالّي، وإقليم صُوصُو، وإقليم غانة من الجانب الغربيّ عن مالي، وإقليم كَوْكَوْ وإقليم تكرور في الجانب الشرقي عن مالي، وأنَّ كلَّ إقليم من هذه الخمسة كان مملكة مستقلَّة، ثم اجتمع الكُلُّ في مملكة صاحب هذه المملكة. وأنَّ مالّي هي أصل مملكته.

قال في مسالك الأبصار: وهو وإن غلب عليه عند أهل مصر اسم سلطان التكرور فإنه لو سمع هذا أنِفَ منه، لأن التكرور إنَّما هو إقليم من أقاليم مملكته، والأحبّ إليه أن يُقال صاحب مالّي، لأنه الإقليم الأكبر، وهو به أشهر.

ونقل عن الشيخ سعيد الدُكَّالي. إنه ليس بمملكته مَنْ يُطلق عليه اسم ملك إلاَّ صاحب غانة، دون غيره لعدم انتزاعها منه والاستيلاء عليها استيلاءً كلِّياً. فقد قال في «التعريف»: وأمَّا غانة فإنه لا يملكها وكأنه مالكُها، يتركها عن قُدرة عليها، لأن بها وبما وراءها جنوباً منابت الذهب. وذكر ما تقدَّم من أن بلاد منابت الذهب متى فشا فيها الإسلام والأذانُ، عُدِمَ فيها نباتُ الذهب. وصاحب مالّي يتركها لذلك لأنه مسلم، وله عليها إتاوة كبيرة مقرّرة تُحمل إليه في كُلِّ سنة.

وقد ذكر صاحب العبر أنَّ هذه الممالك كانت بيد ملوك متفرّقة، وكان من أعظمها مملكة غانة. فلما أسلم الملثّمون من البربر تسلّطوا عليهم بالغزو حتى دان كثيرٌ منهم بالإسلام، وأعطى الجزية آخرون، وضَعُفَ بذلك مُلْكُ غانة واضمحلّ، فتغلّب عليهم أهل صُوصُو المجاورون لهم، وملكوا غانة من أيدي أهلها. وكان ملوكُ مالي قد دخلوا في الإسلام منذ زمن قديم.

قال: ويُقال إنَّ أوَّل مَنْ أسلم منهم مَلِكٌ اسمه (بَرَمِنْدانّة) بباء مُوَحَّدة وراءٍ مُهملة مفتوحتين، وميمٍ مكسورة، ونونٍ ساكنة ودالٍ مهملة بعدها ألف، ثم نونٌ مشدّدة مفتوحةً وهاءٌ في الآخر فيما ضبطه بعضُ علمائهم. ثم حجّ بعد إسلامه فاقتفى سننه في الحجّ ملوكهم من بعده.

ثم جاء منهم ملك اسمه (ماري جاطة)، ومعنى (ماري) الأمير الذي يكونُ من نسل السلطان، ومعنى (جاطة) الأسد. فقوي مُلْكُهُ وغلب على صُوصُو، وانتزع ما كان بأيديهم من مُلْكهم القديم ومُلْك غانة الذي يليه إلى البحر المحيط. ويُقال إنَّه ملك عليهم خمساً وعشرين سنة.

ثم ملك بعده ابنه (مَنْسا ولي)(١). ومعنى (مَنْسا) بلغتهم السلطان. ومعنى (ولي) عليّ. وكان من أعظم ملوكهم، وحَجَّ أيام الظاهر بيبرس صاحب مصر.

ثم ملك من بعده أخوه (والي).

ثم ملك من بعده أخوه (خليفة)، وكان أحمق، يغلبُ عليه الحمقُ فيرمي الناس بالسِّهام فيقتلهم، فوثب به أهلُ مملكته فقتلوه.

وملك بعده سِبْطٌ من أسباط (ماري جاطة) المقدَّم ذكره، اسمه (أبو بكر) على قاعدة العجم في تمليك البنْتِ وابنِ البِنْتِ.

ثم تغلّب على المُلْك مولًى من مواليهم اسمه (ساكَبُورة). ويُقال: (سيكُرُه)، فاتَّسع نِطاق مملكته، وغلب على البلادِ المجاروة له. وفَتحَ بلاد كَوْكَوْ، واستضافها إلى مملكته، واتصل ملكه من البحر المحيط الغربيّ إلى بلاد التَّكْرُور. فقوي سلطانه، وهابه أُمم السودان، ورحل إليه التجَّار من بلاد الغرب وأفريقية. وحجّ أيَّام السلطان الملك الناصر (محمد بن قلاوون) ورجع فقُتِل إثر عَوْدِه.

---

(١) يجب أن تضبط بسكون الواو ومعناها الأحمر بلغتهم.

وملك بعده (قو)(١) ابن السلطان (ماري جاطة).

ثم ملك من بعده (محمد بن قو). ثم انتقل الملك من ولد (ماري جاطة) إلى ولد أخيه أبي بكر.

فولي منهم (مَنْسا موسى) ابن أبي بكر، قال في العبر: وكان رجلاً صالحاً، وملكاً عظيماً، له أخبار في العدلِ تؤثرُ عنه. وعظُمت المملكةُ في أيامه إلى الغاية، وافتتح الكثير من البلاد.

قال في «مسالك الأبصار»: حكى ابنُ أمير حاجب والي مصر عنه أنه فتح بسيفه وحده أربعاً وعشرين مدينة من مدن السودان ذوات أعمال وقرى وضياع.

قال في «مسالك الأبصار»: قال ابن أمير حاجب: سألتُه عن سبب انتقال الملك إليه فقال: إنَّ الذي قبلي كان يظنّ أن البحر المحيط له غاية تُدرك. فجهز مئين سفن، وشحنها بالرجال، والأزواد التي تكفيهم سنين، وأمر مَنْ فيها أن لا يرجعوا حتى يبلغوا نهايته أو تنفذ أزوادُهم. فغابوا مدَّةً طويلة ثم عاد منهم سفينة واحدة وحضر مقدّمها، فسأله عن أمرهم، فقال: سارت السفن زماناً طويلاً حتى عرض لها في البحر في وسط اللجّة وادٍ له جرية عظيمة فابتلع تلك المراكب، وكنتُ آخر القوم فرجعتُ بسفينتي.

فلم يصدّقه، فجهَّز ألفَيْ سفينة، ألفاً للرجال وألفاً للأزواد، واستخلفني، وسافر بنفسه ليعلم حقيقة ذلك. فكان آخر العهد به وبمن معه.

قال في «العبر»: وكان حجّه في سنة أربع وعشرين وسبع مئة في الأيام الناصرية «محمد بن قلاوون».

قال في «مسالك الأبصار»: قال لي المهمندار: خرجتُ لملتقاه من جهة السلطان، فأكرمني إكراماً عظيماً، وعاملني بأجمل الآداب، ولكنه كان لا يُحدثني إلاَّ بترجمان مع إجادة اللسان العربي.

---

(١) يجب أن تلفظ: «جو» بالجيم الفارسية.

قال: ولما قدِم، قدّم للخزانة السلطانية حِمْلاً من التِبْر، ولم يترك أميراً ولا ربَّ وظيفة سلطانيَّة إلاَّ وبعث إليه بالذهب.

وكنتُ أحاوله في طلوع القلعة للاجتماع بالسلطان حسب الأوامر السلطانية فيأْبى، خشية تقبيل الأرض للسلطان، ويقول: جئتُ للحج لا لغيره، ولم أزل به حتى وافق على ذلك.

فلما صار إلى الحضرة السلطانية قيل له: قَبِّل الأرض. فتوقَّف وأبى إباءً ظاهراً وقال: كيف يجوز هذا؟

فأَسَرَّ إليه رجلٌ كان إلى جانبه كلاماً ـ فقال:

ـ أنا أسجد لِلَّه الذي خلقني وفَطَرَني.

ثم سجد.

وتقدَّم إلى السلطان، فقام له بعض القيام، وأجلسه إلى جانبه وتحدّثا طويلاً.

ثم قام السلطان موسى، فبعث إليه السلطان بالخِلع الكاملة له ولأصحابه، وخيْلاً مُسْرَجة ملجمة. وكانت خلعته طَرْدَ وَحْشٍ بقصبٍ كثير، بسِنْجاب مُقَنْدَس، مطرّز بزَرْكش، على مفرج إسكندري، وكلّوته زَرْكش، وكلاليب ذهب، وشاش بحرير، ورَقْم خليفتي، ومنطقة ذهب مرصّعة، وسيف مُحَلّى، ومِنْديل مُذْهب خزّ، وفرسيْن مُلْجَمَيْن بمراكب بغل محلاَّة، وأعلام، وأجرى عليه الأنزال والإقامات الوافرة مدَّة مقامه.

ولمَّا آن أوانُ الحجّ بعث إليه بمبلغ كبير من الدراهم، وهُجُن جليلة كاملة الأكوار والعُدَّةِ لمركبه، وهُجن أتباع لأصحابه، وأزوادٍ جمَّة، وركز له العلَّيق في الطرق، وأمر أمير الركْب بإكرامه واحترامه.

ولما عاد بعث إلى السلطان من هدية الحجاز تبرّكاً، فبعث إليه بالخلع الكاملة له ولأصحابه، والتُحف والألطاف من البزّ السكندري والأمتعة الفاخرة، وعاد إلى بلاده.

وذكر عن ابن أمير حاجب والي مصر أنَّه كان معه مئة حمل ذهباً أنفقها في سَفْرَته تلك على مَنْ بطريقه إلى مصر من القبائل، ثُمَّ بمصر، ثم من مصر إلى الحجاز، توجّهاً وعَوْداً حتى احتاج إلى القَرْض، فاستدان على ذمَّته من تُجَّار مصر بمالهم عليه فيه المكاسب الكثيرة، بحيث يحصل لأحدهم في كل ثلاث مئة دينار سبع مئة دينار ربحاً. وبعث إليهم بذلك بعد توجهه إلى بلاده.

قال في «العبر»: ويُقال إنَّه كان يحمل آلته اثنا عشر ألف وصيفة لابساتٍ أقبية الديباج.

قال في «مسالك الأبصار»: وذكر لي عنه ابنُ أمير حاجب أنه حكى له أنَّ من عادة أهل مملكته أنَّه إذا نشأ لأحدٍ منهم بنت حسناء، قدَّمها له أمَةً موطوءة. فيملكها بغير تزويج، مثل مُلْكِ اليمين. فقلتُ له: إنَّ هذا لا يحلّ لمسلمٍ شَرْعاً.

فقال: ولا للملوك؟

فقلت: ولا للملوك، واسألِ العلماء.

فقال: واللَّهِ ما كنتُ أعلمُ ذلك. وقد تركتُه من الآن.

قال في «العبر»: ودام مُلكُه عليهم خمساً وعشرين سنة ومات.

فملك بعده ابنه (منسا مَغَا). ومعنى (مَغَا) عندهم (محمد). يعنون السلطان محمد. ومات لأربع سنين من ولايته.

ومَلَكَ بعده أخوه (مَنَسا سليمان) ابن أبي بكر، وهو أخو منسا موسى المقدَّم ذكره.

قال في «مسالك الأبصار»: واجتمع له ما كان أخوه افتتحه من بلاد السودان، وأضافه إلى يد الإسلام، وبنى به المساجد والجوامع والمنارات، وأقام به الجُمع والجماعات والأذان، وجَلَبَ إلى بلاده الفقهاء من مذهب الإمام مالك رضي الله عنه، وتفقّه في الدين.

قال في «العبر»: ودام مُلْكُه أربعاً وعشرين سنة، ثم مات.

وولي بعده ابنه (قنبتا[١] بن سليمان)، ومات لتسعة أشهر من مُلْكه.

وملك بعده (ماري جاطة) بن منسا مَغَا بن منسا موسى. فأقام أربع عشرة سنة أساء فيها السيرة، وأفسد مُلْكَهُم، وأتلف ذخائرهم بسرفه وتبذيره، حتى انتهى به الحالُ في السَّرف أنَّه كان بخزائنهم حجر ذَهبٍ زنتهُ عشرون قنطاراً منقولاً من المعدن من غير مَسْبك ولا علاجٍ بالنار. وكانوا يروْنه من أنْفَس ذخائرهم لندور وجود مثله في المعدن. فباعه على تُجَّار مصر المتردِّدين عليه بأبخس ثمن، وصَرَف ذلك كله في الفسوق. وكان آخر أمره أن أصابَتْه علَّةُ النوْم ـ وهو مَرَض كثيراً ما يصيبُ أهلَ تلك البلاد ـ لا سيَّما الرؤساء منهم، يأْخذ أحدهم النوم حتى لا يكاد يفيق. فأقام به سنتين حتى مات سنة خمس وسبعين وسبع مئة.

وملك بعده ابنه (موسى) فنكب عن طريق أبيه، وأقبل على العدْلِ وحُسْنِ السيرة.

وتغلَّب على دولته وزيره (ماري جاطة). فحجره وقام بتدبير الدولة، وكان له فيها أحسنُ تدبير، وبقي مَنْسا موسى حتى مات سنة تسع وثمانين وسبع مئة.

ومَلَكَ بعده أخوه (منسا مَغَا)، وقُتِل بعده بسنةٍ أو نحوها.

وملك بعده (صندكي) زوجُ أُمّ موسى المقدَّم ذكره. ومعنى صندكي الوزير. ووثب عليه بعد أشهر رجلٌ من بيت ماري جاطه.

ثم خرج من ورائهم من بلاد الكَفَرَة رجلٌ اسمه محمود يُنسب إلى (منساقو)[٢] ابن منسا وْلي، ابن ماري جاطة. ولقبه منسا مغا. وغلب على الملك في سنة ثلاث وتسعين وسبعمائة.

---

(١) معناه في لغتهم: «الضخم الرقبة».

(٢) كذا «قو» وتلفظ القاف مثل الجيم الفارسية كما مر.

قال في التعريف: وصاحب التكرور هذا يدَّعي نَسَباً إلى عبدالله بن صالح بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب كرَّم الله وجوههم.

قلتُ: هو صالح بن عبدالله بن موسى بن عبدالله أبي الكِرام، ابن موسى الجَوْن بن عبدالله بن حسن المَثَنَّى بن الحسن السبط ابن أمير المؤمنين عليّ ابن أبي طالب رضي الله عنه.

وقد ذكر في «تقويم البلدان» أنَّ سلطان غانة يدَّعي النسب إلى الحسن بن عليّ عليه السلام، فيحتمل أنه أراد صاحب هذه المملكة، لأنَّ من جملة مَنْ هو في طاعته غانة، أو مَنْ كان بها في الزمن القديم قبل استيلاءِ أهل الكفر عليها.

❋ ❋ ❋

الجملة الخامسة
في أرباب الوظائف بهذه المملكة

قد ذكر في «مسالك الأبصار» أنَّ بهذه المملكة: الوزراء، والقُضاة، والكتاب، والدواوين. وأنَّ السلطان لا يكتُب شيئاً في الغالب، بل يَكِلُ كُلَّ أمْرٍ إلى صاحب وظيفته من هؤلاء فيفصله. وكتابتهم بالخطّ الغربيّ على طريقة المغاربة.

❋ ❋ ❋

الجملة السادسة
في عساكر سلطان هذه المملكة وأرزاقهم

أمَّا مقدار العساكر فقد ذكر الشيخ سعيد الدُكَّالي أنَّ مقدار عسكره مئة ألف نفر، منهم خيالة نحو عشرة آلاف فارس، وباقيهم رَجَّالة لا خَيْل لهم.

وأمَّا الإقطاعات لأُمراء هذا السلطان وجنده والإنعامات عليهم فقد قال الدُكّالي: إنَّ من أكابرهم مَنْ يبلغ جملة ماله على الملِك في كلّ سنة خمسين ألف مثقال من الذهب، وأنه يتفقّدهم مع ذلك بالخيل والقماش، وأنَّ همَّته كلّها في تجميل زيّهم وتمصير مُدُنهم.

❊ ❊ ❊

الجملة السابعة
في زي أهل هذه المملكة

قال الدُكّالي: لباسُهم عمائم بحنكٍ مثل العرب، وقماشهم بياضٌ من ثياب قطن تُنسَجُ عندهم في نهاية الرقة واللطف تُسَمَّى الكميصا. ولبسهم شبيه بلبس المغاربة: جبابٌ ودراريع بلا تفريج، والأبطالُ من فرسانهم تلبس أساور من ذهب. فمن زادت فروسيته لبس معها أطواقاً من ذهب، فإذا زادت لبس مع ذلك خلاخل من ذهب. وكُلَّما زادت فروسيَّة البطل ألبسه الملك سراويل مُتَّسعة. وسراويلاتهم ضيّقة أكمام الساقين، متسعة الشرج.

وأهل هذه المملكة يركبون بالسروج، وهم في غالب أحوالهم في الركوب كأنهم من العرب، إلاَّ أنَّ هؤلاء يبدأون في الركوب بأرجلهم اليمنى بخلاف غيرهم من سائر الناس جميعاً. ولا يُعرف عندهم ركوب جَمَلٍ بَكور.

❊ ❊ ❊

الجملة الثامنة
في ترتيب هذه المملكة

أمَّا جلوس السلطان في قصره فإنه يجلس على مصطبة كبيرة على دكّة كبيرة من ابنوس، كالتخت، على قدر المجلس العظيم المتَّسع، عليها

أنيابُ الفيلة في جميع جوانبها، النابُ إلى الناب. وعنده سلاحٌ له من ذهب كله: سيفٌ، ومِزْراق، وقوس، وتركاش، ونُشّاب، وعليه سراويل كبير، مُفَصَّل من نحو عشرين نِصفيَّة، لا يلبس مثله أحدٌ منهم، بل هو من خصوصيته، ويقف خلفه نحو ثلاثين مملوكاً من التُرك وغيرهم من يُبتاع له من مصر. بيد واحدٍ منهم جتر من حرير عليه قبة، وطائرٌ من ذهب صِفَةُ بازي يُحمل على يساره. وأمراؤه جلوس حوله يميناً وشمالاً. ثم دونهم أعيانٌ من فرسان عسكره جلوسه، وبين يديه شخصٌ يغنِّي له، وهو سيَّافُه. وآخرُ سفيرٌ بينه وبين الناس يُسمَّى الشاعر، وتُنْهى إليه الشكاوى والمظالم فيفصلها بنفسه. ولا يكتب شيئاً في الغالب، بل يأمر بالقول بلسانه. وحوله أناس بأيديهم طبولٌ يَدُقّون بها، وأناسٌ يرقصون وهو يضحك منهم.

وخلفه صَنْجَفان منشوران.

وأمامه فَرَسَان مشدودان محصّلان لركوبه متى أحب.

ومَنْ عَطَسَ في مجلسه ضُرِبَ ضَرْباً مؤلماً، لا يُسامحُ أحدٌ في مثل ذلك. فإن بَغَتَ أحداً منهم العُطاسُ انبطح في الأرض وعَطَسَ حتى لا يُعلم به. أمَّا الملكُ فإنه إذا عَطَسَ ضَرَبَ الحاضرون بأيديهم على صدورهم.

ولا يدخلُ أحدٌ دارَ السلطنة منتعلاً كائناً مَنْ كان، ومَنْ لم يخلع نعليْه قُتِلَ بلا عفو، عامداً كان أو ساهياً.

وإذا قَدِم عليه أحدٌ من أمرائه أو غيرهم وقَفَ أمامه زماناً، ثم يومىءُ القادم بيده اليمنى مثل مَنْ يضربُ الجوك ببلاد توران وإيران من بلاد المشرق.

وصِفَةُ ذلك أن يكشف مقدم رأْسه ويرفع الذي يضربُ الجوك يده اليمنى إلى قريب أُذُنه، ثم يضعُها وهي قائمة منتصبة، ويُلقيها بيده اليُسرى فوق فخذه. واليدُ اليُسرى مبسوطةُ الكفّ لتلقى مرفق اليُمنى، مبسوطة الكف مضمومة الأصابع، بعضها إلى جانب بعض كالمشط، تُماسُّ شحمة الأذن.

قال ابنُ أمير حاجب: وقد رأيتُ هذا عند خدمتهم للسلطان موسى لما قَدِم الديار المصرية.

فإذا أنعم على أحدٍ بإنعام أو وَعَدَه وعْداً جميلاً أو شكره على فِعْل، تمرَّغَ المنعم عليه بين يديه من أوَّلِ المكان إلى آخره. فإذا وصل إلى آخر المكان أخذ غِلمان المُنْعَم عليه أو مَنْ هو مِنْ أصحابه من رماد يكون موضوعاً في آخر مجلس الملك مُعدًّا لهذا الشأْن فَيَذُرُّ في رأْسِ المنعم عليه، ثم يعودُ ويتمرَّغ إلى أن يصل بين يديْ الملك، ويضربُ جوكاً آخر بيده.

وأمَّا في الركوب فقد جَرَت عادةُ سلطان هذه المملكة أنَّه إذا قَدِمَ من سَفَر أن يحمل على رأْسه الجتر راكبٌ، ويُنشر على رأْسه علمٌ، وتُضرب أمامه الطبول، والطنابير، والبوقات بقرونٍ لهم فيها صناعةٌ محكمة.

قال ابنُ أمير حاجب: وشِعارُ هذا السلطان أعلامٌ وألويةٌ كبار جداً. وَرَنْكُهُ أصفرُ في أرضٍ حمراء.

وأمَّا غير ذلك من سائر أُموره، فقد ذكر الشيخ سعيد الدُكّالي: أنَّ من عادة هذا السلطان أنَّه إذا عاد إليه أحدٌ ممن بعثه في شُغُل له أو أمرٍ مُهِمٍّ أن يسأله عن كُلِّ ما حدث له من حين مفارقته له وإلى حين عَوْدِهِ مُفَصَّلاً.

قال ابن أمير حاجب: وقد رأيتُ السلطان موسى وهو بمصر لا يأْكل إلاَّ منفرداً وحده، لا يحضره عند الأكل أحدٌ البتَّة(١).

○ ○ ○ ○ ○ ○

---

(١) صبح الأعشى، ٢٨٢/٥ ـ ٣٠١.



المكاتبة إلى مسلمي ملوك السودان

ملك مالي:

قال في «مسالك الأبصار»: وهي في نهاية المغْرب متَّصلة بالبحر المحيط.

وقاعدة الملك بها يني، وهي أعظمُ ممالك السودان. وقد تقدَّم في المقالة الثانية في الكلام على المسالك والممالك ذكر أحوالها. وما تيسَّر من ذكر ملوكها، وأن مالي اسم للإقليم، والتكرور مدينةٌ من مُدُنه. وكان ملكها في الدولة الناصرية محمد بن قلاوون منسى موسى. ومعنى منسى السلطان.

وملك التكرور هذا يدَّعي نسباً إلى عبدالله[١] بن صالح بن الحسن بن علي ابن أبي طالب، ورسم المكاتبة إليه على ما ذكره في «التعريف»:

«أدام الله تعالى نصر المقرّ العالي، السلطان الجليل الكبير العالم، العادل، المجاهد، المؤيَّد، الأوْحد، عز الإسلام، شرف ملوك الأنام، ناصر الغُزاة والمجاهدين، زعيم جيوش الموحّدين، جمال الملوك والسلاطين، سيف الجلالة، ظهير الإمامة، عضد أمير المؤمنين، الملك فلان ـ ويُدعى له بما يُناسب.

قال: ولا يُعرض له ولا يُقرّ بشيءٍ من الألقاب الدالة على النسب العلويّ.

---

(١) مر في ص١٢٩ أنه: «صالح بن عبدالله...».

وهذا صدرٌ لهذه المكاتبة ذكره في «التعريف»:

«ويَسَّر له القيام بغرضه، وأحسن له المعاملة في قَرْضه، وكثّر سواده الأعظم، وجعلهم بيض الوجوه يوم عرضه، ومتَّعه بملكٍ يجدّ الحديد سجف سمائه، والذهب نبات أرضه.

صدرت هذه المفاوضة وصدرُها به مملو، وشكرها عليه يحلو، ومزايا حُبّه في القلوب سرُّ كلّ فؤاد، وسبب ما حَلِيَ به الطرف والقلبُ من السواد. تنزّل به سُفُنُها المسيَّرة في البحر وتُرْسي، وتحلّ عند ملكٍ ينقص به زائده ويُنسي، موسى منسى، وتُقيم عليه والدهرُ لا يطرقُه فيما ينوب، والفكر لا يشوقه إلاَّ إذا هبَّت صبا من أرضه أو جنوب».

والمتداولُ بين جماعة كتاب الإنشاء أنَّ المكاتبة إليه:

«أعزَّ الله تعالى جانب الجناب الكريم العالي، الملكِ الجليل، العالم العادل، المجاهد المؤيَّد، المرابط المثاغر، العابد الناسك، الأوحد، فلان، ذخر الإسلام والمسلمين، نُصْرَة الغُزاة والمجاهدين، عَوْن جيوش الموحّدين، ركن الأُمة، عماد الملَّة، جمال الملوك والسلاطين، وليّ أمير المؤمنين... والدعاء».

وذكر نحو ذلك في الدستور المنسوب للمقرّ العلائي ابن فضل الله. ثم قال:

ويقال: «صدرت هذه المكاتبة إلى الجناب العالي مملوءة الصدرِ بشكره، باسمةَ الثغْرِ برفْعَةِ قدره، مُوَضِّحَةً لعلمه الكريم كَيْت وكيْت». وذكر أن خطابه بالجناب الكريم، والطلب والقصدَ والختْمَ بالإحاطة.

وذكر هو وصاحب «التثقيف» أنَّ المكاتبة إليه في قطع الثُلُث.

والعلامة: أخوه.

وتعريفُه: صاحب مالّي وغانة[1].

○ ○ ○ ○ ○ ○

(١) صبح الأعشى، ٨/٩ ـ ١١.

الفصل الثالث

تصحيح مفاهيم مغلوطة
عن نسب وتاريخ بني صالح ملوك مالي

١ ـ النسَّابة الشريف السيد عبدالستار بن درويش الحسني البغدادي وما كتبه عن بني صالح ملوك غانة ومالي من بلاد السودان.

٢ ـ قائمة ملوك مالي.

٣ ـ بنو صالح ودورهم في ترسيخ الإسلام في مملكتهم مالي.

٤ ـ التاريخ الإسلامي في غرب أفريقيا تحت مطارق الباحثين، الباحث: هارون مهدي الميغا.

٥ ـ ملحق بأسماء الأقاليم والدوائر والمدن الموجودة في جمهورية مالي.

٦ ـ حياة السيد الشريف موديبو كيتا أول رئيس لجمهورية مالي الحديثة.

٧ ـ حياة السيد الشريف إبراهيم أبو بكر كيتا رئيس جمهورية مالي الحديثة.




النسَّابة الشريف
السيد عبدالستار بن درويش الحسني البغدادي
وما كتبه عن بني صالح ملوك غانة
ومالي من بلاد السودان

هو النسَّابة البحاثة الأديب المتخصص في الأنساب: السيد الشريف عبدالستار بن درويش العلاق البغدادي من آل سعبر الهواشم الأمراء، أبناء أبي هاشم محمد بن الحسين الأمير ابن محمد الثائر ابن موسى الثاني ابن عبدالله الرضا الشيخ الصالح ابن موسى الجون ابن عبدالله المحض ابن الحسن المثنى ابن الحسن السبط ابن علي ﷺ.

والهواشم الأمراء بالعراق ـ هم: آل مطاعن بن إدريس من آل مكثر: «المكاثرة».

الذين ينتهي إليهم كما أسلفنا النسَّابة المؤرخ البحاثة الأديب المتخصص في الأنساب، السيد الشريف عبدالستار بن درويش العلاق البغدادي الهاشمي الأمير الحسني.

وهو اليوم مقيم في مدينة قم بإيران أطال الله عمره في طاعته، ومن أبحاثه الدقيقة المتخصصة، نقد واستدراك وتصويب لكتاب: «نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب» للقلقشندي، حيث نقده واستدرك عليه بمجموعة من المقالات تحت عنوان:

(نظرات في كتاب: نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب للقلقشندي).

علق عليها واعتنى بنشرها الباحث في التاريخ: محمد بن عبدالله آل رشيد.

ومما استدركه على النسابة المؤرخ القلقشندي وصححه:

«عمود نسب بني صالح ملوك غانة ومالي من بلاد السودان» حيث نسبهم القلقشندي رحمه الله تعالى إلى الحسين عليه السلام أولاً.

ثم رجع ونسبهم إلى: عبدالله بن موسى الثاني المنقرض، تبعاً لابن خلدون رحمه الله.

حيث يعتبر ابن خلدون أول من شكك في صحة نسب بني صالح شرفاء كمبي صالح قبل أن يسلم بصحته مؤخراً، ولكنه أثناء بحثه وتحقيقه لهذا النسب الشريف وقع في أخطاء وأوهام في عمود نسبنا كما أخطأ ووهم في أغلب سلاسل الأشراف الحسنيين.

ومن بين تلك الأخطاء التي وقع فيها ابن خلدون:

١ ـ نفيه بداية لنسب بني صالح ملوك غانة ومالي من بلاد السودان وذلك في المقدمة ونصه: (فكان في غانة فيما يقال ملك ودولة لقوم من العلويين يعرفون ببني صالح بن عبدالله بن الحسن بن الحسن، ولا يعرف صالح هذا في ولد عبدالله).

٢ ـ وذكر في الجزء الخامس، ما نصه:

(وذكر صاحب كتاب رجار في الجغرافيا أن بني صالح من بني عبدالله بن حسن بن الحسن كانت لهم بها دولة وملك عظيم، ولم يقع لنا في تحقيق هذا أكثر من هذا، وصالح من بني حسن مجهول، وأهل غانة منكرون أن يكون عليهم ملك لأحد غير صوصو).

وبما أن طعن ابن خلدون هذا في نسب الصالحيين لم يبنيه على

مصدر أو مرجع قبله ولا معاصر له ولم يجد من يوافقه فيه وشذ في هذا عن سائر النسَّابين والمؤرخين والجغرافيين والرحالة وعلماء البلدان والاجتماع الذين نصوا قبله على صحة نسب بني صالح إلى الحسن ﷺ وملكهم لغانة.

رجع رحمه الله تعالى إلى موافقة الجمهور في صحة نسب بني صالح وملكهم لغانة، ولكنه لما أراد أن يعزو إليهم عمود نسب بني صالح أخطأ فيه وهذا نصه من الجزء الرابع تحت عنوان:

٣ ـ (الخبر عن دولة الأخيصر باليمامة من بني حسن، كان موسى الجون ابن عبدالله بن حسن المثنى ابن حسن السبط، لما اختفى أخواه محمد وإبراهيم طالبه أبو جعفر المنصور بإحضارهما فضمن له ذلك، ثم اختفى وعثر عليه المنصور فضربه ألف سوط فلما قتل أخوه محمد المهدي اختفى موسى الجون إلى أن هلك، وكان من عقبه إسماعيل وأخوه محمد الأخيصر ابنا يوسف بن إبراهيم بن موسى...

وانفرد إسماعيل بملك اليمامة وكان له من الإخوة الحسن و«صالح» ومحمد بنو يوسف، فلما هلك إسماعيل ولي من بعده أخوه الحسن، وبعده ابنه أحمد بن الحسن ولم يزل ملكها فيهم إلى أن غلب عليهم القرامطة، وانقرض أمرهم والبقاء لله.

وكان بمدينة غانة من بلاد السودان بالمغرب مما يلي البحر المحيط ملك بني صالح، ذكرهم صاحب كتاب رجار في الجغرافيا، ولم نقف على نسب صالح هذا من خبر يعول عليه.

وقال بعض المؤرخين إنه: «صالح بن عبدالله بن موسى بن عبدالله الملقب أبا الكرام ابن موسى الجون، وإنه خرج أيام المأمون بخراسان وحمل إليه وحبسه وابنه محمد من بعده، ولحق بنو بالمغرب فكان لهم ملك في بلد غانة، ولم يذكر ابن حزم في أعقاب موسى الجون صالحاً بهذا النسب ولعله صالح الذي ذكرناه آنفاً في ولد يوسف بن محمد الأخيصر والله أعلم».

يشير ابن خلدون هنا بقوله: (وقال بعض المؤرخين إنه صالح بن عبدالله. . .) إلى ابن سعيد الغرناطي في كتابه: «كنوز المطالب في أنساب آل أبي طالب»، والعمري في كتابه: «مسالك الأبصار في ممالك الأمصار».

والصفدي في كتابه: «الوافي بالوفيات». . . وغيرهم، وما ذكروه هو: (صالح بن عبدالله الرضا بن موسى الجون) وليس ما ذكره هو فالخطأ منه وليس منهم.

فقد نسب بني صالح هنا إلى: «عبدالله بن موسى الثاني» وهو منقرض، ثم نسبهم ثانية إلى: «صالح بن يوسف بن محمد الأخيصر بن يوسف بن إبراهيم بن موسى الجون» وذلك بقوله: (ولعله صالح الذي ذكرناه آنفاً في ولد يوسف بن محمد الأخيصر بن يوسف بن إبراهيم بن موسى الجون) وصالح هذا منقرض أيضاً.

ولم ينسب بني صالح إليهما نسَّابة قبله كما لم يشكك في نسبهم نسَّابة ولا مؤرخ قبله.

٤ ـ وفي الجزء الرابع أيضاً قطع ابن خلدون رحمه الله تعالى الشك باليقين، وجزم بصحة نسب بني صالح إلى الحسن ﵁ وملكهم لغانة وذلك بقوله:

(الخبر عن نسب الطالبيين وذكر المشاهير من أعقابهم، وأما نسب هؤلاء الطالبيين فأكثرها راجع إلى الحسن والحسين ابني علي ابن أبي طالب من فاطمة ﵂ وهما سبطا الرسول ﷺ. . . ومنهم: بنو صالح بن موسى بن عبدالله الساقي ويلقب بأبي الكرام ابن موسى الجون، وهم الذين كانوا ملوكاً بغانة من بلاد السودان وعقبهم هنالك معروفون).

نلاحظ أنه رحمه الله تعالى بعد تسليمه بصحة نسب بني صالح وملكهم لغانة وجزمه بذلك أخطأ ثالثة في عمود نسبهم، فنسبهم إلى: ابن عمهم صالح بن موسى الثاني.

وهذه السلاسل الثلاثة والتي قلده فيها كثير ممن نقلوا عنه ومن بينهم القلقشندي، لم يذكرها بنو صالح عن نسبهم، ولم يقل بذلك نسَّابة قبل ابن خلدون.

ولكن من فضل الله أن كل الذين نقلوا نسب بني صالح من تاريخ ابن خلدون إنما ينقلون عنه إثباته لذلك النسب لصحته ولم ينقلوا عنه النفي أو الطعن لرجوعه عنه أولاً، ولبطلانه ثانياً.

ونرجع الآن بعد أن أوضحنا أوهام ابن خلدون في عمود نسب بني صالح إلى تصويب السيد الشريف عبدالستار بن درويش العلاق الحسني البغدادي لما كتبه القلقشندي عن بني صالح ملوك غانة ومالي من بلاد السودان.

وهذا نصه:

١ ـ (وفي ص١٢٣: في الحسينيين ذكر بني الأخيصر وهم حسنيون من بني موسى الجون، وبنو صالح ملوك غانة وهم حسنيون أيضاً من بني موسى بن عبدالله الجون).

٢ ـ (وفي ص٢٨٧... وفيها: بنو صالح بن عبدالله بن موسى أبي الكرام ابن موسى الجون... إلخ، والصواب: صالح بن عبدالله بن موسى الجون، وفيها نقلاً عن «العبر» ولعل صالح «والصواب صالحاً» هذا هو صالح بن يوسف بن محمد الخيضر بن يوسف بن إبراهيم بن موسى الجون، والتحقيق أن صالح بن يوسف هذا أعقب وانتشر عقبه ولكنه انقرض بعد ذيل طويل).

قلت: جزى الله عنا خيراً نسَّابة السادة الأشراف الحسنيين والحسينيين الذين حفظوا لنا نسبنا بدءاً بالشريف يحيى العقيقي الحسيني، والنسَّابة الشيخ شرف العبيدلي الحسيني، والنسَّابة الشريف إسماعيل المروزي الحسيني، والنسَّابة الشريف المقريزي الحسيني، والمؤرخ الجغرافي محمد بن محمد الشريف الإدريسي الحسني والنسَّابة الشريف ابن الطقطقي محمد بن علي الحسني.

والنسَّابة الشريف ابن عنبة الحسني، والنسَّابة الشريف أحمد الشباني الإدريسي الحسني رحمهم الله جميعاً.

وختام المسك السيد الشريف النسَّابة عبدالستار بن درويش العلاق الهاشمي الأمير الحسني البغدادي أطال الله عمره في طاعته، ومتعه بموفور الصحة والعافية.

❍ ❍ ❍ ❍ ❍ ❍




قائمة ملوك مالي

لائحة ملوك مالي كما أوردها ابن خلدون	فترات حكم ملوك مالي حسب اجتهادات م. دولافوس وش. مونتيل
١ ـ برمندانة أول من حج من ملوك مالي.	الربع الأخير من القرن السادس/ ١٢.
٢ ـ ماري جاظه حكم ٢٥ سنة.	٦٢٨ ـ ٦٥٢هـ/ ١٢٣٠ ـ ١٢٥٥م.
٣ ـ منسا ولي حج أيام الملك الظاهر (٦٥٩ ـ ٦٧٥هـ).	٦٥٢ ـ ٦٦٩هـ/ ١٢٥٥ ـ ١٢٧٠م.
(*) ٤ ـ واتي لم تحدد مدته الزمنية.	٦٦٩ ـ ٦٧٣هـ/ ١٢٧٠ ـ ١٢٧٤م.
(*)٥ ـ خليفة لم تحدد مدة ملكه.	٦٧٣ ـ ٦٧٤هـ/ ١٢٧٤ ـ ١٢٧٥م.
(*) ٦ ـ أبو بكر مدة ملكه لم تحدد.	٦٤٧ ـ ٦٨٤هـ/ ١٢٧٥ ـ ١٢٨٥م.
٧ ـ ساكورة حج أيام المالك الناصر (٦٨٢ ـ ٧٤١هـ)	٦٨٤ ـ ٧٠٠هـ/ ١٢٨٥ ـ ١٣٠٠م.
(*) ٨ ـ قو لم يحدد ابن خلدون مدته.	٧٠٠ ـ ٧٠٥هـ/ ١٣٠٠ ـ ١٣٠٥م.
(*) ٩ ـ محمد بن قو فترته لم تحدد.	٧٠٥ ـ ٧٠٩هـ/ ١٣٠٥ ـ ١٣١٠م.
١٠ ـ منسا موسى حكم ٢٥ سنة (٧٠٧ ـ ٧٣٢هـ).	٧١٢ ـ ٧٣٧هـ/ ١٣١٢ ـ ١٣٣٧م.
١١ ـ منسا مغا حكم ٤ سنوات (٧٣٢ ـ ٧٣٦هـ).	٧٣٧ ـ ٧٤١هـ/ ١٣٣٧ ـ ١٣٤١م.

(*) لم يحدد ابن خلدون مدة ولايتهم.

١٢ ـ منسا سليمان حكم ٢٤ سنة (٧٣٦ ـ ٧٦٠هـ)	٧٤١ ـ ٧٦١هـ/ ١٣٤١ ـ ١٣٦٠م.
١٣ ـ قنبتا بن سليمان حكم ٩ أشهر (٧٦٠ ـ ٧٦١هـ).	٧٦١هـ/ ١٣٦٠م.
١٤ ـ ماري جاطه الثاني حكم ١٤ سنة (٧٦١ ـ ٧٧٥هـ).	٧٦١ ـ ٧٧٥هـ/ ١٣٦٠ ـ ١٣٧٤م.
١٥ ـ موسى الثاني.	٧٧٥ ـ ٧٨٨هـ/ ١٣٧٤ ـ ١٣٨٧م.
١٦ ـ منسا مغا الثاني (٧٩٠ ـ ٧٩١هـ).	٧٨٨ ـ ٧٨٩هـ/ ١٣٨٧ ـ ١٣٨٨م.
١٧ ـ صندكي حكم بضعة أشهر (٧٩١ ـ ٧٩٢هـ).	٧٨٩ ـ ٧٩٢هـ/ ١٣٨٨ ـ ١٣٩٠م.
١٨ ـ منسا مغا الثالث استولى على الحكم سنة ٧٩٢هـ.	٧٩٢هـ/ ١٣٩٠م.



بنو صالح ودورهم في ترسيخ الإسلام في مملكتهم مالي

إن بني صالح الشرفاء لما وصلوا إلى مملكة غانة لقوا من أهلها نفس الترحيب الذي لقيه بنو عمومتهم الأدارسة بالمغرب، وقد عملوا في أول أمرهم على نشر الدعوة الإسلامية حتى أورثهم الله ملك غانة بعد ذلك، فعملوا على إعمار الأرض وتحكيم شرع الله وإقامة العدل حتى غدت كل الأقاليم الوثنية تدين لهم بالتبعية والولاء في أول أمرهم استحساناً لسيرتهم وعرفاناً بحسن تدبيرهم وتسييرهم لشؤون البلاد وإعجاباً بعدلهم ورشدهم حتى دانت لهم المملكة الوثنية بالإسلام وبالطاعة والولاء، فأصبحت مملكتهم بذلك خير خلف لخير سلف، ومن ضمن الأقاليم الفيدرالية التي انفصلت عن المملكة بعد وهنها: إقليم كانجابا حيث سعى حكامه إلى إعادة ملك بني صالح، وقاوموا كل الأطماع حتى قضوا على عدوهم سو مانغاروا واستولوا على ملكه وكل المماليك التابعة لغانة سابقاً وأعلنوا قيام مملكتهم مملكة مالي الإسلامية، فأصبحوا الوراثين الشرعيين لسلفهم وإخوانهم من بني صالح ملوك غانة فلقوا من شعوب مملكتهم المترامية الأطراف الترحيب نفسه الذي لقيه سلفهم حكام غانة وبدورهم تفوقوا هم على سلفهم في شتى الميادين من ترسيخ للإسلام، وذلك ببناء الجامعات والمراكز الإسلامية والمعاهد الدينية من جهة، وبتنظيم قوافل الحج إلى بيت الله الحرام من جهة، وبمد جسور الحضارة والتواصل الثقافي والتجاري مع سائر الأقطار الإسلامية من جهة أخرى،

حتى غدت أسماء أهم القبائل في تلك المملكتين ترادف اسم الداعي، المسلم، المرابط، المجاهد، ومن أشهر تلك القبائل: «السوننكي، التكرور، الفلاني». يشير إلى ذلك محمود شاكر بقوله عند كلامه عن حكام غانة[١]: «وأعلنوا ارتباطهم بالخلافة العباسية مباشرة وتحمسوا لنشر الإسلام، حتى غدت كلمة (سوننكي) تراف كلمة داعية، وأجبر الملوك شعوبهم على لبس العمامة، وأخيراً ادعوا الانتساب إلى الحسن بن علي بن أبي طالب». قلت: وهو نسب صحيح شهد لهم به الحسنيون والحسينيون في المشرق قبل المغرب فضلاً عن سائر مؤرخي العرب. اللَّهمَّ إذ استثنينا شخصاً واحداً هو: أحمد الشكري الذي يبدو من حاله والعياذ بالله، أنه يشكر ربه على بغضه لآل بيت نبيه ﷺ متجاهلاً قول الرسول الكريم: «**ولا يبغضنا آل البيت إلا كافر**»، فبينما أنا أتصفح كتابه «الإسلام والمجتمع السوداني» تحصلت لدي قناعة كاملة بأن الهدف الحقيقي من وراء تأليفه لهذا الكتاب هو التشكيك في مصداقية كل مؤرخ يقول بانتساب ملوك غانة ومالي لآل البيت والتقليل من أهميته مع كذبه وإصراره، على اعتبار أن ابن خلدون نفى ذلك في الجزء الخامس، وأغض الطرف عن اعتراف ابن خلدون بذلك في الجزء الرابع كما مرَّ معنا، ثم يحتج بأن البكري لم يذكر ذلك متجاهلاً أن أيام البكري كان الحكم فيها لـ: «بسي وتتكامنين» قبل استلام بني صالح للملك، ويتفطر فيما يبدو كبده ويمتلئ قلبه غضباً فلا يجرؤ على ذكر اسم بني صالح، ولا على ذكر الحسن السبط رضي الله عنه، ويكتفي بذكر أهل البيت أو الآل رضي الله عنهم وأرضاهم. ونورد كلامه هنا من باب الاطلاع أولاً وللأمانة العلمية ثانياً، ولضحده وتفنيده ثالثاً، والله على ما نقول وكيل، وهو حسبنا ونعم الوكيل. كتب أحمد الشكري بغيض آل بيت رسول الله ﷺ وعدوهم ما يلي[٢]: «فبعد أن تركنا البكري أمام مملكة غارقة في الوثنية بملكها، وأهل العاصمة منقسمين على

---

(١) التاريخ الإسلامي، ج٧، ص٣٠٩، ٣١٠.

(٢) الإسلام والمجتمع السوداني، إمبراطورية مالي، ص١١٩، ١٢٠.

أنفسهم بين الوثنية والإسلام». أصبح الجميع في عهد الإدريسي يعتنق الإسلام، ولم يكتف الملك الغاني بذلك؛ بل أراد أن تكون لديه صلة رحم بآل البيت، وفي هذا الإطار أعلن تبعيته للخلافة العباسية، وإعلان الملك الغاني عن تبعيته للخلافة العباسية، لا يعني أنه كان يبحث عن مسوغ شرعي يدعم موقفه أمام شعب الصوصو الوثني كما اعتقد يوسف كيوك، ذلك أن شعب الصوصو لم يكن آنذاك يعرف الإسلام ومَن كان كذلك فحري به أن لا يميز بين طبقاته، وأن يكون الملك الغاني تابعاً للخلافة العباسية أو الموحدية، فإن ذلك لا يعني شيئاً بالنسبة لشعب الصوصو الوثني، والدليل على ذلك أنه لم يمنعهم من الهجوم على غانة واستعباد أهلها فيما بعد. ونرى أن المسألة ينبغي النظر إليها في إطار التنافس الديني خلال القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، فيما بين مملكة غانة وسلطنة التكرور المسلمتين، إن الشيء الأكيد من خلال المعطيات الدينية التي يطرحها الإدريسي عن بلاد السودان هو: أن الإسلام قد تعمق وترسخ بين السودانيين أكثر من ذي قبل، حيث أصبح يمثل المرجع الأساسي في حياتهم، وهذا ما يفسر تعلق ملك غانة بآل البيت والخلافة العباسية واتخاذ أمير التكرور لقب السلطان. ورواية الزهري بهذا الصدد تملك الكثير من المصداقية لأنها تساير أقوال الإدريسي وتدعمها وتكشف لنا عن عمق إسلام أهل مملكة غانة، (وهم اليوم مسلمون وعندهم العلماء والفقهاء والقراء، وسادوا في ذلك وأتى منهم إلى بلاد الأندلس رؤساء من أكابرهم، وساروا إلى مكة وحجوا وزاروا وانصرفوا إلى بلادهم، وأنفقوا أموالاً كثيرة في الجهاد). لقد عاشت مملكة غانة بعد الإدريسي عدة عقود، وربما امتد عمرها حتى مطلع القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، حيث انهارت واضمحلت كوحدة سياسية هامة في بلاد السودان، وذلك على إثر هجوم شعب الصوصو عليها فاختفت المملكة نهائياً تاركة المجال لبروز قوة سياسية إسلامية جديدة: إمبراطورية مالي. قلت: إذا كان الشريف الإدريسي سليل رسول الله ﷺ وأعظم مؤرخ عربي على الإطلاق في القرنين الخامس والسادس الهجريين، قد جزم

بصحة نسبة ملوك غانة للبيت النبوي الذي ينتسب هو له، ووافقه على ذلك ابن سعيد الغرناطي في القرن السادس الهجري، فمن أين لعدو أهل البيت أحمد الشكري مصادر التشكيك في ذلك؟ عدا الهوى والحسد الذي ملأ قلبه، ولماذا يقبل العباسيون بانتساب ملوك غانة لآل البيت وهم الذين رفضوا انتساب الأدارسة والفاطميون لذلك البيت؟ وإذا كان الأمر لا يعدو كونه تنافساً دينياً بين حكام غانة وحكام التكرور، فلماذا لا يدعي حكام التكرور الشيء نفسه؟ وإذا كان الإسلام قد ترسخ بين السودانيين أليس من الأجدر بهم والحالة هذه أن يبتعدوا عن السب والقذف ودعوى نسب الغير؟ خصوصاً إذا تعلَّق الأمر بنسب رسول الله ﷺ حيث يكفر مَن ادعاه كاذباً، وهو القائل: «**مَن انتسب إلى غير أبيه فقد كفر**». وإذا كان الزهري قد ذكر أن ملوك غانة (ساروا إلى مكة وحجّوا)، فلماذا لا يجدون من أهل مكة مَن يقنعهم بالعدول عن دعواهم النسب النبوي، وأنهم إن لم يفعلوا فلن يقبل الله إسلامهم فضلاً عن حجهم؟ وأهل مكة كما يقال: أدرى بشعابها. ولم يكتف عدو أهل البيت بهذا؛ بل انغمس واستغرق في غيّه وسخريته ونسج عش سخريته من آل البيت بخيوط من بيت العنكبوت، حيث زعم أن سبب دعوى ملك غانة الانتساب إلى آل البيت أن دعاة المرابطين رغبوه في ذلك كي يحسن إسلامه، وهذا نص فريته[1]: (وعندما يريد ملك غانة في عهد الإدريسي أن ينتسب إلى آل البيت، فليس لأن المرابطين غزوا مملكته، وهدموا عاصمته، وأرغموه على الإسلام؛ بل لأن تلامذة عبدالله بن ياسين والفقيه الحضرمي قالوا له وهم يعرفونه بالإسلام: إن علي بن أبي طالب هو ابن عم وصهر رسول الإسلام، فأراد ملك غانة أن يحرز شرف الانتماء لآل البيت، حتى يبرهن لهم على انتمائه العميق للإسلام ودار الإسلام، فاقتنع الدعاة وذهبوا إلى ما وراء بلاد غانة لدعوة أهلها). قلت: من أين جاء أحمد الشكري بغيض أهل البيت بهذه المعلومات؟ من أين استقاها؟ من أي مصدر؟ وفي أي زمان؟

---

(١) المصدر السابق، ص١٤٥.

الجواب: أنه استقاها من عدة مصادر؛ منها: كذبه ونفاقه وحقده على آل البيت وكرهه لهم، ثم الحسد ومشتقاته، وعلى فرض صحة استنتاجاته فكيف يتناقض تلامذة ابن ياسين مع دعوتهم؟ فمن جهة يريدون من ملك غانة أن يسلم، ويريدون منه من جهة أخرى أن يكفر بسببه وقذفه للنبيّ ﷺ وكأنهم ما كادوا يدخلونه الإسلام حتى أخرجوه منه. ويزعم أحمد الشكري أن الملك الغاني لما أسلم وانتسب لآل البيت قبل منه تلامذة عبدالله بن ياسين ذلك؛ بل اقتنعوا به وانصرفوا وكأنه إنما كان كل هدف دعوتهم أن يقنعوا غيرهم بسبِّ رسول الله ﷺ وذلك غاية مبتغاهم، ومن هنا تبرز حقيقة الحسد التي امتلأ بها قلب أحمد الشكري حيث ضرب بكلامه هذا ـ المرابطين وبني صالح العلويين ـ بحجر واحد، فهل وقف أحمد الشكري عند هذا الحد؟ هيهات وهيهات فليس للحسد حدود؛ بل استمر في حسده قائلاً: (إن تاريخ احتفال السودانيين بعيد المولد النبوي يعود إلى النصف الثاني من القرن الثامن الهجري. ولعلنا نجد في تعلق أهل مالي بآل البيت[١] مؤشراً آخر يرجح صحة التاريخ الذي افترضناه وقضية التعلق بآل البيت وادِّعاء النسب إليهم، برزت في بلاد السودان منذ منتصف القرن السادس الهجري مع حكام غانة، حيث ادعوا النسب العلوي نسبة لعلي بن أبي طالب. وجاء عند القلقشندي نقلاً عن العمري: أن سلاطين مالي، فعلوا الشيء نفسه وأعلنوا عن انتمائهم لعلي بن أبي طالب وبتطور الإسلام في المنطقة، ازداد حب السودانيين لآل البيت، ولم يكتفوا برفع نسبهم إليهم، وإنما أصبحوا يحرصون على استقدامهم لبلادهم لتحصل البركة برؤيتهم وتتبرك بلاد السودان بأثرهم وأقدامهم، ونتبين درجة هذا الحرص من خلال سلوك السلطان منسا موسى في أثناء حجه (٧٢٤هـ/١٣٢٤م)، حيث استغل فرصة وجوده بمكة المكرمة، فألحَّ على شيخ المدينة بأن يعطيه من أهل بيت رسول الله ﷺ بعض الأشراف يأخذهم معه إلى مالي، إلا أن مشيخة مكة لم تساعد السلطان في نيل

---

(١) نفس المصدر، ص٢٠٧، ٢٠٨.

مبتغاه، وربما نهوه عن ذلك خوفاً على الأشراف من أن يقعوا في أيدي الكفرة المجاورين لأهل مالي، لم يقنع منسا موسى بهذا التبرير فاضطر لإغرائهم بالمال، وعرض على القرشيين من أهل مكة ألف مثقال من الذهب لمَن يرغب في مرافقته لبلاده، ويظهر أن السلطان قد نجح بهذه الوسيلة في استقطاب البعض منهم). قلت: إن كان العمري سليل الفاروق عمر بن الخطاب القرشي العدوي والقلقشندي المنحدر من بني بدر بن فزارة من قيس عيلان المضرية من أصل عربي عدناني صميم، كلاهما قد اتفقا مع غيرهما ـ ممن سبقوهما من المؤرخين ـ على صحة شرف ملوك غانة ومالي وصلتهم بآل البيت، فمن أي مصدر جاء أحمد الشكري بنفي ذلك؟ الجواب: أن أحمد الشكري اعتمد في ذلك كما هو مبين في الهامش على تضعيف رواية العمري من لدن هواه، ومن ثم تقدم إلى دحض رواية القلقشندي بناءً على أنه ينقل من العمري متجاهلاً أن القلقشندي في كتابه «نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب»، اعتمد على روايات مَن سبقوه من المؤرخين من بينهم: الإدريسي وابن خلدون، ولم يذكر رواية العمري؛ بل إنه في «صبح الأعشى» لم يكتف برواية العمري، وإنما جاء أيضاً برواية أبي الفداء في كتابه «تقويم البلدان»، لكن هؤلاء كلهم ضعاف لا يوثق بقولهم عند أحمد الشكري ما داموا يخالفون هواه.

ثم يزعم أن قضية انتساب ملوك السودان حسب تعبيره لآل البيت بدأت في منتصف القرن السادس الهجري غاضاً الطرف، عما رواه الإدريسي: أن ملك غانة من بني صالح بنى قصراً سنة (٥١٠) هجرية في غانة وليس من (٥٥٠) كما يزعم عدونا أهل البيت ويتستر على كيده ومكره بعدم ذكر اسم بني صالح حتى لا يعرف القارئ مَن القبيلة أو الملوك الذين ادعوا الانتساب لعلي رضي الله عنه، وذلك لأن مجرد ذكر اسم بني صالح سيعطي الباحثين والمحققين دليلاً يرشدهم للبحث والتأكد من صحة تلك الدعاوي أو المزاعم؛ ويتجاهل أحمد الشكري أن ملوك مالي يدَّعون الانتساب لعبدالله بن صالح الذي ذكر الإدريسي أن ملك غانة من ذريته، فما العيب في انتساب الأحفاد إلى الأجداد؟ وإذا كان السلطان موسى بن أبي بكر

قبيل إقامته بمكة قد حرص على استقدام الأشراف إلى مكة وهو نفسه يصرح بأنه من بني عبدالله بن صالح بن الحسن بن علي بن أبي طالب، كما سبق ذكره. فلماذا تمتنع مشيخة مكة والمدينة من تلبية طلبه بدعوى خشية وقوع الأشراف في يد الكفار؟ أليس هو نفسه شريف؟ ألم يصل آباؤه في القرن الخامس الهجري إلى غانة وهي إذ ذاك أرض كفر، ثم أين هم الكفرة الذين يخشى على الأشراف منهم؟ أليست مملكة مالي في عهد منسا موسى في أوج قوتها واتساعها وذروة ازدهار الإسلام فيها، فضلاً عن هذا كله أين المصدر والمرجع الذي أخد منه أحمد الشكري هذه المعلومات؟

ويضيف أحمد الشكري ناقلاً هذه المرة عن صاحب «تاريخ الفتاش» بخصوص سعي منسا موسى في استقطاب بعض الأشراف: «فجمع عليه أربعة رجال من قريش، قيل: إنهم كانوا من الموالي وليسوا من أنفس قريش، وأعطاهم أربعة آلاف كل واحد منهم ألفاً، وتبعوه بأهليهم راحلين إلى بلده». وعلى فرض صحة هذه الرواية فإن الشرع والواقع يكذبها من عدة وجوه؛ منها: أن نقباء آل البيت في مكة والمدينة يستحيل عليهم أن يخدعوا إماماً من المسلمين فيدفعون إليه بموالي ويخبرونه بأنهم من آل البيت، فبهذا يكون نقباء أهل البيت قد أدخلوا الموالي في النسب النبوي. ومنها: أن يكونوا قد أخبروه بأنهم موالي وليسوا من آل البيت، فما كان منه هو أن يتقبلهم ويحملهم إلى بلده وهو الذي اصطحب معه (٨٠٠٠) من العبيد إلى الحج، وكان يعتق كل يوم ألفاً، فكيف يغري أربعة عبيد بأربعة آلاف كي يصطحبوه إلى بلده ليتبرك بهم، ألا لعنة الله على الكاذبين. أجارنا الله والمسلمين من ذلك. ولم يتطرق ابن بطوطة لهذه الحكاية، حيث يعتبر الرحالة ابن بطوطة من أشهر وأهم الرحالة الذين زاروا بلاد السودان عامة، ومملكة مالي خاصة، فقد ترحل بين مختلف أقاليم المملكة ووصف أحوال شعبها وملوكها ومدى حضور الإسلام فيها، إلا أنه كان ينقصه التطرق لنسب ملوك مالي، ، لكنه لم يفعل ذلك، ـ لسخطه عليهم ـ بيد أن الذي يهمنا في هذا المقام: هو استعراضه للقيم

والأخلاق الحسنة التي اتصف بها المسلمون في مملكة مالي تحت حكم ملوكهم من بني صالح؛ منها: مواظبتهم على الصلوات، والتزامهم لها في الجماعات، وضربهم أولادهم عليها. وإذا كان يوم الجمعة ولم يبكر الإنسان إلى المسجد لم يجد أين يصلي لكثرة الزحام. ومن عادتهم أن يبعث كل مسلم غلامه بسجادته، فيبسطها له بموضع يستحقه بها حتى يذهب إلى المسجد ومنها لبسه الثياب البيض الحسان يوم الجمعة ولو لم يكن لأحدهم إلا قميص خلق، غسله ونظفه وشهد به الجمعة. ومنها: عنايتهم بحفظ القرآن الكريم حيث يجعلون لأولادهم القيود إذا ظهر في حقهم التقصير في حفظه، فلا تفك عنهم حتى يحفظونه[1]، فلا عجب من أن نعتمد على ابن بطوطة في بيان الحالة الدينية لأهل مالي حيث يصف ما رآه وما شاهده وما سمعه، فهو عاش بين الجماهير واتصل بالعظماء، ودوَّن تجاربه وملاحظاته، كتب بهذا الصدد ما يلي: (ومن الأفعال الحسنة لأهل مالي: قلة الظلم، وهم أبعد الناس عنه وسلطانهم لا يسامح أحداً في شيء منه، ومنها: شمول الأمن في بلادهم فلا يخاف المسافر فيها ولا المقيم من سارق ولا غاصب. ومنها: عدم تعرضهم لمال مَن يموت ببلادهم من البيض ولو كان القناطير المقنطرة، وإنما يتركونه بيد ثقة حتى يأخذه مستحقه)[2]، وحسب تلميحات ابن بطوطة فقد كان سلاطين مالي يحيون شهر رمضان بالذكر الحكيم، وذلك بحضور القاضي والخطيب والفقهاء والأمراء، وكانت ليلة القدر تحظى بإجلال وتكبير عظيمين، وفيها كان السلطان يفرق المال على الحاضرين، ويسمونه: الزكاة. وقد تصادف أن حضر ابن بطوطة ليلة القدر من رمضان عام (**٧٥٣هـ/١٣٥٣م**) في بلاط منسا سليمان، فأعطاه السلطان المذكور (**٣٣**) مثقالاً وثلثاً[2]. وفي أرض كياك التابعة لإمبراطورية مالي، كان من عادة حاكم الإقليم أن يزور علماء المنطقة وقاضيها من شهر رمضان من كل عام، ويتقدم إليهم بالصدقات

---

(١) تحفة النظار، ج٢، ص٧٩٠.

(٢) الإسلام والمجتمع السوداني، ص٢٠٤، ٢٠٥.

والهدايا. ويضيف «تاريخ الفتاش» قائلاً: (وإذا كانت ليلة القدر يأمر الحاكم بطبخ الطعام ثم يجعل المطبوخ في المائدة، أي: القدر، ويحملها فوق رأسه وينادي قراء القرآن وصبيان المكتب يأكلونها والقدح على رأسه يحملها وهو قاعد وهم قائمون يأكلون تعظيماً لهم، وهم على ذلك هلم جراً). هذا مجرد مثال، وإلا فإن أي شيء يمت للإسلام بصلة كان يكتسب قدراً عظيماً من الإجلال والتقدير لدى أهل مالي وحكامهم من بني صالح الشرفاء، فبالإضافة إلى ما تقدم؛ تشهد المصادر على أن أهل مالي حكاماً ورعية، كان لهم اعتناء كبير ببناء المساجد، وقد تنامى اهتمامهم بها خاصة في عهد الازدهار حيث أظهر ملوك مالي اهتماماً بالغاً بهذا الشأن، وحسب عبدالرحمٰن السعدي فإن السلطان منسا موسى إبان عودته من الحج عام (٧٢٥هـ/١٣٢٥م)، كان يأمر ببناء مسجد في كل مدينة من بلاده زارها يوم الجمعة[1]، ويظهر أن العاصمة نياني، ومدينتي كوكو (كاغ) وتنبكت قد حظيت بأكبر اهتمام فيما يخص إقامة وتشييد المساجد، وهذا ما نستشفه من كلام ابن بطوطة وعبدالرحمٰن السعدي، حيث يشير الأول إلى: أن العاصمة كانت تتوفر فيها المساجد فضلاً عن مصلًّى لصلاة العيدين، بينما يطلعنا الثاني صراحة على: أن مسجد كاغ والجامع الكبير بمدينة تنبكت، ابتناهما السلطان منسا موسى، ويضيف: أن مسجد سنكري وهو ثاني أهم مسجد بتنبكت، كان من بناء سيدة سودانية محسنة اشتهرت بأفعال البر والخير، ولا يغامرنا شك في أن المهندس المعماري أبا إسحاق إبراهيم الساحلي الأندلسي الأصل الذي لقيه منسا موسى في موسم الحج وجلبه معه لمملكته مالي، كان المشرف على بناء أو إصلاح المساجد المتوفرة في المدينة الآنفة الذكر وغيرها من المنشآت المعمارية، وبذلك أعطى للملايين نموذجاً معمارياً ساروا عليه في عمارتهم، وقد كانت للمساجد قدسية لدى مسلمي مالي وحرمة، لا يمكن لأحد أن يتجرأ عليها حتى ولو كان السلطان؛ لهذا السبب كان المسلمون يلتجئون إليها ويستجيرون بها لطلب

(١) المصدر السابق، ص٢٠٩ ـ ٢١١ مع بعض التصرف.

العفو أو للتشكي من تعسف حاكم متسلط، ونجد في قصة مشرف ولاته مع التاجر المسوفي، وقصة قاسا مع زوجها السلطان منسا سليمان، حجتين بالغتي الدلالة على مدى قدسية المسجد في قلوب المسلمين هناك، كما أن عملهم على دفن أمواتهم في رحابها، يترجم بصورة جلية هذه الحالة، وحيثما امتلأ مكان ما بالفقهاء والعلماء وأهل الصلاح يكتسب حرمة وقدسية لا تقل عن الحالة التي يحيط بها المسلمون أماكن الصلاة. وقد تخلق هذه الوضعية مشاكل عويصة للسلطة الحاكمة، بحيث تمنعها من التصرف حتى ولو كان هدفها فرض النظام ورعاية حقوق الناس، فبالأحرى التسلط على رقاب الرعية. يقول صاحب «الفتاش»: (وهي ـ أي: تنبكت ـ يومئذٍ (القرن ١٠هـ) ليس فيها حكم إلا حكم متولي الشرع ولا سلطان فيها، والقاضي هو السلطان وبيده الحل والربط وحده، ومثلها في أيام سلطنة مل جعب وليس لأحد حكم فيها إلا قاضيه، ومَن دخله كان آمناً من ضيم السلطان وجوره ومن قتل ولد السلطان لا يسأله السلطان بدمه يقال له: بلد الله، ومثلها أيضاً بلد يقال له: كنْجور، وكنجور: بلد بأرض كياك، بلد قاضي تلك الأقاليم وعلمائها لا يدخله جندي ولا يسكنها أحد من الظلمة). يتبيَّن لنا من خلال النص: أن مكانة الفقهاء والقضاة كانت محل تقدير وإجلال عظيمين من طرف المجتمع المالي حكاماً ورعية سواء في عهد مالي أو سنغاي. وبالنظر إلى مكانتهم الرفيعة هاته كان سلاطين ـ مالي وسنغاي ـ فيما بعد يعملون جاهدين على استقطابهم والتودد لهم، وتشكيل بطانتهم منهم. ويذكر صاحب «تاريخ الفتاش»: أنه لم يكن في مملكة مالي مَن يتجرأ على مصافحة السلطان إلا القاضي، ومؤرخنا السوداني إذ ينبهنا لهذا الامتياز؛ فلأن التقاليد السودانية في المراسم التشريفية عند الدخول على السلطان، تفرض على الرعايا مهما بلغت مرتبتهم أن يرفعوا التراب على رؤوسهم تأدباً مع السلطان. في الإطار نفسه يخبرنا ابن بطوطة: أن دار الخطيب كانت تحظى بحرمة تضاهي حرمة المسجد؛ لذلك كان أهل مالي يستجيرون بها حينما يتعذر عليهم الدخول إلى المسجد، إن مواظبة أهل مالي على الصلوات وضربهم أولادهم عليها،

وعنايتهم بحفظ القرآن والتشدد في ذلك، وتشوقهم المستمر لأداء فريضة الحج، واعتنائهم الكبير بشهر رمضان وليلة المولد النبوي وتعلّقهم بحكامهم من أهل البيت، وتقديرهم العظيم للمساجد والعلماء والفقهاء، واجتهاد الملوك والحكام في مالي منذ بداية أمرهم في اعتماد الإسلام كقاعدة أساسية لتوجهاتهم السياسية.

تلكم شكلت أهم المظاهر التي حاول من خلالها الماليون على عهد بني صالح التعبير عن مدى استيعابهم وتشبعهم بالتعاليم الإسلامية، وهذه المظاهر في مجملها تعكس التأثير العميق الذي تركته العقيدة الإسلامية في نفوس الماليين، ولم يقف بهم الأمر عند تلك الحدود التي أتينا على رسمها؛ بل دفعتهم غيرتهم على العقيدة الإسلامية وتحمسهم لها إلى إعلان الجهاد في وجه مَن جاورهم من القبائل السودانية الوثنية، وذلك على الرغم من أن أهل مالي كانوا بالنسبة إلى مَن جاورهم من أمم السودان المتوغلين في الجنوب كـ«الشامة البيضاء في البقرة السوداء».

وخلاصة القول: فقد كانت التربة السودانية أكثر خصوبة في التفاعل مع العقيدة الإسلامية وأكثر تجاوباً معها، على هذا المستوى، وربما يكون الماليون قد فاقوا غيرهم من المسلمين في بقية الأقطار الإسلامية، وتدعونا هذه الخلاصة للتساؤل عما إذا كانت الثقافة العربية الإسلامية قد لاقت التوفيق نفسه والنجاح بالمنطقة.

• وضعية الثقافة الإسلامية بمملكة مالي على عهد بني صالح:

إن السجل الحافل لبني صالح خلال حكمهم لمملكتي غانة ومالي؛ لهو مدعاة للفخر والاعتزاز لما يحمله ذلك السجل من إنجازات علمية وحضارية. وقد مرَّ معنا الكثير من ذلك، وتجلى ذلك في حسن سلوكهم مع الرعية وما اشتهروا به من العدل وحسن التدبير، بالإضافة إلى جلب العلماء من الخارج، وإغداق الأموال عليهم؛ بل إن هلال الدمشقي حسب وصف الإدريسي: كان يخرج بنفسه في اليوم مرتين لقضاء حوائج الرعية والفصل بين المتخاصمين، مما يدل على أنه كان فقيهاً ونفس الشيء نجده

عند الملك منسا موسى الذي كان فقيهاً يجيد العربية، وجلب معه الكثير من الكتب وبعض العلماء لدى عودته من الحج. أما السلطان منسا سليمان فقد اهتم كثيراً بالعلم والتعليم، فقيمة الدولة تُقاس بعدد متعلميها. وقد زار ابن بطوطة مالي في فترة حكم السلطان منسا سليمان وهو يعتبر شاهد عيان على ذلك، وقد أورد الكثير عنه وعن العلماء الموجودين بمالي، وعن المدارس والمساجد والحركة العلمية، وكان السلطان منسا موسى هو الذي بنى جامع سنكري، ومن عادة ملوك بني صالح أنهم إذا بنوا مسجداً يبنون بجانبه مدرسة للتعاليم الإسلامية، ذلك أنه في المراحل الأولى من التعليم، كان الماليون يرتادون الكتاتيب لحفظ القرآن الكريم، «وكانت الطريقة المتبعة في تعليم الصبيان مشابهة إلى حد ما للأسلوب المتبع في المغرب»[(١)]، ذلك أن الأطفال عند التحاقهم بالكتاب يبدؤون في تهجي وترديد الآيات القرآنية وراء المعلم، وحينما يأنس الطفل في نفسه القدرة على الكتابة يأخذ في تدوين الآيات على الألواح الخشبية، ويستمر في الحفظ تحت مراقبة المعلم إلى أن يختم القرآن الكريم كتابةً وحفظاً، وفي خلال هذه المرحلة، يكون الطفل في معاناته مع الكتابة قد استوعب قسطاً مهماً من قواعد اللغة والنحو، وعند الانتهاء من هذه المرحلة، يقام حفل بشأن الطفل الذي يختم القرآن ويظهر أن المعلم الذي يسهر على تسيير الكتاب ورعاية الصبيان أو الشباب الراغبين في حفظ القرآن يكون في غالب الأحوال من الطلبة المتوسطي الثقافة مثل: علي الزودي المراكشي، وابن الشيخ اللبن، اللذين لقيهما ابن بطوطة في نياني عاصمة مالي، وكان المعلم يعقد اتفاقاً مع أهل القرية أو المدينة يصطلح على تسميته ـ كما هو الشأن في بعض نواحي المغرب (المتشارطة) ـ يحصل بموجبه من أسر الأطفال على مبلغ جار كل أسبوع فضلاً عن الهدايا التي يأخذها بمناسبة ختم الطفل للقرآن الكريم أو في غير ذلك من المناسبات الدينية بعد حفظ القرآن وتعلم مبادئ اللغة العربية، يتنقل الشاب السوداني إلى المرحلة

(١) الإسلام والمجتمع السوداني، إمبراطورية مالي، ص٢١٢.

الثانية من التحصيل، وخلالها يتتلمذ على يد الفقهاء وذلك في رحاب المساجد أو في منزل الفقيه أحياناً، ونجد عند عبدالرحمٰن السعدي في معرض ترجمته للفقيه الجليل مورمغ كنكي، وصفاً أصيلاً عن أوقات الدراسة بمدينة (جنى) أواسط القرن التاسع الهجري. يقول مؤرخ تنبكت: (كان مورمغ كنكي[١] فقيهاً عالماً صالحاً عابداً جليل القدر، فأسرع إليه الطلبة لاقتباس فوائده وفي نصف الليل يخرج من داره إلى الجامع لنشر العلم فيجلس الطلبة حوله يأخذون العلم إلى الإقامة لصلاة الصبح ثم يعودن إليه بعد الصلاة إلى الزوال وفيها يرجع لداره، ثم بعد صلاة الظهر كذلك إلى صلاة العصر، هكذا عادته مع الطلبة). يبدو جلياً أن للطلبة الماليين إقبالاً كبيراً على تحصيل العلم، والجدير بالانتباه هنا، أننا في منطقة (جنى) تعد من أعمق المواقع الجغرافية التي وصل إليها الإسلام ببلاد السودان. قلت: إن مضمون ترجمة الفقيه مورمغ كنكي لا تعدو كونها نموذجاً واحداً من نماذج العلماء الذين تزخر بهم مدينة (جنى)، وقد تحدث المؤرخون عن قصة إسلام ملك (جنى) السلطان كنبر في نهاية القرن السادس الهجري، وذلك أنه لما أراد أن يسلم أمر بحشر جميع العلماء الذين كانوا بأرض المدينة فتحصل لديه منهم أربعة آلاف ومائتان[٢]، حقاً إن عبدالرحمٰن السعدي قد بالغ في تقدير عددهم، بيد أنه في المقابل يقربنا من الحالة العامة للنشاط الثقافي الذي كانت تعرفه المنطقة، ويساعدنا على تمثل مدى أهمية ذلك النشاط، ولدينا إشارة أخرى أوردها ابن بطوطة، تتعلَّق بالحالة الدينية والثقافية لبلدة زاغة القريبة من جنى، يقول رحالتنا: وأهل زاغة قدماء في الإسلام، لهم ديانة وطلب للعلم)، ومما يلفت النظر بهذا الصدد: أن كوكو وتنبكت كانتا أسبق إلى اعتناق الإسلام من جنى، ومع ذلك لم تتطور بهما الثقافة الإسلامية بمثل هذا المستوى المثير الذي نلاحظه في جنى خلال القرن الثامن الهجري. ومن

---

(١) نقلاً من المصدر السابق، ص٢١٣، ٢١٤.

(٢) عبدالرحمٰن السعدي، ص١٢ نقلاً من المصدر السابق.

أشهر الأسر العلمية في بلاد السودان التي أنجبتها مدينة جني: أسرة بغيغ[(١)]، أما عن الفنون التي كانت تدرس في مملكة مالي إبان حكم بني صالح وما بعدهم فقد كانت تشمل معظم التعاليم الإسلامية وفنون اللغة العربية، (وقد سلك هذا النهج الأب يوسف كيوك، وانتهى إلى القول: إنه فضلاً عن دراسة تفسير القرآن الكريم كانت مؤلفات الحديث خاصة «صحيحي مسلم والبخاري» منتشرة في بلاد السودان ورائجة في حلقات العلم، أما مؤلفات الفقه المالكي التي عرفت ذيوعاً وشيوعاً بين الفقهاء والطلبة السودانيين فتمثل أساساً في «الشفا» للقاضي عياض بن موسى (٥٤٤هـ/١١٤٩م). و«الرسالة» لابن أبي زيد القيرواني (٣٨٦هـ/٩٩٦م). و«المدونة» للإمام سحنون عبدالسلام بن سعيد (٢٤٠هـ/٨٥٤م). «مختصر خليل» الخليل بن إسحاق المصري (٧٧٦هـ/١٣٧٤م). ويذكر ابن بطوطة أنه رأى عند الحاج فربا سليمان أمير البلدة التي نسي اسمها، كتاب: «المدهش في المحاضرات» للمحدث الأصولي أبي الفرج عبدالرحمٰن بن علي المعروف بابن الجوزي البغدادي المتوفى عام (٥٩٧هـ).

ومن أشهر العلماء الذين التقى بهم الرحالة ابن بطوطة أو سمع بهم في مملكة مالي على عهد حكام بني صالح، نجد أحمد الشكري نقلاً عن ابن بطوطة يعدد منهم القائمة التالية[(٢)]:

١ ـ الفقيه المدرس يحيى، وهو أخو قاضي ولاته محمد بن عبدالله بن يومر، وقد تعرف عليهما ابن بطوطة حينما توقف بولاته.

٢ ـ الفقيه محمد الفيلالي، إمام مسجد البيضان بمدينة كوكو، وهو ممن استضافوا رحالتنا في أثناء مروره على المدينة المذكورة.

٣ ـ الفقيه المقرئ عبدالواحد، لقيه ابن بطوطة في عاصمة مالي.

---

(١) نفس المصدر، ص٢١٥، ٢١٦.

(٢) الإسلام والمجتمع السوداني، ص٢١٧، ٢١٨.

٤ ـ القاضي أبو العباس الدكالي، كان قاضياً بعاصمة مالي أيام السلطان منسا موسى، لم يتعرف عليه رحالتنا شخصياً وإنما سمع عنه حكاية طريفة استملحها وأبى إلا أن يخبرنا بها.

٥ ـ الشيخ الثقة أبو عثمان سعيد الدكالي، أقام بمملكة مالي مدة طويلة (**٣٥**) سنة، كان من بين مصادر العمري عن مالي، لكننا لا نعلم متى ولا أين التقيا، ويظهر من خلال اللقب الذي يمنحه العمري لسعيد الدكالي، أن هذا الأخير كان يشغل إحدى الخطط الدينية بعاصمة مالي.

٦ ـ القاضي الثقة أبو عبدالله محمد بن وانسول، من أهل سجلماسة، دخل مدينة كوكو واستقر بها عدة سنوات، استعمله خلالها أهل المدينة في خطة القضاء، عاصر ابن خلدون وصادقه، وأمده بالكثير من المعلومات عن إمبراطورية مالي. ويغلب على الظن أن لقاءهما كان بالقاهرة في خلال العقد الأخير من القرن الثامن الهجري، كل هؤلاء كانوا من المستوطنين، أما لائحة العلماء والفقهاء الذين أنجبتهم بلاد السودان في عهد مالي، واعترفت المصادر بمنزلتهم العلمية فنجد منهم:

أ ـ كاتب موسى، أرسله السلطان منسا موسى إلى فاس للأخذ عن فقهائها؛ فعاد شعلة من العلم، وتقلد منصب القضاء بتنبكت.

ب ـ الفقيه عبدالرحمٰن، وهو من السودان، كان قاضياً في نياني العاصمة أيام السلطان منسا سليمان، لقيه ابن بطوطة وأثنى عليه كثيراً.

ج ـ الشيخ عثمان، فقيه أهل غانية (غانة) وكبيرهم ديناً وعلماً، شرق برسم الحج وأثناء مروره بالقاهرة عام (**٧٩٩هـ/١٣٩٧م**) تعرف عليه ابن خلدون واستخبره عن ملوك مالي.

د ـ الفقيه الحاج، تولى القضاء بتنبكت في أواسط القرن التاسع الهجري، وهو أول مَن خدم العلم من أجداد العلاَّمة أحمد باب التنبكتي. ويضيف عبدالرحمٰن السعدي: أنه كان أول مَن أمر الناس بقراءة نصف حزب من القرآن للتعاليم في جامع سنكري بعد صلاة العصر وصلاة العشاء.

هـ ـ الفقيه مورمغ كنكي، دخل جنى في أواسط القرن التاسع الهجري، وكان فقيهاً عالماً صالحاً عابداً جليل القدر، فأسرع إليه الطلبة لاقتباس فوائده.

و ـ الفقيه القاضي محمد الكابري، توطن تنبكت وتوفي بها، عاصر الفقيه عبدالرحمٰن التميمي الذي جلبه السلطان منسا موسى من الحاج من الحجاز.

ز ـ العالم عبدالعزيز التكروري، رحل إلى الشرق ودخل مصر في منتصف القرن التاسع الهجري، ترجم له أحمد بابا التنبكتي في «نيل الابتهاج».

ولا شك أن إمبراطورية مالي كانت تحفل بعدد آخر من العلماء والفقهاء السوادنيين غير الذين أتينا على ذكرهم، لكن المصادر أهملتهم ولم تعرف بهم، ويكفي للتدليل على هذه الحالة: أن الفقيه عبدالرحمٰن التميمي حينما دخل تنبكت عام (٧٥٠هـ/١٣٢٥م) أدركها حافلة بالفقهاء السودانيين، وهكذا كان حكام مالي من بني صالح يجتهدون في جلب العلماء وتعليم الرعية وإرسال البعثات العلمية للتعليم خارج البلد، إدراكاً منهم بالوعي العلمي وأهميته لبناء مملكة حضارية على أسس ثقافية. يذكر العمري في هذا الصدد عن السلطان منسا موسى: وجلب إلى بلاده الفقهاء من مذهب مالك رضي الله عنه[١]، واستغل السلطان نفسه إقامته في القاهرة في أثناء حجه، فاشترى مجموعة من كتب «فقه المالكية»[٢]. ويتبيَّن لنا من خلال وصف ابن بطوطة لأحوال نياني العاصمة: أن بلاط السلطان منسا سليمان كان يعج بالفقهاء خاصة منهم المغاربة أكثر من ذلك، يظهر أن حكام مالي كانوا يسهرون على إيفاد الطلبة السودانيين للمراكز الثقافية ببلاد المغرب، وذلك على نفقتهم الخاصة، كما أنهم كانوا يحرصون على توثيق صِلاتهم بفقهاء المالكية في البلاد الإسلامية، وفي هذا السياق تمَّ لقاء في القاهرة

---

(١) مسالك الأبصار، ب١٠، ص٦٠.

(٢) الذهب المسبوك، المقريزي، ص١١٣.

بين السلطان منسا موسى والقاضي شرف الدين أبو الروح عيسى الزواوي، ويذكر العلاَّمة أحمد بابا التنبكتي: أن القاضي محمد بن أحمد بن ثعلب المصري المعروف بـ: ابن كشتغدي، الذي كان يدرس بالمدرسة المالكية بالقاهرة، ألَّف شرحاً لمختصر أبي الحسن الطليطلي بطلب من السلطان منسا موسى[١].

بموازة مع هذا الاهتمام على المستوى الرسمي، أبدى عدد من الفقهاء والطلبة السودانيين رغبة ملحة لتعميق معرفتهم بالثقافة الإسلامية، فكانوا يشدون الرحال إلى فاس للأخذ عن فقهاء القرويين بهدف تحقيق تكوين ديني وثقافي معتبرين، وقد أسفرت لقاءات السلطان منسا موسى وعبدالعزيز التكروري مع فقهاء المالكية بمصر وتشوقهم لتحصيل العلم أن أنشأوا مدرسة خاصة بهم في مصر وتحملوا جميع نفقاتها. يقول المقريزي عن هذه المدرسة المالكية التي حملت اسم منشئها: «وهي بخط حمام الريش من مدينة مصر (القاهرة)»، كان الكانم من طوائف التكرور لما وصلوا إلى مصر سنة بضع وأربعين وستمائة قاصدين الحج، دفعوا للقاضي علم الدين بن رشيق مالاً بناها به ودرس بها فعرفت به، وصار لها في بلاد التكرور سمعة عظيمة، وكانوا يبعثون إليها في غالب السنين المال.

○ ○ ○ ○ ○ ○

(١) الإسلام والمجتمع السوداني، ص٢٢١.



التاريخ الإسلامي في غرب أفريقيا تحت مطارق الباحثين

الباحث: هارون المهدي ميغا(*)

وجدت مفهومات خاطئة كثيرة عن تاريخ الإسلام وأثره في هذا الجزء من أفريقيا دينياً واجتماعياً وثقافياً وحضارياً، وهي مفهومات لها دوافع مختلفة وجوانب عدة، أتت من قِبل بعض المثقفين الغربيين، وأبناء المنطقة، وغيرهم من الذين تأثروا بأولئك، وبخاصة المتغربون منهم واللادينيون والمسيحيون، وكذلك دعاة الزنجية وبعض علماء الآثار الأفريقيين، والقوميين العرب.

وفي هذه العجالة سوف نقتصر على عرض الجانب التشويهي المتعمّد لتاريخ الإسلام وحضارة المسلمين في المنطقة، من خلال أهمّ مظاهره، وأبرز الدوافع إليه، من باب التمثيل لا الحصر.

إن «صورة انتشار الإسلام عامة قد شُوّهت من قِبل كثير من الدارسين، فأبرزت السلبيات (بل بولغ فيها)، وطمست الإيجابيات، ولهذا

(*) باحث ـ جمهورية مالي، قسم البلاغة والنقد ومنهج الأدب الإسلامي، كلية اللغة العربية بالرياض/ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

لا بد من إبراز أسباب التشويه ومعالجتها، وإعادة رسم صورته على ضوء مفاهيم وتصورات أكثر استقامة وعدلاً»[١]، خصوصاً في ضوء المستجدات العلمية والبحثية المتعلقة بتاريخ المنطقة وحضارتها، وأثر الإسلام البارز فيهما.

وكذلك؛ حاجة بعض المصادر الأفريقية التي تناولت هذا التاريخ إلى إعادة فحص ومقارنة وتحقيق علمي، بسبب كون المطبوع منها من نسخة وحيدة ليست الأصلية، كما أن النسخة الأصلية، أو الجيدة من هذه المصادر الأفريقية، ربما وقعت في أيدٍ لا تقرّ عين أصحابها بظهور الحقائق التي قد تكون ـ كما يرى بعض أولئك ـ في مصالح شعوب يكنّ لها العداوة، أو يحاول جحد جهودها، أو إخفاءها، في تاريخ الإسلام وحضارته بالمنطقة، ويبذل قصارى جهده في ذلك.

حدّثني الأخ الزميل د.فاي منصور في عام ١٩٩١م بأنه في أيام إعداده لرسالة الماجستير في التاريخ والحضارة عن مملكة مالي، سافر إلى فرنسا لزيارة مركز وطني فيه الكثير من المخطوطات باللغة العربية تتعلق بغرب أفريقيا، فكانت المسؤولة تطلعه عليها، وتترجم له بعض المعلومات إلى الفرنسية، فما أن علمت بإجادته للغة العربية حتى حالت دون اطلاعه عليها مكتفية بالترجمة له.

ويقول أحمد الشكري: «عند لقائنا في الرباط ٢ أبريل ١٩٩٠م بالمؤرخ المالي محمود الزبير ـ مدير معهد أحمد بابا للدراسات والبحوث، تنبكتو ـ عبّرنا له عن هذا الموقف (كون العديد من الروايات التي يطرحها تاريخ الفتاش ليست لصاحب التأليف الأصلي) فشاطرنا الرأي، وأكد لي توفر نسخة أخرى مخطوطة من تاريخ الفتاش، تختلف عن تلك المنشورة،

---

(١) انتشار الإسلام في غرب أفريقيا حتى القرن السادس عشر الميلادي، د.عز الدين موسى، ص٤٤، ضمن بحوث ندوة العلماء الأفارقة ومساهماتهم في الحضارة العربية التي نظمتها في الخرطوم المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بالتعاون مع جامعة أم درمان الإسلامية، ٢٨ ـ ٣٠ يوليو/ تموز عام ١٩٨٣م.

وأنه يعمل بصحبة أحد فقهاء مالي على تحقيقها»[١]، فكم مضى على هذا العمل لو كانا ـ حقاً ـ بصدد إخراجه!

أولاً: مظاهر تشويه تاريخ الإسلام في غرب أفريقيا:

١ ـ الزعم بأن المنطقة لم تعرف الحضارة إلا بعد مجيء الاستعمار الغربي:

بل وصل الأمر ببعضهم إلى إنكار وجود صلة ثقافية بين أفريقيا جنوب الصحراء وبين شمالها، متجاهلاً ما تُجمع عليه المصادر العربية والأفريقية وتؤكده من ازدهار القوافل التجارية بين شرق القارة وشمالها وغربها قبل الإسلام.

تلك المصادر القديمة التي تُعَدّ أبرز المصادر الأساس في تاريخ المنطقة، بسبب ما تحويه من معلومات؛ مصادرها زيارات شخصية للمنطقة، أو أجوبة علمائها وملوكها عن أسئلة تتعلق بها، أو لوفود الحجّ ونحوهم، أو ما تناقلته القوافل التجارية والجاليات التي عاشت فيها، يؤيدها كثير من الروايات الشفوية التي دُوّنت أخيراً، أو التي لا تزال تُروى من النسابين الشعبيين، أو تناقلتها الأسر جيلاً عن جيل.

من أسباب ذلك التشويه ودوافعه الخلط بين قبول الناس أفراداً للإسلام وبين اعتناق الملوك له، ومن ثم عدّ ممالكهم من دار الإسلام، ثم الخلط بينهم من جهة وبين قيام الحركات الإصلاحية الداخلية والخارجية (الجهاد)، وقد يحكم أولئك على المسلمين بما يحكم به على ملوكهم الذين لم يسلموا[٢]، فكان نتيجة هذا الخلط تشويه المفاهيم، حتى إن

---

(١) الإسلام والمجتمع السوداني إمبراطورية مالي، أحمد الشكري، ص٣٢، هامش ٤٦، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ط١، عام ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

(٢) انظر: الملامح المغربية في الثقافة الأفريقية خلال القرن السادس عشر، ص١٧٤، مجلة دعوة الحق (المغرب)، عدد ٢٣٨ جمادى الأولى والآخرة، عام ١٤٠٩هـ/ يناير ١٩٨٩م، للدكتور محمد العزبي.

قضية انتشار الإسلام في غرب أفريقيا لا تجدها تُدرس إلا في إطار السلطة الغالبة، والقوة الظاهرة، وبها ومعها، فحسب هذه المفاهيم يبسط الإسلام سلطانه، وتذاع في الناس تعاليمه، وتنتشر بينهم راياته إذا كانت له دولة ترعاه، وفي غياب مثل هذه الدولة يغدو النكوث عن الإسلام إلى الديانات التقليدية هو البديل الماثل، وفي أحسن الفروض تكون المزاوجة بين الإسلام وتلك الديانات هي الطريق إلى تخليط يبقي من الإسلام اسمه، ويمحو معالمه وأثره(١).

فليس من الصواب ما قاله د.زبادية: «وتتفق الروايات على أن إسلام مكانٍ ما كان يتمّ حين يعلن الأمير، أو رئيس القبيلة، أو النبيل في عشيرته، إسلامه، فيتبعه أحسن الفروض جميع أفراد رعيته»(٢).

فكم من ملك أسلم شعبه وهو لم يسلم، كما في حال غانا من وجود عدد كبير من المسلمين والمساجد والوزراء في عاصمتها، بل نصف المدينة كان خاصاً بالمسلمين، وكمدينة «جني» التي حشد ملكها عدداً كبيراً جداً من العلماء ليعلن إسلامه بين أيديهم(٣).

وكم ملك أسلم دون شعبه، وكم ملك كان يتردد في اعتناق الإسلام خوفاً من شعبه الذي لمّا يسلم، أو لا يعلن ذلك حتى يضمن انقيادهم(٤)، كل ذلك لا يتعارض أو يقلل من أهمية إسلام الملك وما يزيده من قوة الانتشار وخوف الجانب.

لنأخذ مثالاً على ما تقدّم قصة دخول الإسلام إلى مملكة مالي:

فبعض الدارسين يرون أن الإسلام انتشر في هذه المملكة على يد

---

(١) انتشار الإسلام في غرب أفريقيا حتى القرن السادس عشر الميلادي، ص٤٤ ـ ٤٥ ـ ٤٨.

(٢) مملكة (سنغاي) في عهد الأسقيين، ص٨١.

(٣) انظر: تاريخ السودان، للسعدي، ص١٢.

(٤) انظر: انتشار الإسلام في غرب أفريقيا، ص٤٩ ـ ٥٠، والإسلام والمجتمع السوداني، ص٩٩ ـ ١٠٠.

الخوارج الإباضية، والتي كانت لهم دولة في فزان وغدامس وبعض واحات الجزائر منذ القرن الثامن الميلادي.

وإليك بعض الأدلة على عدم صحتها وبيان ما فيها من الخلط المذكور، فأقول:

١ ـ تجد بما لا يدع مجالاً للشك انتشار الإسلام في الغرب الأفريقي قبل التاريخ المذكور لهذه القصة (القرن السادس الهجري/ الحادي عشر الميلادي).

٢ ـ هذه القصة نفسها تؤيد الخلط بين بداية وصول الإسلام إلى هذه المملكة وغيرها، وإسلام شعب أو أفراد منه، وبين إسلام الملوك، ومن ثم عدّ ممالكهم إسلامية، فقد كان انتشار الإسلام بين (الماندينغ) متقدّماً على إعادة تأسيس المملكة على يد ماري جاطه (سوندياتا كيتا ٦٢٨هـ ـ ٦٥٢هـ/ ١٢٣٠م ـ ١٢٥٥م)، وكذلك كان متقدّماً على تاريخ وصول هذا الذي يزعم إسلام ملك مالي على يديه إلى المنطقة (٥٧٥هـ/ ١١٧٩م).

فالبكري أبو عبيد عبدالله بن عبدالعزيز بن محمد (ت٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م) يذكر أن هذا الضيف كان عند الملك يقرأ القرآن ويعلّم السنّة[(١)]، فما السنّة التي كان يعلمها غير سنّة الرسول ﷺ، ولمن كان يعلّمها إذا لم يكونوا حاشية الملك الذين أسلموا، ولمّا يسلم هو؟! ألا يحتمل أن يكون الملك من الفئة التي تخفي إسلامها لعدم إسلام معظم الشعب، بدليل قبوله تعليم القرآن والسنّة في مجلسه وبحضوره.

٣ ـ ليس بصحيح ما نقله بعض المؤرخين (أحمد بن سعيد بن (عبدالواحد) الشماخي (ت٩٢٨هـ/١٥٢٢م)، وكان من علماء الإباضية في المغرب) وغيره من أن بلاد السودان الغربي وإمبراطورية غانا كانت تدين

(١) انظر: المغرب في ذكر بلاد أفريقيا، والمغرب، ص١٧٨، مكتبة المثنى، بغداد، دون ت،ن.

بالإباضية قبل أن يقصدها مخالفوها لردّ أهلها عن مذهبهم الإباضي[1]، لأن الثابت أن الذين نقلوا الإسلام إلى المنطقة منذ القرن الأول الهجري لم يكونوا إباضيين، كما لم يكونوا صوفيين، فمن أين كان لهم الأسبقية المزعومة، وكيف؟!

٤ ـ تناقض الروايات في تحديد بداية علاقة الإباضية، تجاراً وفقهاء، بغرب أفريقيا، بين القرن الثامن أو التاسع أو العاشر الميلادية[2]، وتناقضها ـ أيضاً ـ في المملكة التي أسلم ملكها في القصة؛ أهي مالي أو غانا؟ فعند البكري أنها مالي من غير أن يقول إن الضيف إباضي، بل ذكر أنه ضيف من المسلمين، فإذا انضم إلى هذا كون البكري من مصادر الشماخي الذي زعم إباضيته[3]، وتعليم هذا الشيخ للسنّة، ودعوة الملك إلى الاعتقاد بشرائع الإسلام كلّها من غير إشارة إلى الإباضية، تبيّن أن هذا الضيف على مذهب السلف لا الخوارج الإباضية، وتأكّد دخول الإسلام إليهما قبل هذا التاريخ، أو على افتراض كونه منها؛ فإنه بناءً على تصرفاتهم لم يكن يدعو إليها[4] في وسط سبقها إليه مذهب آخر نما وتقوّى.

---

(١) انظر: دور فقهاء الإباضية في إسلام مملكة (مالي) قبل القرن الثالث عشر الميلادي، د.أحمد الياسين حسين، ص٩٥، من بحوث: ندوة العلماء الأفارقة ومساهماتهم في الحضارة العربية الإسلامية.

(٢) انظر: دور فقهاء الإباضية، ص٩١ ـ ٩٨، وانظر: القصة في المغرب في ذكر بلاد أفريقيا والمغرب، ص١٧٨، ودور فقهاء الإباضية، ص٩٥، و١٠٣ ملحق ٣، والثقافة العربية الإسلامية في الغرب الأفريقي، عمر محمد باه، ص١٤٥ ـ ١٤٦، مؤسسة الرسالة، ط١، عام ١٤٢٣هـ/ ١٩٩٣م.

(٣) ومن مصادر الدرجيني أحمد بن سعيد بن سليمان (ت٦٧٠هـ/ ١٢١٧م) الذي حدّد التاريخ لسنة (٥٧٥هـ/ ١١٧٩م)، وفي روايته أن كلّ أهل المملكة مشركون، انظر نصّه في: دور فقهاء الإباضية ص١٠٢ ملحق ٢، فإذا كان البكري أقدم من الدرجيني الذي جاءت روايته في القرن السابع الهجري موافقة لمذهبه الإباضي ومتناقضة مع وصول الإسلام إلى كلٍّ من غانا ومالي منذ القرن الأول الهجري، أفلا تكون هذه وغيرها مطعناً في صدق نقله؟!

(٤) انظر: حركة التجارة والإسلام، ص٧٦ ـ ٧٩.

٥ ـ شهادات الخوارج أو الشيعة لا تدل على أن دعاتهم كانوا يمارسون دعاية لمعتقداتهم في بلاد السودان، وإنما تنوه فقط بنشر تعاليم الإسلام، ولو كان قبيل أو شعب من المنطقة قد اعتنق أحدهما لكانت مصادر هذه الطوائف أول من يهتم بتسجيل هذا الإنجاز أولاً بأوّل، كما هو الغالب في كتابات علماء كلّ مذهب، والمصادر على اختلافها لا تحدّث عن اعتناق فئة من أبناء السودان الغربي لهذين المذهبين[١].

٢ ـ الاستدلال ببعض التقاليد والأعراف على نفي أثر الإسلام الإصلاحي والحضاري في المنطقة:

والتقليل من شأن الإسلام بسبب تلك التقاليد، كمواسم نصب السلطان، والمثول بين يديه، ووضع التراب على الرأس إظهاراً للخضوع، واستخدام الطبول، وغيرها من الأمور التي وجدت حيناً في إمبراطوريات غانا ومالي وسنغاي، وكذلك بعض مظاهر الصوفية: كالتبرك بالأولياء، وقراءة القرآن على الأموات، وإقامة الولائم في المآتم، ووجود بعض المشعوذين، والاستدلال بها.

وتقزيم الإسلام بعبارات مجحفة: «الإسلام الأسود»، أو «النموذج الأفريقي للإسلام»، أو المزاوجة بين الإسلام والديانات الوثنية الأفريقية، أو «الإسلام السطحي»، ونحوها، وكلّها عبارات تهدف إلى الزعم بوجود إسلام لم يبق منه إلا اسمه، وسيادة الوثنيات قولاً وعملاً إلا ما ندر، فقد تعاطى تلك الأمور «بعض المضلين من الباحثين الذين يتعمّدون تجاهل المدّ الإسلامي الحضاري في توجيه وتقويم الأحداث التاريخية وشؤون الحياة لمنطقة السودان الغربي، ثم التشكيك في تاريخ مسلمي هذا الجزء من العالم الإسلامي»[٢]، ومن تفاعلهم معه وتطبيقهم له على الوجه

(١) انظر: الإسلام والمجتمع السوداني، ص٢٢٦ ـ ٢٢٧.

(٢) أسكيا الحاج محمد وإحياء الدولة الإسلامية للسنغاي، د.فاي منصور، ص٧٣، رسالة دكتوراه من قسم التاريخ والحضارة، كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، عام ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

الصحيح في مختلف شؤون الحياة، والحقّ أن الإسلام شمل مختلف جوانب الحياة حتى لغير المسلمين من سكان المنطقة[(١)].

وإليك أمثلة من هذا التشويه:

يقول د. محمد الغربي: «الواقع أن الإسلام، وإن كان قد طبع التاريخ الأفريقي والحضارة الأفريقية بطابعه المميز، فإنه كان مع ذلك نموذجاً أفريقياً، فسكان القرى والبوادي لم يكونوا يعرفون إلا النطق بآيات القرآن دون فقه لمعنى ما يحرّكون به ألسنتهم، وكانوا يمسكون في رمضان من الفجر إلى غروب الشمس، ويتقربون بالذبائح والقرابين والنذر، ولكنهم إلى جانب ذلك كانوا يعبدون قوى الطبيعة، ويقدّسون الأصنام والأيقونات، ويؤمنون بأقوال الكهان والسحرة»[(٢)].

ويجعل ثان الفئة التي اعتنقت الإسلام، واحتفظت ببعض الطقوس الوثنية، هي الغالبة في أفراد المجتمع في غرب أفريقيا في القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين[(٣)]، ويقول ثالث: «البوادي لم تتأثر كثيراً بالإسلام، وهذه الظاهرة تمثل أول مظهر من مظاهرر تعثر الدين الحنيف بالمنطقة»[(٤)]، ويقول آخر: «المعروف أن اعتناق الإسلام في غربي أفريقيا كان سطحياً، وعلى الأقل في أول انتشاره»[(٥)].

---

(١) انظر المرجع نفسه، ص٧٣، ١٧٩.

(٢) الملامح المغربية في الثقافة الأفريقية خلال القرن السادس عشر، ص١٧٣، مجلة دعوة الحق (المغرب)، وانظر: مملكة (سنغاي) في عهد الأسقيين، د. عبدالقادر زبادية، ص١٣٥، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، بدون.

(٣) انظر: الشيخ عثمان بن فودي والحضارة العربية الإسلامية في الإقليم الشمالي (لجمهورية نيجيريا الاتحادية)، د. محمد أحمد الحاج، ص٣٣٩ (ضمن بحوث ندوة العلماء الأفارقة)، جعل هذه الفئة في المرتبة الثانية بعد الوثنيين الأصليين الذين بقوا على الوثنية، وآخرهم الذين اعتنقوا الإسلام دون أي خلط بينه وبين غيره.

(٤) الإسلام والمجتمع السوداني، ص٢٣٠، وانظر: ص١٣٤.

(٥) حركة التجارة والإسلام، ص٢٠٣.

إن من قال بهذا إنما خلط بين المسلمين والوثنيين الذين قد يستعينون بالتعاويذ الإسلامية مع تعاويذهم الوثنية، ويلجؤون إلى شيوخ المسلمين، بالإضافة إلى كهنتهم الوثنيين، ولا يترددون في تقليد الصلوات الإسلامية، وحضور المساجد والجنائز والاحتفال بالأعياد والمناسبات الإسلامية، بل جرت عادة بعضهم بإخفاء وثنيتهم ليظهروا بمظهر الرقي والتقدّم أصلاً، لأنّ المجتمع الوثني قد تعارف على أن الإسلام صنو لهما أخلاقياً واجتماعياً ونفسياً[(١)]، وتلك ظواهر يلحظها قلّة من الباحثين في تاريخ انتشار الإسلام في هذه القارة، وهي أمور تحدث إلى يومنا هذا، فحسبهم أولئك الباحثون مسلمين، وما هم كذلك، بل هم وثنيون.

ولا يلزم من هذا ألا يكون في المسلمين ضعاف نفوس يذهبون إلى السحرة، لكن الخطأ والمبالغة في الحكم على الجميع، وفي إظهارهم بأنهم لم يتأثروا بالإسلام.

من أمثلة ذلك أن بعضاً من ملوك هذه الممالك والإمبراطوريات الأفريقية مَن يكون مسلماً، ثم يأتي بعده من أسرته مَن يكون على الوثنية، وذلك قبل تحوّلها كلية إلى ممالك إسلامية ملكاً وشعباً، فإذا جاء بعض الدارسين ليتحدث عن هذه المملكة كان تركيزه في تحوّلها كلية إلى إسلامية، ويصور تصرفات هؤلاء الملوك الوثنيين، أو المداهنين لشعوبهم المسلمة على أنها تصرفات من ملوك مسلمين، ثم يسم المسلمين عامّة بأن إسلامهم كان «سطحياً» أو «نموذجاً أفريقياً»، وأنهم مع إسلامهم يمارسون تقاليد وثنية[(٢)].

ومنها ما يتعلق ببعض المعتقدات عند الأفارقة التي لا يلاحظها كثير

---

(١) انظر: حركة التجارة والإسلام، ص١٤٩، وأفريقيا الغربية في ظل الإسلام، نعيم قداح، ص٢٩.

(٢) انظر: دولة مالي الإسلامية، د.إبراهيم طرخان، ص٥٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م، وحركة التجارة والإسلام، ص٢٠٣، وقارن بين ما ذكره هنا وبين ما ورد في ص١٤٩ ـ ١٥٠.

من الدارسين، وتنبّه لها قلّة منهم، وجدوا أن للإسلام صلة وثيقة بنفسية الأفريقي، وتقارباً كبيراً إلى عقليته وفطرته[١]، وأن نظرتهم العامة إلى الحياة، وكثيراً من طقوسهم الروحية، يمكن أن تصبح شعائر إسلامية، وأن تحوّل إلى نظام الدين الجديد دون إجراء تغيير كبير[٢]، وهي من عوالم سرعة تقبلهم للإسلام في العصر الحديث.

فسبب التشويه ـ هنا ـ عدم فهم بعض الظواهر التي يجدها الباحث في الساحة الأفريقية، وبرغم هذا يطلق عنان قلمه للتشويه من غير ما تثبّت ورويّة ليفصّل الإسلام بعد ذلك على مقاس يسمّيه: «نموذجاً أفريقيا»، أو «إسلاماً أسود»، أو «إسلاماً سطحياً»، بسبب تلك الظواهر التي لم يفهمها، أو بسبب بعض المخالفات والمعاصي التي لا يكاد يخلو منها مجتمع إسلامي، من غير أن نجد ذلك التصنيف نفسه في غير أفريقيا، أو ترديداً لبضاعة غربية، فالاستعمار وكتّابه لمّا أرادوا التهوين من أثر الإسلام وحضارته وثقافته في أفريقيا روّجوا لفكرة «إسلام سطحي» و«إسلام أسود»، وهم يقصدون بهما أن إيمان الأفريقي شيء ظاهر يستر وراءه وثنيته القديمة[٣]، فتلقف عنهم هذه البضاعة المستغربون والمغرضون من غيرهم.

وهذه الصفة إنما تنطبق على علاقة المسيحية بالوثنية في أفريقيا، فهي التي أخذت بمبدأ تلقيح نفسها بالوثنية والعادات الأفريقية، والخلط بينهما، والتمشّي معهما، وكلّ ذلك أمر واضح في المنطقة، بل أخذت تداهن المسلمين في بعض المناطق الإسلامية بالتخفي وراء أسماء وألقاب إسلامية قديماً وحديثاً، وذلك بأن يحتفظ مَن يتنصّر من الأسر الإسلامية بأسمائهم الإسلامية، فظهر في السنغال «محمد إنجاي»، وفي مالي «قاسم كيتا»، واستعمل النصارى في بعض المناطق لقب «الحاجّ» المنتشر بين المسلمين

(١) انظر: أفريقيا الغربية في ظل الإسلام، ص٩٥.

(٢) حركة التجارة والإسلام، ص١٤٩، وانظر: ص١٥٠.

(٣) انظر: أفريقيا الغربية في ظل الإسلام، ص١١١.

وله عندهم مدلولان (ديني واجتماعي) رفيعان[١].

ولو ألغينا جانب الترجمة لتعليم الإسلام، واشترطنا الفهم المباشر لما يُقرأ ويُقال بالعربية، لأخرجنا ملايين المسلمين من الإسلام في القديم والحديث!

ومن غير المعقول أن تكون تلك الأمور التي ذكرها د.الغربي وغيره ظاهرة عامّة في كلّ القرى والبوادي، وفي جميع المراحل، لأن التحوّل العظيم في المجتمع الأفريقي في هذه المنطقة نحو قبول الدين الإسلامي المتسامح في تعاليمه والواضح في مبادئه نتج عنه نمط جديد، يجمع بين القيم الإنسانية الأفريقية السليمة الراشدة وثقافات أبناء المنطقة وحضاراتهم النظيفة وبين النبع الثقافي والحضاري الأصيل للإسلام، فظهرت آثار ذلك كلّه في شتى نواحي الحياة لدى سكان المنطقة[٢]، وما كانت مرونة الإسلام في الإصلاح، ولا ملاءمته لكلّ زمان ومكان، ولا تدرّجه في التغيير، استكانة وضعفاً[٣]، ولا نموذجية خاصة بجنس دون جنس، أو مكان دون آخر، وإنما تلك كلها من وسطية الإسلام وواقعيته وعوامل انتشاره وقوّته.

ثم ألا يكون مردّ وجود ما ذكره إلى طبيعة سكان البوادي في كلّ زمان ومكان، و«الإسلام ليس ظاهرة بداوة في أصله حتى تتركز الأنظار أولاً على البدو، الإسلام ظاهرة حضر واستقرار ينتقل منها إلى البدو»[٤]،

---

(١) انظر: الإسلام في الدولة العلمانية مالي، الشيخ شرينو هادي عمر تيام، ص١٠٧ ـ ١٠٨، ط١ عام ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، بماكو/ مالي. ولقب «الحاج» في القاموس الديني والاجتماعي بغرب أفريقيا، لكاتب هذه السطور، مجلة الحج والعمرة (جدة) سنة ٥٨ ـ عدد ١١ ذو القعدة ١٤٢٠هـ/ ديسمبر ـ يناير ٢٠٠٣م ـ ٢٠٠٤م، ص٥١.

(٢) أسيكا الحاج محمد، ص١٧٦.

(٣) انظر: انتشار الإسلام في غربي أفريقيا، ص٥٨.

(٤) مجلة دراسات أفريقيا، المركز الإسلامي الأفريقي، وعدد ١ رجب ١٤٠٥هـ/ أبريل ١٩٨٥م، ص٣٧، بحث: الأصالة التاريخية للعلاقات العربية الأفريقية في غرب أفريقيا، البروفيسور عثمان أحمد.

ألم يقل القرآن الكريم عن سكان البوادي: ﴿ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٩٧﴾ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٩٨﴾﴾ [التوبة: ٩٧ ـ ٩٨]، ثم قال تعالى عن طائفة منهم: ﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِ ۚ أَلَآ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ ۚ سَيُدْخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٩﴾﴾ [التوبة: ٩٩]، أرأيت كيف شهد الله لهذه الطائفة من فرقة الأعراب بصحة ما اعتقدت، وبتصديق رجائها، وكيف استأنف النظم القرآني بحرف التنبيه: «ألا» للاهتمام بها ليعيها السامع، وبحرف التوكيد والتحقيق: «إن»، وكلاهما يؤذن بثبات الأمر وتمكّنه، وبإزالة الشك والإنكار، وبالاحتجاج للقضية، وأكّد فوزهم ونجاتهم بحرف «السين» الذي يفيد تحقيق الوعد، فما أدلّ هذا الكلام بذلك كلّه على رضا الله تعالى عن هذه الطائفة وعن عملها[1]! فكيف نغبنها حقها بهذا التعميم الذي يحصرهم جميعاً في فرقة واحدة؟!

وأين الباحث من المنهج الإسلامي في هذا التقسيم العدل، البعيد عن التعميمات، المراعي للواقع، في قوله تعالى عن الأعراب أيضاً: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [التوبة: ١٠١ ـ ١٠٢]؟!

لست بحاجة إلى التذكير حول هذه الآيات بالمقولة المجمع عليها «العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب»، كما أن ظهور عادات لا تمتّ إلى الإسلام بصلة في تنصيب السلطان أو غيره كان في نطاق ضيّق، وفي طور معين، أو مكان دون مكان، وربما يكون سببها الجهل، أو أنه لم يظهر للقوم رأي الدين فيها في ذلك الوقت، ولا أدلّ على صحة هذا من

(١) انظر: تفسير الكشاف للزمخشري، (١٦٩/٢)، مكتبة المعارف بالرياض، بدون.

مسارعة العلماء والسلاطين إلى إنكار البدع والتقاليد التي يظهر لهم مخالفتها للدين الإسلامي، كما هو الحال لـ «أسكيا محمد» وغيره، وكذلك ابنه «أسكيا داود» الذي استجاب لإنكار أحد الفقهاء ظاهرة «التتريب»[(١)].

يقول آدم عبدالله الآلوري عن ملوك الإمبراطوريات الإسلامية في غرب أفريقيا: «إن أكثر أولئك السلاطين علماء وفقهاء، وإذا لم يكن السلطان نفسه عالماً فقيهاً اتخذ أحد العلماء المبرزين وزيراً يدير له الدولة على وفق الشريعة، ولا بد من هيئة شورية على شكل لجنة الفتوى من كبار العلماء والفقهاء»[(٢)].

وكان السلاطين والملوك يحترمون هؤلاء العلماء والفقهاء، ويزورونهم في بيوتهم، ويستفتونهم، ويشاورنهم في شؤون الدولة وما تتعرض له من أخطار، ويأتمرون بأمرهم[(٣)]، وذكر البكري أن سنغاي (أهل كَوْكَوْ) لا يُملّكون عليهم أحداً من غير المسلمين، وإذا ولي منهم ملك دُفع إليه: خاتم، وسيف، ومصحف[(٤)].

ولو سلّمنا برأي هؤلاء المشوِّهين والمتجاهلين للحقائق فلن يبقى للإسلام تاريخ ناصع في العالم كلّه بعد القرون الثلاثة الأولى؛ لوجود البدع والخرافات والمخالفات الشرعية والعقدية في كلّ المجتمعات الإسلامية على تفاوت وفي أطوار مختلفة، من غير أن نجد تفصيل الإسلام على مقاسها كما يُراد في حال أفريقيا! أوَ لم يكن من عادة المماليك

---

(١) انظر: أسكيا الحاج محمد، ص٧٤، والإسلام والمجتمع السوداني، ص٢٣٢.

(٢) الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فودي الفلاني، ص٧٤، ط٤ عام ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

(٣) انظر: تجارة القوافل بين المغرب والسودان الغربي وآثارها الحضارية حتى القرن السادس عشر الميلادي، د.الشيخ الأمين عوض الله، ص٩٧، تجارة القوافل ودورها الحضاري حتى نهاية القرن التاسع عشر الميلادي (مرجع سابق)، وأفريقيا الغربية في ظل الإسلام، ص١٧٥.

(٤) انظر: المغرب في ذكر بلاد أفريقيا والمغرب، ص١٨٣.

(٦٤٨هـ ـ ٩٢٣هـ/ ١٢٥٠م ـ ١٥١٧م) إجبار من يدخل على السلطان على الركوع والسجود ثم تقبيل الأرض بين يديه[١]، حتى إن ملك مالي «منسا موسى» (٧١٢هـ ـ ٧٣٧هـ/ ١٣١٢م ـ ١٣٣٧م) في طريق حجّه تفادى الدخول على سلطانهم في أيامه كيلا يقوم بذلك، وكثيراً ما توترت علاقاتهم مع غيرهم بسبب هذا التقليد.

وهنا لا يريد بعض الباحثين ـ مع موازنته بين الأمرين ـ أن يحرج أحداً بالسؤال «عمّا إذا كان الإسلام قد أخفق في احتواء الذهنية المصرية بسبب هذا التقليد»؟ فيرى القفز على المسألة[٢]، فأقول له: إن التنبيه على المنكر لتفاديه أو لإعطاء صورة عن بعض المظاهر والأمراض الاجتماعية المخالفة للشرع مما لا ينبغي فيه التحرّج، بشرط تناولها في إطارها الزماني والمكاني، وعدم التعميم أو التحريف، ولا تخصيص منطقة بها دون أخرى، أو تفصيلها على مقاس جنس دون غيره.

٣ ـ المبالغة في أثر الصوفية:

ومن مظاهر ذلك الجانب التشويهي، الذي يحاول أن يقلل من شأن الأثر الصحيح والقوي للإسلام في المنطقة، ما يزعمه كثير من الباحثين ـ في مبالغة ـ من تأثير الصوفية، كقول أحدهم: «يكاد الانتماء إلى الطريق يكون جزءاً من تديّن الرجل، والتبعية إلى شيخ أو مقدّم من أهل الطريق تعدّ صفة من صفات أي أفريقي مسلم، سواء في الغرب أو الشرق، إلى جانب صفته الرئيسية كمسلم»[٣]، ويقول أيضاً: «السنّة تسود غرب أفريقيا، إذ إن جميع سكان غرب أفريقيا سنّيون على المذهب المالكي... كما أن

---

(١) انظر: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار (الباب السادس)، أحمد بن يحيى العمري، دراسة وتحقيق دوروتيا كرافولسكي، ص١٠٧ ـ ١٠٩، المركز الإسلامي للبحوث، بيروت، عام ١٩٨٦م.

(٢) الإسلام والمجتمع السوداني، ص٢٣٢، وانظر: ٢٣١.

(٣) المد الإسلامي في أفريقيا، محمد جلال عباس، ص٧٥، المختار الإسلامي، القاهرة، ط١، عام ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م، أرخ تاريخ كتاب مقدمته بـ «كانو، نيجيريا، ١٩٧٥/٨/٢٥م».

سنّية الناس هناك لا تتعارض مع انتمائهم للطرق الصوفية المختلفة»[١].

وإذا كانت المغالاة واضحة في جعل كلّ سكان هذه المنطقة سنّيين فإن التناقض واضح أيضاً في كلامه، وما ذهب إليه من أن سنّية الناس لا تتعارض مع الطرق الصوفية إنما ينطبق على مفهومه هو لأهل السنّة، وليس المفهوم السائد عند المسلمين في المنطقة، ولا في غيرها، ويدل على ذلك بعض الشخصيات الذين مثل بهم[٢] في الإصلاح الديني والتعليمي بإنشاء مدارس غير مشوبة ببدع الصوفية ـ كما يقول هو ـ، والمعروف عنهم الثاني دون الأول.

والأغرب أن الباحث نفسه يذكر فيما بعد[٣] الإصلاح العقدي والتعليمي الذي قام به بعض رواد النهضة السنّية الحديثة من قادة الاتحاد الثقافي الإسلامي، والأحداث التي تعرّض لها أهل السنّة في مالي وغيره عام ١٩٥٧م، وأُحرقت فيها مساجدهم ومساكنهم وممتلكاتهم، فلِمَ وقعت تلك الأحداث إذا كان الأمر على ما وصف؟!

ولا يخفى عليك أن الدافع ـ هنا ـ المبالغة في التعميم والعجلة في الحكم من غير تصوّر حقيقي وشامل، استغلالاً لعقل القارئ الذي يجهل تاريخ الإسلام في المنطقة، أو لم يقف على هذه الأحداث، واستناداً إلى زيارة الكاتب لبعض أجزائها في دولة أو دولتين، والانبهار بقوة طائفة في هذا الجزء في طور معين، فيقيس ـ مع الفارق ـ ما لم يزره أو يشاهده على ما زاره وشهده ليحكم حكماً عاماً على الإسلام والمسلمين من منطلق دراسة ميدانية، كما سمّاها في مقدمة كتابه، وما هي كذلك، وإلا كيف

---

(١) المرجع نفسه، ص٧٣ ـ ٧٤، وكذلك زعم انتشار الإسلام في المنطقة على يد الخوارج أو الشيعة أو الأشعرية، وقد عرضت لذلك كله بتفصيل ومناقشة أوسع في بحث آخر لما ينشر، بعنوان: «مدخل إلى دراسة مذهب أهل السنَّة والجماعة، نهضت الحديثة والمعاصرة في غرب أفريقيا، الروافد والمعوقات والحلول».

(٢) انظر: المد الإسلامي، ص١١١.

(٣) انظر المرجع نفسه، ص١١٢ ـ ١١٣.

وقع في المبالغة بجعل كلّ سكان المنطقة سنّيين، والتناقض والخلط في ذلك.

إن الحضور الناصع للإسلام وأثره المنير، والتغيير الكبير الذي أحدثه في الناس دينياً واجتماعياً، وكذلك مظاهر انفعال أبناء المنطقة مع العقيدة الإسلامية عبر تاريخه[(١)]، والصراعات بين أهل السنّة وغيرهم، وسنّة الله في التدافع، كلّ ذلك يفنّد هذه المقولة التي جاءت نتيجة تأثر عاطفي بقوة الصوفية ونفوذها في بعض أجزاء أفريقيا في مقابل ضعف غيرها، وفي طور معين من أطوار هذا التاريخ الإسلامي بعد سقوط الممالك الإسلامية وسيطرة الاحتلال الأوروبي، «فقد كانت التربة السودانية أكثر خصوبة في التفاعل مع العقيدة الإسلامية، وأكثر تجاوباً معها، على هذا المستوى ربما يكون السودانيون قد فاقوا غيرهم من المسلمين في بقية الأقطار الإسلامية، وذلك بالنظر إلى الصعوبات والعراقيل الجمّة التي اعترضت مسيرة الإسلام في بلاد السودان»[(٢)].

ثم كيف يكون ما تقدّم حالاً عامّة في كلّ الأطوار، وقد دخل الإسلام المنطقة من أواخر النصف الأول من القرن الأول الهجري، فقال الشيخ أحمد بابا التنبكتي (ت١٠٣٦هـ/ ١٦٢٧م): أنه لم يكد يمضي عاماً (٦٠هـ/٦٧٩م) حتى كان في مدينة كومبي صالح (عاصمة إمبراطورية غانا) اثنا عشر مسجداً! وقبله ذكر البكري وجود هذا العدد في الجزء الذي يسكنه المسلمون من المدينة، ولهم فيها أئمة وفقهاء وحملة علم، كما أن في مدينة الملك مسجداً يصلي فيه مَن يفد عليه من المسلمين على مقربة من مجلس حكمه، وتولّى بعض التجار المسلمين مناصب إدارية عليا في

---

(١) انظر: الحضارة الإسلامية العربية في غرب أفريقيا سماتها وانتشارها، د.شوقي الجمل، ص٦١، مجلة الدراسات الأفريقية، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة، عدد ٨ سنة ١٩٧٩م ـ بحث. والإسلام والمجتمع السوداني، ص٢٠٣ ـ ٢٠٥.

(٢) الإسلام والمجتمع الإسلامي.

ممكلته، وكان منهم تراجمة الملك وصاحب ماله وأكثر وزرائه[(١)]، وذكر ابن خلدون (ت٨٠٨هـ/ ١٤٠٦م) أنها تتكون من جزأين على حافتي النهر، ومن أعظم مدائن العالم وأكثرها معتمراً[(٢)].

وذكر أن عقبة بن نافع افتتح حوالي (٤٦هـ/ ٦٦٦م) «كاوار» من تخوم السودان[(٣)]، تقع قرب بحيرة تشاد، وأرسل مجموعة من جيشه إلى البربر والملثمين والسودان ليعلّموهم القرآن والفقه.

نقل آدم الآلوري عن الشيخ عبدالله بن فودي (ت١٢٤٤هـ/ ١٨٢٨م) أنه تواتر لديهم عن الثقات العلماء دخول الإسلام إلى غربي أفريقيا من القرن الأول الهجري على يد عقبة بن نافع[(٤)].

وزاد أن عقبة لمّا حجزه البحر عن المواصلة غرباً دخل في طريق عودته بلاد «غانا» و«تكرور»، فأسلم على يديه بعضهم، وفي ذلك ما يسوّغ قول ابن فودي، «إذ ليس هناك ما يمنع عقبة من السير صوب الجنوب في بلاد السودان كما منعه البحر من السير صوب الغرب»[(٥)]، وأن من الأمويين الذين هربوا بعد سقوط الدولة الأموية في الشرق مَن «تغلغلوا في بلاد السودان، واختبؤوا بها حتى الممات، وطويت أسماؤهم في سجل النسيان»[(٦)].

---

(١) انظر: المغرب في ذكر بلاد أفريقيا والمغرب، ص١٧٥، ١٨٧ وما بعدها.

(٢) انظر: تاريخ ابن خلدون، ص٢٤٧٩، دار ابن حزم، ط١، عام ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

(٣) انظر: الكامل في التاريخ، ابن الأثير، (٤١٩/٥)، دار صادر، بيروت، عام ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، والبيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، وابن عذاري المراكشي، (٢٨/١)، تحقيق ومراجعة: ج.س.كولان و.إ.ليفي بروفنسال، دار الثقافة بيروت، بدون، وتقع «كاوار» حالياً ضمن حدود جمهورية النيجر ناحية الشرق من حدودها مع تشاد.

(٤) الإسلام في نيجيريا، آدم عبدالله الآلوري، ص١٧ ـ ١٨، نقلاً من كتاب تزيين الورقات، لعبدالله بن فودي، لم أتمكن من الوقوف عليه.

(٥) الإسلام في نيجيريا، آدم عبدالله الآلوري، ص١٨ ـ ١٩.

(٦) السابق نفسه، ص١٩، وقد نقل د.عبد الفتاح الغنيمي مثل هذا عن البكري، وأن=

فإذا قيل: أفليس من المحتمل أن يكون عقبة وجيشه على طريقة من طرق الصوفية، أو من أرسلهم إلى السودان، أو التجار وهؤلاء الأمويون؟ ونقول: كلا، ولسبب يسير، وهو أن الصوفية لم تكن ظهرت، إذ ظهرت بداياتها في العراق في القرن الثالث الهجري، ولأن الطائفة المنصورة ـ كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية (ت٧٢٨هـ) ـ هي التي فتحت سائر المغرب، كمصر والقيروان والأندلس وغير ذلك، وكانت في أيامه أقوم الطوائف بدين الإسلام علماً وعملاً وجهاداً عن شرق الأرض وغربها[١]، ومن ثم كيف يمكن القول: «ارتبط انتشار الدعوة الإسلامية في غرب أفريقيا بانتشار الطرق الصوفية»[٢]!

٤ ـ حصر فضل التاريخ الإسلامي في المنطقة على الدول العربية:

وقد يحاول كلّ واحد من هؤلاء القوميين العرب حصر فضل التاريخ الإسلامي في المنطقة على الدولة العربية التي ينتمي إليها: المغرب، ليبيا، الجزائر، مصر، تونس... إلخ[٣]، يقول أحدهم في مقدمة كتابه: «وأعترف عندما كنت أطوي المرحلة تلو الأخرى في البحث والتنقيب أنني لم أستبعد وازعاً وطنياً أخشى بأن أتهم بأنه هو الذي حركني أصلاً في

= الخليفة عمر بن عبدالعزيز كان قد أرسل عام ٩١هـ جيشاً عربياً إسلامياً لفتح تلك الأنحاء، وأن ذرية هذا الجيش قد استقرت في تلك البلاد. انظر: حركة المد الإسلامي في غربي أفريقيا، ص٢٢٥، مكتبة نهضة الشرق، مصر، بدون ت،ن.

(١) انظر: مجموع الفتاوى، لابن تيمية، (٥٣٢/٢٨)، عالم الكتب ـ الرياض، عام ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

(٢) انظر: الحضارة الإسلامية العربية في غرب أفريقيا سماتها وانتشارها، د.شوقي الجمل، ص٤٤.

(٣) اقرأ ـ مثلاً: الحكم المغربي في السودان الغربي، د.محمد الغربي، وكان في الأصل رسالة دكتوراه أشرف عليه د.نقولا زيادة، ودور المرابطين في نشر الإسلام في غرب أفريقيا، د.عصمت دندش، دار الغرب الإسلامي ـ بيروت، ط١، عام ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، وبحث: المغرب في خدمة التقارب الأفريقي العربي، د.عبدالهادي التازي، وبحث: العلاقات بين المغرب وأفريقيا جنوبي الصحراء كيف نفسر أحداث التاريخ؟ د.علي القاسمي.

عملي هذا»[١].

وصل الأمر ببعض المعاصرين من هؤلاء القوميين إلى القول بالتلازم بين قوة الإسلام وازدهاره في أفريقيا وبين التصاهر مع العرب وهجراتهم إليها وبين ضعفه فيها وعدم مصاهرتهم، ومن ثم انطلقوا لتعليل ضعف الإسلام المعاصر فيها بعدم وجود مصاهرة بين الطرفين، في حين يرى آخر أن الاتصال عن طريق المساكنة والزواج يبدو ضعيفاً[٢].

ومهما يكن؛ فالسؤال المهم هو: ما حال الإسلام في العالم العربي نفسه، وقد «كان واضعو لبنات تلك الحضارة علماء أفارقة، على خلاف ما يُشاع من أن انتشار الإسلام كان بفعل عرب أو بربر»[٣]، سواء أولئك العلماء الذين تعلموا في المنطقة، أو أولئك الذين رحلوا في طلب العلم ثم عادوا، أو التجار الذين ينتقلون بين المنطقة وغيرها أو بين أسواق مدنها وقراها استقروا فيها أم لا، إذ هناك فرق بين دخول الإسلام وانتشاره، فالأول يمكن أن يقوم به أي مسلم، والثاني يحتاج إلى معرفة لغات المنطقة لإيصال تعاليم الإسلام إلى أهلها والانتشار في القرى والأرياف لا الاكتفاء بالمدن الحضرية.

يؤيد ذلك عدد العلماء الذي حشده ملك «جني» كي يُعلن إسلامه أمامهم، فقد جعل السعدي العدد **٤٢٠٠** عالم، ويبعد المبالغة عن هذا العدد أن «جني» كانت تتكون مع توابعها من سبعة آلاف قرية، كما ذكر السعدي نفسه[٤].

وحيث إن الإسلام للناس كافة فإن تاريخه وحضارته في المنطقة وفي غيرها وسع ـ ولا يزال ـ مختلف الأجناس والشعوب، كما أنهم أدلوا

(١) بداية الحكم المغربي، ص١٣.

(٢) المرجع نفسه، ص٧٥٠.

(٣) انتشار الإسلام في غربي أفريقيا، ص٤٤.

(٤) انظر: تاريخ السودان، ص١٢ ـ ١٣.

فيهما بدلائهم، فذلك من طبيعة الإسلام، وشموليته، وعالميته، وواقعيته.

وتارةً يعلل أولئك القوميون لضعف الإسلام المعاصر في المنطقة بدخوله السلمي إليها، فيقال لهم: فما بال أجزاء العالم الأخرى التي فتحت بالقوة قد ضعف الإسلام فيها، وتارةً بدرجة أعلى مما يتصور في أفريقيا! وتارةً أخرى يجعلون الحضارة الإسلامية في المنطقة «حضارة مغربية زنجية» و«حضارة مغربية عربية» و«حضارة مغربية أندلسية»، كانت الرغبة في إيصالها إلى مجاهل القارة دافعاً جديداً وقوياً في انتقال الإسلام إلى أبعد الجهات[١].

أرأيت كيف يجعلون إيصال هذه الحضارة إلى مجاهل القارة هو الدافع لانتقال الإسلام إليها، وليس الإسلام هو الذي نقل الحضارة إليها، حتى إنهم يجعلون حلق الشعر وتناول وجبة العشاء من آثار الحضارة المغربية[٢]! ونقول: ما المجاهل التي وصلتها الحضارة المغربية لنشر الإسلام، ألم تكن المراكز التجارية والمدن المشهورة هي التي سبق بعضها المغرب إلى الإسلام!

كما صار كثير من الموضوعات والبحوث، ذات الصلة بتاريخ المنطقة وحضارتها، تُرفض الكتابة فيها في الدراسات العليا في بعض الدول، كالمغرب وليبيا مثلاً، ما لم تركز في جانب تأثير هذه الدولة أو تلك ـ إن حقاً أو باطلاً ـ في الموضوع المدروس، ولو اقتضى الأمر ليّ الحقائق، بقوة القسم العلمي وكليته وجامعته وسياسة دولته على منهاج الدراسات الغربية التي لا ترتاح إلا لنفي الحضارة عن المنطقة قبل الاحتلال وجيوشه، أو نفي تأثير الإسلام فيه أو تهوينه، وإبراز أثر دول الاحتلال في تاريخها، واستحسان أفاعيله، وإيجاد مسوّغات إنسانية وحضارية وقانونية لها مهما كانت سيئة عقلاً ونقلاً.

---

(١) انظر: بداية الحكم المغربي، ص١٣، ٥٦٨، ٥٦٩، ٥٧١.
(٢) انظر المرجع نفسه، ص٦١١ ـ ٦١٢.

ومن المعلوم أن نفي أولئك للحضارة عن أفريقيا قبل الاستعمار يهدف من جانب آخر، يهدف إلى نفي الحضارة الإسلامية فيها، وإلا كيف يستقيم إقرارهم بوجود الإسلام في القارة قبل الاستعمار مع القول بأنها لم تكن تعرف الحضارة حين احتلوها؟!

ومنهم من علل لانتشار الإسلام فيها بأنه وجد مجتمعات لا حضارة لها[١]، وعلى مذهب دي لافوس القاضي بـ «إنكار الدور الحضاري للعرب في السودان الغربي، وتفسير كلّ فعاليتهم في المنطقة على أساس استغلالي»[٢]، وعلى منهاج القوميين الأفارقة «دعاة الزنجية»[٣]، ومعهم بعض علماء الآثار الأفريقيين الذين لا يترددون في عدّ انتشار الإسلام وحضارته احتلالاً عربياً بحدّ السيف؛ قضى على حضارة زنجية أفريقية، أو عدّ عصور حضارته الذهبية في المنطقة امتداداً لحضارة حوض البحر المتوسط الأوروبي... إلخ على الرغم من الأثر القوي والبروز الواضح والمميز للإسلام وثقافته وتاريخه وحضارته في عصور تلك الممالك والإمبراطوريات.

٥ ـ المبالغة في جهد المرابطين بجعلهم الرواد الأوائل في نشر الإسلام بغرب أفريقيا لدرجة طمس جهود غيرهم:

ومن مظاهر التشويه، بسبب أهداف الدارسين ومبتغاهم التي تلون

(١) انظر: أفريقيا الغربية في ظل الإسلام، ص٨.

(٢) انظر: les noirs de l',afrique, dealfosse M.payte paris 1922, p.157.
وانظر: مملكة سنغاي في عهد الأسقيين، ص١٠.

(٣) كما عند ليو بولد سنغور رئيس السنغال الأسبق ورفاقه عن الحضارة الزنجية الأفريقية، انظر: تقريره الذي قدّمه للمؤتمر الثاني للكتاب والفنانين الأفارقة في روما، ٢٩ مارس ـ ١ أبريل عام ١٩٥٩م، بعنوان: العناصر الأساسية المكونة لحضارة ذات أصول زنجية أفريقية، ترجمه إلى العربية ونشره مع دراسة نقدية له. Elemenets constitufs d'une civilistaions d'inspiration africaine د. عبدالله أحمد بشير بولا في كتاب بعنوان: العناصر الأساسية المكونة للحضارة الزنجية الأفريقية أم للفكر الأفريقي المغترب؟ منشورات مركز البحوث والدراسات الأفريقية، سبها، عام ١٩٨٨م.

الحقائق بألوان من الرغائب والهوى، أو المبادئ الوطنية والنظريات السياسية والفلسفات الفكرية التي اعتنقوها، جهد المرابطين المغالى فيه من قِبل كثير من الدارسين، بجعلهم الرواد الأوائل في نشر الإسلام بغرب أفريقيا، لدرجة طمس جهود غيرهم من سبقهم أو عاصرهم أو جاء بعدهم، كما فعلت الدكتورة عصمت دندش في كتابها (دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب أفريقيا)[(١)]، بل محو الوجود الإسلامي في المنطقة الذي سبق المرابطين بأربعة قرون.

والمرابطون إنما ظهروا عام **٤٣٤هـ**، أي: في أواخر المرحلة الأولى لانتشار الإسلام في غرب أفريقيا، وهو ما بين (**٢٠هـ ـ ٤٤٣هـ**) حسب تقسيمات بعض الدارسين[(٢)]، وكان استيلاؤهم على مدينة «أودغست» الغانية عام **٤٤٧هـ**[(٣)]، «ولقد كان للثقافة الإسلامية العربية أثر واضح في حكومة غانا القديمة قبل دخول المرابطين، فالمسلمون هم الذين كانوا يعرفون القراءة والكتابة، لذلك كانوا يساعدون الملوك الوثنيين... فهذا أكبر دليل على انتشار الثقافة الإسلامية، فإذا كان هذا هو الحال قبل استيلاء المرابطين عليها؛ فمن المتوقع أن تتوسع تلك الثقافة، وتنتشر بعد أن أصبحت مملكة غانا إسلامية»[(٤)].

وصل الغلو إلى الزعم بأن الالتزام الشديد بتعاليم الإسلام في السودان الغربي، كأداء فروض الشريعة إلى أبعد الحدود، والمواظبة على الصلوات في الجماعة، وضرب الأولاد عليها، وازدحام المساجد بالمصلين، والحرص الشديد على حفظ القرآن، واستفتاء الفقهاء، والأمان في المساجد، الالتزام بكلّ ذلك ـ كما ترى الدكتورة ـ من نتائج التزام

---

(١) دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، عام **١٤٠٨هـ/١٩٨٨م**.

(٢) انظر: تاريخ المسلمين في أفريقيا ومشكلاتهم، د.شوقي الجمل، ود.عبدالله إبراهيم ـ **٨٥**، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، **١٩٩٦م**.

(٣) انظر: تناقضها في أسباب الغزو، ص**١١٢**، من الكتاب نفسه.

(٤) تجارة القوافل د.العراقي (مرجع سباق) ص١٥٦، وانظر مثل ذلك في: حركة التجارة والإسلام، ص١٧٠ ـ ١٧١.

السودان بتعاليم زعيم المرابطين عبدالله بن ياسين (ت٤٥١هـ/ ١٠٥٩م)، حتى بعد قرنين من عصر المرابطين[١].

فهل هذه الأمور جديدة نزل إليهم بها الوحي، وبما كان سكان المنطقة يلتزمون من تعاليم الإسلام قبل ابن ياسين؟! ثم كيف نعلّل التزام المسلمين بهذه الأمور في أجزاء العالم الإسلامي الأخرى التي لم يصلها تأثير المرابطين؟! وكيف يصح ذلك وقد كان لبرقة والقيروان الدور الأساس في انتقال التأثيرات الإسلامية إلى هذا الجزء من بلاد السودان؟! إذ كانت تربطهما بـ «كوكيا»[٢] طريق صحراوي مروراً بـ «تاد مكة»[٣]، فكان الفقهاء والدعاة يرتادونها، لذلك كله كان طبيعياً أن يعتنق أهل سنغاي الإسلام قبل غيرهم من السودانيين والطوارق[٤]، وقال المهلبي (ت٣٨٠هـ) فيما نقله عنه ياقوت الحموي (ت٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م): «إن الإسلام انتشر بين أكثر أهل كَوْكَوْ (سنغاي) ـ وهم أمّة من السودان ـ وأصبح ملك البلاد يظاهر رعيته به، وجميعهم مسلمون»[٥].

---

(١) انظر: دور المرابطين في نشر الإسلام، ص١٤٧ ـ ١٤٩، وانظر: ص٢٤، ٧٠، ١١٢ ٢٩٤، ممن قام بتفنيد هذا الغلو د.محمد عبدالله النقيرة في كتابه: التأثير الإسلامي في غرب أفريقيا، ط١، عام ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م. ود.مسعود الوازني في بحثه: التواصل الإنساني وأثره في وحدة العقيدة بين شمال الصحراء وبلدان السودان الغربي حتى عصر المرابطين، د.حوليات الجامعة الإسلامية بالنيجر ـ عدد ٢ عام ١٤١٧هـ، ص١٩٢ ـ ١٩٤، وجبر الله الأمين ومدبولي عثمان في: حزام المواجهة حرب التنصير في أفريقيا ٢٣، ٣٧، ٤٨، دار الذخائر، الدمام، ط١، عام ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، وحركة التجارة والإسلام ١٧٠، ١٧١، ١٧٦، ١٧٩.

(٢) عاصمة سنغاي الأولى، وتقع إلى جنوب مدينة غاو، وتشتهر الآن باسم «بنتيا».

(٣) انظر: عن هذا الطريق الصحراوي: المغرب في ذكر بلاد أفريقيا والمغرب، ص١٨١، وتقع هذه المدينة في شمال مالي ضمن الإقليم الثامن «كيدال» جنوب شرق مدينة غاو حوالي ٤٠٠كم تقريباً، إضافة إلى طريق آخر يمر بجنوب غاو إلى مدينة أغاديس في جمهورية النيجر الحالية.

(٤) انظر: الإسلام والمجتمع السوداني، ص١٠٢، ١٠٣، ١٠٥.

(٥) انظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي، (٥٦٢/٤)، مادة (كوكو)، تحقيق: فريد الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، عام ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

يقول أحد الباحثين: «ففي الوقت الذي تمّ فيه تحوّل (صنهاجة) للإسلام في القرن (٣هـ/٩م) ـ كما أخبرنا ابن خلدون ـ كان دعاة أفريقيا وفقهاؤها ـ المالكيون وغيرهم من أصحاب المذاهب الأخرى ـ يمارسون نشاطهم بين بلاد كَوْكَوْ»[١].

٦ ـ محاولة حصر معاناة المسلمين في المنطقة في قبيلة أو شعب:

ومثل ذلك الغلو: محاولة حصر معاناة المسلمين في المنطقة بمكايد أعدائهم داخلياً وخارجياً في قبيلة أو شعب، كما أراد أبو بكر عبدالقادر سيسي في بحثه بمجلة البيان[٢]، وفيه طمس لعدة حقائق[٣]، ومبالغات لا ينبغي أن نقع فيها مهما أردنا تصوير المعاناة، عافى الله جميع المسلمين منها في كلّ مكان.

فمثلاً ما تعرّض له المسلمون في أحداث ليبيريا وسيراليون لم تطل أبناء «الماندغ» فقط، وبخاصة سيراليون ـ كما أراد الكاتب أن يصوّره[٤] ـ، فأين «الفلاتة» وغيرهم من القبائل الإسلامية فيها، بخلاف ساحل العاج الذي يغلب فيه المسلمون من «الماندغ»، مع أنه قد عانى فيها ـ أيضاً ـ وثنيون، كما هو حال الكثير من جالية الموسي من بوركينافاسو، والهوسا أكبر تجمع بشري في غرب أفريقيا، وليس «الماندغ»، فهم في نيجيريا وحدها يقاربون خمسين مليوناً أو يزيدون، وهل صحيح «أن الشعب المضطهد كلّهم مسلمون»[٥]؟! لا يمكن التصديق بوجود مثل هذا الشعب على وجه الأرض.

---

(١) الإسلام والمجتمع السوداني، ص١٠٥.

(٢) السنة ١٨، عدد ١٩٣ رمضان ١٤٢٤هـ/ نوفمبر ٢٠٠٣م، ص٧٨، ٨٦. «اضطهاد القبيلة المسلمة العملاقة»، وهو يقصد بها (الماندغ)، وتسمّى أيضاً: البمباره ـ والجولا.

(٣) انظر: البيان، ص٧٨.

(٤) انظر المرجع نفسه، ص٨٢.

(٥) انظر المرجع السابق، ص٨٠.

ثم أين نسبة الوثنيين والنصارى منهم في كلّ الدول التي يوجدون فيها؟ وماذا عن أبناء هذا الشعب الذين تواطؤوا مع الآخرين في اضطهاده، وخصوصاً في ساحل العاج، وماذا عساهم أن يكونوا؟ وهل صحيح أن بين لغة «الماندغ» وبين الإسلام «التلازم الشرطي المنعكس في أفريقيا الغربية، ومن ثم معلوم بديهة أن تقليل نسبة الناطقين بهذه اللغة معناه مباشرة تقليل نسبة المسلمين في أفريقيا الغربية»، إن كان مثل هذا ممكناً ـ ولا يبدو كذلك ـ أفليست اللغة العربية أولى به، إذ بها المصادر الأولى للتعاليم الإسلامية، ولا يتم أداء بعض فروض الإسلام إلا بها؟!

أنا على يقين أنه لو تناول غيره من قبيلة أخرى ـ ممن ينظر هذه النظرة الضيقة ـ، وينطلق من هذه العاطفية، لحصر ما ذكره في غير قبيلة «الماندغ»، مثل «الفلاتة»، و«السنغاي»، و«السونينكي» (وهي مع الماندغ)، و«الهوسا»، و«صوصو»، و«الولوف»، أبرز شعوب الإسلام في المنطقة.

ثانياً: أسباب هذا التشويه ودوافعه:

١ ـ جهل كثير من أبناء الإسلام بالحضارة الإسلامية في المنطقة:

والجهل بدور شعوبها في الحركة الإصلاحية والعلمية والثقافية، وعلاقاتها السياسية والدينية والاقتصادية بالعالم الخارجي في القرون الوسطى الأوروبية إلى سيطرة الاحتلال الأوروبي على المنطقة.

وبعض مَن يهتم بها ينظر إليها بعين العدوّ، ويتزود بمعلوماته المشوّهة على أنها مسلّمات أو بدهيات لا تحتاج إلى تمحيص وتحقيق، ذلك العدوّ الذي لا يزال ينقب في الأرض عسى أن يعثر على آثار فيها إيماءة إلى أسبقية المسيحية إلى المنطقة، أو إلى عدم التأثير الإسلامي فيها، ولا يتورع عندما تضيّق الأدلة التاريخية والنقلية عليه الخناق عن وَسْم الإسلام فيها بنحو «إسلام أسود»، أو «إسلام سطحي».

وقد يعتمد ذلك المهتم على تقارير عجلى من زيارات خاطفة لا تستند إلى سند معرفي صحيح في تاريخ الإسلام بالمنطقة، ولا مخالطة

قوية للمسلمين، وقد تقتصر الزيارة فقط على جزء من مدينة أو مسجد أو مدرسة إسلامية، أو على لقاء بعض المسلمين الذين قد يقدّمون لهم صورة الإسلام في البلد من وجهة نظرهم فقط، وقد تتوافق هذه الزيارة مع مناسبة معينة لطائفة تقوم على بدع وخرافات ومخالفات دينية، ومن ثم يصدر الزائر حكماً عاماً مبرماً على الإسلام والمسلمين جميعاً.

والغريب مع هذا كله أن هذه التقارير العجلى قد يُنظر إليها على أنها بحوث علمية منقحة، أو دراسات ميدانية، ثم تُستغل كوثائق إدانة لا تحتاج إلى تثبّت وتبيّن وتدقيق.

٢ ـ ما يسود وسائل الإعلام من تشويه متعمّد للقارة بتصويرها ـ كلها ـ بصورة غابة:

ومما وطّد ذلك الجهل المعاصر ما يسود وسائل الإعلام من تشويه متعمّد للقارة بتصويرها ـ كلها ـ في صورة غابة من المرضى عقلياً وجسمياً وحضارة وثقافة ومعيشة، أو غابة للمتقاتلين لأتفه سبب، ولسان الحال يقول ـ في مقدّمة سهلة ـ: إذا كان هذا شأنهم في القرن العشرين أو الحادي والعشرين فما عسى أن تجد عنهم في القرون الأوروبية الوسطى؟! وتكون النتيجة الحتمية لهذه المقدّمة: عليك بعالم غير أفريقيا.

قريب من السبب السابق ما تجده لدى بعض القوميين العرب المعاصرين من التجاهل بمحاولة إنكار وجود أية علامة للحضارة في المنطقة قبل مجيء الإسلام وقيام إمبراطورياتها فيها شأن بعض الغربيين، إما جهلاً، أو محاولة لطمس فضل ودور أبنائها، يقول د. صالح أبو دياك: «من الواضح أن مصادر التاريخ الأفريقي لجنوب الصحراء الكبرى قليلة، نظراً لتأخر انتشار الحضارة في هذا الجزء من العالم»[1].

---

(١) مجلة: دراسات (الأردن) (العلوم الإنسانية والاجتماعية)، مجلد ٢٣ عدد ٢ ربيع الأول ١٤١٧هـ/ آب ١٩٩٦م، ص٢٥٣، بحث: مؤثرات الحضارة الإسلامية في السودان الغربي من القرن الخامس إلى القرن العاشر الهجري.

وإذا كان أبو القاسم بن حوقل البغدادي (ت٣٧٩هـ/٩٨٨م) ذكر ـ كما نقل عنه د.أبو دياك ـ أن سكان السودان الغربي مهملون، لا يستحقون إفراد ممالكهم بما ذكر به سائر الممالك[١]، فقد قال بنقيض قوله تماماً مَن قبله، ومَن عاصره، مَن جاء بعده، ففي العصور التاريخية المختلفة ظهرت في ربوع تلك القارة عشرات من المجتمعات الإنسانية التي كانت لها حضارات وثقافات مختلفة، ولكنها حضارات أفريقية الأصل والجذور، ويمكن دراستها دراسة تحليلية لمقارنتها بالحضارات الأخرى القديمة التي كانت تزاملها في الزمان، وإن اختلفت معها في المكان[٢].

واليعقوبي أبو العباس أحمد ابن أبي يعقوب إسحاق بن جعفر الكاتب العباسي (ت٢٨٤هـ)[٣] في حديثه عن ممالك السودان الغربي التي كوّنها الأفارقة في غرب أفريقيا، وعن عِظَم شأنها وقوتها[٤]، يقول عن سنغاي: «ثم مملكة الكَوْكَوْ (والكوكو اسم المدينة)، ودون هذه عدة ممالك يعطونه الطاعة، ويقرّون له بالرئاسة على أنهم ملوك بلدانهم»، ولمّا أحصى ثماني ممالك ـ منها مملكة صنهاجة وأورور، ووصف بعضها بأنها

(١) انظر: المرجع السابق، ص٢٥٣، نقلاً عن صورة الأرض، لابن حوقل، ص١٩، لم يتيسر لي الوقوف عليه في هذه العجالة.

(٢) الإسلام في ممالك وإمبراطوريات أفريقيا السوداء، جون جوزيف، ص١٥، وانظر: ص٣٤، ترجمة مختار السويفي، دار الكتاب المصري، القاهرة، ط١، عام ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

(٣) تاريخ الوفاة المذكور هو الذي عليه أكثر الباحثين، وقيل: ٢٩٢هـ، ورجحه الزركلي، انظر: الأعلام، ١/٩٥، وقد تجول اليعقوبي في الشمال الأفريقي، وخاصة أيام الدولة الرستمية.

(٤) جاء ذلك في حديثه عن السودان وهجرتهم قبل الميلاد بآلاف السنين من شرق أفريقيا، وأنهم بعد عبور نهر النيل توقفوا، فاتجه قوم نحو الجنوب، وآخرون نحو الغرب، وكوّنوا لهم ممالك منها ما ذكر أعلاه. وما ورد لديه يكشف حقائق كثيرة عن أقدم هذه الممالك وضرورة إعادة ترتيبها تاريخياً، وقد ناقشت الأمر في بحث آخر، أسأل الله التوفيق والسداد في إظهاره.

واسعة ـ أضاف: «فهذه كلها تُنسب إلى مملكة الكَوْكَوْ... ثم مملكة غانا، وملكها ـ أيضاً ـ عظيم الشأن، وفي بلاده معادن الذهب، وتحت يده عدة ملوك»[(١)]، وأشار إلى مملكة مالي، ولم يذكر عنها شيئاً[(٢)].

ويذكر معاصر ابن حوقل؛ المسعودي: أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت٣٤٩هـ/ ٩٥٧م) أن السودان «بعد تجاوزهم نيل مصر، وتفرقهم في الأرض، سار فريق منهم نحو المغرب (أي: غرب أفريقيا) وهم أنواع كثيرة... وكَوْكَوْ، وغانا، وغير ذلك من أنواع السودان»[(٣)].

وقد ورد مثل هذا عن الإدريسي أبو عبدالله محمد بن محمد (ت٥٦٥هـ)[(٤)]، ونقله القلقشندي أبو العباس أحمد بن علي (ت٨٢١هـ/١٤١٨م) عن صاحب الروض المعطار[(٥)].

وكلّ ذلك يردّ ـ أيضاً ـ على ما زعمه الحسن بن محمد الوزان (ت٩٥٧هـ/ ١٥٥٠م) من أن المؤرخين والجغرافيين القدماء ـ أي :الذين سبقوه، وكتبوا عن أفريقيا أمثال: البكري، والمسعودي ـ لا يعرفون شيئاً عن بلاد السودان ما عدا الواحات وغانا، وأن هذه البلاد اكتشفت عام ٣٨٠هـ ـ باعتناق «لمتونة» البربرية وكلّ «ليبيا» للإسلام[(٦)].

---

(١) تاريخ اليعقوبي، ١/١٩٣ ـ ١٩٤.

(٢) انظر: المصدر نفسه، ١/١٩٣.

(٣) مروج الذهب للمسعودي، (١/٣٢٩)، دار الكتاب اللبناني، ط١، عام ١٩٨٢م.

(٤) انظر كتابه: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ١/٢٨، طبعة جامعة نابولي/ إيطاليا.

(٥) انظر: صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ٥/٢٨٥، نسخة مصورة عن الطبعة الأميرية، بدون. والروض المعطار في خبر الأقطار، لأبي عبدالله محمد بن عبدالمنعم الحميري (ت٧٧٦هـ).

(٦) انظر: وصف أفريقيا، ص٥٣٣، ترجمة د.عبدالرحمٰن حميدة، ط١، عام ١٣٩٩هـ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وتناقله عدد من الباحثين من غير تمحيص، انظر: مملكة سنغاي في عهد الأسقيين، ص٨٧، هامش ١، و١٣٦، نقلاً عن بوفيل Bovill E.w في كتابه: the golden trade of M، ص٥٦، جامعة أكسفورد ١٩٥٧م.

٣ ـ أهداف الدارسين التي كثيراً ما تصوّر التاريخ بتصورات تتوافق مع تصورات مسبقة خدمة لأهداف محدّدة معلومة:

من أسباب ذلك التشويه أهداف الدارسين ومبتغاهم التي كثيراً ما تلوّن الحقائق بألوان من الرغائب، فتصوّرها تصويراً يتوافق مع تصورات مسبقة خدمة لأهداف محدّدة معلومة، «هي عند أصحاب النوايا الخبيثة خطة مدروسة، ومناهج مرسومة، نابعة من قلوب تطفح بالبغضاء للإسلام وأهله وشعوبه وأرضه، ابتغاء تشويه الفكر الإسلامي وتطبيقه في ماضيه»[(١)].

أو ينطلق بعض الدارسين من مبادئ وطنية للدولة التي ينتمي إليها، ومن نظريات سياسية وفلسفات فكرية اعتنقها، ويريد تفسير أحداث التاريخ بها، وما أكثر ما تجد في هذا من الغرائب المضحكة المبكية، ومن الأحكام المسبقة، وليّ الحقائق الثابتة، قال د. زبادية عن أمثالهم: «في الواقع كثيراً ما تمكّنت في توجيههم مآرب أو مبادئ معينة، فجاءت أبحاثهم لا تقنع الباحث النزيه»[(٢)].

هذا إن لم تشوّه التاريخ وحقائقه ـ مثلاً ـ مسوّغات الغزو المغربي لإمبراطورية «سنغاي الإسلامية» في غرب أفريقيا عام (٩٩٩هـ/ ١٥٩٠م)، فليست المسوّغات التي ذكرها د. عبدالهادي التازي عاطفية فحسب، وليست التفسيرات التي قدّمها اتباعاً للهوى وليّاً للحقائق فقط، بل وصلت إلى درجة التشكيك في الهدف الحقيقي من أداء الناس لفروض دينهم كالحج، إذ جعل الهدف الحقيقي لحجّ الملك «أسكيا محمد» سياسياً، يتمثّل في الحصول على لقب «خليفة على السودان» من الخليفة العباسي[(٣)]!

---

(١) انتشار الإسلام في غربي أفريقيا، ص٤٥.

(٢) مملكة سنغاي في عهد الأسقيين، ص٨، ولم يسلم منها، انظر: ص٢٥، ٢٩، ٣٨، ٨١، ١٠١.

(٣) انظر بحثه: المغرب في خدمة التقارب الأفريقي العربي، ص١٠٦، العلاقة بين الثقافة العربية والثقافات الأفريقية، تونس، عام ١٩٨٥م.

فكأن الحجّ لا يكون خالصاً لله إلا إذا كان من شخص عادي مغمور، أو كأنّه لمّا ينزل قوله تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ۖ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾﴾ [الحج: ٢٦ ـ ٢٨].

وتارةً يجعل د.التازي تعميق الشعور العربي في المنطقة آثاراً إيجابية لهذا الغزو، ومن مسوّغاته لذلك الغزو: تخوّف المغرب من تدخّل أجنبي أعجمي ـ يقصد الدولة العثمانية ـ في المنطقة، وتثبيت العلاقات العربية الأفريقية[(١)]، في حين يتغافل عن الوثائق المغربية التي أفادت التعاون بين منصور الذهبي (١٥٧٨م ـ ١٦٠٣م) وبين ملوك إسبانيا وبريطانيا والبرتغال على إسقاط إمبراطورية (سنغاي الإسلامية)، وعن الهدايا التي أغدقوه بها، ويتجاهل أن معظم قواد هذا الجيش إسبان، إما نصارى، وإما يهود متنصِّرون، ودلّت في الواقع على التوطيد لمرتزقة أوروبيين إسبان تلك حالهم[(٢)].

---

(١) انظر المرجع السابق، ص١١٠، ١١١، ١١٤، ١١٩.

(٢) انظر: بداية الحكم المغربي، ص١٠٥، ١٠٦، ١٤٠، ١٤٤، ١٤٦، ١٤٧، ٣٧٧، ٥٦٩، وتاريخ أفريقيا السوداء من أمس إلى غد، ج.كي. زير بو، ١/٣٣١، ترجمه عن الفرنسية يوسف الشام، منشورات وزارة الثقافة السورية عام ١٩٩٤م، والحضارات الأفريقية، دينيز بوليم، ص٧٣، ترجمه عن الفرنسية نسيم نصر، منشورات هويدات، بيروت ـ باريس، ط٣، عام ١٩٨٨م، والمد الإسلامي في أفريقيا، ص٤٧. وانظر: الأسباب الحقيقية وآثارها السيئة من جميع النواحي في: بداية الحكم المغربي، ١١٧، ١٣١، ١٣٢، ١٣٤، ١٥٧، ١٦١، ٥٧٢، وإمبراطورية سنغاي د.إبراهيم طرخان، ص٩٨، ١٠٠، مجلة كلية الآداب، جامعة الرياض (سابقاً)، مجلد ٨ عام ١٩٨١م، وبحث: العلاقات السياسية بين المغرب الأقصى وإمبراطورية سنغاي بغرب أفريقيا، د.محمد النقيرة، في: مجلة جامعة الإمام، كلية الشريعة بالأحساء، عدد١، سنة ب، عام ١٤٠١هـ/١٤٠٢هـ، ص٦٤٠ ـ ٦٤٢، والحركة العلمية والثقافية والإصلاحية في السودان الغربي د.أبو بكر إسماعيل ميغا، ص٢٣٠، ٢٥٨، ط١، عام ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، مكتبة التوبة بالرياض. =

تأمل أيها القارئ! تصوير شيخ الإسلام ابن تيمية لنفوذ النصارى في المغرب قبل هذا الغزو بأكثر من قرنين ونصف ليزول عنك الاستغراب، ففي وصف أحوال العالم الإسلامي في أيامه، وبعد ذكر اليمن والحجاز وشمال أفريقيا، يقول: «وأما المغرب الأقصى؛ فمع استيلاء الإفرنج على أكثر بلادهم لا يقومون بجهاد النصارى هناك، بل في عسكرهم من النصارى الذين يحملون الصلبان خلق عظيم»(١).

ولقد أخذت إسبانيا تهتم بـ «تنبكتو» و«غاو»، وبباحثي تاريخ المنطقة، من أبنائهما خاصة، كي يُعنوا بتاريخ أولئك، بل تبنّت أحدهم، وهو «إسماعيل جاجي حيدرة» الذي يعيش فيها، ووفّرت له كلّ الوسائل ليكتب بالإسبانية بحوثاً ودراسات تتعلق بهم ـ إن حقاً أو باطلاً ـ وبتاريخهم في الأجزاء الشرقية والشمالية من مالي(٢)، والتي يزورهما (أي: الأجزاء الشرقية والشمالية) في السنة آلاف السياح الإسبان وغيرهم من الأوروبيين والأمريكان.

في آخر سفر لي إلى هذه المدينة الغالية «تنبكتو» صيف عام ٢٠٠٠م، وفي رحلة العودة بالسيارة إلى مدينة دونزا، على بعد مائتي كيلو متراً على الطريق المعبّدة التي تربط جنوب مالي بشمالها، وشرقها بغربها، وما أدراك

= وقد تلقبوا في المراحل الأخيرة بألقاب مشهورة في المنطقة، انظر: مقال سينان أندلرياميرلدو في مجلة «أفريقيا الفتاة» (مرجع سابق)، وانظر: استعمال النصارى قديماً وحديثاً لبعض الألقاب والأسماء الإسلامية المشهورة تخفياً وراءها، في: الإسلام في الدولة العلمانية مالي، الشيخ شيرنو هادي عمر تيام، ص١٠٧ ـ ١٠٨، ط١ عام ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، بماكو/ مالي.

(١) مجموع الفتاوى، ٥٣٢/٢٨، وانظر: في قوة اليهود والنصارى أيام الدولة المرينية (٥٩١ ـ ٩٥٧هـ/ ١١٩٥م ـ ١٥٥٠م)، وأيام السعديين والمنصور الذهبي: مجلة الاجتهاد، عدد ٣٤، سنة ٩، شتاء وربيع ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، ص٩٣، ٩٤، ٩٩، بحث: «دور يهود الجنوب المغربي في تجارة القوافل الصحراوية، محمد أرحو، وبداية الحكم المغربي، ص١٥٧، ١٩١.

(٢) انظر عن جهوده: مال سينان أندرياميرلدو في مجلة «أفريقيا الفتاة» (مرجع سابق، هامش ٩١).

ما في السفر بالسيارة إلى هذه المدينة التي أصبحت كأنها «جزيرة برية»! إن السفر إليها إذا لم يتمّ جواً ـ رحلتان في الأسبوع ـ فيا لها من معاناة، ومشقة سفر مضاعفة نفسياً وبدنياً! فكلّ الطرق البرية إلى هذه المدينة العزيزة صحراوية بمعنى الكلمة، ودليلك الخبير بها آثار السيارات.

أما السفر إليها عبر نهر النيجر فلا يمكن إلا في أغسطس إلى نهاية السنة ـ غالباً ـ، ومع ذلك كلّه ترى وفود السياح الغربيين إليها بالآلاف في رحلات برية، وفي حرّ الصيف والرياح الموسمية الحارة المصحوبة بالغبار في أغلب الأوقات، وأحياناً بأمطار موسمية تسقي الزرع، وتزيد ماء النهر، وتلطف الجو والنفس وعناء استنطاق التاريخ، وقد تعفي رسوم الطريق السالكة.

كان معنا في هذه الرحلة بعض السياح الإسبان، فذكروا لنا أن إسبانيا تعدّ لأن يزور «تنبكتو» في عام **٢٠٠١**م ثلاثة آلاف سائح إسباني، فلما استكثرنا هذا العدد، وسألنا عن السبب، جاء الجواب: لاستعادة ذكريات أجدادهم الذين استولوا على هذه المنطقة، وكوّنوا في هذه المدينة مرتكزاً لسيادتهم قبل الاستعمار الفرنسي.

ثم أمعن النظر في التنافس الأوروبي والأمريكي ـ بل تعصبهما ـ ليكون لكلّ واحد منهما أي أثر تاريخي في هذه المنطقة الإسلامية، وبخاصة هذه المدينة التاريخية العلمية، مع التنقيب عن أثارةٍ من علم يومئ إلى ذلك، حيث توجد في هذه المدينة بيوت كُتب على أحدها: «هنا سكن أول بريطاني وصل إلى تنبكتو عام **١٢٤٢**هـ/ **١٨٢٦**م، ودفع حياته ثمناً لتنبكتو»، وفي الواقع لم يدفع حياته ثمناً لهذه المدينة بل قُتل لأنه خالف العادات والتقاليد الإسلامية، وبيت آخر كُتب عليه: «هنا كان يسكن أول فرنسي وصل إلى تنبكتو عام **١٨٢٨**م»، أي: عام **١٢٤٤**هـ، دخلها عن طريق موريتانيا بعد أن تسمّى بـ «عبدالله»، ولبس لباس المسلمين كيلا يناله ما نال البريطاني قبله.

فلِمَ لا يعرف الأمريكيون المكان الذي نزل فيه أول أمريكي زار

المدينة عام ١٩٠٥م! وهكذا جاؤوا ووضعوا لافتة على أحد الأماكن البارزة والمهمة، وكتبوا عليها: «هنا مرّ أول أمريكي دخل تنبكتو»، وكان دخلها آتياً من الجزائر.

أرأيت كيف التعصب لمجرد ورود إشارة إلى أي أثر أو أثارة من علم عنه! أرأيت كيف أن مجرد المرور بها مدعاة إلى الاهتمام والفخر ونوع من إرضاء الغرور! فكيف بإسبانيا التي لا يخلو كتاب تاريخ عن المنطقة من ذكر جهود الإسبان في إسقاط إمبراطورية «سنغاي الإسلامية» على يد الجيش المغربي!

أما د. زبادية فقد جعل حجّ «أسيكا محمد» سياحة استطلاعية، الغرض منها: اكتساب خبرات بالاطلاع على أحوال ممالك الشرق وطرق تسييرها، وضمان الأمور المعنوية من وراء الحجّ في أعين شعبه[١]، والحق أنه «ليس بغريب على الرجل أن يستهدي بتعاليم الإسلام في نظم حكمه، فقد كان مسلماً مخلصاً، وتقياً ورعاً، وأمعن في إحاطة نفسه ببطانة من العلماء، يأكلون ويشربون معه، ويستشيرهم في كلّ الأمور عن رأي القرآن والسنّة، حتى أصبحت هذه السياسة الإسلامية سياسة مقرّرة لخلفائه»[٢].

وأما د. علي القاسمي فقد ضرب بعرض الحائط الأسباب الحقيقية[٣] التي تحدّث عنها نخبة ـ كما يقول هو ـ من الباحثين المتخصصين المرموقين، «قدموا من إسبانيا وأمريكا وبريطانيا وكندا ومصر، ومن البلاد الأفريقية المعنية: السنغال، وغينيا، والكاميرون، ومالي، وموريتانيا، والنيجر، ونيجيريا، إضافة إلى باحثين وأساتذة من عدد من الجامعات المغربية»، قدموا للمشاركة في ندوة دولية بمراكش، أقامها معهد الدراسات

---

(١) انظر: مملكة سنغاي في عهد الأسقيين، ص٣٦.

(٢) حركة التجارة والإسلام، ص٢٣٩، وانظر ما قاله عنه محمود كعت في: تاريخ الفتاش، ص٥٩.

(٣) انظر بحثه: العلاقات بين المغرب وأفريقيا جنوبي الصحراء، وكيف نفسر أحداث التاريخ؟ مجلة: التاريخي العربي، (المغرب) عدد ٥، شتاء ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م، ص٢٤٩ ـ ٢٥٨.

الأفريقية بجامعة محمد الخامس في **٢٣ ـ ٢٥** أكتوبر **١٩٩٢**م، لا يجمعهم سوى البحث عن الحقيقة، ولا يمكن تواطؤهم على الكذب، لكن تجاهل الحقائق، أو تلوينها بالرغائب والهوى وبالمبادئ الوطنية والقومية، يُعمي.

يقول حماه الله ولد السالم: «الممالك السودانية المسلمة في غرب أفريقيا ـ إمبراطورية مالي، ثم مملكة سنغاي ـ كانت تشرف سياسياً على الأجزاء الجنوبية الشرقية من موريتانيا الحالية وأحوازها»[١]، فما الدولة التي كانت مسؤولة عن الجوانب الدينية، والإدارية والاجتماعية، والاقتصادية، وأين مملكة غانا، وقد كانت عاصمتها وأبرز مراكز قوتها في موريتانيا الحالية؟ استمع إليه يحدّد لك «المجال الشنقيطي»: «نعني بالمجال الشنقيطي: منطقة أوسع من الحدود السياسية لموريتانيا اليوم، حيث تشمل عدة مناطق من غرب الصحراء الكبرى، يشترك سكانها ونخبها العلمية مع مختلف مناطق موريتانيا الحالية في اللغة، والتقاليد والعادات، والمؤثرات التاريخية الواحدة، وهذه المحددات تمثّل «فضاءً ثقافياً»، أصبح سكانه يعرفون بالشناقطة، نسبة إلى بلادهم التي تُعرف باسم «بلاد شنقيط»، ثم رسم خريطة وهمية لهذا المجال»[٢].

لكن ماذا عن الجماعات الأخرى التي يجمعها الإسلام، ثم لكلّ جماعة لغتها والمحددات التي ذكرتها، كسنغاي، والطوارق، والفلاتة، والسونينكي (السراكولي)، علماً بأن الأخيرتين تكوّنان نسبة كبيرة في موريتانيا الحالية، والسونينكي ـ كما تقدّم ـ هي التي أسّست مملكة غانا، وكان مركزها معظم أراضي موريتانيا الحالية.

ثم إنّ الشناقطة ـ ويقصد بها المجموعة العربية: الحسانيين والكونتا[٣] ـ نسبتهم قليلة في مناطق مالي والنيجر والسنغال التي جعلها

---

(١) أوضاع الحجاز في الرحلات الحجية الشنقيطية، الدارة ـ عدد **٤**، سنة **٢٢**، عام **١٤١٧**هـ، ص**٢٩**.

(٢) المرجع نفسه، ص**٥٢**، هامش **١**، **٦٤**.

(٣) انظر المرجع السابق، ص**٥٦**، هامش **٢٠**.

ضمن «المجال الشنقيطي» قديماً وحديثاً، ففي هذه المناطق من مالي والنيجر يغلب سنغاي ثم الطوارق، وفي مناطق السنغال وجنوب موريتانيا يغلب السونينكي والفلاتة.

أما الإقليم في جنوب الصحراء الجزائرية (توات)؛ فأستغرب جعله فقط ضمن «المجال الشنقيطي»، متجاهلاً غيره من أقاليم الجنوب الجزائري على الأقل[١]، لعلّه أدرك أن غالبية سكانها من الطوارق، وهم البربر في الجزائر والمغرب.

ويقول: «خضعت عدة مدن شنقيطية، مثل: ولاتة وتنبكتو، لإمبراطورية مالي، ثم لوريثتها مملكة السنغاي، قبل أن تنهار الأخيرة أمام الزحف المغربي المظفر على تنبكتو سنة ١٥٩١م»[٢].

سأكتفي بإحالته هو والقارئ الكريم على ما تقدّم من مصادر ومراجع[٣]، للتأمل في الأسباب الحقيقية لما سمّاه: «الانهيار أمام الزحف المغربي المظفر»، وفي آثاره السيئة على المنطقة دينياً واجتماعياً وثقافياً وسياسياً واقتصادياً، ثم أقول: إذا كانت مدينة شنقيط قد تأسّست ـ كما يقول هو ـ عام (٦٦٠هـ/١٢٦١م)[٤]؛ فأين كان الشناقطة قبل هذا التاريخ، وكيف تكون ولاتة وتنبكتو من مدن شنقيط، وكلتاهما أقدم منها، وقد تأسّست الأولى من القرن الأول الهجري تقريباً، والأخرى عام (٤٨٠هـ/١٠٨٧م)؟!

وإمعاناً منه في الغبن يزعم أن ركب الحاج الشنقيطي كان عشوائياً في

---

(١) انظر المرجع السابق، ص٥٥، هامش ١٥، والخريطة، ص٦٣.

(٢) المرجع نفسه، ص٥٣، هامش ٩، وقد تقدّم في هذه الدراسة أن ما ورد لدى اليعقوبي، في حديثه عن ممالك سنغاي وغانا ومالي، يكشف حقائق كثيرة عن أقدم هذه الممالك، وضرورة إعادة ترتيبها تاريخياً، وناقشت الأمر بتفصيل في بحث آخر، أسأل الله التوفيق والسداد في إظهاره.

(٣) انظر: ص١٦، هامش ٢.

(٤) انظر: الدارة (مرجع سابق)، ص٥٤، هامش ١.

ظلّ تلك الممالك السودانية الإسلامية[١]، وأوقع نفسه في التناقض والغبن حين قال: «إن أول من حجّ من أهل مدينة شنقيط ـ حسب الروايات المحلية ـ هو جدّ الفقيه الشنقيطي أحمد بن أحمد ابن الحاج العلوي، الملقب «أكَد الحاج» (ت١٠٨٦هـ/١٦٧٥م)»[٢]، أي :بعد سقوط آخر تلك الممالك والإمبراطوريات!! أيعقل هذا من مدينة تأسّست في التاريخ المذكور آنفاً، وفي ظلّ ممالك إسلامية متوالية، ينطلق منها ركب الحجّ في اتجاهات مختلفة ومن جميع شعوبها، وشهد بذلك القاصي قبل الداني، والعدوّ قبل الصديق! أجزم أنك ظلمت أهلها في أحد أركان دينهم، كما ظلمت التاريخ الإسلامي في المنطقة، لكنه نتيجة السعي في الغبن، فهو يعمي عن الحق، نسأل الله العفو والعافية!

وفي الختام:

تلك نبذ مهمة من مظاهر الجانب التشويهي المختلفة لتاريخ الإسلام في غرب أفريقيا ولأثره في الإصلاح الديني والاجتماعي والثقافي والحضاري، والدوافع المتنوعة إلى هذا التشويه من قِبل مثقفين غربيين ومن تأثر بهم من أبناء المنطقة وغيرهم، ودعاة الزنجية، والقوميون العرب... إلخ.

اقترنت تلك المظاهر والدوافع بالردّ على الشبهات، وتفنيد حجج المغرضين، وكشف أباطيلهم، وتبيين الحقائق ودعمها بالأدلة، فذهب الزبد جفاء، وبقي ما ينفع الناس والدين والتاريخ والحضارة، حيث تأكد أثر الإسلام القوي في حياة شعوب المنطقة من جميع النواحي منذ دخلها في النصف الأول من القرن الأول الهجري، وزرع بذرته في أرضها الخصبة، فنمت واستوت على سوقها، وبرز جهود شعوبها في انتشار الإسلام وترسيخ قدمه فيها، فأغاظ الكفار والمنافقين والحاقدين، فرموه عن سهم واحد، لكنّ الله سلم وثبّت.

---

(١) انظر المرجع السابق، ص٢٩.

(٢) انظر المرجع السابق، ص٣٠.

وحيث إن مجتمعها لم يكن ملائكياً ـ وحاشاه ـ؛ فقد كان يعكّر طوائف صفوه في أطوار وأماكن مختلفة، بسبب ضعف الوازع والنازع الدينيين، فالأول يبعث على ملازمة الشرائع، والآخر يمنع من مخالفتها، وضعفهما، في أي وقت ومكان وعند أي جنس، يعني وقوع بعض أفراده في المعاصي والمخالفات الشرعية بدرجات متفاوتة، وبقاء الكثرة على الحق، فمن الإجحاف أن يصير الإسلام بذلك «نموذجاً أفريقياً» أو «إسلاماً سطحياً» لم يحدث تأثيراً أو إصلاحاً، كما يريد له أولئك القوم على اختلاف دوافعهم، فتلك سنّة الله في خلقه، ولو شاء ربّك لجعل الناس أمّة واحدة على قلب أتقى رجل، لكن لله في خلقه شؤون، وللناس في النظر إلى أفريقيا عيون، يعلو كثيراً منها غشاوة، وقلوب يرين عليها الهوى، وعقول لا تقودها البصيرة، وأقلام تسيل بالباطل.

فالحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات، وصلى الله وسلم على نبينا محمد بن عبدالله، وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

○ ○ ○ ○ ○ ○



ملحق بأسماء الأقاليم والدوائر والمدن الموجودة في جمهورية مالي

نلحق بالنصوص الجغرافية التي أوردناها هذا الجدول بأسماء الأقاليم والدوائر والمدن الموجودة حالياً في جمهورية مالّي. وهي الجداول الرسمية للحكومة المالية.

وتبلغ مساحة جمهوية مالّي اليوم **١,٢٠٤,٠٢١** كيلو متراً مربعاً.

وعدد سكانها **٤,٧٩٩,٢١٦** نسمة حسب الإحصاء الرسمي في **٣١** ديسمبر **١٩٦١**.

وعاصمتها مدينة «باماكو».

ويتكلم أهلها اللغات التالية:

بامبرا، بول، ساراكوله، سورائي، تاماشيك. إلى جانب اللغتين العربية والفرنسية.

ودين أهل مالي الغالب هو الإسلام.

CERCLES	- COMMUNES -	- ARRONDISSEMENTS -	
- BAMAKO -	Com. Pl. Exercice BAMAKO	Bamako Central	باماكو الوسطي
		Siby	سيبي
		Ouélessébougou	اولاسابوقو
		Négala	نيقالا
		Sanankoroba	سانكوروبا
- K A T I -	Com. Moy. Exercice K A T I	Kati	كاتي
		Baguineda	باقينيدا
		Kourouba	كوروبا
- BANAMBA -	—	Banamba Central	بانمبا الوسطى
		Boron	بورون
- DIOILA -	—	Dioila Central	ديوالا الوسطى
		Fana	فانا
		Massigui	مسيقي

	—	Beleco	بيليكو
		Tiélé	تيالي
- KANGABA -	—	Kangaba Central	كنقابا الوسطى
		Naréna	نارينا
- KOLOKANI -	—	Kolokani Central	كولوكاني الوسطى
		Nossobougou	نوسوبوقو
		Didiéni	ديدياني
- KOULIKORO -	Com. Moy. Exercice KOULIKORO	Koulikoro Central	كوليكورو الوسطى
		Nyamina	نيامينا
		Siracorola	سيراكورولا
		Kenenkou	كننكوو
- N A R A -	—	Nara Central	نارا الوسطى
		Ballé	باليه
		Dilly	ديلي
		Mourdiah	مرضيه

	GOUVERNORAT DE GAO		
- ANSONGO -	—	Ansongo Central	انسونقو الوسطى
		Teasit	تيسيت
		Teletaye	تيليتايا
		Ouatagouna	أواتقونا
- BOUREM -	—	Bourem Central	بورم الوسطى
		Bamba	بمبا
		Almoustrarat	المرستوارة
- DIRÉ -	—	Diré Central	ديره الوسطى
		Saréyamou-	سارياموا
- G A O -	Com. Moy. Exercice G A O	Gao Central	قاوا الوسطى
		Boro	بورو
		Gargouna	قرقونا
-GOUNDAM-	—	Goundam Central	قندام الوسطى
		Garganda	قرقندا
		Douekire	دواكير

		Tonke	تونكا
		Bintagoungou	بينتاقونقو
—	—	Ras El Ma (AN)	راس الما
		Route de Léré	طريق ليره
		(Foita) AN	فواتا
		Faguibine (Farch) AN	فقيبين
- GOURMA - - RHAROUS -	—	Gourma-Rharous Central	قورمارحروس الوسطى
		Bambara Maoundé	بمبرا ماوندا
		Gossi	قوسي
		Ouinarden (AN)	وينردن
- K I D A L -	—	Kidal Central	كيدال الوسطى
		Tessalit	تيساليت
		Timétrine	تيمترين
		(TIN KAR) AN	تين كار
		Bouressa (AN)	بوريسا
		Tin Zaouatana (AN)	تين زاوتانا

- MENAKA -	—	Ménaka Central	ميناكا الوسطى
		Anderamboukane	اندرنبوكان
		Intebzaz (AN)	انتبزاز
- TOMBOUCTOU -	Com. Moy. Exercice	Tombouctou Central	تومبكتو الوسطى
		Taoudéni (AN)	تاوداني
		Arouane (AN)	اروان
		Inakouder (AN)	اناكودير
- K A Y E S -	GOUVERNORAT DE KAYS Com. Pl. Exercice	Kayes Central	كايس الوسطى
		Kouassane	كواسان
		Ambidédi	امبدادي
		Diamou	ديامو
		Aourou	آورو
		Kayes	كايس
		Sadiola	ساديولا
		Ségala	سقالا

- BAFOULABE -	—	Bafoulabé Central	بافولابي الوسطى
		Oussoubidiagna	اوسوبيديانا
		Koundian	كونديان
		Bambila	بمبيلا
		Mahina	مهينا
- KENIEBA -	—	Kéniéba Central	كنيابا الوسطى
		Faléa	فاليـا
		Dialafara	ديالافاره
		Faraba	فرابا
		Dombia	دومبيا
		Kassama	كاساما
- K I T A -	Com. Moy. Exercice	Kita Central	كيتا الوسطى
		Toukoto	توكوتو
		Sagabari	سقاباري
		Sebékoro	سيبيكورو
		Séfeto	سيفاتو

ميرا كورو	Sirakoro	—	—
كيتا	Kita		
نيورو الوسطى	Nioro Central	Com. Moy. Exercice	- NIORO -
دياما	Diema		
توروقومبا	Touroagoumbé		
صندره	Sandaré		
لاكانه	Lakamané		
قافينانيه	Gavinané		
بيما	Bèma		
قوقي	Gogui		
ديومارا	Dioumara		
نيورو	Nioro		
ياليانه الوسطى	Yèlimané Central	—	- YELIMANE -
كيرانه	Kirané		
مرينا	Marena		
تمباكارا	Tambacara		

(١٠)

- BANDIAGARA -	—	Bandiagara Central	بندياقارة الوسطى
		Kanigogouna	كنيقوقونا
		Kendié	كنديا
		Goundaka	قنداكا
		Ouo	اوُ
		Sangha	سنغا
		Ningari	نينغاري
- BANKASS -	—	Bankass Central	بنكس الوسطى
		Sokoura	سوكورا
		Dillassagou	ديالاساقو
		Kuni-Bonzon	كاني بونزون
		Bai	باي
		Ouenkorou	اونكورو
		Ségué	سيقه
- DJENNE -	—	Djenné Central	دجونه الوسطى
		Kouakourou	كواكورو

	—	Sofara	سوفارا
		Mougna	مونيا
-DOUENTZA-	—	Douentza Central	دوانتزا الوسطى
		Hombori	هومبوري
		N'GOUMA	نقوما
		Boré	بوره
		Boni	بوني
-KORO-	—	Koro Central	كورو الوسطى
		Dinangourou	دينقورو
		Diankabou	دينكابو
		Toroli	تورولي
		Madougou	مادوقو
		Koporonkendié-Na	كوبورنكنديانا
		Diougani	ديوقاني

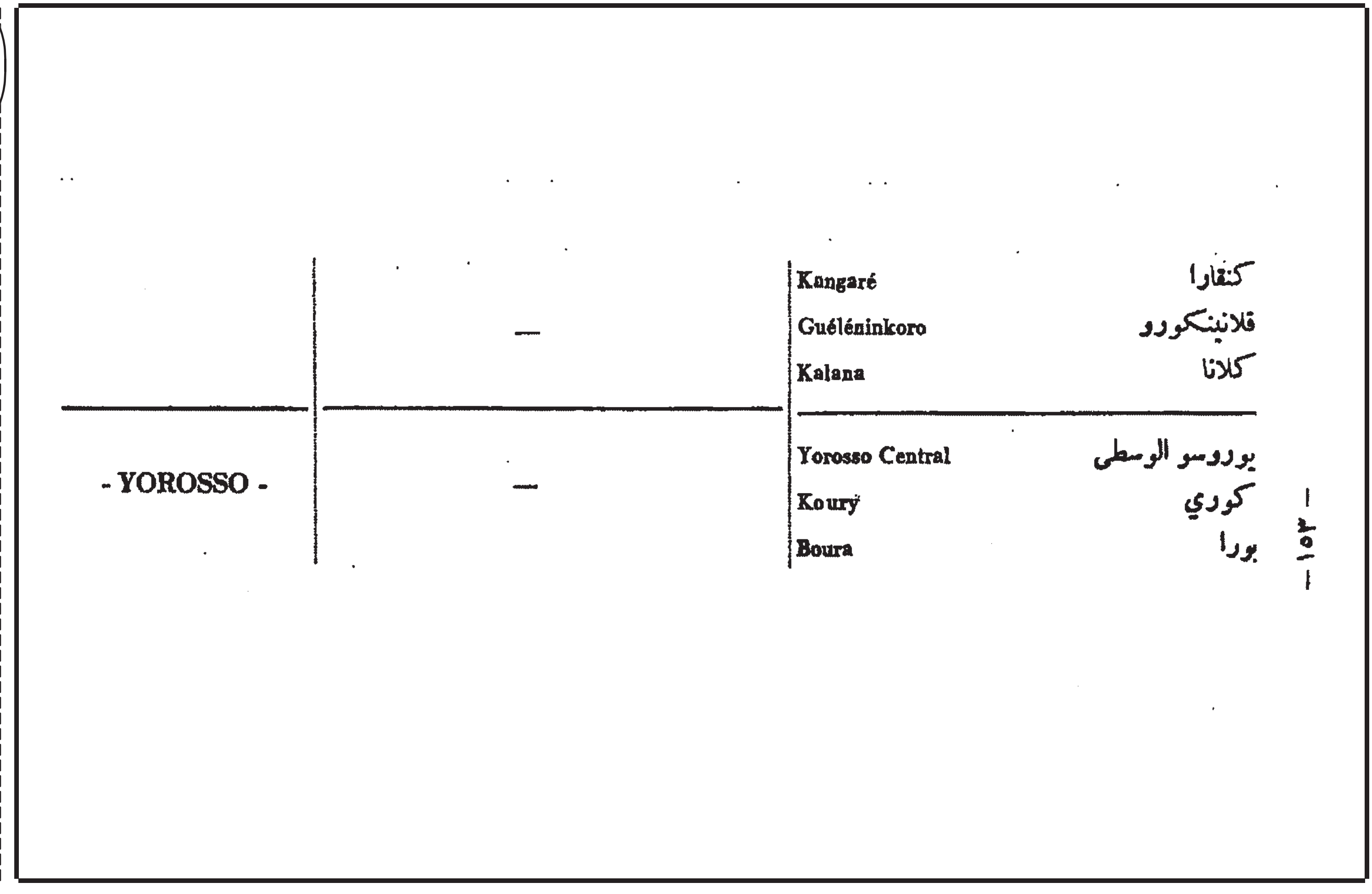
- MOPTI -	Com. Pl. Exercice	Mopti Cetral	موبتي الوسطى
		Kona	كونا
		Korientzé	كورينزا
		Fatoma	فطومه
		Dialloubhé	ديالوبه
		Sossobhé-Togoro	سوسوبه توقورو
		Soye	سويا
		Soufouroulaye	سوفورولايه
- NIAFUNKE -	—	Niafunké Central	نيافونكه الوسطى
		Sah	ساه
		Saraféré	سارافيره
		Youvarou	يوفارو
		Banikane	بنيكان
		N'Gorkou	نقوركو
		Léré (A.N)	ليره
		Soumpi (A.N)	سومبي

-TÉNENKHU-	—	Ténenkou Central	تننكو الوسطى
		Diafarabé	ديافارابه
		Toguéré-Coumbé	توقيره كومبه
		Dioura	ديوره
-SAN-	Com. Moy. Exercice	San Central	سان الوسطى
		Kimparana	كيمباراانا
		Yangasso	ياقاسو
		Sy	سي
-MACINA-	—	Macina Central	ماسينا الوسطى
		-Sarro	سارو
		-Kolongotomo	كولونقوتومو
		-Macina	ماسينا
-NIONO-	—	Niono Central	نيونو الوسطى
		Sokolo	سوكولو
		Pogo	بوقو

	—	Niono	نيونو
		Nampala (A.N.)	نَبالا
- SEÇOU -	Com. Pl. Exercice	Ségou Central	سيقو الوسطى
		Markala	مركالا
		Baraouéli	براوالي
		Dioro	ديورو
		Farako	فراكو
		Sanado	سنده
		Boura	بورا
		Cinzana	سينزانا
		Tamani	تماني
		Ségou	سيقو
- TOMINIAN -	—	Tominian Central	تومينيان الوسطى
		Mandjakuy	منجاكوي
		Koula	كولا
		Fangasso	فنقاسو

- BOUGOUNI -	- GOUVERNORAT DE SIKASSO -	Bougouni Central	بوقوني الوسطى
		Sanso-Garalo	سنسو قارالو
		Dogo	دوقو
		Koumantou	كومنتو
		Kéleya	كيليا
		Manankoro	منكورو
- KADIOLO -	—	Kodiolo Central	كديولو الوسطى
		Misseni	ميساني
		Fourou	فورو
		Loulouni	لولوني
- KOLONDIEBA -	—	Kolondiéba Central	كولوتديابا الوسطى
		Kadiana	كديانا
		Fakola	فكولا
- KOUTIALA -		Koutiala Central	كوتيالا الوسطى
		Bla	بلا
		M'Pessoba	بسوبا

	Com. Moy. Exercice	Konsèguéla	كونسيقالا
		Kouniana	كونيانا
		Falo	فالو
		Molobale	مولوبالا
- SIKASSO -	Com. Moy. Exercice	Sikasso Central	سيكاسو الوسطى
		Dandéresso	دندرسو
		Dogoni	دوقوني
		Kignan	كينيان
		Niéna	نيانا
		Lobougoula	لوبوقولا
		Kiéla	كيالا
		Koungoba	قونقوبا
		N'Kourala	نكورالا
- YANFOLILA -		Yanfolila Central	ينفوليلا الوسطى
		Filamana	فيلامانا


- YOROSSO -
Kangaré كنغارا
Guéléninkoro قلانينكورو
Kalana كلانا
Yorosso Central يوروسو الوسطى
Koury كوري
Boura بورا
— ١٥٣ —





حياة السيد الشريف موديبو كيتا أول رئيس لجمهورية مالي الحديثة

قلت: وهذه الأسرة العلوية التي حكمت مملكة مالي هي المعروفة حالياً وفي بعض المصادر الأجنبية باسم قبيلة «كيتا» وهو: «جاطة وجاظة» ومعناه «الأسد» وإنما تختلف الألقاب باختلاف اللهجات السودانية.

وكتب في هذا المعنى الهادي المبروك الدالي النص التالي: (سندياتا كيتا يعتلي عرش مملكة مالي الإسلامية، ينتسب سندياتا كيتا إلى ابن ناري فامغان بن ناري فامغان بن موسى كيتا المشهور بموسى الأكوري، وقد اشتهر سندياتا بلقب «ماري جاطه» وأما عن حياته فلم تحدد المصادر والمراجع تاريخ ولادته إلا أن بعضها أشار إلى أنه كان معتل الصحة، وأصغر إخوته، وقد استطاع أن يخلص شعبه من سطوة الصوصو، ويقوده إلى النصر ويوطد نفوذه في الأقاليم التي دخلت في إطار دولته الناشئة، فقد قام بوضع أساس نظام إداري، حيث قسم دولته إلى أقاليم يحكم كل إقليم حاكم من العائلة المالكة على أساس وراثي، وما حل عام **٦٣٣**هـ ـ **١٢٣٥**م إلا وكان نظام حكمه قد توطد، وهذا ما أكده ابن خلدون حيث قال: «وكان ملكهم الأعظم الذي تغلب على صوصو وافتتح بلادهم وانتزع الملك من أيديهم اسمه ماري جاطه» وهكذا يعتبر حكم سندياتا الذي دام زهاء العشرين سنة عهداً مشرقاً، إذ شهد تطوراً ملحوظاً في كافة نشاطات

مملكة مالي الإسلامية)[١].

وحول نفس المعنى كتب الدكتور أحمد شلبي ما يلي:

(ولذلك نشهد استمرار حركة التوسع في عهد الملك سندياتا نفسه، وفي عهد الملوك الذين جاؤوا بعده، وبذلك صار الذين يتولون السلطة يلقبون «منسا» أي: الملك الأكبر، وملوك مالي هم: سندياتا ولقبه ماري جاطة، وماري معناها: أمير، وجاطة معناها: الأسد، ومعنى اللقب: الأمير الأسد أو الشجاع...)[٢].

قلت: ولم تزل هذه القبيلة الشريفة العلوية معروفة بلقب «كيتا» منذ ذلك التاريخ حتى اليوم، وصاحبة النفوذ في مالي، حيث كان أول رئيس لمالي الحديثة بعد استقلالها عن فرنسا من هذه القبيلة، وقد كتب محمود شاكر في هذا الصدد ما يلي:

(وتكونت جمهورية مالي ذات الاستقلال الذاتي ضمن المجموعة الفرنسية، وألغيت وظيفة الحاكم العام، وتشكلت وزارة «موديبو كيتا» وفي عام **١٣٧٩**هـ تم اتحاد بين السودان الفرنسي والسنغال، أطلق عليه اسم مالي رمزاً للمملكة التي ازدهرت في القرنين السابع والثامن الهجريين ـ كما مر معنا ـ وانتخب «موديبو كيتا» رئيساً لهذا الاتحاد، وحصل هذا الاتحاد على الاستقلال ضمن الجماعة الفرنسية عام **١٣٨٠**هـ، ولكن لم يلبث أن انحل هذا الاتحاد بعد ثلاثة أشهر من قيامه بسبب خلافات في السياسة، وأعلن السودان نفسه جمهورية مستقلة استقلالاً تاماً مع الاحتفاظ باسم مالي، وانتخب «موديبو كيتا» رئيساً للجمهورية بالإجماع عام **١٣٨١**هـ، وانتقد المعاهدة المعقودة مع فرنسا، وتكللت المفاوضات التي جرت مع

---

(١) مملكة مالي الإسلامية وعلاقاتها مع المغرب وليبيا من القرن **١٣** ـ **١٥**م صفحات من تاريخ العلاقات العربية الأفريقية، ص**٢٧** ـ **٢٨**.

(٢) موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، الطبعة الثالثة **١٩٧٨**م، الناشر: مكتبة النهضة المصرية، الجزء السادس، الإسلام والدول الإسلامية جنوب صحراء أفريقيا منذ دخلها الإسلام حتى الآن، ص**٢٤٢**.

فرنسا بالنجاح بشأن انسحاب القواعد الفرنسية من مالي. وينتمي (موديبو كيتا) إلى أسرة كيتا التي أسست إمبراطورية مالي أيام ماري جاطة بعد أن قضى الصوصو على مملكة مالي وأسرة كيتا بالذات، لهذا كان للانتماء أثر في شهرته وانتخابه وفي عام ١٣٨٨هـ انتهت مدة رئاسة موديبو كيتا ونحي عن الحكم بعد حركة عسكرية قادها (موسى تراوري) وهو ملازم أول وينتمي إلى أسرة تراوري التي كانت تحكم مملكة مالي قبل كيتا[١].

وتأكيداً لهذه الحقيقة كتب عبدالحميد عبد النبي في كتابه «القادة الأفريقيون» النص التالي:

(مؤدب كيتا مالي: قد يكون الاسم غريباً لم يتعود القارئ سماعه قبل الآن ولكنه في الحقيقة الاسم الصحيح لرئيس جمهورية مالي فلقد كان الشاب محمد كيتا سليل أسرة «كيتا» التي حكمت إمبراطورية مالي الإسلامية لعدة قرون من الزمان «مؤدباً» أي: أستاذاً ومربياً ومعلماً في صدر شبابه وكان من الآثار السيئة التي تركها الاستعمار الفرنسي وراءه أن حرفت معظم الأسماء والكلمات في لغة مالي الوطنية وأصبحت كلمة «مؤدب» بعد فترة من الوقت «موديبو» وإلى الآن لا يعرف معظم الناس اسم زعيم جمهورية مالي الحقيقي وهم ينطقونه موديبو كيتا.

ولقد نشأ محمد كيتا في إحدى قرى السودان «الفرنسي سابقاً» وتعلم منذ حداثة عهده بالحياة فنون الفروسية وأساليب القتال وساعدته طبيعة الأرض الصحراوية التي تربّى فيها على صقل شخصيته وبنيانه فهو يبدو كعملاق ضخم ولقد وصفته صحيفة الأوبزرفر البريطانية «بأنه ينحدر من سلالة المحاربين كما أنه يبدو في الوقت نفسه محارباً صلباً» وعندما دخل محمد كيتا حياته العلمية بدأها كمدرس في مدرسة ابتدائية فكان يقف بين تلامذه في الصباح يلقنهم الدروس ويشرح لهم تاريخ الوطن ثم يختلس الساعات في المساء لممارسة نشاطه السياسي وكان كيتا يرى في هذه الفترة

---

(١) مواطن الشعوب الإسلامية في أفريقية ١٤ مالي، محمود شاكر، ناقد أيوب بيلتو، المكتب الإسلامي، ص٦٣ ـ ٦٤.

جنود فرنسا يروحون ويجيئون في أرض بلاده وينتشرون في أربع قواعد عسكرية تملك زمام السودان «الفرنسي» كله الذي تبلغ مساحته ضعف مساحة فرنسا نفسها (٢٦,٢٠٠,٠٠٠كم) وكان الفرنسيون يتخذون بامكو وكاتي وتيسلي وجادو مراكز لتجمعاتهم وسجوناً يلقون فيها الوطنيين عندما تلوح منهم بوادر التذمر والثورة ضد الاستبداد والاستغلال الذي انتشر فعمّ غرب القارة الأفريقية كلها.

ولقد تركت سياسة الاستعمار الفرنسي في نفس الشاب محمد كيتا آثاراً لا تمحى وأصابته بجروح عميقة جعلته ينفعل منذ الصغر بالوطن ويثأر لشعب وطنه ويحس إحساساً عميقاً بآلامه وبالكبت الذي يعيش فيه، ومن هنا احترف كيتا السياسة لأنه وجد أنها المتنفس الوحيد له والطريق الذي يستطيع فيه أن يسهم في الأخذ بيد وطنه نحو الاستقلال وتحقيق الحرية. وانضم كيتا إلى حزب سياسي اسمه «الاتحاد السوداني القومي» فكان منذ البداية العقل المفكر والمنظم البارز في الحزب واستطاع كيتا بفضل قدرته على التنظيم وحماسته الوطنية أن يجمع حوله شباباً ممتلئاً بالوعي والطموح وأن يكتل حوله الجماهير والعمال والفلاحين والمثقفين وبرز هو من بينهم جميعاً زعيماً وقائداً وأصبح حزب الاتحاد السوداني القومي طليعة أحزاب الوطنية في غرب القارة الأفريقية لأنه ظهر في السودان «الفرنسي» الذي اعتبرته صحيفة الإكسبريس الفرنسية «الساعد القومي والذهن المفكر لكل هذا الجزء من أفريقيا» واندمج كيتا مع الناس ومع العمال فقويت الدعوة النقابية وأصبحت هناك قوى شعبية حقيقية ارتكز عليها الزعماء الوطنيون في دعوتهم من أجل التحرر والاستقلال والوحدة.

واستطاع هذا الشاب الطموح الوطني أن يلمع بسرعة كبيرة وكان كيتا من الذين يؤمنون بأنه لكي يحارب الإنسان عدوه فلا ضير من أن يتخذ له مركزاً للهجوم من عقر دار العدو ذاته فلقد سافر كيتا إلى باريس وأصبح عضواً في الجمعية الوطنية الفرنسية ثم نائباً للرئيس ثم وزيراً للدولة في وزارتي جيار وبورجيس مونوري اللتين سبقتا انقلاب **١٣** مايو سنة **١٩٥٨** ولقد استطاع كيتا خلال هذه الفترة رغم أنه كان يمثل الأقلية الضئيلة في

الوزارة الفرنسية، أن يدعو لقضية بلاده، فلما جاء ديجول إلى الحكم في عام **١٩٥٨**م وجد هناك دولاً أفريقية تطلب منه الاستقلال وترنو لتحقيق سيادتها وانتزاع حريتها.

وفي ذلك الوقت عاد كيتا إلى وطنه وقد قاد جماهير حزبه وبدأ دعوته لتحقيق وإحياء دولة مالي الجديدة. ولقد بدأ التفكير جدياً في إحياء دولة مالي الإسلامية القديمة في **٣٠** ديسمبر من عام **١٩٥٨**م أي: بعد الاستفتاء الذي أجراه الجنرال ديجول في دول المجموعة الفرنسية الأفريقية وهو الاتحاد الذي تمخض عن حصول معظم هذه الدول على شكل من الحكم الذاتي، ففي ذلك الوقت اجتمع ممثلو السودان الفرنسي والسنغال وداهومي وفولتا العليا في باماكو لوضع أسس قيام الاتحاد الجديد ولكن أفكار محمد كيتا الذي كان يمثل السودان في ذلك الوقت لم تعجب ممثلي داهومي وفولتا العليا فرفضا الانضمام إلى اتحاد مالي المقترح وفضّلا السير وراءء هوغ فويه بواينيه رئيس جمهورية ساحل العاج الذي كان زميلاً لكيتا وصديقاً ثم انشق عنه فيما بعد لتعارض آرائهما السياسية وفي السابع عشر من يناير **١٩٥٩**م اتفق السودان الفرنسي والسنغال على قيام اتحاد مالي ليضم الدولتين.

وليس غريباً أن يقوم مثل هذا الاتحاد في هذه المنطقة من أفريقيا فهو لا يعد جديداً بل تجديداً للاتحاد القديم الذي كان يسمى إمبراطورية مالي الإسلامية ولهذه الإمبراطورية قصة، فالرحالة «ابن بطوطة» سجل في كتبه أن السودان «الفرنسي» والسنغال والداهومي وفولتا العليا كانت تمثل أقاليم من إمبراطورية مالي القديمة. وكانت هذه الإمبراطورية تعيش جنباً إلى جنب مع إمبراطورية غانا ولقد جمعت بين الإمبراطوريتين حضارة وثقافة ونظم وتقاليد واحدة... وعندما حقق كيتا أمنية عمره وقام اتحاد مالي انتخبه الشعب رئيساً للجمهورية وانتخب محمد ضياء «السنغالي» رئيساً للوزراء، ومنذ ذلك الوقت بدأ كيتا يظهر على حقيقته للفرنسيين وأدرك الاستعمار الفرنسي أنه يواجه زعيماً وطنياً كبيراً مثقفاً يؤمن بنظرية الاشتراكية في التخطيط كما يؤمن بالحياد الإيجابي وعدم الانحياز وبأن

مستقبل أفريقيا كلها لن يتحدد إلا بعد التخلص من النفوذ الأجنبي ومن القواعد العسكرية حتى تتهيأ الفرص المناسبة لبدء برنامج إصلاحي شامل ينهض بهذه الشعوب الفقيرة التي حُرمت من التعليم.

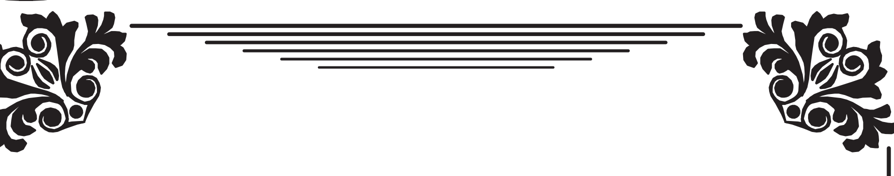
وكان كيتا يؤمن أيضاً ويرى أيضاً أن اتحاد مالي خطوة نحو تحقيق الوحدة الأفريقية الكبرى ونحو إنشاء مركز تحرري في غرب القارة، يجذب إليه كل القوى الوطنية التي تسعى لنيل الاستقلال الحقيقي وليس الاستقلال الأعرج المبتور الذي يسود معظم دول أفريقيا الفرنسية حتى اليوم ولذلك فما إن تحقق اتحاد مالي وأصبح حقيقة واقعة حتى بدأ كيتا يضع برنامجاً شاملاً يستهدف إقامة عدالة اجتماعية واستقلال سياسي واقتصادي وثقافي وحضاري كامل وأعلن الزعيم الكبير إيمانه بفكرة الأفرو آسيوية وبالتضامن الأفريقي.

ولقد سئل المؤدب كيتا ذات يوم عن رأيه في الصراع بين الشرق والغرب فأجاب قائلاً على الفور: (إن هذا العالم بالنسبة لنا لا ينقسم إلى كتلتين كبيرتين؛ هما: الشرق والغرب بل إلى مجموعتين؛ إحداهما: نامية ومتطورة، ولم يمضِ عام حتى تآمر ضياء وغيره وانسحبت السنغال من الاتحاد ولكن كيتا احتفظ باسم مالي اسماً لدولة «السودان الفرنسي» ومضى يضع برامج التنمية على أسس اشتراكية لتكون مالي دولة نموذجية ولتحقق الوحدة على أسس جديدة). اهـ.

وبهذا نكون قد أسدلنا الستار على التعريف بقبيلة كيتا وأنها مع قبيلة «كان» تمثلان الفرعين الرئيسيين لبني صالح في السودان الغربي.

❍ ❍ ❍ ❍ ❍ ❍





من هو إبراهيم أبو بكر كيتا رئيس مالي الجديد؟

ولماذا اختاره الماليون لإنقاذ البلاد من الفوضى التي غرقت بها منذ ١٨ شهراً بعد الانقلاب العسكري في **٢٢** آذار/ مارس **٢٠١٢** الذي أطاح بالرئيس أمادو توماني توري وأدى إلى سقوط شمال البلاد بين أيدي حركة تحرير أزواد وحلفائها المقاتلين الإسلاميين؟

رئيس مالي الجديد إبراهيم أبو بكر كيتا (٦٨ سنة) رجل سياسي محنك في الساحة السياسية، اشتهر بأنه صاحب قبضة حديدية ويجهر بانتمائه إلى اليسار.

ولد إبراهيم أبو بكر كيتا في **٢٩** كانون الثاني/ يناير **١٩٤٥** في كوتيالا (جنوب) ودرس الأدب في مالي والسنغال وفرنسا حيث عمل أيضاً في قضايا متعلقة بالدول النامية. وقد ظل كيتا، والذي يلقبه الماليون بـ «أي بي كا»، متحفظاً جداً عند وقوع الانقلاب العسكري في **٢٢** آذار/ مارس **٢٠١٢** الذي أطاح بالرئيس أمادو توماني توري وأدى إلى سقوط شمال البلاد في أيدي حركة تحرير أزواد الطرقية وحلفائها المقاتلين الإسلاميين، خلافاً لسومايلا سيسي الذي ندد بشدة بالانقلاب.

وأكد «أي بي كا» خلال حملته الانتخابية أن هدفه الأساسي هو «المصالحة» في بلد يعاني من انقسام شديد.

حصل هذا المرشح، الذي هزم مرتين في الانتخابات الرئاسية في **٢٠٠٢** و**٢٠٠٧** على **٣٩,٧٩** بالمئة من الأصوات في الدورة الأولى مقابل **١٩,٧٠** بالمئة لخصمه الرئيسي سومايلا سيسي (**٦٣** عاماً).

رجل يرتدي الثياب الأوروبية والتقليدية على حد سواء.

وظل إبراهيم أبو بكر كيتا الذي يرتدي الثياب الأوروبية والتقليدية على حد سواء، متكتماً جداً كما فعل حين وقوع الانقلاب العسكري في **٢٢** آذار/ مارس **٢٠١٢** الذي أطاح بالرئيس توماني توري.

وأعلن كيتا في مهرجاناته الانتخابية أن هدفه الأساسي هو «المصالحة» في بلد يعاني من انقسام شديد. وكان أول من زار كيدال بين المرشحين الـ **٢٧**، في شمال شرق البلاد، مهد الطوارق الذين تدهورت علاقاتهم كثيراً بالمجموعات الأخرى حتى أنها تحولت أحياناً إلى أعمال عنف.

وقال في خطبه التي كان يستهلها بآيات قرآنية (**٩٠٪** من سكان مالي مسلمون): «من أجل كرامة مالي سأستعيد السلام والأمن، وسأعيد الحوار بين كافة أبناء أمتنا». لذلك لقبوه «بالحاج» لكن ذلك كان يثير ابتسامة بعض خصومه الذين قالوا إن بعض المنظمات الإسلامية دعت إلى انتخابه.

ويذكرون بأنه كان «يعيش حياة هانئة» عندما كان طالباً في فرنسا.

وفي حديث مع وكالة فرانسس برس والإذاعة والتلفزيون السويسرية الرومندية الجمعة أعلن كيتا: «عندما نريد سعادة الماليين يجب أن نكون نحن أنفسنا متشبعين بالسعادة والتمتع بها تماماً».

مناهض لموسى تراوري ومساند لعمر كوناري:

وكان «أي بي كا» في مطلع الثمانينات من القرن الماضي مستشاراً في الصندوق الأوروبي للتنمية ثم رئيس مشروع تنمية في شمال مالي، وقال زملاؤه السابقون إنه يعمل كثيراً وإنه رجل حازم. وما زال أحد

سائقيه يذكر «توبيخاً شديداً» تعرض له إثر ارتكابه خطأ تافهاً. وقال: «إنه يعمل كثيراً وقد يصبح شرساً عندما يغضب».

وناضل في منظمات عارضت الجنرال موسى تراوري الذي طاح به انقلاب عسكري في **١٩٩١** بعد أن حكم البلاد **٢٣** سنة.

فعندما أطاحت رياح الديمقراطية التي هبت على القارة الأفريقية في **١٩٩١** بالجنرال موسى تراوري الذي قاد مالي بقبضة من حديد منذ **١٩٦٨**، وأطاح به انقلاب تلا انتفاضة شعبية، شارك إبراهيم أبو بكر كيتا بعد سنة في فوز ألفا عمر كوناري، مرشح التحالف من أجل الديمقراطية في مالي (اديما).

وكلفه ألفا عمر كوناري بعد انتخابه رئيساً انتقالياً في **١٩٩٢** بعدة مناصب منها مستشار وسفير في ساحل العاج ووزير الخارجية (**١٩٩٣ ـ ١٩٩٤**) ثم رئيس وزراء من **١٩٩٤** إلى **٢٠٠٠**.

أزمة مدرسية وإضرابات شلت البلاد:

وعندما عين رئيساً للوزراء شهدت مالي أزمة مدرسية وإضرابات شلت البلاد، وأمر الرجل الذي كان يجهر بانتمائه إلى «اليسار» بقمع المضربين بشدة معتبراً أنهم يخضعون «للتلاعب» مستعملاً عبارة «لا لشيانلي» (الحثالة) التي قالها الرئيس الفرنسي شارل ديغول خلال انتقاضة أيار/ مايو **١٩٦٨**.

وقرر حينها إغلاق المدارس وتعطيل الدراسة خلال كامل السنة الدراسية **١٩٩٣ ـ ١٩٩٤**.

وبعد صراع مع التلاميذ والطلاب والنقابيين، واجه معارضي نظام ألفا عمر كوناري الذي انتخب مجدداً في **١٩٩٧** لولاية ثانية وأخيرة من خمس سنوات.

وكان إبراهيم أبو بكر كيتا يعتقد أنه في انتخابات **٢٠٠٢** سيكون

مرشح حزبه ليخلف كوناري. لكن عندما تخلى عن منصب رئيس الوزراء قوبل بحركة احتجاج داخل حزبه «أديما»، فانسحب من الحزب الرئاسي وأسس حزبه في **٢٠٠١** «التجمع من أجل مالي».

وعلى الرغم من دعم قسم من عناصر «أديما» الذين التحقوا بحزبه، هزمه في الانتخابات الرئاسية في **٢٠٠٢** أمادو توماني توري، الجنرال الذي أطاح بموسى تراوري في **١٩٩١** ووفى بوعده تسليم الحكم إلى المدنيين بعد ذلك.

ووصف إبراهيم أبو بكر كيتا تلك الانتخابات بأنها «محض مهزلة» وأصبح رئيس الجمعية الوطنية لمدة خمس سنوات، وهزمه أمادو توماني توري مجدداً في **٢٠٠٧**.

❍ ❍ ❍ ❍ ❍ ❍

الفصل الرابع

إمارات بني صالح بفوتاتورو على ضفتي نهر السنغال

١ ـ ترجمة محمد المسلم وهو «حم جولط كانْ» بلغة التكارير.
٢ ـ أخبار دمت: أصلهم ومواطنهم وتنقلاتهم/ موسى كامر.
٣ ـ حياة الإمام عبدالقادر كنْ الصالحي الحسني، أول قائد لدولة الأئمة.
٤ ـ إمارة بني صالح بإقليم (دمت راشد) التابعة لإمارة الأئمة الإسلامية.
٥ ـ حياة الإمام القاضي أبو بكر كان الصالحي الحسني.
٦ ـ حياة العلامة الفقيه محمد «مينحن» بن مودي مالك الصالحي الحسني.
٧ ـ لمحة تاريخية مختصرة عن الإمام العلاّمة محمد محمود بن الشيخ بن سيدي بوبكر الأرواني.
٨ ـ حياة العلامة المختار بن بابه بن حمدي بن الطالب أجود الصالحي الحسني.





ترجمة الشريف محمد المسلم وهو «حم جولط كانْ» بلغة التكارير

وهذا نسب جده «صالح» من: «كتاب المعقبين من ولد الإمام أمير المؤمنين» تأليف السيد الشريف: أبي الحسين يحيى العقيقي المدني ابن الحسن بن جعفر بن عبيدالله بن الحسين بن زيد العابدين بن الحسين بن علي عليهم السلام، تحقيق: محمد كاظم، ص٦٤ ـ ٦٧، ونصه:

(والعقب من ولد موسى بن عبدالله بن الحسن، من: عبدالله وإبراهيم، ابني موسى بن عبدالله. وأمهما أم سلمة بنت محمد بن طلحة بن عبدالله بن عبدالرحمٰن بن أبي بكر بن أبي قحافة، والعقب اليوم من ولد إبراهيم بن موسى، من: يوسف بن إبراهيم، والعقب اليوم من عبدالله بن موسى، من: يحيى، وأحمد، وسليمان، وموسى، و(صالح)). انتهى.

وسنذكر هنا علماً من أحفاد (صالح) هذا نعرف بشخصيته أولاً، ثم نتطرق لتحقيق نسبه إلى (صالح) ثانياً، ونميط اللثام عن التشويه الذي تعرض له تاريخ هذه الأسرة الشريفة ثالثاً.

إنه العلامة الشريف الفارس المغوار الشريف محمد المسلم «حم جولط كان» ابن داود ابن الشريف سيدي إلياس «يرو» التنبكتي الوداني، ابن هلال بن العائد بن محمد بن أحمد بن عبدالله الشريف بن هلال الصغير بن عبدالرحمٰن بن عبدالله بن هلال الدمشقي الكبير بن العائد

الكناني بن حبيب الله بن عبدالله الشريف كانْ الأول ابن هذيم بن مسلم بن زيد بن عبدالله أبي الضحاك بن الحسن الشهيد بن عبدالله الشهيد بن محمد الشاعر بن صالح الجوال بن عبدالله الرضا الشيخ الصالح بن موسى الجون بن عبدالله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي رضي الله عنهما.

فكان رحمه الله تعالى ـ حسبما تذكره مصادر التاريخ المحلية ـ عالماً فقيهاً وفارساً ماهراً وشخصية بارزة وأميراً قوياً من أمراء غرب أفريقيا في زمانه أي: «منتصف القرن التاسع الهجري» فحسبما ذكره المؤرخ النسَّابة الشريف مصطفى بولي سعيد كانْ في كتابه: «حياة القاضي الإمام أبو بكر كانْ» أنه كان والياً على مدينة جنى من قبل أمير دولة سنغي أسكيا محمد، وأما المؤرخين: سيري عباس صو، والحاج موسى أحمد كامره، والإمام عبدالعزيز سي، وأحمد مختار كانْ بن منتقى بن راشد كانْ، وغيرهم، فيرون أنه كان أميراً فقط لإمارة أسسها في ولاية اترارزة تبدأ من منطقة «إديني» ٤٥ كلم شرق مدينة أنواكشوط، وبمدينة تندكسم جنوب أنواكشوط على بعد ٦٥كلم ومروراً بمقاطعة أركيز حالياً، وانتهاء بشمال الضفة حيث إمارتي ابنيه أعمر الغاني، والإمام راشد، وقد كان رحمه الله تعالى يقيم معالم الدين حيث بنى رحمه الله تعالى سبعة مساجد في إمارته بدأ من «إديني» وهي «جبنئذ» سابقاً ثم «سكام، وبرواج، وتندكسم، واركيز، وتن مختار، وعمر، ومعاد».

قبل أن ينتقل مركز الإمارة لاحقاً إلى الضفة الشمالية لنهر السنغال بموريتانيا، وذلك بعد وفاة الشريف محمد المسلم «حم جولط كانْ» حيث باع ابنه أعمر منطقة أركيز لقبيلة إيدوعل بستين فرساً دفعوا منها ٤٤ فرساً وبقيت ١٤ فرساً إلى اليوم، وكان زهاد إيدوعل قديماً لا يأكلون من غلتها لعلمهم بعدم قضاء بقية الدين.

انظر: حياة القاضي أبو بكر سي للداعية الإمام عبدالعزيز سي رحمه الله تعالى ص: ٤١.

وكان جده الحاج ببكر بن ألمان جام سي قاضي شمامة هو من كتب

الاتفاق بين الطرفين ونصه: (إعلام وإعلان «أركيز» كان لأهل راشد وباعه كبيرهم عمر حم جولط، لأحمد بن خيار بن القاضي في قدر من الخيل، ولا يصح ملك أحد في أركيز شرعاً غير العلويين، مال وملك للعلويين أولى من ملك لأمرين أحدهما: صحة شرائهم، والثاني: قطع الإمام الذي قطع لهم به وكتب الحاج ببكر بن ألمان جام).

انظر رسالة تحقيق كتاب: «القول الوجيز في تأصيل ملك العلويين لحباي وأركيز» إعداد الفضل بن الداه ص: **٦٥**.

وقد أقام الشريف محمد المسلم «حم جولط كانْ» حدود إمارته ورسمها حتى لا يتجرأ سلطان على تجاوزها، بل إن ابنه أعمر قد سن قوانين يجب على كل من أراد دخول الإمارة الالتزام بها قبل تجاوز تلك الحدود. حتى صار يضرب المثل بتلك الحدود عند البيضان حيث يقولون في أمثلتهم: (كأنه حد من حدود أعمر) وعند السودان يقولون: (Keerol ko Ebol Amara).

وكانت ثمة حرب بين إمارة إترارزة وإمارة لبراكنة فهزمت إترارزة فاستنجدوا بألمان أمير «جبينئذ» أي: «إديني» فأمدهم بجيش تمكنوا من خلال من هزيمة لبراكنة، حسب ما ذكره الحاج موسى أحمد كامره، ثم إن أهل محمد المسلم «حم جولط كان» هاجروا عن «إديني» بسبب الاضطرابات وفرض العرب الغرامات على كثير من أتباعهم، فنزلوا الضفة الشمالية لنهر السنغال بموريتانيا، فأسس الشريف أعمر بن محمد المسلم «حم جولط كانْ» مدينة «غانة» تيامناً بملك أجداده لمملكة غانة ولقب حينها بـ: «المان غان» أي: «الإمام الغاني»، وفي مدينة «غانة» الجديدة توفي الشريف محمد المسلم «حم جولط كانْ» فتولى ابنه أعمر الغاني الإمارة، وأطلق على إمارته: «إمارة غانة»، وكان أخوه الأصغر منه راشد بن محمد المسلم «حم جولط كانْ» يتعلم العلم في المغرب فأرسلوا إليه بموت أبيه وتولي أخاه أعمر الغاني الإمارة. فرجع وارتحل وسكن في مكان سماه «دمشق» تيامناً بهجرة الأجداد من الحجاز إلى الشام ومنها إلى السودان

الغربي فعرفت مدينته محلياً بـ: «دمت» وأسس بها إمارة لذريته عرفت عند السودان بـ: «إمارة دمت»، وعند الشناقطة البيضان بإمارة أهل راشد.

وخلف الشريف محمد المسلم «حم جولط كان» ذرية طيبة من أبنائه:

١ ـ أعمر الغاني وذريته اليوم بقرى: غاني، ودمت، وغيدي، وبر سينكور في كجور، وكنين جوبو، وغيرها.

٢ ـ راشد وأولاده في مدينة «دمت» ومدينة أنتيكان، وفنداو، ودمت بوقى وفيها: أبناء داود بن راشد الملقب جكو وقراهم هناك: بكو، وجيلوم، ولبل، وشنل والمقاطعة بوقى نفسها.

٣ ـ بران وأولاده في مدينة بول بران، وشوف، ودارل برك، وغالويا.

٤ ـ عال وأولاده في مدينة كوميلا، وبول، عال، وشوطي، وكثير من المدن في فوتا وغيرها.

٥ ـ نل وأولاده في مدينة دولل، وسول وجار غل ويورو خاي، ومنه أهل مودي نل في: كنكوصة، وولينج ومقام، ودولل، وسول، وباركول وفي مناطق متفرقة من البلاد.

والشريف محمد المسلم رحمه الله تعالى كان عابداً زاهداً ناسكاً متديناً لذا لقبه العرب والبيضان «بمحمد زين العابدين» و «محمد السلام»، ولقبه السودان «بحم جولط كانْ» ومعناها بلسان التكارير والفلان المسلم العابد. وإن كنت أرجح أن يكون لقب المسلم سمي به تيامناً باسم جده: «مسلم بن زيد بن عبدالله أبي الضحاك بن الحسن الشهيد بن عبدالله الشهيد بن محمد الشاعر بن صالح الجوال بن عبدالله أبي الكرام بن موسى الجون بن عبدالله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي رضي الله عنهما».

وقد أبعد النجعة في لقبه ونسبه الحاج موسى أحمد كامره، حين فسر لقبه «جولط» بالمسلم قائلاً: (...وقد تقدم في تاريخ مودي نل وأول من جاء للبياضين في طلب العلم أبوه مود صمب فات عال حمى الذي كان

يلقبه الفلان «بحمى جولط كَنْ» ولعل ذلك لكونه أول من أسلم منهم وغير لقبه من جل إلى كَنْ لأن معنى «جولط» في كلامنا الفلاني المسلم لا غيره والله تعالى أعلم).

قلت: سبحان الله العظيم رب العرش العظيم فلقب «كَنْ» بالقصر و«كَانْ» بالمد أول من لقب به جده الرابع عشر عبدالله الشريف «كانْ» الأول والمعاصر لأبي بكر بن عمر اللمتوني قائد المرابطين، فبعد أربعة عشر جداً من أجداده المسلمين في أفريقيا، وقبلهم أربعة عشر جداً من لدن هذيم بن مسلم. . . إلى علي ﷺ، قبل دخول أفريقيا، يقول الحاج موسى أحمد كامره عنه: «لعله أول من أسلم»، وبعد أن لقب **١٤** جداً من أجداده في أفريقيا بلقب «كانْ» يأتي الحاج موسى أحمد كامره ليقول: «إن لقبه جل وبعد أن أسلم تلقب بلقب كَنْ» مستدلاً بذلك على أن لقب جل أصله فلاني، ولغة ذرية «حمى جولط كَانْ» هي لغة الفلان وعليه فإن حم جولط كانْ وذريته متأصلة في الفلانية نظراً للسان الفلاني من جهة، ولقب «جلو» من جهة أخرى، متجاهلاً أن لقب جلو دخيل وطارئ على لقب «كانْ» وأن من تلقب به من الأسرة صادر إليه من الخؤولة الفلانية، وأنه لا يلقب به أحد منهم إلا ومقرون مع اللقب الأصلي فيقال: «عمر جالو كانْ» مثلاً وليس لقباً مجرداً، وتجاهل أن اللغة في حد ذاتها ليست دليلاً على النسب وحدها، وذلك أن اختلاط المجتمعات بعضها ببعض وتمازج الثقافات وانصهار القلة في الغالبية يؤدي إلى تغير الألوان والألسن والعادات والتقاليد. سبحانك هذا بهتان عظيم.

انظر: زهور البساتين ص**٦٩٣**/ الحاج موسى أحمد كامره.

وسبحان الله أني سأرد عليه أولاً من كتابه هذا، حيث يقرر أن قبيلة «كَنَّاتْ أصل لقبيلة كَيتَا» ومعلوم أن قبيلة كيتا بغض النظر عن أصلها الشريف يعدها النسَّابون والمؤرخون المحليون زعيمة قبائل المالنكي «البمبارا» ولا صلة نسب لها بقبائل الفلان نهائياً، وفي هذا الصدد يقول الحاج موسى أحمد كامره نفسه في الصفحة **٢٦٢** تحت عنوان: (أصل

بعض التسميات والألقاب في مملكة سنجت: إن لقب بني سنجت الصغار كَنَّاتْ، وإذا شابوا إلى أن يموتوا كَيْتَ أي: قبض الإرث، لا أدري هل ذلك مع كيمع واحد أم لا، وقد مر معناه في تاريخ مل والله تعالى أعلم)، وسنعود لمناقشة ذلك بعد قليل إن شاء الله تعالى.

مع أنه يكفيه من الرد قوله: بأنهم ينسبون أنفسهم إلى نسب النبي صلى الله عليه وآله وسلم تسليماً، وأنهم حريصون على ذلك ويأنفون بل يشمئزون من نسب الفلان ويكرهون النسبة إليهم.

أما الرد على فرية الحاج موسى أحمد كامره (عن تأصل ذرية محمد المسلم «حمى جولط كن» في الفلان) من خارج كتابه فسنقسمه إلى قسمين:

القسم الأول: نبذة مختصرة جداً من المصادر المحلية والأجنبية، فالمصادر الأجنبية كلها تتحدث عن أن: عبدالله الشريف كانْ الأول المعروف عند السودان بـ: «آيلْ كانْ الأل» كان ملكاً وإماماً للناس بغانة، وخاصة تكارير الحوض وأنه توفي سنة **١٠٨٦**م حسب الروايات المستقاة من المؤرخ كلومباني، والمنقولة من قبل الحاكمين الفرنسيين ـ أيام حقبة الاستعمار الفرنسي في السنغال وموريتانيا ـ الحكم دلافوس والحاكم كادن. المصدر: «دوريات فوتا السنغالية».

الشاهد من هذه المعلومات أن لقب «قبيلة كانْ» كان موجوداً من القرن الحادي عشر الميلادي الخامس الهجري وليس من القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي، وأن لقب «كانْ» أقدم من لقب «جلو» الفلاني، وأن بعض أسر قبيلة «كانْ» أضيف إليها لقب «جلو» من أخوالها الفلان مقروناً بلقبها الأصلي «كانْ» مؤخراً من القرن التاسع الهجري الحادي عشر الميلادي، وليس العكس كما تفوه بذلك الحاج موسى أحمد كامره.

وفي هذا الصدد كتب الدكتور عمر محمد صالح الفلاني «عمر با» في كتابه: «الثقافة العربية الإسلامية في غرب أفريقيا» ص**٢١٢** ما نصه: (غير

أن التاريخ يذكر أن «آل كنْ» هم من الأمراء، ومن الأسر التي لها أكبر الفضل في نشر الثقافة العربية الإسلامية في حوض نهر السنغال، وذلك من عهد المرابطين إلى اليوم، إن «أسرة كَنْ» أنجبت رجلين بهما الكفاية، وهما «آيلْ كَنْ»، المرابط الذي مر ذكره، والذي عاصر بل عاشر أبا بكر بن عمر، وشاركه في جميع فتوحاته وغزواته الإسلامية في منطقة غرب أفريقيا، والشيخ «عبدالقادر كَنْ» الإمام الأول لجمهوررية فوتا الإسلامية).

قلت: من المؤسف جداً والمبكي أن يتعرض تاريخ المسلمين عامة وآل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم تسليماً خاصة للتشويه والتزييف الممنهج، فهل يعقل أن «آيل كانْ» يجاهد في سبيل الله في القرن: الحادي عشر الميلادي الخامس الهجري، ثم بعد مضي قرابة ٤ قرون من وفاته يأتي الحاج موسى أحمد كامره ليقول: «إن حفيده الثالث عشر محمد المسلم «حمى جولط كَنْ» أول من أسلم من قبيلة «كَنْ» وكان لقبه: «جلو» وأن لقب «كانْ» استحدث بعد إسلامه سبحانك هذا بهتان عظيم».

لن نتطرق هذه المرة لما كتبه: نسابة السودان والبيضان المحليين عن شرف: الشريف سيدي إلياس «يرو» التنبكتي الوداني الجد المباشر للشريف محمد المسلم «حم جولط كانْ» ابن داود بن الشريف سيدي إلياس «يرو» لأننا أسهبنا في ذكر ذلك في مقالاتنا السابقة عن فروع بني صالح، من «الشرفاء الموديات» وغيرهم، وفي كتابي «تاريخ بني صالح شرفاء كمبي صالح ملوك غانة ومالي من بلاد السودان». ولكن سأضيف وباختصار شديد ـ تجنباً للسآمة والملل ـ بعض ما كتب عن عروبة قبيلة «كان» تمييزاً لها بنسبها العربي الأصيل عن أخوالها من السودان، وبخاصة التكرور والفلان، وفي هذا الصدد كتب الداعية الإسلامي الإمام عبدالعزيز سي رحمه الله تعالى في كتابه: «حياة القاضي الإمام أبو بكر سي» ص٣٧ النص التالي:

(نسبه من جهة أمه: «هو الحاج أبو بكر سه ابن الإمام إبراهيم، سمته أمه أحمد صالح واسمها مريم بنت المان علي كن» ـ «والمان» عبارة

عن الإمام ولا فرق في ذلك بين الإمام الجامع وزعيم القوم المقدم عليهم، وإنما يعرف الفرق بينهما بالإضافة ـ، والمان علي كن بن المان ماليم بن شبل بن هنت بن راشد بن «حمى جولط كن» الدمتي يرفع نسبه إلى كنانة بن مالك القرشي، و«راشد كن» هو الذي ينتمي إليه جميع الأسر المعروفة بلقب «كن» وخاصة في «فوتا تورو» الجانب الغربي من «فوتا» وهي قبيلة التكارير المعروفة عند أهل فوتا بدمت ناب وعند الموريتانيين بـ: «أهل راشد» نسبة إلى راشد هذا).

وكتب في هذا الصدد الطالب ابن عمر بوسو في رسالته: «النظام الإمامي في فوتا تورو بين الطموح والتحدي» ص**٣٦** ما يلي:

(كيف وقع اختيار عبدالقادر كان أول إمام لفوتا تورو: «وقع اختيار عبدالقادر أول إمام ـ وينتسب أبوه وأمه إلى نفس القبيلة حمى جولط كَنْ الذي ينتسب إلى القرشية كما يقال ـ وهو من الخرجين الأوائل في جامعة بير).

وعن حياة القاضي الإمام أبو بكر كان (١١٨ ـ **G١٣** ورد في صفحات من وثائق الأرشيف السنغالي **١٨٤٨**).

ومراسلاته مع الفرنسيين ص**٢** ما نصه:

(«حياة وأعمال الإمام بوبكر كَنْ»، الإمام بوبكر كَنْ مزيج من العزة البولارية والكبرياء العربية.

أصله ونسبه:

كان الإمام بوبكر سليل أسرة غنية، وتنحدر أسرة «كَنْ» «بديمات» (مشتقة من دمشق) ذات الأصول العربية حسب الرواية التاريخية إلى دمشق، حيث يعود نسبهم إلى بني كنانة).

وكتب أيضاً الخليل النحوي في كتابيه: «بلاد شنقيط المنارة والرباط»، وكتابه: «أفريقيا المسلمة الهوية الضائعة» ص**٢٣ ـ ٢٤**، عن عروبة التكارير والفلان بصفة عامة حسب زعمه ـ وهو مخطئ في ذلك إذ

التكارير والفلان غالبيتهم سودان الأصل ولا علاقة نسب لهم بالعرب ـ وعن قبيلة «أهل راشد كَانْ» بصفة خاصة وهو ما يهمنا في هذا المقام ما يلي: (وينتسب التكارير والفلان المنتشرون حول ضفاف نهر السنغال، ومنها إلى نيجيريا إلى أصول عربية وهم مجموعة بشرية كبيرة ذات تاريخ عريق وإسهام جليل في نشر الإسلام والثقافة العربية، وألوانهم فاتحة تميل إلى السمرة مما يرجح أن يكونوا ثمرة امتزاج عرقين: أفريقي وعربي.

ومن هؤلاء قبيلة تعرف عند الشناقطة الموريتانيين باسم: «أهل راشد»، وتتعرف هي ويعرفها التكارير باسم «دمتناب» نسبة إلى قرية من قراهم «دمت». وفي تراثهم الشعبي أن «دمت» هي تحريف لكلمة «دمشق» أو «دمياط» وأن أسلافهم نزحوا من دمشق، ونزلوا أرض فلسطين ثم ارتحلوا منها إلى بورسعيد فالإسكندرية فتونس، فالسوس من أعمال المغرب، ومنها افترقوا فرقتين: توجهت إحداهما صوب السودان «مالي» فنزلت أرض ماسي وبها سموا ماسنة، وتوجهت الأخرى نحو مدينة شنقيط فمكثت بها أربع سنوات، ثم ارتحلت إلى «تندكسم» وضواحيها في أرض «القبلة» جنوب موريتانيا حيث مكثوا قرناً، ثم امتدت رحلتهم شيئاً قليلاً باتجاه النهر فنزلوا «دمت» ومنها أخذوا اسمهم).

وزاد في المنارة والرباط:

وفيهم يقول أحد الأدباء:

قوم لدى قرية انتيكان أصلهم من ذروة العرب من قاص ومن دان

قلت: وهذا بيت من قصيدة أوردها الداعية الإمام عبدالعزيز سي رحمه الله تعالى في كتابه: «حياة القاضي الإمام أبو بكر سي»، وأوردها أيضاً الدكتور عمر محمد صالح با الفلاني «عمر با» في كتابه: «الثقافة العربية الإسلامية في غرب أفريقيا» ص**١٤٣** ونصها:

جئنا إلى قرية الإحسان تيكان

إلى قضاة ولاة العلم فتيان

قـوم لـدى قـريـة الـتـيـكـان أصـلـهـم
مـن ذروة الـعـرب مـن قـاص ومـن دان
بـيـض الـوجـوه كـرام الأصـل عـادتـهـم
قـرى الـضـيـوف وتـبـجـيـل وإحـسـان
إن الـقـضـاة لـفـي الـتـيـكـان قـد عـرفـوا
بـالـعـلـم والـديـن فـي سـر وإعـلان
بـنـوا عـلـى أسـس الـتـقـوى بـيـوتـهـم
ولـيـس يـصـلـح شـيء دون بـنـيـان
مـا إن أتـى قـادم يـومـاً لـمـجـلـسـهـم
إلا تـلـقـوه مـن بـر وإحـسـان
وقـد قـفـوا سـنـة الـمـخـتـار وامـتـثـلـوا
وبـيـنـوا كـل مـكـروه وبـهـتـان
بـنـوا بـتـقـوى إلٰـه الـعـرش مـسـجـدهـم
وعـظـمـوه بـتـدريـس الـقـرآن
ثـم الـصـلاة عـلـى الـمـخـتـار مـن مـضـر
مـا هـبـت الـريـح يـومـاً دوحـة الـبـان

وكتب أيضاً الحسين بن محنض في كتابه: تاريخ موريتانيا الحديث ص٤٧ ـ ٤٨ عن عروبة قبيلة «كانْ» ما نصه: (فاختار الفوتيون عبدالقادر بن ألفا حمدي كَنْ الذي اشتهر بالمامي عبدالقادر كَنْ، لتمام عمله، وفتوته، وحيائه، وتواضعه. وعبدالقادر كَنْ هو أحد أحفاد «آيل كَنْ» وهو قائد من أصل عربي قدم أبوه أو جده من دمشق، ثم استقر في الفلان).

ونختم بما ذكره القاضي الفلاني عضو لجنة الفتوى والمظالم الموريتانية «أحمد يرو كيدي» في مقابلة له مع قناة الساحل الموريتانية بعنوان: «الفلان وعاداتهم».

حيث صرح فيها بأن قبيلة «كانْ» من الشرفاء من آل البيت عليهم السلام وأنهم أبناء الشريف العائد الكناني، ولا صلة نسب بينهم والفلان سوى الخؤولة فقط.

قلت: وإذا كانت هذه النماذج التي سقتها تؤكد أن قبيلة «كانْ» كانوا ملوكاً وأمراء من العرب عامة وقريش خاصة يبقى السؤال الذي يطرح نفسه إلى أي قبائل قريش يرجع نسبهم؟

الجواب أن كل المصادر المحلية والأجنبية التي أعرضت صفحاً عن ذكرها هنا في هذا القسم الأول من الرد على فرية الحاج موسى أحمد كامره عن تأصل قبيلة كانْ في الفلان ـ تجنباً للسآمة والملل ـ كل تلك المصادر تجزم بنسب قبيلة «كانْ» إلى الحسن بن علي رضي الله عنهما.

وأما القسم الثاني من الرد على فرية الحاج موسى أحمد كامره، فيتعلق بما ورد عن نسب قبيلة «كانْ» في المصادر والمراجع العربية والإسلامية.

وسنقسمه أيضاً إلى محورين:

المحور الأول: ذكر ما جاء في تلك المراجع والمصادر العلمية حول الموضوع.

وأما **المحور الثاني**: هو نقاش ما كتبه العلامة ابن خلدون رحمه الله تعالى في هذا الشأن. وإليكم: **المحور الأول** قبل الدخول في التفاصيل نستعرض الخطوط العامة لهذا النسب الشريف.

أ ـ إن هناك أكثر من خمسين نسابة ومؤرخاً ورحالة وجغرافيا وعالم بلدان واجتماع جزموا بأن مملكة غانة حكمها في القرن السادس الهجري أسرة من بني الحسن السبط رضي الله عنه عرفت «ببني صالح» بعد حكم البربر المؤسسين والسنونكي السودانيين فإذا لم يكن أولئك الأشراف قبيلة «كانْ» فمن هم يا ترى؟

الجواب: أننا لم نجد في التاريخ المحلي ولا الأجنبي ناساً حكموا

مملكة غانة وينسبون أنفسهم إلى: الحسن ﷺ سوى قبيلة «كانْ».

فالبربر المؤسسون انهار مكلهم قبل دخول الإسلام إلى غانة بثلاث قرون، والسنونكي الوارثون الملك بعدهم والذين استمر ملكهم حتى عجز القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي لم يزعموا نسباً عربياً إلى اليوم وهم: «قبيلة سيسي».

ثم إن الفلان الصوصو والذين أسقطوا حكم الأسرة الشريفة المالكة لغانة كانوا كفاراً وثنيين ولم يزعموا أيضاً نسباً عربياً، ولم يعتل عرش غانة غير هؤلاء وعليه إذا لم تكن قبيلة «كانْ» هي تلك الأسرة الصالحية الحسنية الهاشمية التي ملكت غانة من صدر القرن السادس الهجري، فعلينا أن نقدم البديل وهو غير موجود.

ب ـ إذا كان ملوك غانة ومالي من قبيلة «كانْ» وفرعها قبيلة «كيتا» ينسبون أنفسهم إلى: (عبدالله بن صالح بن الحسن السبط ﷺ) ـ كما سنناقشه لاحقاً إن شاء الله تعالى ـ فإن هذا النسب قد أوصله النسَّابون والمؤرخون ولم يبق مبتوراً ولا مقطوعاً، فقد ذكر قدامى النسَّابون والمؤرخون أن المراد بـ: «صالح» هو: «صالح الجوال بن عبدالله الرضا الشيخ الصالح بن موسى الجون بن عبدالله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي ﷺ».

ثم أجمع النسَّابون والمؤرخون على أن عقب صالح الجوال انحصر في حفيده: «أبي الضحاك عبدالله بن الحسن الشهيد قتيل جهينة ابن عبدالله الشهيد بن محمد الشاعر بن صالح الجوال بن عبدالله الرضا الشيخ الصالح بن موسى الجون» وحده.

وأجمعوا أيضاً على أن ذرية أبي الضحاك عبدالله بن الحسن الشهيد قتيل جهينة بقيت من فرعين فقط هما:

١ ـ صالح بن موسى بن مهبوب بن علوي بن مسلم بن هدلم بن الحسن بن محمد بن زيد بن عبدالله أبي الضحاك قلت: ولا يمكن أن يكون «عبدالله بن صالح» ـ الذي تدعي قبيلة «كان» بفرعيها أبناء حبيب الله

ملوك غانة وأبناء هلال أبو النعمان ملوك مالي ـ من نسله، لأن جد القبيلة «الشريف عبدالله كانْ» المعروف عند السودان بـ: «آيل كانْ الأل» عاش في القرن الخامس الهجري، و«صالح بن موسى بن مهبوب. . .» عاش في القرن السادس الهجري.

٢ ـ وأما الفرع الثاني من عقب عبدالله أبي الضحاك بن الحسن الشهيد قتيل جهينة، فهو: (هذيم بن مسلم بن زيد بن عبدالله أبي الضحاك بن الحسن الشهيد قتيل جهينة) وهو الذي حسب الحساب الزماني لأجيال الأنساب والد الشريف «عبدالله كانْ» الذي ينسبه أحفاده من ملوك غانة ومالي إلى صالح، ولأنه وصل إلى غانة من بلاد السودان، في القرن الخامس الهجري.

ج ـ توقف النسَّابون والمؤرخون في المشرق عن تتبع ذيول بني صالح ـ والذين كانوا في مكة بالحجاز ـ عند: (صالح بن موسى بن مهبوب بن علوي بن مسلم بن هدلم بن الحسن بن محمد بن زيد بن عبدالله أبي الضحاك، وهذيم بن مسلم بن زيد بن عبدالله أبي الضحاك) بسبب هجرتهم إلى غانة من بلاد السودان بالمغرب الأقصى، فلو ظلوا في الحجاز بمكة ولم يهاجروا لما توقف النسَّابون والمؤرخون عن تتبع ذيولهم لأنهم من الأشراف ومكة والمدينة خاضعتان لملك الشرفاء وفيهما النسَّابين والمؤرخين الذين يكتبون كل شاردة وواردة عن آل البيت هناك.

د ـ لا مجال للتشكيك في صحة ملك الشرفاء وحكمهم لمملكة غانة في القرن السادس الهجري فما بعده، لأن هذا الجمع الغفير من النسَّابين والمؤرخين الذين تواتروا وتواطأوا على ملك أولئك الأشراف لمملكة غانة من القرن السادس الهجري حتى اليوم، بدءاً بالرحالة المغربي ابن فاطمة والشريف الإدريسي، وابن سعيد الغرناطي وأبو الفداء الأيوبي صاحب حماه والعمري والصفدي. . . مروراً بابن خلدون والقلقشندي والمقريزي. . . وانتهاء بالسيد عبدالستار بن درويش الحسني البغدادي وعاتق بن غيث البلادي الحربي المكي ـ لا يمكن أن يكون

هؤلاء رغم تباينهم في الزمان والمكان وانتفاء التهمة وعدم الإكراه ـ لا يمكن أن يكونوا تواطأوا كلهم على الكذب، ولأن نسب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تسليماً محفوظ من التزوير، ما رامه مزور أو انتحله دعي إلا وفضحه الله.

هـ ـ عمود نسب بني صالح ملوك غانة ومالي من بلاد السودان هو ما ذكرناه وهو الذي عليه الجمهور المتقدمين وهناك سلسلة ثانية ذكرها مؤخراً النسَّابة المؤرخ التركي أيوب صبري باشا رحمه الله تعالى في كتابه: «مرآة جزيرة العرب» وتبعه فيها كل من محمد بن دخيل العصيمي السعودي في كتابه: «معجم أنساب أمراء وحكام الجزيرة العربية ج١»، وعارف مرضي الفتح في كتابه: «تاريخ البصرة والإحساء ونجد والحجاز» وهما معاصران، وهي: (صالح بن إسماعيل بن يوسف بن محمد الأخيصر بن يوسف بن إبراهيم بن موسى الجون بن عبدالله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي رضي الله عنهما). وهي مرجوحة لتأخر القائلين بها قروناً عن فترة حكم وملك بني صالح لغانة ومالي.

وأما السلسلتان: (صالح بن موسى الثاني بن عبدالله الرضا الشيخ الصالح بن موسى الجون، وصالح بن عبدالله بن موسى الثاني) فهما سلسلتان استحدثهما ابن خلدون خطأ وتوهما خلال بحثه وتحقيقه لنسب بني صالح وتبعه على ذلك القلقشندي وغيره.

و ـ إن سبب خلط بعض النسَّابين المحليين ـ والمتأخرين جداً عن فترة ملك بني صالح لمملكتي غانة ومالي من بلاد السودان ـ إن سبب خلطهم لنسب قبيلتي «كانْ وكيتا وفروعهما» بأخوالهم من الزنوج، وخلطهم أيضاً بين إسلام الزنوج الذين كانوا على الوثنية وبين هؤلاء الذين ولدوا مسلمين من لدن علي ابن أبي طالب رضي الله عنه، هو: أنهم اعتمدوا في كل ذلك على بعض الأساطير الشفهية المحلية دون استناد على مصادر التاريخ والأنساب القديمة وفي ما يلي بيان أن:

قبيلتي (كان وكيتا وما تفرع منهما في البيضان والسودان هم ذرية بني صالح ملوك غانة ومالي من بلاد السودان).

سبق وأن بينا بالبراهين الساطعة والأدلة القاطعة أن المراد ببني صالح ملوك غانة ومالي من بلاد السودان هم: ذرية الشريف عبدالله كانْ بن هذيم بن مسلم بن زيد بن عبدالله أبي الضحاك بن الحسن الشهيد بن عبدالله الشهيد بن محمد الشاعر بن صالح الجوال بن عبدالله أبي الكرام بن موسى الجون بن عبدالله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي رضي الله عنهما.

وقد وردت سلسلة هذيم بن مسلم... إلى الحسن بن علي رضي الله عنهما، في كتب أنساب الطالبيين، كما نص ـ على ذلك العلمان الجبلان الشريفان: الشريف جمال الدين أحمد بن عنبة الحسني في كتابه: عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب ـ.

والشريف العلامة السيد جعفر الأعرجي الحسيني في كتابه: «الأساس لأنساب الناس».

وذكرنا أن «صالحاً» جد القبيلة هو الذي سميت عليه عاصمة مملكة غانة كمبي صالح أي: «مدينة صالح» أو أنها أضيفت إلى حفيد من أحفاده اسمه صالح بن موسى بن مهبوب بن علوي بن مسلم بن هدلم بن الحسن بن محمد بن زيد بن عبدالله أبي الضحاك بن الحسن الشهيد بن عبدالله الشهيد بن محمد الشاعر بن صالح الجوال بن عبدالله أبي الكرام بن موسى الجون.

وقد ذكر «صالحاً» بهذا النسب الفتوني العاملي في كتابه: «حدائق الألباب في الأنساب».

أما الشريف العلامة جعفر الأعرجي الحسيني في كتابه: «الأساس لأنساب الناس» فقد ذكره باسم «صباح» ولا تعارض بينهما فقد يكون «صباح اسمه وصالح لقبه أو العكس» ورغم إضافة كمبي عاصمة غانة إلى اسم «صالح» «إلا أن شهرتها في المصادر القديمة بقيت غانة يقول ابن

فاطمة المغربي في رحلته، وابن سعيد الغرناطي في كتابه: «بسط الأرض في الطول والعرض»: (ومدينة غانة على ضفتي النيل وبها يحل سلطان غانة وهو من ذرية الحسن بن علي ﷺ، وهو كثير الجهاد للكفار وبذلك عرف بيته).

وسنناقش هذا النسب وما كتب فيه بموضوعية وحيادية مدعمين كل ما نكتبه بأدلة علمية ومراجع موثوقة، مع اختصار شديد للغاية تجنباً للإطالة والسآمة والملل متبعين المنهج التالي:

أولاً: سرد لعمود نسب بني أسد «كيتا» ونقاش أدلته، ثم سرد عمود نسب بني «العائد الكناني بن حبيب الله بن عبدالله الشريف كان» ونقاش ذلك كله بأدلته المستفيضة.

ثانياً: استعراض لما كتبه ابن خلدون في هذا الصدد ونقاش ذلك.

نسرد عمود نسب آخر ملك من ملوك مالي كتب عنه ابن خلدون وهو معاصر له، وسنسرده بأسمائه العربية الحقيقية متجنبين الألقاب السودانية التي لقب بها أولئك الأشراف، من قبل أخوالهم ورعيتهم من السودان ـ والتي تصل أحياناً في معدلها إلى ستة ألقاب مختلفة ومتباينة ـ لكل شريف، ومرد ذلك راجع إلى كثرة قبائل السودان واختلاف لهجاتها الأمر الذي يجعل كل قبيلة تترجم اسم كل ملك من أولئك الأشراف إلى لسانها أو تصحفه بسبب عجمتها وقد تتبعت عمود نسب الشريف محمود ـ المعاصر لابن خلدون ـ وميزت أسماء آبائه العربية عن الألقاب الزنجية إلا ثلاثة أسماء لم أقف بعد على أصولها العربية.

وسأبين بعض ألقاب هؤلاء الملوك خلال محاور هذا المنشور إن شاء الله تعالى، إلا أن هناك اسمين سنذكر لقبهما لأن تحريف عمود النسب جاء نتيجة لتصحفهما، فأقول ومن الله جلَّ جلاله القبول.

ـ إن آخر ملوك مالي ـ المعاصرين لابن خلدون هو:

الشريف محمود ابن السلطان قو ابن السلطان علي ابن الأمير

الأسد ابن محمد بن بلو بخون بن موسى الأسود «برمندانة» ابن دامال بن لاتال بن لاولو بن هلال أبو النعمان «بلالي بوناما» بن عبدالله الشريف كان بن هذيم بن مسلم بن زيد بن عبدالله أبي الضحاك ابن عبدالله الشهيد ابن الحسن الشهيد بن محمد الشاعر ابن صالح الجوال بن عبدالله الرضا أبي الكرام بن موسى الجون بن عبدالله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي ﵁.

نلقي نظرة خاطفة على صحة هذه السلسلة من مصادرها التاريخية ـ قبل تشتيت ذهن القارئ بالنقاشات الطويلة واتساع الخرق على الراقع ـ أحصينا عدد الأسماء الواردة في عمود هذا النسب فوجدناها **٢٥** وعشرين أبا خلال **٧٩٢** سنة من التاريخ الهجري.

وإذا افترضنا أن السلطان محمود الذي ملك مالي سنة **٧٩٢** هجرية كان عمره سنة تسلمه الملك **٣٠** سنة، تكون سنة ولادته **٧٦٢** سنة نقسمها على خمس وعشرين جيلاً عدد أفراد عمود نسبه خلال هذه المدة الزمنية، فتأتينا النتيجة **٣٠** سنة لكل جيل، وهي مدة متوسط العمر لكل جيل حسب قواعد وضوابط النسَّابين والمؤرخين في ضبط عدد الآباء والجدود لعمود النسب.

انتهينا من الحساب الزمني والذي كان دقيقاً **١٠٠**٪.

ننتقل إلى مصادر النسب من كتب النسَّابين والمؤرخين القديمة ومن المصادر الشفوية المحلية المعاصرة ـ والتي شوهت نسب هذه القبيلة الشريفة بتصحيف اسم جدها «هلال أبو النعمان» إلى «بلال أبوناما» ومن ثم خمنوا بناءً على هذا التصحيف أن: «بلالاً أبوناما» هو بلال الحبشي ﵁، وأن القبيلة من نسله، تماماً كما خمن الحاج موسى أحمد كامره أن محمد المسلم «حم جولط كان» هو أول من أسلم من قبيلة «كانْ» بسبب اسمه «المسلم» معللاً ذلك بقوله: «لعله أول من أسلم» وسنبين هذه المغالطات إن شاء الله تعالى بعد عرضها من مصادرها ونعود إلى تحقيق عمود هذا النسب ـ: فبدءاً بالسلطان محمود، وانتهاء بموسى

الأسود «برمندانة» ذكر هذا الجزء من عمود النسب ابن خلدون والقلقشندي وابن بطوطة.

وبدءاً «ببرمندانة: لا هيلاتول ـ كلابي» حتى «هلال أبو النعمان: بلالي بوناما».

ذكر هذا الجزء من عمود النسب المؤرخ النسَّابة «دجيلي مامادو كوياتي» في كتابه: «سندياتا كيتا، أو ملحمة الماندنجو».

فموسى الأسود ـ حسب رواية محمود شاكر في ج٧ من التاريخ الإسلامي، هو: «موسى الأكوري ـ وموسى ديغيو» حسب رواية الهادي المبروك الدالي في كتابه: مالي الإسلامية وعلاقتها بالمغرب وليبيا، وهو أيضاً «برمندانة» الذي كان أول من حج من ملوك مالي حسب رواية ابن خلدون ج٦ من العبر، وبرمندانة هذا هو أيضاً: «لاهيلا ـ تول كلابي» أول من حج من أجداد كيتا حسب رواية دجيلي مامادو كوياتي، وأيضاً حسب رواية لفتزيون **١٩٧٣** ـ ص٦١، وش.مونتاي **١٩٢٩** ـ ص**٣٤٥** ـ **٣٤٦**، وأيضاً حسب رواية دحسين مؤنس في كتابه: أطلس تاريخ الإسلام ص**٣٧٣** ما نصه: (سيطر الماندنجو وهم أصحاب دولة مالي على البلاد الممتدة من نهر النيجر إلى المحيط الأطلسي، وأقاموا قبل وصول الإسلام إلى هذه النواحي... وأسرة كيتا التي لا نعرف شيئاً محققاً عن أصلها، وإن كانت المأثورات الشعبية في مالي تقول إن منشئها كان رجلاً مسلماً من الماندنجو أو الفولا الخاضعين لهم يسمى موسى ديجيو تولى عرش مالي فيما بين سنتي **٥٩٧** ـ **٦١٥** هجرية الموافق: **١٢٠٠** ـ **١٢١٨**م. وهناك رواية تقول إنه من سلالة بلال الحبشي مؤذن الرسول ﷺ، وأنه جاء طفلاً من الحجاز أو جاء أبوه إلى بلاد الماندنجو وتزوج منهم واستقر في بلاد التكرور.

نقلاً عن Generale History of Afrik: وأما الرواية التي قبل رواية الدكتور حسين مؤنس والمنقولة من موقع: لفتزيون ـ **١٩٧٣**، ص٦١، وش.مونتاي ـ ص**٣٥٤** ـ **٣٤٦**، ونصها: (وتزعم أسرة كيتا مؤسسة مالي

أنها من نسل دجون بلالي أو بلال بن رباح من الصحابة وأول مؤذني الأمة الإسلامية، ويقال: إن لوالو ابن المؤذن قدم للاستيطان في بلاد مندية حيث أسس مدينة كيري أوكي وقد أنجب لوالو هذا لاتال كلابي، الذي أنجب بدوره لهيلاتول كلابي، وكان هذا الأخير أول من حج إلى مكة من ملوك مندية، وكان حفيده المدعو مامادي كياني «سيدا صيادا» وهو الذي وسع مملكة آل كيتا.

ومصدر هاتان الروايتان هو مؤرخ أسرة كيتا «دجيلي مامادو كوياتي» الذي كتب اعتماداً على بعض الروايات الشفوية المحلية بعد سقوط مملكة مالي الصالحية بقرون ما نصه: (في البداية كانت الماندينج ولاية لملوك البمبارا، وهم الذين ندعوهم اليوم مانينكا سكان الманديج، ليسوا سكاناً أصيلين، إذ قدموا من المشرق: «بلال بوناما» الجد الأول للكيتا كان الخادم المخلص للرسول محمد ﷺ. . . .

لاهيلاتول ـ كلابي كان «أول أمير أسود يحج إلى مكة» ـ وهو ابن دامال كلابي بن لاتال كلابي بن لاولو بن بلالي بوناما).

انتهت هذه الروايات المحلية الشفوية والتي اتفقت على هذا الجزء من عمود النسب لأسرة كيتا، واتفقت على أن «بلالي بوناما» هو بلال الحبشي رضي الله عنه، وأنه هو أول ملوك مالي القادمين من الحجاز إلى بلاد الماندينج، وبعضهم يقول القادم من الحجاز: ابنه «لاولو» وهو أول ملوك مالي في صدر القرن السادس الهجري، الثاني عشر الميلادي.

ونحن بني صالح ملوك غانة ومالي نوافق هذه الروايات المحلية الشفوية في هذا الجزء من عمود النسب، ولكن نقول بأن ما يسمونه «بلال بوناما» وأنه بلال الحبشي رضي الله عنه، نقول نحن في موروثنا المحلي أنه: «هلال أبو النعمان» ابن عبدالله الشريف كانْ، ـ وأنه تصحف اسمه على المتأخرين جداً جداً من النسَّابة السودانيين ـ إلى بلالي بوناما، فخمنوا من عند أنفسهم ظناً وتخميناً أنه بلال الحبشي رضي الله عنه.

وبما أننا أمام روايتين متناقضين حول اسم هذا الجد الصحيح، فإننا

نحتاج إلى مرجح يرجح إحداهما على الأخرى نتأمل: في كنه الروايتين ومصادرهما لنكتشف الحقيقة.

الرواية الأولى التي تجعل بلالاً الحبشي رضي الله عنه، أول ملوك أسرة كيتا في القرن السادس الهجري مدحوضة بعدة أمور:

أولها: أن بلالاً رضي الله عنه مؤذن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تسليماً، توفي في القرن الأول الهجري ولم يعمر ستة قرون، ولم يصل هو ولا أبناؤه ولا أحفاده إلى بلاد السودان الغربي «غانة ومالي» وقد عملت بحثاً في الموضوع خاصة ـ ولولا مخافة الإطالة والملل والسآمة ـ لنشرته ضمن هذا التحقيق كاملاً، بل إن هذه الرواية تدعم وتساند صحة الرواية الثانية ـ والتي تؤكد أن هذا الجد الذي يدور عليه مدار عمود النسب ـ هو: «هلال أبو النعمان» ابن عبدالله الشريف كانْ: حفيد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم تسليماً، والذي قدم من الحجاز إلى مملكة غانة، وصاهر أول ملوك مملكة غانة إسلاماً، وبموت الملك الغاني المسلم، ورث عبدالله الشريف كانْ وبنيه الملك على عادة ملوك السودان في توريث ابن الأخت وهذا يحتاج إلى منشور خاص به، وإنما نبهنا عليه فقط، لأن الهدف من هذا المقال إثبات أن ملوك مالي من أسرة كيتا هم من ذرية صالح ومن قبيلة «كان» ـ ولكن كما أسلفنا حصل تصحيف «هلال أبو النعمان حفيد الرسول ﷺ القادم من الحجاز، إلى بلالي بوناما خادم رسول الله ﷺ والقادم من الحجاز» هذا أولاً.

وأما ثانياً: فإن هذه الرواية ـ التي ذكرت بأننا بني صالح ملوك غانة ومالي هي التي نعتمدها ـ فإنها هي الرواية المنقولة عن ملكي مالي الشريفين: السلطان موسى ابن أبي بكر ابن محمد بن موسى الأسود «برمندانة» كما ذكر ذلك العمري ت سنة ٧٤٩ هجرية في دمشق في كتابه: «التعريف بالمصطلح الشريف» ص٤٤ ـ ٤٥ بقوله: (ملك التكرور: وهو صاحب مالي.... وملك التكرور هذا يدعي النسب إلى عبدالله بن صالح بن الحسن بن علي ابن أبي طالب).

ونقلها أيضاً القلقشندي في ج٨ من كتابه: صبح الأعشى ص٨ ـ ٩، ونصها: (الرابع ملك مالي. . . وكان ملكها ـ في الدولة الناصرية محمد بن قلاوون ـ منسا موسى، ومعنى منسا: السلطان. . . قال في التعريف: وملك التكرور هذا يدعي نسباً إلى عبدالله بن صالح بن الحسن بن علي ابن أبي طالب).

هذه الرواية المنقولة عن السلطان منسا موسى عن نسبه الشريف، والرواية الثانية منقولة عن السلطان محمود ابن السلطان قو ابن السلطان علي ابن الأمير الأسد ابن محمد بن بلو بخون بن موسى الأسود «برمندانة» وهي التي ذكرها القلقشندي في ج٥ من صبح الأعشى ص٢٨٦، ونصها: (ثم خرج من ورائهم من بلاد الكفرة رجل اسمه محمود ينسب إلى إلى منساقو بن منساولي ابن ماري جاطه، ولقبه منسا مغا، وغلب على الملك في سنة ثلاث وتسعين وسبعمائة قال في التعريف: «وصاحب التكرور هذا يدعي نسباً إلى عبدالله بن صالح بن الحسن بن علي ابن أبي طالب كرَّم الله وجوههم. قلت: هو صالح بن عبدالله بن موسى بن عبدالله أبي الكرام بن موسى الجون بن عبدالله بن الحسن المثنى بن الحسن السبط ابن أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب ﵁. وقد ذكر في: تقويم البلدان أن سلطان غانة يدعي النسب إلى الحسن بن علي ﵉، فيحتمل أنه أراد صاحب هذه المملكة لأن من جملة من هو في طاعته غانة، أو من كان بها في الزمن القديم قبل استيلاء أهل الكفر عليها). انتهى ما كتبه القلقشندي.

وبهذا نتأكد أن الصحيح أن جد أسرة كيتا ملوك مالي هو «هلال أبو النعمان» وأن السودان صحفوه إلى «بلال أبوناما» وتبطل الروايات الشفوية القائلة بأن الاسم الصحيح هو بلال بوناما الحبشي مؤذن الرسول ﷺ، وأن أسرة كيتا هم من الحبشة أو المالنكي.

ثم إن هذه الروايات المحلية الشفوية السابقة تجمع على أن (لاهيلا ـ تول كلابي «برمندانة» موسى الأسود) هو أول من حج من ملوك مالي، وليس أول من أسلم، وأن ملوك مالي مهاجرين من الحجاز إلى مملكتي

غانة ومالي وليسوا من أصل مالنكي مانديغي، وبهذا تبطل روايات ابن خلدون، والقائلين بأن ـ برمندانة أول من أسلم من ملوك مالي، حسب ابن خلدون، وأنهم من المالنكي حسب بعض الروايات الشفوية، وسبحان الله كما أسلفت سابقاً نكتشف أن تشويه نسب هذه القبيلة الشريفة وتاريخها مقصود ومتعمد من البعض كما زعم الحاج موسى أحمد كامره عن إسلام (محمد المسلم «حم جولط كان» وأنه تلقب بلقب «كَنْ» وترك لقب سلفه «جلو» من الفلان).

ونعود إلى تكملة بقية عمود النسب الشريف فنقول: وأما عمود النسب من عبدالله الشريف «كانْ» حتى عبدالله أبي الضحاك، فإن عبدالله الشريف «كانْ» هو الذي كان لقبه يتلقب به أبناؤه من أسرة كيتا قبل أن يكونوا ملوكاً فإذا صاروا ملوكاً تلقبوا بلقب كيتا وسيأتي بيانه إن شاء الله تعالى، وما دام ملوك مالي من نسل عبدالله الشريف «كانْ» بن هذيم بن مسسلم بن زيد بن عبدالله أبي الضحاك، فإن عبدالله الشريف كانْ، هو: المراد بقول منسا موسى ومحمود بن منساقو: أنهما من ذرية: (عبدالله بن صالح بن الحسن بن علي رضي الله عنهما).

ويؤكد هذا أن النسَّابين والمؤرخين أجمعوا على أن عقب صالح بن عبدالله الرضا أبي الكرام بن موسى الجون بن عبدالله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي رضي الله عنهما:

انحصر في عبدالله هذا الملقب بأبي الضحاك بن الحسن الشهيد بن عبدالله الشهيد بن محمد الشاعر بن صالح الجوال وبينما يستميت بعض المتطفلين على علم الأنساب والتاريخ، في نفي وإنكار أن بني صالح لم يحكموا غانة ولا مالي، وأنه لا ذكر لاسم قبيلة «كانْ» الصالحيين في الأسر التي تعاقبت على حكم مملكة غانة عكس ما هو متواتر، تأتي المفارقة في كون بعض الروايات المحلية الشفوية تصحف تاريخ وزمان حكم قبيلة «كان وفرعها كيتا» لمملكة غانة في القرن السادس الهجري، فتصحفه إلى أول أسرة تحكم غانة على الإطلاق.

وفي هذا الصدد كتب: الدكتور أحمد حسن في كتابه: «الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا»/ دار الفكر العربي/ القاهرة/٢٠٠٦م، ص١٧٤ ما نصه:

(غرب أفريقيا الأجناس الشهيرة: استطاع واحد من هذه الشعوب قبل تدفق الإسلام إلى المغرب بوقت طويل، أن يؤسس دولة، هذا الشعب هو شعب الماندي بصفة عامة، ثم فرع السنونكة أحياناً أخرى، واتخذت هذه الدولة اسم غانة، ولا يدل هذا الاسم على الشعب، إنما يطلق على الطبقة الحاكمة أحياناً أو على العاصمة التي أقاموها أحياناً أخرى. . . وكان أول ملوكهم يدعى «كان». واتخذ مدينة أوكار قرب تنبكت عاصمة له).

فالكاتب هنا التبس عليه تاريخ حكم ملوك غانة من قبيلة «كانْ» الصالحيين العلويين في القرن السادس الهجري، بتاريخ ملوك غانة الوثنيين من البربر المؤسسين قبل بعثة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تسليماً بقرون وهذا الخلط واللبس الذي وقع فيه بعض المؤرخين هو ما حدى بمؤرخ الحجاز ونسَّابته الموسوعي ـ المقدم عاتق بن غيث البلادي الحربي المكي ـ إلى التنبيه على ذلك فكتب رحمه الله تعالى في كتابه: «محراث التراث» ـ وهو عبارة عن نقد وإيضاح لعدد من الكتب التراثية ـ كتب ناقداً لكتاب: «الروض المعطار في خبر الأقطار» تأليف: محمد بن نعيم الحميري، ص١٥٧ ما نصه: (٧٠ ـ ص٤٢٥، يذكر غانة، البلد الأفريقي على المحيط، ثم يقول: أهلها مسلمون، وملكها من ذرية صالح بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي ابن أبي طالب رضي الله عنهما.

ثم يقول: ص٤٢٦، في نفس السياق، يورد ما يصرح بأن ملكها كافر، ويصف من أمره وأمر حاشيته ما يعرف عن الملل الضالة، وفي تاريخ غانة أن ملوكها في القرن الثامن ـ الذي توفي فيه المؤلف ـ هم بنو صالح الحسنيين، فلعلهم كانوا على جانب من تلك البلاد الواسعة، وأن ملك السود على جانب، فخلط المؤلف).

تغمدك الله برحمته وأسكنك فسيح جناته المؤرخ البحاثة النسَّابة

الحجازي المكي، ماذا كنت ستكتب ـ لو أنه قدر لك أن تعيش حتى سنة **٢٠١٥**م وترى من يخلطون بين الصحابي الجليل بلال الحبشي ﵁ في القرن الأول الهجري بالحجاز، وبين «هلال أبو النعمان» ابن عبدالله الشريف كان الصالحي الحسني في القرن السادس الهجري بغانة ـ ماذا كنت كاتباً؟

قلت: وملوك بني صالح في القرن الثامن الهجري هم: بنو أسد «كيتا» ملوك مملكة مالي، وإنما غانة حينها تحولت إلى مقاطعة تابعة لهم لا زال يديرها ملك من أسرة «كانْ» تركوه عليها ولم ينتزعوها منه، لأنه ابن عمهم في النسب، وقد كانوا تبعاً له ـ أيام كانوا ملوكاً بإمارتهم الصغيرة كانجابا ـ قبل هجوم الصوصو الوثنيين على الجميع وإسقاط غانة، ورغم أن مملكة مالي العلوية الصالحية الهاشمية كانت مملكة فدرالية تضم خمسة أقاليم لكل إقليم ملوك لهم حكم ذاتي ـ إلا أنه لم يكن أي من أولئك الملوك يطلق عليه اسم ملك إلا صاحب غانة لأنه ابن عم ملك مالي وقد عينه نائباً له.

وفي هذا الصدد كتب أحمد بن علي القلقشندي رحمه الله تعالى في صبح الأعشى ج٥ ص٢٨١، ما نصه: الجملة الرابعة في ذكر ملوك هذه المملكة، قد تقدم أن هذه المملكة قد اجتمع بها خمسة أقاليم، وهي: إقليم مالي، وإقليم صوصو، وإقليم غانة من الجانب الغربي عن مالي، وإقليم كوكو، وإقليم تكرور، في الجانب الشرقي عن مالي، وأن كل إقليم من هذه الخمسة كان مملكة مستقلة، ثم اجتمع الكل في مملكة صاحب هذه المملكة، وأن مالي هي أصل مملكته. قال في مسالك الأبصار: وهو وإن غلب عليه عند أهل مصر اسم سلطان التكرور فإنه لو سمع هذا أنف منه، والأحب إليه أن يقال صاحب مالي لأنه الإقليم الأكبر، وهو به أشهر.

ونقل عن الشيخ أبي سعيد الدكالي: أنه ليس بمملكته من يطلق عليه اسم ملك إلا «صاحب غانة» وهو كالنائب له، وإن كان ملكاً. وكأنه إنما بقي اسم الملك على صاحب غانة دون غيره لعدم انتزاعها منه والاستيلاء

عليها كلياً وذكر القلقشندي أيضاً في هذا الصدد ما يؤكد أن ملوك مالي في القرن الثامن الهجري كان يطلق عليهم ملوك غانة ومالي معاً لأنهم من نفس النسب الشريف والحسب المنيف، فكتب رحمه الله تعالى في ص٢٨٦ ـ من هذا الجزء ـ ما نصه: (وقد ذكر في «تقويم البلدان» أن سلطان غانة يدعي النسب إلى الحسن بن علي عليه السلام، فيحتمل أنه أراد صاحب هذه المملكة لأن من جملة من هو في طاعته غانة، أو من كان بها في الزمن القديم قبل استيلاء أهل الكفر عليها).

قلت: صدقت وصح لسانك النسَّابة المؤرخ القلقشندي رحمك الله تعالى، لأن النسَّابين والمؤرخين والرحالة والجغرافيين وعلماء البلدان جميعاً إذا نسبوا ملوك غانة يقولون: (ومدينة غانة محل سلطان غانة وهو من ذرية الحسن بن علي رضي الله عنهما) ويقولون: (بنو صالح بن عبدالله بطن من بني الحسن السبط من العلويين من بني هاشم من العدنانية وهم: بنو صالح بن عبدالله أبي الكرام بن موسى الجون بن عبدالله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي رضي الله عنهم) فإذا نسبوا ملوك غانة من قبيلة «كانْ» ذكروا صيغ الجزم والقطع، وإذا نسبوا ملك بني صالح من بني أسد «كيتا» ذكروا عبارة يدعي النسب إلى عبدالله بن صالح بن الحسن بن علي رضي الله عنهم، لأن ملوك غانة هم الأصل وملوك مالي هم: الفرع.

ونواصل: تحقيق عمود نسب بني صالح ملوك غانة ومالي من بلاد السودان بالمغرب الأقصى وعقبهم هنالك، بعدما أثبتنا أن السيد الشريف هلال أبو النعمان بن عبدالله الشريف كان الصالحي الحسني، ليس هو بلال الحبشي رضي الله عنه.

وأما محمد المسلم (حم جولط كن) ابن داود ابن الشريف سيدي إلياس بن هلال بن العائد بن محمد بن أحمد بن عبدالله الشريف بن هلال الصغير بن عبدالرحمٰن بن عبدالله بن هلال الدمشقي الكبير بن العائد الكناني بن حبيب الله بن عبدالله الشريف «خان» بن هذيم بن مسلم بن زيد بن عبدالله أبي الضحاك. . . فإن المؤرخين والنسَّابين الذين تتبعوا عقب

بني صالح ملوك غانة ومالي من بلاد السودان، قد نصوا على أن عقبهم في السودان هو قبيلة (كانْ وكنْ) بالمد والقصر مع سكون النون فيهما وفرعها قبيلة (كيتا) وهذا بيانه.

إن لقب (خان) والذي حرفه السودان في غرب أفريقيا إلى لقب (كان) لنطقهم الخاء كافاً خالصة، أصله يرجع إلى رطانة العجم في شبه القارة الهندية وهو عندهم بمعنى (العظيم) ويلقب به العظماء منهم كملوك المغول التتر (جنكيس خان) وقبيلة خان الباكستانية، وملوك الدولة العثمانية الأتراك فهو لقب اشتهر به العظماء منهم، وكانت قبيلة خان الباكستانية بخراسان يلقبون به من يستخول منهم من العرب مقروناً بلقب نسبه العربي كالشريف خان، والقرشي خان، والعباسي خان والأموي خان.

وفي هذا الصدد كتب: السيد يونس الشيخ إبراهيم السامرائي في كتابه: (أنساب القبائل والبيوتات الهاشمية في العراق والعباسيون خارج العراق) ص**٢٤٣** ما نصه: (يتركز العباسيون في: أوزبكستان «ما وراء النهر سابقاً» في وادي فرغانة وهم عشيرة كبيرة ومنهم في الوقت الراهن السيد ناصر بن نسيم بن عزيز بن سليمان آل شيخ الإسلام، وهو نسَّابة لديه اهتمام بأنساب العباسيين في تلك المنطقة ـ كما يطلق على بقية الهاشميين ـ لقب سيد ولقب «خان توره» وهم لا يزوجون بناتهم إلا للسادة من العباسيين أو العلويين أو لذوي الأصول العربية بصفة عامة) وفي موروثنا المحلي أن هذا اللقب خان «كانْ» مستمد من خؤولة جدنا عبدالله الشريف من قبيلة خان والله أعلم.

وكان لقب «كانْ» يطلق على ذرية بني صالح في السودان بصفة عامة قبل تأسيس قبيلة بني أسد والمعروفون بقبيلة كيتا لمملكة مالي بعد سقوط مملكة غانة.

فكانت ذرية بني أسد يطلق عليها في بداية ملكها لقب كنات القبيلة الأم وقبل أن يتقلدوا الحكم، فإذا ملك أحدهم الحكم تلقب بلقب كيتا وفي هذا الصدد كتب الحاج موسى أحمد كمرا في كتابه: زهور البساتين

ص٢٥٧ ما نصه: (قام ملك كنات مندق وأهله كيتا وهم أهل سب فلما فسد ملكهم...) وكتب في ص٢٦٧ تحت عنوان: أصل بعض التسميات والألقاب في مملكة سنجت: أي سندياتا كيتا (إن لقب بني سنجت الصغار كنات، وإذا شابوا إلى أن يموتوا كيت أي قبض الإرث).

وقد كتب ابن خلدون في ج٦ من العبر ص٢٣٧ ـ ٢٤٠ عن بني أسد ملوك مالي ما نصه: (وكان ملكهم الأعظم الذي تغلب على صوص وافتتح بلادهم وانتزع الملك من أيديهم اسمه ماري جاطه، ومعنى ماري الأمير الذي يكون من نسل السلطان، وجاطه الأسد، ولم يتصل بنا نسب هذا الملك، وملك عليهم خمساً وعشرين سنة فيما ذكروه، ولما هلك ولي عليهم من بعده ابنه منساولي، ومعنى منسا السلطان ومعنى ولي بلسانهم علي،... ثم انتقل ملكهم من ولد السلطان ماري جاطه إلى ولد أخيه أبي بكر فولي عليهم منسا موسى ابن أبي بكر، وكان رجلاً صالحاً وملكاً عظيماً له في العدل أخبار تؤثر عنه. وحج سنة أربع وعشرين وسبعمائة... ثم خرج من بلاد الكفرة وراءهم وجاءهم رجل اسمه محمود ينسب إلى منساقو بن منساولي ابن ماري جاظه الأكبر فتغلب على الدولة وملك أمرهم سنة اثنتين وتسعين ولقبه منسا مغا والخلق والأمر لله وحده).

هذا اختصار شديد لما كتبه العلامة ابن خلدون رحمه الله تعالى.

ونفس الشيء كتبه القلقشندي في كتابه صبح الأعشى ج٥ وج٨ نقلاً عن كل من ابن الفداء والعمري ما نصه وملك التكرور هذا يدعي النسب إلى عبدالله بن صالح بن الحسن بن الحسن السبط بن علي رضي الله عنهم.

وجاء عند العمري في كتابه: التعريف بالمصطلح الشريف نفس الشيء وكان يصف ملك مالي (منسا موسى) والذي يعرفه صاحب كتاب تاريخ السودان عبدالرحمٰن السعدي بقوله: (كَنْ كَنْ منسا موسى ملك مالي وهو رجل صالح لم يعرف فيهم مثله).

الشاهد أنه يلقبه بلقب (كَنْ). ويصفهم الهادي المبروك الدالي في

كتابه: مملكة مالي الإسلامية وعلاقتها بالمغرب وليبيا ص٢٧ ـ ٢٨، بقوله: ينتسب سندياتا كيتا إلى ابن ناري فامغان بن موسى كيتا المشهور بموسى الأكوري، وقد اشتهر سندياتا بلقب: (ماري جاطه).

المحور الثاني: ما كتبه ابن خلدون باختصار شديد ونقاشه.

فابن خلدون هو أول وآخر من أنكر على الإدريسي إدراجه نسب الصالحيين ملوك غانة في أنساب الطالبيين وطعن في صحة ذلك النسب، ولكن ابن خلدون رحمه الله تعالى رجع عن طعنه ونفيه لذلك النسب الشريف وتأكد من صحته وثبوته بل ورسوخه في أنساب الطالبيين، حيث تأكد من صحة ذلك النسب الشريف من نسَّابة آخرين غير الإدريسي، والذي رفض بداية أن يقتدي به في إثباته لنسب الصالحيين، بيد أن ابن خلدون رحمه الله تعالى لما أراد التحقيق في نسب بني صالح ملوك غانة ومالي من بلاد السودان وهم وأخطأ في عمود نسبهم الشريف، فاستحدث لهم ثلاث سلاسل لم يقبل بها نسَّابة ولا مؤرخ قبله، وهي كلها وهم وتخرص منه رحمه الله تعالى.

وعمود نسب بني صالح ـ ملوك غانة ومالي من بلاد السودان ـ الصحيح هو ما ذكرناه بداية.

ونستعرض الآن ما كتبه ابن خلدون في ردوده على الشريف الإدريسي أولاً، وما كتبه من التسليم بصحة نسسب الصالحيين ثانياً.

ذكر في ج١ ص٥٨ ـ ما نصه: (فكان في غانة فيما يقال ملك ودولة لقوم من العلويين، يعرفون ببني صالح. وقال صاحب كتاب روجار في الجغرافيا إنه صالح بن عبدالله بن حسن بن الحسن؛ ولا يعرف صالح هذا في ولد عبدالله بن حسن، وقد ذهبت هذه الدولة لهذا العهد، وصارت غانة لسلطان مالي).

وذكر في ج٥ ص٥١٤ ـ ما نصه: (وذكر صاحب كتاب رجار في الجغرافيا أن بني صالح من بني عبدالله بن حسن بن الحسن كانت لهم بها دولة وملك عظيم، ولم يقع لنا في تحقيق هذا أكثر من هذا. وصالح من

بني حسن مجهول، وأهل غانة منكرون أن يكون عليهم ملك لأحد غير صوصو).

هذان النصان فقط هما اللذان نفى بهما ابن خلدون ما كتبه الشريف الإدريسي عن صلة بني صالح ملوك غانة بنسب الطالبيين. وقد وفق في النص الأول أنه لا يعرف صالح في ولد عبدالله بن حسن المباشرين، ولكنه لم يوفق في النص الثاني حيث نفى أن صالحاً من بني حسن مجهول، فهو هنا يرى أنه لا يوجد صالح في عقب وذرية الحسن إطلاقاً وهم بالعشرات! كما أنه ينفي كل ملوك غانة من البربر المؤسسين ـ والمعروفون بألقاب «غانة، وكيمغ»، ومنهم الملك كنسعي، وملوك غانة أيضاً من السنونكي من قبيلة سيسي والمعروفون بلقب التونغا ومنهم بسي وتنكامنين وقنمر، الذين ذكرهم البكري في المسالك والممالك ج٢، وملوك غانة من بني صالح، ـ ويعترف فقط بملوك الصوصو آخر من ملك غانة ـ بعد مضي **١٣** قرناً من تأسيسها في القرن الأول الميلادي ـ ولم يستمر ملكهم لها سوى خمسة وعشرين سنة ـ.

فإذا سلمنا بأن بني صالح لم يحكموها أو حكموها ولكنهم ليسوا من الطالبيين، فبأي ذنب تم إقصاء ملوك البربر المؤسسين والسنونكي السودانيين؟

ننتقل إلى النصين اللذين أثبت بهما ابن خلدون صحة نسب بني صالح للطالبيين وملكهم لغانة، ذكر في ج٤ ـ معقباً على دولة بني الأخيضر الحسنيين ملوك اليمامة ـ ص١١٧ ـ ١١٨ ما نصه: (وكان بمدينة غانة من بلاد السودان بالمغرب مما يلي البحر المحيط ملك بني صالح ذكرهم صاحب كتاب رجار في الجغرافيا، ولم نقف على نسب صالح هذا من خبر يعول عليه، وقال بعض المؤرخين إنه صالح بن عبدالله بن موسى بن عبدالله الملقب أبا الكرام ابن موسى الجون، وإنه خرج أيام المأمون بخراسان وحمل إليه وحبسه وابنه محمد من بعده ولحق بنوه بالمغرب فكان لهم ملك في غانة).

وهنا يسلم ابن خلدون بنسب بني صالح الحسنيين نقلاً عن بعض المؤرخين قبله ـ وسنأتي على ذكرهم إن شاء الله تعالى ـ ولكنه أخطأ هنا أيضاً في عمود نسب صالح الذي خرج بخراسان وحمل إلى المأمون الخليفة العباسي وحبس ابنه محمد من بعده أيام الخليفة المتوكل، فهو كما ذكره ابن سعيد في كتابه: «كنوز المطالب في أنساب آل أبي طالب».

والعمري في كتابه: مسالك الأبصار: قسم الطالبيين، والصفدي في كتابه: الوافي بالوفيات، ج١٦ وأن ذريته كانوا ملوكاً بغانة، هو: صالح الجوال بن عبدالله الرضا بن موسى الجون بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي ابن أبي طالب رضي الله عنهم.

هذا هو الذي ذكره بعض المؤرخين والنسَّابين من الطالبيين قبله كمحمد بن جعفر العبيدلي ت٤٣٥ هجرية في «تهذيب الأنساب ونهاية الأعقاب» وعلي بن محمد العلوي العمري ت القرن الخامس الهجري في كتابه: «المجدي في أنساب الطالبيين» وإبراهيم بن ناصر بن طباطبا ت القرن الخامس الهجري في كتابه: «منتقلة الطالبية» وإسماعيل بن حسين المروزي ت بعد ٦١٤ هجرية في كتابه: «الفخري في أنساب الطالبيين»، وابن الطقطقي محمد بن تاج الدين علي طباطبا الحسني ت ٧٠٩ هجرية في كتابه: «الأصيلي في أنساب الطالبيين» والشريف أحمد بن محمد الحسيني العبيدلي ت في القرن السابع الهجري في كتابه: «التذكرة في الأنساب المطهرة» فهؤلاء النسَّابون من الطالبيين، وكتبهم هذه التي ذكرناها خاصة بأنساب الطالبيين وتشهد كلها وما جاء بعدها إلى اليوم بصحة نسب صالح بن عبدالله الرضا بن موسى الجون وابنه محمد الشاعر الذي ذكر كل من ابن سعيد الغرناطي والعمري والصفدي وابن خلدون رحمهم الله تعالى أنه خرج أيام المأمون بخراسان وحمل إليه وحبسه وابنه محمد من بعده ولحق بنوه بالمغرب فكان لهم ملك في غانة.

وذكر ابن خلدون في ج٤ ص١٣٥، عن صحة نسب بني صالح ملوك غانة للطالبيين ما نصه: (الخبر عن نسب الطالبيين وذكر المشاهير من

أعقابهم، وأما نسب هؤلاء الطالبيين فأكثرها راجع إلى الحسن والحسين ابني علي ابن أبي طالب من فاطمة رضي الله عنها، وهما سبطا الرسول ﷺ. . . ومنهم بنو صالح بن موسى بن عبدالله الساقي ويلقب بأبي الكرام ابن موسى الجون. وهم الذين كانوا ملوكاً بغانة من بلاد السودان بالمغرب الأقصى، وعقبهم هناك معروفون).

جزم ابن خلدون هنا بصحة نسبة بني صالح ملوك غانة للطالبيين، بل وصرح بأن عقبهم هنالك معروفون وبهذا التحقيق نكون قد نفضنا الغبار عن سيرة علم من أعلام بني صالح ملوك غانة ومالي من بلاد السودان: الشريف محمد المسلم «حم جولط كانْ» كما أمطنا اللثام عن تلك المؤامرات التي حيكت من أجل طمس نسب قبيلته الشريف وتشويه دينها الحنيف.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم تسليماً.

○ ○ ○ ○ ○ ○



أخبار دمت
أصلهم ومواطنهم وتنقلاتهم

انتهى ما عندي من أخبار وطاب ويليها أخبار دمت وبعض المنتسبين إليهم كأهل بول ونحوهم ممن لم يتقدم لنا ذكرهم من أهل حمى جولط كن بعد تاريخ ألمام عبدل، فزعموا أنهم من دمشق الشام وذلك غير عجيب لأن السودان أصل مسكنهم الشام فأجلاهم عنها داود عليه السلام وقد مر ذلك كثيراً في هذا الكتاب، وزعم أهل دمت أنهم لما خرجوا من الشام سكنوا في ماسينا ثم ارتحلوا عنها إلى آفطوط تند كسم ثم جبنيد ثم قل ثم موضع يسمى راسن، وما زالوا يسكنون ويرتحلون في مرتن إلى أن رحلهم ألمام عبدل في عام علي الكور وأمرهم بالارتحال إلى سنقال إلى آخر هذه الرواية، وسنرجع لها ونتممها إن شاء الله تعالى، وفي رواية عيشة إلمان همد دادا أن أصلهم من آيل بن آمل بن حمد وآيل هذا هو والد بلال آيل والد ير بلال والد دوت ير وعثمان ير، وأما دوت فهو والد حمى دوت ولمن دوت، وحمى هذا هو المعروف بحمى جولط كن وزعموا بأن آيل المذكور هو المهاجر من دمشق وكان في هجرتهم تسع وتسعون فخذاً من أفخاذ قبيلتهم الواحدة فسكنوا في ماسينا مدة طويلة ثم ارتحلوا عنها وقد بقيت فيها بقية منهم ثم سكنوا في رشيد وفارقهم بمياب ودايجنكوب وأهل مودنل وأمثالهم وكذلك فارقهم أهل كاس ثم ارتحلوا منها وسكنوا في قيم ثم ارتحلوا عنها وسكنوا في دمر بالراء جهة عقل، ثم سكنوا أيضاً في تند كسماير ويعبر عنها بعضهم بتند كسم ثم سكنوا في

جبنيد فكثروا فيها جدًّا حتى صارت مساجدهم فيها سبعة لكثرتهم، وكان أمير الترارزة يحارب البراكنة فهزموه فاستعان بإلمان جبنيد فأمده بجيش منهم فقاتل به عدوه البركني فغلبه وكان الترارزة يأخذون من أهل جبنيد الغرامة من الزرع ثم اشتد عليهم أمر العرب وكثر من يطلب الغرامة من العرب فارتحلوا وتفرقوا وفارقهم حينئذٍ جمناب الذين في المغرب. قلت: رأيت بعض فلاب ينتسب إلى جمناب هؤلاء وهو منهم، وكذلك فارقهم أهل فد وكذا الذين في فوت من كنهنب، وقال المخبر: ثم سكن الباقون منهم في قان في مرتن كاجار وفيها مات حمى دوت ثم تخلف ولده عمر حمى وكان أخوه الأصغر منه المسمى راسن حمى يتعلم العلم في المغرب فأرسلوا إليه بموت أبيه وتخلف أخيه عمر حمى فرجع وارتحل وسكن في مكان سماه دمت بالتاء.

❍ ❍ ❍ ❍ ❍ ❍



ذرية حمى جولط كَنْ

ومن أولاد حمى جولط كن عمر حمى وراسن حمى المذكوران، ومنهم: ببكر وعثمان وعال وبوب وأصغرهم راسن، ومن عمر إلمان قان وبعض أهل بول الذين يقال لهم هناك عمرناب، ومن ببكر جمناب، ومن بوب أهل كمك، وقيل: هم من مالك حمى بدل بوب حمى لأنهم من مالك حمى جولط كن والد بوب مالك وعبدالله مالك، وأما بوب مالك فهو والد سيد بوب أخو كد بوب والدة ألمام عبدل، وأما عبدالله مالك فمنه سلسلناب، ومن عال حمى كثير من كنهنب الذين في فوت الآن لأن عبدل عال منه أهل كبل وأهل إلمان دك أودايج لأنهم من مالك عبدل عال حمى جولط كن، وأهل مودنل كبل من ابات عبدل عال حمى جولط كن وهما شقيقان كما قيل، وأهل سطي من صمب عال حمى، وأهل كد من دمب عال، وبمياب من ير عال، وسيولناب من ابات عال لأن أهل مودنل من مود صمب ابات عال، وأهل سيول من داود صمب ابات عال، وأهل نايك من حمت عال وقيل مكم عال وهو الأصح، وأهل بول من بران عال ومن أهل بول أيضاً اعمارناب وهم من عثمان عال وقيل غير ذلك، والله تعالى أعلم، وأما راسن حمى جولط كن فمن أولاده سليمان راسن وهنت راسن وسبل راسن، وأما سليمان فمنه كن ورابالي وذلك أنه لما مات أبوه وكان أكبر أولاده وكان متكبراً سيِّئ الخلق وكان يقول: أنا لا أذبح الضائنة (أي: الضأن) بل إنما أذبح الثور وهو معنى ورابالي، فلما طلب ملك أبيه امتنع أهل دمت أن يملكوه، أي: أن يختاروه ملكاً فقالوا:

إنك متكبر قبل التمليك فكيف تكون حالك إذا ملكت، فلما منع الملك صارت ذريته من إلمامات مساجد دمت كأهل اللقب سه فيهم، وأما سبل راسن فمنه كنهنب فنداو وتاكان ويقال لهم: كنهنب راد سبل ومعنى راد البطن لأنسبل راسن هو والد هنت سبل والد ماليم هنت وعثمان هنت، وأما ماليم فهو والد ألفا ماليم ودمب ماليم، وأما ألفا فهو والد عبدل ألفا وعلي ألفا، وأما عبدل فهو والد ممد عبدل وهنت عبدل وأحمد عبدل، وأما ممد فهو والد محمود ممد وإبرا ممد وهما الآن في فنداو، وأما أحمد عبدل فهو والد ممد باب وراسن أحمد وكد أحمد زوجة سعد سقينة، وهو أيضاً والد علي أحمد وهم اليوم في فنداو، وأما هنت عبدل فهو والد راسن هنت وعبدل هنت وعلي هنت، وأما راسن وعبدل فهما حيان في فنداو الآن، وأما علي فقد مات وما ترك من الولد إلا إناثاً، وأما دمب ماليم فهو والد جاي قور والد جال كن وجاي قور لوت المولود بعد موت أبيه وسمي باسمه، وأما جال كن فهو والد أحمد جال وألفا كن حيان الآن في فنداو، وقيل أيضاً: أن هنت سبل هو والد ماليم هنت وعثمان هنت، وأما ماليم فهو والد عبدل ماليم وألفا ماليم ودمب ماليم، وأما عبدل ماليم فهو والد ممد عبدل وأحمد عبدل وهنت عبدل، وأما ممد عبدل فهو والد محمود ممد وإبرا ممد وهما في فنداو الآن، وأما أحمد عبدل فهو والد ممد باب وراسن أحمد وعلي أحمد وكلهم في فنداو الآن، وهو أيضاً والد كد أحمد زوجة ساد سقينة الذي كان سايف في مقام في ديوان ليتام، وأما هنت عبدل فهو والد راسن هنت وعبدل هنت وعلي هنت الذي ما أعقب إلا إناثاً، وأما دمب ماليم فهو والد جاي قور وجال كن وجاي قور لوت ومعنى لوت الذي مات أبوه قبل ولادته، وأما جال كن فهو والد أحمد جال وألفا كن الحيان الآن في فنداو، وأما ألفا ماليم فهو والد إلمان جال والد إلمان ممد جال في فنداو، والله تعالى أعلم، وأما عثمان هنت سبل راسن حمى جولط كن فهو والد جاي عثمان والد سري جاي وسعيد جاي وببكر جاي وأحمد جاي، وأما سري فهو والد حمدن سري الصغير وعثمان سري ودوت سري، وأما حمدن الكبير فهو

والد سارن عمر وجاي حمدن، وأما سارن عمر فهو والد سري فامة والد إلمان عمر الذي هو رئيسهم اليوم في فنداو، وأما حمدن الصغير فهو الذي ولاه ألمام عبدل أمر دمت لشجاعته وجاهه فوشاه أهل دمت بأنه جاهل لا يحسن قراءة الفاتحة فعزله الإمام فلما عزل ارتحل مغتاظاً إلى مرتن وذهب معه قبيلة مالب الذين يلقب رئيسهم بمال وهي تالب في دمت ودي وكذلك ارتحل معه قبيلة تالب وسيسيب وجنجنب، ولذا قلت حصتهم مما اكتسبوه من الأرراضي الحرثية في فنداو وجلمس حين رجعت ذريتهم إليهما فمكث حمدن هنالك إلى أن توفي، ومن أولاده جاي حمدن ودو حمدن، وأما جاي فهو والد إلمان محمود وعلي محمود وسفات محمود وسري محمود الذي في خاي اليوم، وأما دو حمدن فهو والد إلمان علو والد كجت المعروف بإلمان بورد في فنداو لأن توليته وافقت إحراق أمير أندر لفوت وتور كلتيهما فسمي بإلمان بورد لذلك، ولإلمان بورد هذا أخ يسمى جاي كن وهو والد عبدل ساجل سلدات، وجاي حمدن أيضاً هو والد سعيد كن وجب وعبيد، وأما سعيد فهو والد إلمان جاي والد سري كن في فدور اليوم يعمل في دار كماندك، وهو أيضاً والد جي كن ومحمود كن وأحمد كن وحمدن سري، وأما جب جاي حمدن فهو والد حمدن جب ومحمود جب وعبدل جب الذي كان خليلاً لي ويسمى أيضاً عبدل ساجل وهو الذي لم يعقب إلا إناثاً، وأما حمدن جب فهو والد سري حمدن، وأما محمود جب فهو والد سعيد كن في تيكان في مرتن، وأما ببكر جاي فهو والد جاي قايج والد إبراهيم وسعيد وهمد كن، وأما إبراهيم فهو والد الرئيس المنعزل الذي ذهب به فرانس ويسمى إلمان عمر في تاكان، وأما سعيد كن فهو والد عمر كن والد أحمد لمن في تايكان أيضاً، وأما سعيد جاي فهو والد دمب سعيد وأحمد إلمان سعيد موم والد إلمان كن والد إلمان جاي علو وهو سايف سكن في مرتن الآن في تايكان، ولسعيد جاي أيضاً ير سعيد المعروف بير أمهان والد حمدن ير الحي في تايكان الآن وسعيد كن الذي في يد أمير أندر، انتهى بقليل اختصار، ويقال لبني عثمان هنت دار جايناب في فنداو وتاكان لأنه والد جاي عثمان والد سري جاي

وسعيد جاي وببكر جاي و(...) جاي إلى آخر ما مر فلذلك يقال لبني عثمان هنت دار جايناب، ومن نسل عثمان هنت هذا يكون إلمان فنداو، وقيل: إن هنت والد عثمان هنت هذا ابن لراسن حمى جولط كن مباشرة لا بواسطة سبل راسن قيل: وهو الأصح، والله تعالى أعلم، وعثمان هنت إذاً أخ لسعيد هنت راسن حمى جولط كن والد ببكر سعيد الذي هو إلمان ببكر الكبير ودمب سعيد ومالك سعيد.

❊ ❊ ❊

الخبر عن إلمان سعيد واستقراره في جلمس وذكر من انتسب له

وأما ببكر سعيد فهو والد سعيد ببكر الذي هو إلمان سعيد الذي وافق زمنه زمن ألمام عبدل ومكث في ملك دمت قدر خمسين سنة وهو الذي زاد في كل دمت، أي: في موالي دمت بعدما ابتدأها سيد هنت سبل راسن، وهو أول من ابتدأ بأمر قل دمت وزاد فيه إلمان سعيد هذا زيادة عظيمة، وقيل: إنه كان أقام خشبة فكل من مسها من عبيد أهل مملكته صار من مواليه، والله تعالى أعلم، وهو الذي رحله ألمام عبدل من دمت مرتن إلى سنكال في عام علي الكور كما سبق، وقد قطعوا البحر عند المرسى دلبر في دي وعنها إلى كانك بين دناي وجوار وعنها إلى كد وفيها ماتت والدة إلمان ببكر الكبير واسمها كمب حلي وهي من جكوب، ثم قطعوا بحيرة ورك ونزلوا في سنك بي اسم موضع بين رجم تووكل والبحيرة أو خليج في بحيرة ورك تحت آجم تووكل وقيل شرقي آجم وهناك لحق بهم ألمام عبدل فسألهم عن حالهم فقالوا: نحن قاصدون يلد قر بين كسك وواللد، فأحضر الإمام صلحاء فوت وشاورهم في أمر هؤلاء فاتفقوا على رجوعهم ليسدوا الثغرة التي بين كد وبكل إذ ليس فيها حينئذ قرية عامرة وأهلها قد هربوا عنها لكثرة الفتن من البياضين وفلاّن البراري

من جلف وغيرهم، وقد ارتحل وطاب إلى وال برك وياللب سل قد رجعوا إلى كد فقال إلمان سعيد: إن لتلك المواضع أرباباً وهم رئيس جايان وإلمان سنقي وجوم بوتكل وأرط وطاب وبوتل وجوم قندار، فأجابه الإمام مع صلحاء فوت ولكم ما عمرتم قبل رجوع صاحبه وما وجدتموه مقطوعاً أشجاره قبلكم فلمالكه إن رجع وما وجدتم فيه الأشجار فاقطعوها ولكم ما عمرتم، ثم ارتحلوا راجعين ونزلوا في سووناب ناوين المكث هنالك حتى شرعوا في التعمير إذ أتاهم عبد من عبيد ياللب سل اسمه جم هاو فقال لهم: لا تتعبوا أنفسكم في هذه المواضع لغير المصلحة (أي: غير الصالحة) للزرع مع قلة الحيتان في الأودية والحياض فأرسلوا معي أمناءكم لأريهم من أول سلد كلنك إلى سلد دي وما استحسنته عقولهم فليختاروه لكم، فقام العبد ومعه أمناؤهم فظلوا يفتشون المواضع إلى أن وقفوا على موضعهم الذي هم فيه الآن فاستحسنوه ورجعوا إلى أهلهم فارتحلوا إلى ذلك الموضع الذي هو جلمس وكبيرهم يومئذٍ إلمان سعيد وله إخوة الذين هم حمدن ببكر وجال ببكر وسيد ببكر وأحمد ببكر اللذان لم يعقبا، وأما سعيد ببكر الذي هو إلمان سعيد فهو والد سعيد ببكر الذي هو إلمان سعيد سمي جده وهو الذي حارب فرانس وأخذوه وذهبوا به إلى أندر إلى أن مات هنالك وهو والد ممد دادا الذي قتل خاله عبدل بول، وقيل: إن عبدل بول هذا هو الذي نم بين فرانس وبين إلمان سعيد هذا حتى أخذوه فتخلف هو مكان إلمان سعيد فقتله ممد دادا فأخذه فرانس أيضاً وغربوه في بلادهم ثم بعد ذلك ردوه إلى دمت بعد مدة مديدة وملكوه وجعلوه سايفد كنتن إلى أن مات، وأما حمدن ببكر فهو والد إلمان أحمد حمدن الذي مات في بنكوو، ومن أولاد حمدن ببكر ببكر حمدن الذي قيل لما أراد ألمام تمليك حمدن سري الصغير أحد دار جالناب في فنداو وأبى عن ذلك جلهم لجهله وقلة علمه، وكان حمدن سري هذا من أوجههم يومئذٍ فقال بعض الحاضرين للإمام: أتلوي العمامة على جاهل لا يحسن قراءة الفاتحة، فقال الإمام للحاضرين: أحق ما قال؟ فقالوا له: نعم والله، ثم سأل الإمام هل في من بقي منهم عالم يستحق الإمامة فأتوه ببكر حمدن

هذا فولاه الأمر فاغتاظ حمدن سري الصغير فارتحل إلى مرتن مع من أحبه وقد تقدم ذلك، وأما جال ببكر فهو أحسنهم حالاً وأتقاهم قلباً وهو الذي منعهم عن ضرب الدفوف في الملاهي وعن أخذ بنات مواليهم للخدمة، وكان من عوائدهم القديمة إذا ولي أحدهم الأمر يأخذ من غلمانهم سبعة ليسوسوا دوابه ويستعملهم فيما أراد ويأخذ لزوجته من بناتهم سبعاً فلا يزالون عند داره في خدمته وخدمة أهله حتى يبلغ الغلمان وتتزوج البنات، وجال هذا هو والد حمدن جال وحمد جال، وأما حمدن جال فهو والد عبدل حمدن المعروف بعبدل بول أخو دادا بول الذي قيل بأنه الذي نم بين إلمان سعيد بن إليمان ببكر وبين فرانس حتى أخذوه إلى آخر ما مر، وعبدل بول هذا هو والد ببكر سخن الذي في دمت الآن، وأما حمد جال فهو والد جال حمد الذي ولي أمر دمت بعد موت عبدل بول لأنه أقرب منه نسباً وفرانس هم الذين ولوه الأمر فخانهم وصاحب ألمام فوت يومئذٍ وهو ألمام أحمد سارن دمب في جاب وحارب فرانس مع أهل فوت يوم بكل فانهزموا هاربين فأخذه فرانسس في جايان وأخذوا معه ببكر كن وببكر محمود وهما من أهل سنقي، وراسن ملاط أحد كلنكوب دمت وذهبوا بهم إلى الجزيرة كر وسجنوهم هنالك إلى أن ماتوا، وجال هذا هو والد ببكر جال الذي هو إلمان المنعزل الآن الذي مسكنه الآن سنقي، وجال أيضاً هو والد إلمان جاي الذي مات في الطاعون الأول. ومن أولاد سعيد هنت راسن حمى جولط كن مالك سعيد ودمب سعيد، وأما مالك سعيد فهو والد عثمان مالك والد إلمان دوتول، وأما دمب سعيد فهو والد ببكر دمب وآدم دمب، وأما ببكر دمب فهو والد إلمان دمب كدايج الكبير والد إلمان جي الذي مات يوم دمت في حرب فرانس، وأما آدم دمب فهي والدة إلمان ببكر العالم الصالح الصغير وإلمان دمب كدايج المذكور هو دمب ببكر أخو جال ببكر والد حمد جال والد إلمان عبدل كمب دادا سايفد ولاس دمت اليوم، ومن أولاد إلمان ببكر العالم الصالح المتأخر سارن محمد سعيد وقيل: إنه كان عالماً ومات قبل موت أبيه فلما مات حزن عليه أبوه جدًّا ومحمد سعيد هذا هو والد جي فدم والد سعيد كن الذي

هو رئيس ديوانهم اليوم وسارن محمد سعيد أيضاً هو والد حمدن فدم وفاطمة محمد، ومن جملة أولاد إلمان ببكر الصغير أيضاً إلمان سعيد وخراس إلمان ومحمود إلمان وأختهم نمسان إلمان وأمهم مريم أست من سيسيب سيم، ومنهم إلمان دمب الصغير وصوكن وسخن كن وأمهم من بنات برك بوج، ومن بناته كايج كن وفدم كن، وأما إلمان سعيد فهو والد ممد دادا وأب دادا وجال كن وكمب دادا وكجت دادا، وأما خراس فلم يعقب، وأما محمود إلمان فهو والد ملاط محمود وتك محمود وببكر محمود ومحمد محمود، وأما نمسان فهي والدة مريم نمسان وسعيد نمسان، وأما سخن كن فهي والدة ببكر سخن وأما محمد إلمان الذي هو محمد سعيد فقد تقدمت ذريته، وأما كايج كن فهي والدة أب كايج وألفا كايج وممد كايج وسعيد كايج وكمب كايج وفند كايج وكدايج كايج إلى آخر أولاد إلمان ببكر الصغير، والله تعالى أعلم بهم وبغيرهم. ومن أولاد هنت راسن أيضاً وقيل: هنت سبل راسن سيد هنت والد ببكر سيد والد أحمد ببكر والد محمود أحمد والد ببكر محمود الذي قدمنا بأن فرانس أخذوه مع إلمان جال وراسن ملاط أحد كلنكوب دمت وسجنوهم في الجزيرة كر إلى أن ماتوا هنالك والعياذ بالله تعالى، وببكر محمود هذا هو والد عثمان ببكر الذي في سنْكَى الآن، وسيد هنت هذا هو الذي ابتدع كل دمت وزاد فيه إلمان سعيد بن إلمان ببكر الكبير جدًّا إلى آخر ما مر، انتهى ما عندنا من ذكر أولاد حمى جولط كن. وأما لمن دود أخو حمى دود الذي هو أخو حمى جولط كن فمن ذريته حمات لمن والد عمر حمات والد متار عمر ولمن عمر، وأما متار فهو والد حمدن متار والد إبراهيم كن والد مختار أحمد المخبر الذي في سنكي الآن، أما لمن عمر فهو والد لمن لمن لموت والده قبل ولادته وهو والد إبراهيم كن بن لمن لمن والد أخينا في الله ومحبنا فيه لمن كن المعروف بلمن بكاج الذي في سَنْكَى ومعنى بكاج الثياب المخضرة، أي: المصبوغة حتى صارت مخضرة أضيف إليه لكثرة لبسه إياها، وقد ذكرت عيشة إلمان ممد دادا عن أبيها أن لير بلال آيل والد دود ير أولاداً غيره منهم نل ير وجب ير وبسكت ير

ولكن المخبرة عيشة إلمان ممد دادا لم تعرف عقبهم ولم تذكر منه إلا شيئاً غير ثابت بل مضطرباً فلذلك حذفناه ولم نثبته هنا، واعلم أن إلمان سعيد بن إلمان ببكر العالم الصالح هذا هو الذي قال فيه بوكر عال دندن حين اجتمع صلحاء فوت وتور في فدور فقال بعضهم لبعض: هل بقي من أحد ينتظر؟ فقيل: قد بقي إلمان سعيد غائباً ولم يحضر إلى الآن، فقال بوكر عال دند: فلا يمنعكم يا معشر أهل فوت هذا الطوري الذي يأكل البطيخ من الكلام فيما اجتمعتم لأجله فتعبس أهل تور لكلامه وسكتوا إلى أن أتى إلمان سعيد فساروا إليه قول بوكر عال دند فقام على الفور مشيراً بيده إلى بوكر عال قائلاً: يا أهل فوت هل تعرفون من هذا يعني بوكر عال فقالوا: نعم، فقال: بل لا تعرفونه إنما هو من دند وما دند إلا راع [٧٧٠] لرجل من البياضين الترارزة اسمه بنجوك ول حميد وكان ساكناً حينئذٍ في سنقام اسم واد في مرتن محاذياً لكاي أو وجهتها وكان الترارزي من أخلاء آبائنا فلما قال ذلك وجموا له وافتضح بوكر عال، انتهى، رحمة الله علينا وعليهم أجمعين فإنه تعالى لذلك أهل آمين. قلت: وهذا يدل على أن دند ليس من بني حمّى جولط كن مع أن ممد بَيْلَ تقول ذلك الآن وذلك ما سمع من أحد من أهل دند ولا من غيرهم إلا ما سمع من ممد بَيْلَ المذكور.

○ ○ ○ ○ ○ ○



القبائل التي سكنت سنقي وذكر بعض أخبارهم

وأما قرية سنقي فقد كان فيها جاجاب وسكسكب الذين لقبهم ساغو (غير واضح) وكنهنب، وأما جاجاب فقد تفرقوا ومنهم جاجاب الذين صاروا في دمت المضافون إلى أولد، وأما سكسكب فقد تفرقوا أيضاً في البلاد لكثرة الفتن ومنهم ديار في دي الآن وقد كانوا في سنقي أئمة مسجدها وكذلك هم في دي أئمة المسجد أيضاً ومن ساداتها وبعض منهم في دناي أقوياء هنالك سادات، ومن سكسكب الذين كانوا في سنقي آل عبدالله الشيخ الذي صارت ذريته في أندر اليوم كالمترجم لسان الدولة الفرانساوية محمد بن المقداد المعروف بدود ساغو وأخيه سيد قضاة السودان السنقالية القاضي عينين ساغو وأخيهما التاجر الصدوق البر السخي الشفيق عبدالله ساغو والد النجل المبارك بكاي سك، وأما كنهنب فهم رؤساء سنقي قديماً وحديثاً وهم أولاد عثمان ير بلال آيل والد عال عثمان المعروف بعال مرم الذي أمه من ياللب واسمها سيوط يتم وهو والد لوتان عال والد راسن لوتان والد أحمد راسن لوتان والد أحمد راسن الذي أمه من جاوب كبل.

❀ ❀ ❀

القبائل التي سكنت دمت وذكر بعض أخبارهم

وأما قرية دمت فتنقسم إلى قسمين وهما كل وفكار، وأما كل فهم

كنهنب وقيب وليدب آرم ومال تالب وجالتاب وجكدن وهو رئيس الموالي ودار سيسيب دقا جم سه ولعلهم من سيسيب يرى، وأما فكار فهم جقوب وليدب سيد برام وأبناء بران جم سه ومنهم قاضي عثمان سه الكبير وسميه عثمان سه الصغير وليدب سيد بران، وأما القبائل التي يختارون من يعطون إلمان دمت فثلاث وهم جكوب وليدب سيد بران وتالب وهم المعزولون له أيضاً إن اجتمعوا واتفقوا ولم يختلفوا وإلا فاثنتان منهم كافيتان، وكبير ليدب سيد بران يتخلف مكان إلمان دمت إن مات أو عزل ولم يتخلف الآخر بعد حتى يتخلف المتخلف وهذا يدل على أن لليدب سيد بران مكاناً علياً عند أهل دمت قديماً بخلاف ليدب آرب فإنهم كالموالي، وإذا استجاش إلمان دمت جيشاً يذهب بمن شاء منهم إن شاء بالجميع وإن شاء بالبعض، وجبريل له ينتسب إلى هؤلاء ليدب ومثلهم في جميع ذلك كيكيب وكل دمت والحواتون، وأما غيرهم من قبائل دمت الآخرين لا يذهب بأحد منهم في الجيش إلا بمن نابت نوبته أو بقسمة القرعة، وقيل: إن الذين كانوا في مرتبة ليدب سيد بران قديماً ليدب آرب، قال عثمان عال: وأما ليدب في دمت قبيلتان ليدب آرب وليدب سيد بران، وأما ليدب آرب فقد كانوا أولاً أقرب إلى إلمان دمت من ليدب سيد بران إلى أن رجع راسن حمى جولط كن من سفره لطلب العلم وعزم على الارتحال إلى مسكنه الذي سماه دمت في مرتن، فلما ارتحل إليه ذهب معه ليدب سيد بران وتخلف عنه ليدب آرب ولذا صيّرهم راسن حمى في مرتبة ليدب آرب الذين تخلفوا عنه ورفع مرتبتهم وحط مرتبة ليدب آرب وهم على ذلك إلى الآن، وأما أصل ليدب آرب فهم من بكار والد دام بكار والد عبد دام والد آرب عبد والد بكار آرب والد عثمان بكار والد باب له عثمان والد عثمان باب له والد باب له عثمان وجب عثمان الذي هو جبريل له سايفد كنتن في ديوان ليتام في عام **١٩٢٣** من الميلاد العيسوي[١]، وأما أصل ليدب سيد بران فهم من يعقوب جم له والد إبراهيم يعقوب والد حمى

---

(١) عام **١٩٢٣**م يوافق **١٣٤٢**هـ.

إبراهيم والد بران حمى والد درمان بران والد جي له درمان والد ممد ممد له جي والد إبراهيم ممد الذي في دمت الآن، وأما أصل سيسيب بران فهم من عثمان سه الصغير بن حمات بن إبراهيم بن أحمد بن محمود بن راسن بن عال بن هول بن مالك بن بران بن جم سه، ومن أولاد هول والد عال هول عبدل هول والد ساغو عبدل والد قم ساغو والد إبراهيم قم والد عبدالله إبراهيم والد ألفا عال المخبر من أهل فنداو، وأما سيسيب أولاد دقا جم سه فهو والد عال دقا والد سليمان عال والد جب سليمان وعثمان سليمان وعثمان هو أول من لقب بإلمان سيم وهو والد حمى عثمان والد أحمد حمى والد حمدن سه والد حمى حمدن والد حمدن حمى والد حمات أحمد المعروف بدمب فات المخبر، ولأبناء دقا جم سه في كل ذبيحة ذبحته أبناء إلمان دمت بيول وهي لحمة واسعة ساترة للأحشاء، وأما أبناء برنا جم سه فهم أئمة مساجد أهل دمت.







بعض أوصاف أهل دمت ومكانتهم بين القبائل

وقيل: إن أقسام ما يقسم بين أهل دمت كالغنيمة مثلاً يقسم عشرة أقسام فلجكوب منها سبعة ولسائر أهل دمت ومنهم إلمان دمت ثلاثة أقسام، وقيل: إن سبب زيادة قسم جكوب على غيرهم تميزهم بالشجاعة البالغة بين قبائل دمت وأن جكوب حيثما كانوا فأصلهم من دمت لا غير وأن أحدهم كان قد هاجر لطلب العلم في فوت فلما صار عالماً سكن في دمت، فلما أراد ألمام عبدل أو ألمام يوسف أن يقسم الأراضي لمن يستحقها من أهل العلم أو غيرهم وكان بينهما محبة ومعرفة أعطاه حرائث كلكل جلكوج وحرائث كلكل فر فسمي إلمان فر هنالك، والله تعالى أعلم. وقيل: إن أهل دمت إذا اجتمعوا فكبيرهم مجازاً تالب، وأما الخلافة على إلمانية دمت فليدب سيد بران كما أخبر بذلك سعيد كمب دادا، والله تعالى أعلم. واعلم أن بين القرية دمت جلمس وبين سنقي قرية تسمى فيها جاجم وتسمى من السادات تفسير جابر وأصله من جاوب كن ارتحل إلى وال برك من قبل وسكن في براان موضع أو قرية وهي قريبة من قصر يمر بوج الذي كان أميراً لوال دون بحيرة جاير وفيها كان مسكن تفسير جابر هذا إلى أن أغار اللصوص من أهل فوت على بقراته فذهبوا بها إلى فوت في أيام ألمام بران وابنه ألمام محمود فتبعهم تفسير جابر إلى بمب فكتب براوة بليغة فدفعها إلى الإمام فقرأها على رؤوس الأشهاد فقال لهم الإمام: ما قولكم أيها الحاضرون في مال صاحب هذه البراوة فأجابه

صلحاء فوت بأن الكلام لك ولا كلام لأحد معك في هذا فقال: إن مال أمثال هؤلاء لا يجوز أكله، فلما قال ذلك ردوا إليه ماله وطلبوا منه أن لا يسكن مع الكفار لئلا يأخذوه معهم وأن لا يبعد عن فوت مسكناً ليمكنهم التبرك به، فاختار تفسير سكنى جاجم، قال عثمان عال: ولعل اختياره لسكنى جاجم لقرابة كانت بينه وبين أهل دمت لتداخلهم في المناكحة والمقاربة النسبية، فلت: ولعل من اختياره للسكنى قرب دمت لكونهم أهل علم مثله ولكون دمت أقرب لمسكنه الأول وال برك وغير ذلك، والله تعالى أعلم، وأصله رجل يسمى ير والد صبلد ير والد بج صبلد والد دمب بج والد مالك دمب والد عال مالك والد سلم عال والد تفسير جابر والد بكار تفسير والد حو بكار والدة مالك حو المعروف بسارن مالك والد جابر الصغير الذي هو رئيسهم اليوم، وأما سارن مالك هذا فهو من دمبب وله إخوان في رنجو وسلي وأصله من رجل اسمه مومن والد دمل مومن والد صمب دمب والد حمات صمب والد عال حمات والد محمود عال والد محمد محمود والد الحسن محمد المعروف بسارن مالك والد جابر سارن الذي هو رئيسهم اليوم في جاجم، ومن عوائد أهل دمت إذا ولي إلمان دمت الجديد الأمر يتعرس أياماً في ديار مال تالب في فنداو ومعنى يتعرس يحتجب في ديارهم كما تحتجب العروسة، ومن عوائدهم أن أمر جالتاب وجكدن في يد جايو دمت، أي: الزوجة الأولى لإلمان دمت فهي التي توليهما الأمر، ومن عوائدهم مع الحواتين إذا حوتوا يومين لأنفسهم فاليوم الثالث لإلمان دمت، والفلاّنيون لهم ليلتان في لبنهم والليلة [٧٧٤] الثالثة فلبنهم لإلمان دمت، وله شاة على كل فلاّني في أول كل شتاء، ولإلمان دمت في كل دار سقلل قفك وزجاجة مملوءة سمناً ومعنى سقلل آلة من عيدان مربوطة بعضها على بعض بلحاء شجر يحمل بها سنابل الزرع ويقدر بها مقدار الزكاة، ومعنى قفك العلاف التي يعلق بها الفرس، والله أعلم، ولجايو دمت أيضاً على كل دار عشرة صيعان من الدقيق المبروم بعد طيب الزرع وحصاده لتستعين بها على الاصطباح كما زعم المخبر، ولإلمان دمت أسال من كل ذبيحة ومعنى أسال الأليتان وما حولهما، وله

على الحواتين لاس نوره، أي: ذنب التمساح، قال عثمان ولذا قال إلمان حمدن هنت أحد كنهنب سنقي، وكان قريناً لإلمان ببكر في السن وكان يتحدث مع إلمان بيد في سنقي بعد موت إلمان ببكر، أن عمكم إلمان ببكر قد أفسد أمر كنهنب دمت وأغواهم غاية وكانوا أولاً كالعوام وصيرهم إلى أن كل من كان له فمب جعل له سروالاً ومن كان له سروال زاده عليه قميصاً ومن كان له قميص وسروال زاده مدفعاً ومن كان له قميص وسروال ومدفع زاده فرساً ومن كان له ذلك زاده عبداً سائساً لفرسه فلهذا تراهم لا يتواضعون لأحد بعده، فقال له إلمان بيد: بل إن عمنا إلمان ببكر قد أصلح حال كنهنب دمت فقال له إلمان حمدن: وأنا أعرف منك بحاله وكنت أحابل معه الحبال وراء القرية ونحن صبيان، هـ، وقيل: إن الذي أعانه على حوز ما حاز من الأراضي لتزوجه بمريم بنت ألمام يوسف في جاب ولذا لم يحصل لأرط وطاب الذي كان يخاصمه كثيراً عند ألمام يوسف في الأراضي الحرثية وكان إلمان ببكر يرجع فرحاً بالنصر على خصمه مسروراً وقد ولدت له مريم ألمام يوسف أولاداً ولكن لم يبلغ أحدهم الحلم إلى أن ماتت مريم في دمت وقبرها مع إلمان ببكر في جك اسم مقابر في سار وال، أي: قرية النيل.

○ ○ ○ ○ ○ ○



ذكر إلمانات (الأئمة) الذين تولوا أمر دمت

وأما ترتيب إلمانات دمت في الولاية فإلمان سعيد هو الذي ارتحل من مرتن إلى سنقال ولما طال عمره في ولاية دمت ولم ينعزل نازعه جال ببكر أخوه فعزل إلمان سعيد ووالى جال ببكر أمر دمت اثني عشر عاماً فرجع أمر دمت إلى إلمان سعيد ببكر ولم تطل بعد ذلك أيامه فمات، ثم إلمان أحمد حمدن الذي مات في بنكوو ثم أخوه ببكر حمدن ثم إلمان دو تول ثم إلمان ببكر العالم الصالح فلما طال عمره ولم ينعزل ذهب دو كديج إلى ألمام فوت حينئذٍ فولاه أمر دمت فمكث فيه عاماً واحداً ثم انعزل لإلمان ببكر طوعاً منه لأنه ابن خاله ولذا أعطاه إلمان ببكر حرائث كلكل دو دايج ملكاً له دون غيره، وقيل: إن إلمان ببكر لما طال عمره وضعف حاله وصاهم على جال ببكر الذي هو أخو إلمان دمب كديج الكبير الذي هو دمب ببكر دمب سعيد هنت راسن حمى جولط كن، وجال ببكر هذا كان تلميذاً لإلمان ببكر وصديقاً ومطيعاً له كالعبد ونائبه في الحوائج وهو الذي بعثه إلمان ببكر نائباً عنه يوم قنسوج فني أي: يوم خنادق فني في محاربتهم لفرانس وجرح جال ببكر يومئذٍ فأدخل في السفينة فرجعت به إلى دمت مجروحاً، وكذلك قد بعثه إلمان ببكر أيضاً نائباً عنه يوم جاتار الذي قاتلوا فيه البياضين وكذلك ناب عنه في غيرهما من الأيام، وقيل: إن إلمان ببكر منع من منازعته في ولاية الأمر ولكن ابنه إلمان سعيد نازعه في الأمر حتى انعزل كرهاً ولذا قال إلمان جي بن إلمان

دو كدايج في منازعتهما: فإذا نقضتم العهد وخالفتم قول والدكم إلمان ببكر فلا تقولوا للداخل عليكم ونازعكم في أمركم شيئاً، ولما أخرجه إلمان سعيد من ولاية دمت قام إلمان جي بن إلمان دو كدايج مستعيناً بزوجته نمسان بنت إلمان ببكر على إخراج إلمان سعيد من ملك دمت بمال جزيل وكانت ملية غنية فأخرجاه من الملك وتولى إلمان جال ثانياً ومكث مدة ثم قام إلمان سعيد أيضاً ذاهباً إلى ألمام فوت حينئذٍ فولاه الأمر ثانياً، ثم قام عبدل بول ذاهباً إلى ألمام فوت فولاه الأمر أيضاً ولم يقبل صلحاء دمت ولايته ولم يذعنوا لها بل أبوا عنها فتجاوز عبدل بول إلى فرانس مستعيناً بهم فقاموا إلى دمت فأوقعوا عليهم القتال وأخذوا إلمان سعيد مأسوراً وذهبوا به إلى أندر إلى أن مات هنالك، وقد مات إلمان جي أيضاً، ثم إن فرانس لما أخذوا إلمان سعيد ولوا عبدل بول مكانه ولم يمكث إلا شهراً فقام ابن أخته ممد دادا بول بن إلمان سعيد وقتله على أنه الذي نم بين أبيه إلمان سعيد وبين فرانس حتى أخذوه ثم إنه لما قتل خاله هذا أخذه فرانس وغربوه إلى قبو ثم بعد مدة طويلة ردوه وملكوه إلى أن مات في دمت، ثم إن فرانسس لما قتل ممد دادا خاله هذا أقاموا وخلفوا مكانه ابن عمه الشقيق وهو جال حمد ولكنه خانهم يوم لمبل وهو يوم بكل ولكنهم ظفروا به وأخذوه معه ثلاثة من قومه وذهبوا بهم إلى كر وسجنوهم هنالك إلى أن ماتوا وقد قدمنا ذلك أولاً، ثم تولى بعد جال حمد إلمان جاي الذي مات في الطاعون الأول الذي حدث في ذلك الزمن، ثم إلمان دمب كدايج الصغير بن إلمان ببكر العالم بعد رجوعه من جور، ثم إلمان ممد دادا بعد رجوعه من كبو، ثم إلمان ببكر المنعزل الآن في سنكي، ثم إلمان عبدل كمب دادا الذي هو رئيس القرية دمت اليوم، انتهى والله تعالى أعلم.

○ ○ ○ ○ ○ ○

ذكر بعض ذرية بران عال حمى جولط كن وعثمان عال حمى جولط كن

فصل في ذكر بعض ذرية بران عال حمى جولط كن وبعض ذرية عثمان عال حمى جوبط كن الذين هم أهل بول بران ويضاف عال هذا إلى أمه ويقال: عَالْ تَكْ نَاقْ شوَيا (...)، وهم ينقسمون إلى ثلاث قسمات دكناب وفكارناب وأعمارناب، ومن سيد بران عال حمى دكناب ومن بوب بران عال فكارناب ومن عثمان عال أعمارناب، وأما دكناب فقد انتشروا في الفتن الأولى وتفرقوا فمنهم بقايا متفرقة في فوت فبعضهم في بول بران وبعضهم في باج وبعضهم في كاجوب وبعضهم في جايان وهم من سيد بران عال حمى والد ير سيد والد هيني ير والد حمد هيني والد درمان حمد والد عثمان درمان والد أحمد عثمان وهو في بول بران الآن، ومن درمان حمد أيضاً تفسير حمات الذي كان في سكل جنداير في جهة رفسك ومن درمان أيضاً أهل سونسون مورجوب في بؤل، وأما البعض الذي في باج فمن ير سيد أيضاً لأنه والد حمت ير والد لر حمت والد صمب لر والد حمات صمب والد باب حمات والد عبدالله باب والد ممد عبدالله ويعرف بممد للل وهي أمه، وأما البعض الذي في كاجوب فمن ير سيد أيضاً والد صمب ير والد سيد صمب والد صو سيد والد ممد صمب والد علو ممد المخبر، وزعم سري عباس أن ير سيد أيضاً هو والد صمب ير

والد جمات صمب والد دمب حمات والد بران دمب والد سلي بران والد سعيد سلي في كاجوب أيضاً، قلت: ولعل حمات صمب ير سيد هذا أخ لسيد صمب الذي مر ذكره الآن، والله أعلم، وأما البعض الذين في جايان كما زعم سري عباس فمن جمت ير سيد أيضاً لأنه والد كريم حمت والد حمات كريم والد سيد حمات والد عبدل سيد والد باب عبدل والد عثمان بتب كان في جايان أيضاً في الأعوام الماضية، واعلم أنه قد كان لدكناب حرائث كلكل عند باج سنكال تسمى سبال وقيل: إن أصلها لأرط كلياب فأعطاها لجدهم سيد بران عال حمى على أن يدعو له في قضاء حاجته المعينة فلما قضيت صار سيد بران يملك كلكل سبال ملكاً تاماً بتلك الواسطة وكان موردهم في البحر منيعاً عنهم خوفاً من التماسيح حتى أحاطوا بماء ذلك المورد حائطاً من الشوك بين ما ذلك المورد وبين داخل البحر فينتفعون بالماء الذي في داخل الحائط هم ومواشيهم لأن ذلك الحائط حائل بينهم وبين التماسيح وهم في حرج وضيق شديد لأجل ذلك حتى قدر الله لحوات يسمى سلي دك صو جب جوب سباحة وعوماً في البحر من باج مرتن والتماسيح محيطة به من كل جانب إلى أن وصل إلى الجهة السنقالية فتعجبوا منه غاية ثم أراد الرجوع إلى أهله في مرتن بالعوم والسباحة أيضاً فأخذوه ومنعوه من الرجوع ثم أرط كلياب على أمر سلي دك واستدعاه وطلب أن يعقد عنه وعن قومه التماسيح فعقد لهم عقداً من عزائمه وسحره وأمرهم أن يزيلوا عنهم الحائط البحري وأن التماسيح لا تضرهم أبداً فقطعوا له من حرائثهم القطعة التي في أيدي أبناء سلي دك ومن ينتسب لهم إلى الآن، فسكن مع دكناب ثم بعد ذلك أتى باباب بلن من جلب بلن من مرتن فقاتلوا دكناب وهزموهم وطردوهم من حرائثهم سبال وعن مساكنهم فهاجروا إلى فاف ورنيو وعلى جر في سالم، وسبب ذلك أن رجلاً يسمى بفات عال عل من أهل سل تزوج بامرأة من باباب بلن واسمها عيش تك فولدت له تابان فات ثم تزوج بامرأة أخرى من دكناب تسمى بنت حمت بن سيد بران عال حمى فصار بينهما إلى أن ولدت له بوب فات وعلج فات فما زال يدور بينهما ويمكث عند كل واحدة منهما مدة إلى أن أغرى باباب بلن على قتال دكناب فيقول تعالوا

نقطع النيل إلى سنكال لأريكم قوماً هنالك ضعافاً لهم حرائث كثيرة فأطاعوه ثم قال لهم: ألا تغيرون عليهم وتغصبون حرائثهم ففعلوا وهرب دكناب إلى سالم كما مر إلا بقايا منهم متفرقين في البلاد، فصارت الحرائث ملكاً لباباب بلن وجلبها وجعلوا النمام فات عال من أهل سل جابياً لهم ويلقبونه بجوم سبال فصاروا يحرثونها وهي لا تصلح، فذهبوا إلى بوب حمت ير سيد بران وطلبوا منه الرجوع إلى تلك الحرائث وأنهم يردونها إليه فأبى وحلف على أن لا يقف عليها بعد أبداً، ثم أعطاهم شيئاً يكون سبباً لصلاح تلك الحرائث فصارت تصلح وصاروا يحملون زكاتها إليه وقد حملوا زكاتها إليه في بول سنة ثم ارتحل عن بول إلى لك فحملوها إليه سنتين ثم مات بوب حمت وترك ولداً يسمى كيت بوب الذي صار عقبه الآن إناثاً ولم يحملوا إليه شيئاً من الزكاة فقام يرلاب جاير إلى باباب بلن يطلبون منهم حرائث سبال كرهاً فأعطوهم بالرغم، ثم أراد أهل بول بران أن يأخذوا حرائث سلي دك لإقراره بأنها من حرائث سبال التي هي لأبناء عمهم دكناب فمنعهم عن ذلك يرلاب جاير فأعطى بنو سلي دك ليرلاب جاير حرائثاً من قطعتهم تلك لأجل حمايتهم لهم من أهل بول بران، ثم صارت سبال كلها حرائث سلي دك وحرائث دكناب كلها ليرلاب جاير تغلباً يأخذون جبايتها إلى عام يرنون، فلما رجع أرط كرل سري عال سلي دمب صمب حمى مالك أرط صمب براهيم سليمان بن رعربا بن دعت بن عقبة، إلخ، من قتال يرنون فقال: قد تركت خراج سبال وزكاتها لأجلكم يا أهل بلن لأنكم كنتم ناصري في هذه الغزوة فلم يبق ليرلاب في سبال حرث واحد إلا ملك حرث من مات عن حرثه بلا وارث فيرثه أرط كرل في ذلك الزمن فما زالت سبال كذلك على زمن ملك عبدالله كن فصار يأخذ زكاتها وزكاة غيرها من الحرائث وكذلك لك سايق في ذلك الزمن ثم زال ذلك بالأجرة الشهرية فصارت سبال ليبرت إلى الآن، هـ، قلت: وبلن واد خلف باج قريب منها جدًّا جهة الشمال ومن جلب بلن باب جلل في باباب ومنهم الفرع الساكن مع مالمالب في باج جاين.

○ ○ ○ ○ ○ ○




الخبر عن ذرية فات عال عل

ويرلاب قد سكنوا أولاً في ملل ثم في باباب لوت في مرتن ثم في بلن ثم بول وأما باباب بلن فهم في مالمالب، والله تعالى أعلم. وأما أولاد النمام الفاسد المفسد فات عال عل بنا فهم تابان فات وبوب فات وعلج فات، وأما تابان فهو والد صو تابان والد بيا صمب والد صم بيا والد بيا صمب وداود صمب وهما في باج مرتن الآن، وكذلك ذرية بوب فات وعلج فات في باج مرتن أيضاً، وكان لقب رئيسهم جوم سبال إلى أن صارت الحرائث لبيرب لا كراء فيها ولا زكاة لأحد على أحد، اهـ، عن سري عباس، والله تعالى أعلم. قلت: وهؤلاء هم أهل دكناب، وأما دكناب الذين في سلن الذين هم دكناب أوديج ففرع ولكن الكل عصبة واحدة فلما فسد أمر أولئك وانتشر قومهم تلقاهم هؤلاء وضموهم معهم، والله تعالى أعلم بحقيقة ذلك، هـ، وقال عثمان عال: ومن الممكنات أن تكون قبائل دكناب هم الذين كانوا مع سيد بران قبل انتشار أصحابه من فتناب بول كفتنة يوطي التي انتشر فيها كل من كان تحت سيد بران ولم يجتمعوا من ذلك الوقت إلى الآن، وكفتنة بولي بنمم وغيرها من الفتن، ومن جملة أصحاب دكناب باكناب الذين في سكت وغيرها، ويوطي اسم موضع في غربي سرمل بينها وبين كلي، وباقناب الذين في كلي هم الذين يأخذون زكاة من حرث في ذلك الموضع إلى الآن، قلت أيضاً وأظن أن فتنة يوطي هي التي ذكرناها هنا حين فرقهم أهل بلن وطردوهم عن حرائثهم ومساكنهم، والله تعالى أعلم. وقلت أيضاً: إن المعنى اللائق

بالاشتقاق أن يكون دكناب أهل بوب بران عال حمى لا أهل سيد بران عال حمى لأن بوب في كلامنا يسمى دك ولفظه من توابع لفظ بوب في لغتنا، والله تعالى أعلم.






الخبر عن ذرية بوب بران عال حمى

وأما بوب بران عال حمى الذي يسمى قومه فكارناب فبوب والد مام بوب والد دمب مام والد كيي دمب والد صمب كيي والد جاي صمب والد عثمان جاي والد صمب عثمان الذي هو رئيسهم الآن في عام **١٩٢٤** من الميلاد(١)، وبوب بران أيضاً والد سيد بوب والد حمات سيد والد راينم حمات والد عبدالله راينم والد صمب عبدالله والد دمب صمب والد ممد دمب الذي صار ساكناً في ودر الآن، وبوب بران أيضاً هو والد معاد بوب والد كن معاد الذي ارتحل عن بول إلى جربول في بند وسبب ارتحاله عن بول بران فتنة وقعت بين أولاده وأقاربه في الحرائث النيلية حتى جرح بعضهم بعضاً فلما رجعوا إلى والدهم قن وأخبروه بسبب الفتنة بينهم حلف قن بأنه لا يحرث الحرائث النيلية بعد العام وارتحل عن بول إلى بند وعمر هنالك قرية سماها جربول وسكن فيها إلى أن توفي رحمه الله تعالى علينا وعليه، ثم رجع أولاده إلى كن بلل في دمك قرب كبل وهم صمب قن ولمن كن وبوب قن وسري قن ودو كن وفند كن وحلي كن، وأما صمب كن فهو والد لمن صمب وعمر صمب المعروف بالحاج عمر الذي كان ساكناً في كلي، وأما لمن صمب فهو والد علي لمن في كلي اليوم وهو أيضاً والد مك لمن والحاج فهو والد محمد الحاج وإبراهيم والشيخ أحمد، هـ، وصمب قن أيضاً هو والد كجت والدة سارن محمود

(١) عام ١٩٢٤م يوافق ١٣٤٣هـ.

تفسير الذي كان في دومك ور ألفا من أهل ساخو الذين يعالجون بعض العميان حتى يبصروا، وأما لمن قن فهو والد أحمد لمن والد سارن علي المخبر، وأما بوب قن فهو والد فند بوب والدة لمن فند الذي هو سارن لمن الذي كان ساكناً في فت بوو في فرل، وأما دو قن فأولاده في فات سنقي قرية في سالم وهم محمد وبوكر مع أختيهما، وأما فند قن فهي والدة بوب فند والد هارون بوب في سانكن بكل، ولم يذكر لنا عقب سري قن وحلي قن، واعلم أن والدة قن هذا تسمى بي من جاجاب جبال وكان مشتهراً بأمه يقال له قن بي فلذلك ينسب إليه كل من سفه رأيه فيقال لكل سفيه منا أنت قنبينك، أي أنت قن بي لأنهم سفهوه في رأيه حيث ارتحل عن مسكنه ومسكن أصوله بسبب الفتنة المذكورة مع أن مثلها كثير الوقوع في فوت بسبب الحراثة النيلية، والله تعالى أعلم.






الخبر عن ذرية عثمان عال حمى

وأما عثمان عال حمى رئيس أعمارناب فهو والد محمود عثمان والد دمب محمود والد تور دمب والد عال تور والد حمات عال والد بوب حمات وصمب حمات ويعرفان ببوب كد وصو كد، وأما بوب حمات فهو والد صمب بوب الذي هو تفسير صو كد سمي عمه صو كد الكبير وهو والد سري صمب والد كان سري والد باب كان الذي في بول بران الآن، وقد مات عال تور في هاير فنايب وكذلك حمات عال، وبوب حمات هو الذي رجع إلى بول، وأما صمب حمات الذي هو صو كد الكبير فعقبه إناث ويقال إن له عقباً في المغرب في ولكر بدب، ويقال لأعمار ناب هؤلاء الكاتناب لكونهم الذين يأخذون لأهل فوت ما كان يدفعه فرانس مداراة لهم من العروض، والله تعالى أعلم. وقيل: إن عال تور دمب كان قد ذهب يتعلم في مرتن إلى أن سكن في القرية هايرفنايب وتزوج هناك وولد له ولده حمات عال ثم مات هنالك وتزوج حمات عال هذا ابنة لسري عال عبدالله الحسن دوت أخت أحمد سري عال اسمها كد سري فولدت له بوب كد وصو كد وهما اللذان رجعا إلى بول بران بعد الفتنة بين فنايب وبني جم له وهي الفتنة المسماة بل هند فصار أهل فَكَّارْ يقولون لبوب كد وأخيه صو كد أنتما من ليدب فنايب ولستما منا، قلت: ولعل ذلك لِشُحّ بعض القرابة بعضاً وكراهتهم من يشاركهم فيما لهم من الأراضي الحرثية حتى أنهم قد ينفونه عنهم رأساً لذلك، وكانوا إذا قالوا له ذلك يقول لهم: بل أنا منكم لا من ليدب فما زالوا كذلك إلى أن ترافعوا إلى

ستك وتحاجوا عنده فخصمهم بوب كد، ثم لما ظهر الإسلام في ملك تورب تخاصموا عند ألمام باب أيضاً فخصمهم بوب كد أيضاً ثم ما زالوا يقولون لهم ذلك القول وينفونهم عن الانتساب إليهم حتى تقاتلوا فقتل أحد بني عال تور دمب أحداً من أهل فكار فتحاكموا عند بعض ألمامات فوت أيضاً فطلب أهل فكار القصاص فامتنع رؤساء فوت عنه وجعلوا الصلح بينهم وأمروا بإعطاء الدية فقط، فنزل سارن مل عبدل والد سارن مل بوكر والد سارن مل محمود عال المقتول في طريق الحج في هذه السنين عن فرسه وجعلت قيمتها في الدية، وكذا نزل عبدل سري والد إبرا عبدل في كبل عن فرسه وجعلت قيمته في الدية أيضاً، وهكذا إلى أن كملت الدية فرجعوا إلى مساكنهم وما زالوا يغتابونهم بهذا القول الزور المنكر إلى الآن، والله تعالى أعلم، وقد مر مثل ذلك في تاريخ ألمام عبدل رضي الله عنه.

○ ○ ○ ○ ○ ○




حياة الإمام عبدالقادر كن الصالحي الحسني، أول قائد لدولة الأئمة

مولده، نسبه، دراسته، اختياره إماماً لدولة الأئمة الفوتية، نشاطاته السياسية، إصلاحات الإمام الثقافية، وفاته.

مولده:

ولد الإمام عبدالقادر الملقب المامي عبدل ابن الفقيه حمادي الملقب الفا حمادي ببلدة (أبي APPE) سنة ١١٤١هـ /١٧٢٦م من أبوين من بطن حم جولط كن (محمد زين العابدين) ويلقب كذلك بمحمد المسلم ومحمد السّلام.

نسبه:

هو الإمام عبدالقادر بن ألفا حمادي بن الحاج الأمين بن معاد بن عبدل بن عال بن حم جولط كن بن داود بن الشريف سيد الياس (يرو) ابن هلال بن العائد بن محمد بن أحمد بن عبدالله الشريف بن هلال الصغير بن عبدالرحمٰن بن عبدالله بن هلال الدمشقي بن العائد الكناني (آيل كان) الثاني بن حبيب الله بن عبدالله الشريف (خَانْ) القادم من خراسان إلى غانة ابن هذيم بن مسلم بن عبدالله أبي الضحاك بن الحسن الشهيد بن عبدالله الشهيد بن محمد الشاعر ابن صالح (أبو قبيلة بني صالح) ابن عبدالله الرضا الشيخ الصالح

الساقي ويلقب بأبي الكرام ابن موسى الجون بن عبدالله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب وفاطمة بنت رسول الله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وأما أمه فهي الشريفة (بادل جليا) بنت بوب بن مالك بن راشد بن حم جولط كن بن داود ابن الشريف سيد الياس (يرو)[(١)].

دراسته:

تلقى سليل الدوحة النبوية الإمام عبدالقادر كن تعليمه الأول في محضرة (أبي) (APPE) ومدرسته (بير PIR) على قول، قبل أن ينتقل إلى مدرسة الفقيهة (خديجة بنت العاقل) وفي هذا المنحى كتب الدكتور عمر محمد صالح الفلاني المعروف بـ(عمربا) نقلاً عن الأستاذ الباحث الحاج محمد مصطفى آن النص التالي:

(وقد قلنا: إن نشر الثقافة الإسلامية هنا مقترن بوجود أول حاكم مسلم هنا ويصحح ذلك دور مدرسة (APPE) في السنغال الشرقية، ومدرسة (بير) في إقليم كجور، ولقد لعبت هاتان المدرستان دوراً فعالاً في نشر الثقافة العربية الإسلامية في أفريقيا الغربية عامة، وفي السنغال خاصة، ومن المعروف أن إدارة المدرستين كانت بأيدي علماء التكارير أي: الفلان، أما التي في قرية (أبي) فكانت في قلب فوتا تورو، ومنها تخرج الإمام عبدالقادر كن أول رئيس لجمهورية فوتا السنغالية، وأما التي في قرية بير فلقد لعبت هي الأخرى دوراً هاماً في نشر الثقافة الإسلامية في أفريقيا الغربية.

وهناك رواية تذكر أن الإمام عبدالقادر استوطن (أبي)، وذلك بعد تخرجه من مدرسة القاضي عمرفال، وقد تكون رواية الأستاذ محمد مصطفى آن أصح الروايات، وما إضافته إلى قائمة خريجي مدرسته (بير)

---

(١) تاريخ بني صالح، الجزء الأول، ط١، ص٧١ ـ ٢٧٢ ـ ٢٢٠.

في الواقع إلا رغبة في إعطائه شيئاً من القيمة والأهمية، لأن تلك المحضرة لها سمعتها ولشيخها مكانته واعتباره، بين المشايخ، وبالتالي فإن إضافة أي تلميذ إليها من شأنها أن تكسبه شيئاً من الوزن والوجاهة، باعتباره قد أخذ العلم من منبع أصيل غزير صاف، وقد تكون الرواية القائلة أنه تخرج منها صحيحة ولا تنفي كونه تعلم من (أب APPE) فالتلاميذ كما قلنا في باب نظام التربية والتعليم، كانوا كثيري الانتقال من شيخ إلى آخر ومن محضرة إلى أخرى، ومن النادر بل الشاذ أن يكون للتلميذ شيخ واحد من يوم انخراطه في سلك التعليم، إلى يوم تخرجه، وسبق القول: إن التلاميذ بعد اجتيازهم مرحلة (الابتدائيات) كانوا يقصدون المشايخ ليتعلموا على أيديهم فنوناً معينة أو كتباً بذاتها اشتهروا بإتقانها ليغادروهم إلى محضرة أخرى، ولذلك نرى أن نسبة طالب معين إلى شيخ واحد أنها نسبة (مجازية) أكثر منها حقيقية، والتاريخ يذكر أيضاً أن الإمام عبدالقادر كن رضي الله تعالى عنه قد درس على يد الشيخة (خديجة بنت محمد العاقل ـ من قبيلة أولاد ديمان ـ وعندها التقى بالأديب النحوي المختار ولد بونة المعروف، وظلا صديقين إلى أن فرق بينهما هاذم اللذات. . .)[1].

وخلال هذه الدراسة والتجوال بين المحاضر حفظ الإمام عبدالقادر كن القرآن الكريم وبرع في الفقه وعلوم الشريعة فأتقن رسالة أبي زيد القيرواني، وجواهر الإكليل على مختصر خليل بجزأيه الأول والثاني، وتحفة الحكام للعلامة ابن عاصم الأندلسي، وكان هذا هو أقل مستوى من العلم يمكن أن يقبل صاحبه للترشح بمنصب الإمامة[2] وإذا أردنا أن نعرف مكانة عبدالقادر العلمية فلننظر إلى نظرائه في الدراسة والمدرسة التي تخرجوا منها فقد كان الإمام الشيخ عبدالقادر رحمه الله يدرس العلوم

---

(١) الثقافة العربية الإسلامية في غرب أفريقيا/ د. عمر محمد صالح الفلاني، ص١٤٦ ـ ١٤٧.

(٢) المصدر السابق ص١٥٢ ـ ١٥٣.

الشرعية في جامعة آل العاقل: (ومن المعلوم أن مدرسة آل العاقل كانت محط ركاب طلاب العلم الأجلاء مثل ابن بونة، والإمام عبدالقادر الفوتي وغيرهما من أعلام هذه المدرسة محمد بن خالنا الذي فاق أهل عصره في شتى الفنون، كما كان حيهم مزاراً يتوافد عليه العلماء والوجهاء والأمراء من كل حدب وصوب للتعلم والتبرك ومآرب أخرى، وممن اشتهر بالعلم من هذه الأسرة خديجة بنت محمد العاقل ربيبة باب الدين، وأخت الشيخ النابغة وممن أخذ عنها: ابن بونه حسب ما يقول محمد بن أحمد بن العاقل:

وما أقرأت قوماً فلانة قبلنا   على عهد نجل بون ممن يشاهد

وتخرج على يدها الإمام عبدالقادر الفوتي أيضاً وأخوها أحمد بن العاقل ولا مانع أن يكون النابغة استفاد من دروسها في المنطق والتوحيد بصفة مباشرة، ففي بيت المختار ابن جنكي التالي إيهام بذلك:

لآل العاقل يعد النابغة   نال من أحمد العلوم السابغة

وممن تعرف عليهم النابغة من المشاهير عن طريق أشياخه الإمام عبدالقادر الفوتي. ارتبط به بوشائج المحبة والتقدير، مدحه بالقصائد وتعاطف معه وأبدى ألمه وحزنه على اندثار دولته المسلمة في نظم (أم الطريد) كما سنرى فيما بعد، وندرك من خلال التعميم التالي مكانة النابغة عند زميله الإمام الذي يقول في تعميم موجّه إلى كافة سلطات دولته يوصيهم خيراً بشيخه وصديقه:

(من أمير المؤمنين الشيخ عبدالقادر إلى مَن سيقف على الصك من قاضٍ ومفتٍ ووزير ورئيس قرية، موجبه إليكم: أعلمكم بأن حامل هذا الكتاب هو شيخي محمد القلاوي، شيخنا، فكل مَن مرّ به منكم فليُحسن إليه وعلى عياله حتى يجاوز البحر، ومَن أراد الجواز من عنده فلا يأخذ منه ولا من رفقته فتيلاً، ولا نقيراً، ولا قطميراً، ومَن امتثل ما أمر به

فجازانا وجازاه الله أحسن جزائه، ومَن خالف فلا يلومن إلا نفسه، ولله عباد حسان، والسلام).

ويقول في تعميم آخر:

(إلحاق أيضاً من أمير المؤمنين إلى رئيس كل موضع أن يضرب صفحاً عن النابغة وعن قومه من كل مَن خاصمهم من سود، وبيض) ومفاد هذه التأشيرة أن النابغة كان يتمتع بحصانة دبلوماسية على امتداد تراب مملكة فوتا الإسلامية، كما تفيد أيضاً خروجه عن تبعية شيخه باستغلال علاقته الخاصة في تحقيق استقلاله المادي والمعنوي وربما يكون تجواله هذا في خدمة شيخه. ولا تعارض بين الأمرين على ما عرفناه من متانة روابط المحبة والتضامن بين الشيخ وتلميذه الوفي)[(١)].

اختياره إماماً لدولة الأئمة الفوتية:

كتب الدكتور عمر محمد صالح الفلاني في هذا الشأن ما يلي:

دعي الشيخ/ عبدالقادر إماماً على فوتا عام **١١٩١**هـ، وعمره يومئذٍ خمسون عاماً، وتم اختيار مدينة (جيلون) مقراً للإقامة، وكعاصمة لبلاد فوتا، وهكذا استوطنها الإمام وأسرته، على أنه رغم عاصمية (جيلون) فقد كان كثير التردد على (كوبيلو Kobillo) وممارسة بعض مهامه منها، غير أن اختيار جيلون كعاصمة له مبررات أمنية واجتماعية، منها كونها تتوسط بلاد فوتا بأسرها حيث يسهل التحكم على باقي الأجزاء من البلاد، ومنها أن أهلها كانوا قد لعبوا أدواراً رئيسية في ثورة الشيخ سليمان بال، وناصروا كل مواقفه لمحاربة دينيانكوبي حتى تمّ له ما أراد وهو إسقاطهم وطرد حلفائهم من الشماليين ففي كل الحروب التي خاضها الشيخ سليمان كانوا ظهيره الأيمن، وأبلوا فيها بلاءً حسناً، فثبت أنه يمكن الاعتماد عليهم شجاعة، ووفاء.

---

(١) النجم الثاقب في بعض ما لليدلي من المناقب/ تقديم وتحقيق الأستاذ محمذا ولد باباه، المطبعة المدرسية بالمعهد التربوي الوطني، ص١٠ ـ ١٣.

وعندما تم تشكيل الدولة اختير ستة رجال (كعمداء) وهو ما يسمى باللغة الفلانية: (جاقورطي Jaagorti)، وهو موضع أمانة الشيخ في حل المشاكل الأمنية، والاجتماعية، وفي مسائل الحرب والسلم، على أنه يجوز إضافة غيرهم إليهم إن دعت الضرورة لذلك، كذا الاستغناء عن بعضهم حسب المصلحة العامة[١].

مراسيم تنصيب الإمام:

رفض الإمام عبدالقادر تولي الإمامة فلحّ عليه البرلمان بالقبول، فقبل بشرط أن يحلف أعضاء البرلمان البالغ عددهم **٥٠** شخصاً ألا يخونه أحد منهم، فأقسموا كلهم وأعطوه عهدهم وميثاقهم على ذلك، يقول الشيخ موسى كمرا:

وذهبوا إلى (جب دل) عند جربول، فبايعوه عندها وهي بلدة بين بوسيا وهبيابي فلما بايعوه قال لهم: فلنقرأ القرآن كله هنا الآن، فقرؤوه، ثم قال لهم: فلنقرأ المدائح النبوية لابن مهيب فقرؤوها كلها، ثم قال لهم: فلنقرأ دلائل الخيرات كله فقرؤوه كله، ثم قال: فليتعاهد العلماء على أنهم لا يرونني في معصية إلا ونهوني عنها.

فتعاهدوا على ذلك، ثم قال: (فليتعاهد (جاقرطي: النقباء) وهم عال سيد، نقيب (كليا بي يرلابي) وعال دندو نقيب (دابيا وكناكري) وسلي عمر نقيب (سلانابي) ورنجاونابي، ساخودندو وسود، ونيل، وسويني رئيس جاكورنابي ونقيب أوروبي كدي، وكالومبال، وحمدي علو رئيس جوكلنابي (وهؤلاء هم أصحاب العصبيات) فليتعاهدوا على أن أهل العلم إن اتفقوا على شيء وأمروهم به أو نهوهم عنه أن يمتثلوا أو يجتنبوا، فليتعاهد على ذلك).

وهو بمثابة أداء اليمين القانوني ويختلف الأستاذ الشيخ عمر باه مع

---

(١) الثقافة العربية الإسلامية في غرب أفريقيا، ص**١٥٤ ـ ١٥٥**.

الشيخ موسى كمرا في الرأي إذ يرى الشيخ عمر باه بقوله: (اختار الفوتيون مدينة (بالاجي) لتنصيب الإمام لغنى السكان ووفرة المياه وأسباب أخرى أمنية، وقيل: إن السبب في هذا الاختيار هو غنى سكانها الذين يستطيعون به استضافة جميع الأعيان والوجهاء والوفود التي تحضر لمبايعة الإمام).

ويرى أن موقع (بالاجي) يحميهم من خطر الستكي الذي ما زال نظامه قائماً وكذلك من خطر القبائل الشمالية، وقد يعود أيضاً الاختيار لموقع المدينة الاستراتيجي وبدأت مراسيم التنصيب على النحو التالي:

(جلس الإمام على فروة مدبوغة من الجلد متجهاً إلى القبلة، وأحضرت عمامة بيضاء قامت جماعة خاصة بتكويرها على رأسه).

ويشرح المؤرخون المحليون هذه الخطوات من المراسيم قائلين:

١ ـ إن الاتجاه إلى القبلة، يرمز إلى شهادة أن لا إلٰه إلا الله، وأن محمداً رسول الله.

٢ ـ إحضار العمامة البيضاء، يرمز إلى عظمة المسؤولية التي يحملها الإمام عن الأمة والاحتراز عن الانحراف، والوقوع في الأخطاء، لأن ذلك سوف يكون له أثره السيئ على الرعية والحكومة على السواء كما تؤثر الأوساخ على القماش الأبيض.

٣ ـ قيام جماعة من الأعيان لوضع العمامة على رأسه يرمز إلى أن هذه الهيئة الممثلة للشعب، من مركز القوة بحيث تستطيع دائماً نزع تلك العمامة عن رأس الإمام[1].

وبعد مراسيم تنصيب الإمام تحرك موكبه قاصداً مدينة (شلن) التي تبعد عن المكان حوالي ١٤كلم في جو من الفرح والغبطة والسكينة والوقار...

(١) الثقافة العربية الإسلامية في غرب أفريقيا ص١٥٥.

نشاطاته السياسية والإدارية:

ما إن انتهت مراسيم تنصيب الإمام عبدالقادر كن كأمير لإمارة دولة الأئمة الفوتية الإسلامية حتى انبرى في تنفيذ ما وعد به قادة وزعماء الحركة الإصلاحية، شعوبهم الفوتية إن هم وصلوا إلى السلطة، حيث رسم الإمام وقواده من زعماء الحركة الإصلاحية الخطوط العريضة لسياستهم الداخلية والخارجية والتي يمكن إجمالها في النقاط التالية:

أ ـ تحقيق الأمن.

ب ـ تأمين الغذاء من خلال الإصلاح الاقتصادي.

ج ـ الإصلاح الإداري.

د ـ الإصلاح الثقافي من خلال التركيز على التعليم، ونشر الوعي بين العامة.

هـ ـ حماية الحدود الخارجية وتوسيع رقعة الإمارة الإسلامية وذلك بالقيام بفريضة الجهاد وإقامة علاقات طيبة مع كل مَن لا يعترض أو يعارض سياسة الإمارة الإسلامية.

وفي إطار الإصلاحات الإدارية، تمّ تقسيم البلاد إلى سبعة أقاليم رئيسية يحتوي كل إقليم على مديريات أو بلديات أساسية، يرأس عاصمة كل بلدية إمام عضو في قائمة الأئمة الفوتية، وهذه الأقاليم السبعة هي:

١ ـ **طورو**: وقاعدتها في السنغال «فدور» وفي موريتانيا «أنتيكان» الولاية السادسة.

٢ ـ **هاليبي**: وقاعدتها «دبانكو» الولاية الخامسة[١].

٣ ـ **لاو**: وقاعدتها «دبانكو» الولاية الخامسة.

٤ ـ **يرلابي هبيابي**: وقاعدتها في السنغال فدور، وفي موريتانيا

---

(١) الثقافة العربية الإسلامية في غرب أفريقيا ص١٥٦.

دبانكو وباني وبابابي وجونابي (الولاية الخامسة).

٥ ـ **بوصيا**: وقاعدتها في السنغال «ماتم»، وفي موريتانيا كيهيدي «الولاية الرابعة».

٦ ـ **قنار**: وقاعدتها في السنغال «ماتم» وفي موريتانيا كيهيدي الولاية الرابعة.

٧ ـ **دمغا**: وقاعدتها في السنغال ماتم وفي موريتانيا كيهيدي ومقامه الولاية الرابعة[١].

كما يوجد بكل إقليم من هذه الأقاليم برلمان مصغر يتبع للبرلمان الرئيسي مما يدل على أن الإمارة الإسلامية كانت تشكل نموذجاً مصغراً للخلافة الإسلامية، وذلك باعتماد مجلس الشورى، إضافة إلى نظام فدرالي يتمتع كل إقليم فيه باستقلاله الذاتي ويدار من قبل برلمانه الخاص مع الولاء والطاعة للقيادة العامة التي اعتمدت القرآن الكريم دستوراً لها، واتسمت سياستها بالحزم والصرامة في تطبيق شرع الله إلى درجة أن وصفها أعداؤها بالتشدد المفرط في إقامة الحدود، ويحدد المختار ولد حامد البرلمانات بقوله:

واللقب الشرفي لرئيس الدولة «الإمام».

والألقاب الشرفية لهذا البرلمان هي «جاغرغد» ومفرده جاغرد وكان هؤلاء جاغرط كالآتي:

١ ـ جاغرد عن يرلابي بيت وآليدي من «فدور» دبانقو ولقبه «آن».

٢ ـ جاغرد عن بوسيا من «دابيا» ولقبه: كان جلو.

٣ ـ جاغرد عن يرلابي جيرن وهبيابي من «فدوردبانقو. ولقبه: با من قرية أمبولو».

(١) موسوعة حياة موريتانيا، الجزء الثلاثون، ص٢٣٧.

٤ ـ جاغرد عن انكنار دمكا «ما تم كيهيدي» من قرية كاول، ولقبه: آني ولقبه الشرفي الفكي.

٥ ـ جاغرد ثان عن بوسيا الشرقية يحمل لقب: لي من قرية شلن «ماتم كيهيدي» ولقبه الشرفي: شرنومولي.

٦ ـ ممثل ثالث عن بوسيا الغربية ولقبه «أج» بجيم فارسية «ماتم وكيهيدي» ولقبه الشرفي: الماي.

٧ ـ جاغرد عن «لاو» ولقبه الشرفي: المامي.

وهكذا كان هؤلاء المندوبون ينقسمون في مناطق فوتا تورو[١].

ولمواصلة إصلاحاته الإدارية قام الإمام عبدالقادر كن بدمج وإشراك جميع فعاليات الشعب في الحكم والمؤاخاة بين بوسيا ويرلاب حيث دعا إلى تضافر جميع الجهود، وتذليل كل العراقيل والصعوبات التي كانت تحول بين تآلفهم، وقد تجسد الاندماج والاشتراك السياسي بشكل واضح في ثلاث مستويات رئيسية حسبما كتبه ابن عمر بوسو:

أ ـ اعتماد الإمام عبدالقادر على القضاة الذين عيّنهم في المساجد التي أسسها خلال تفقده لأحوال الأمة.

ب ـ كما اعتمد على الزعماء الدينيين المنتمين للأسر التالية:

ـ (سيلانابي) في شلن في إقليم دمقا.

ـ (سيسيبي) في سي يوم الواقع في إقليم تورو.

ـ (بروبي وساخوبي) في إقليم تورو.

---

(١) المصدر السابق ص٢٣٦ ـ ٢٣٧.

ـ (كنهانبي) في جميع أنحاء فوتا.

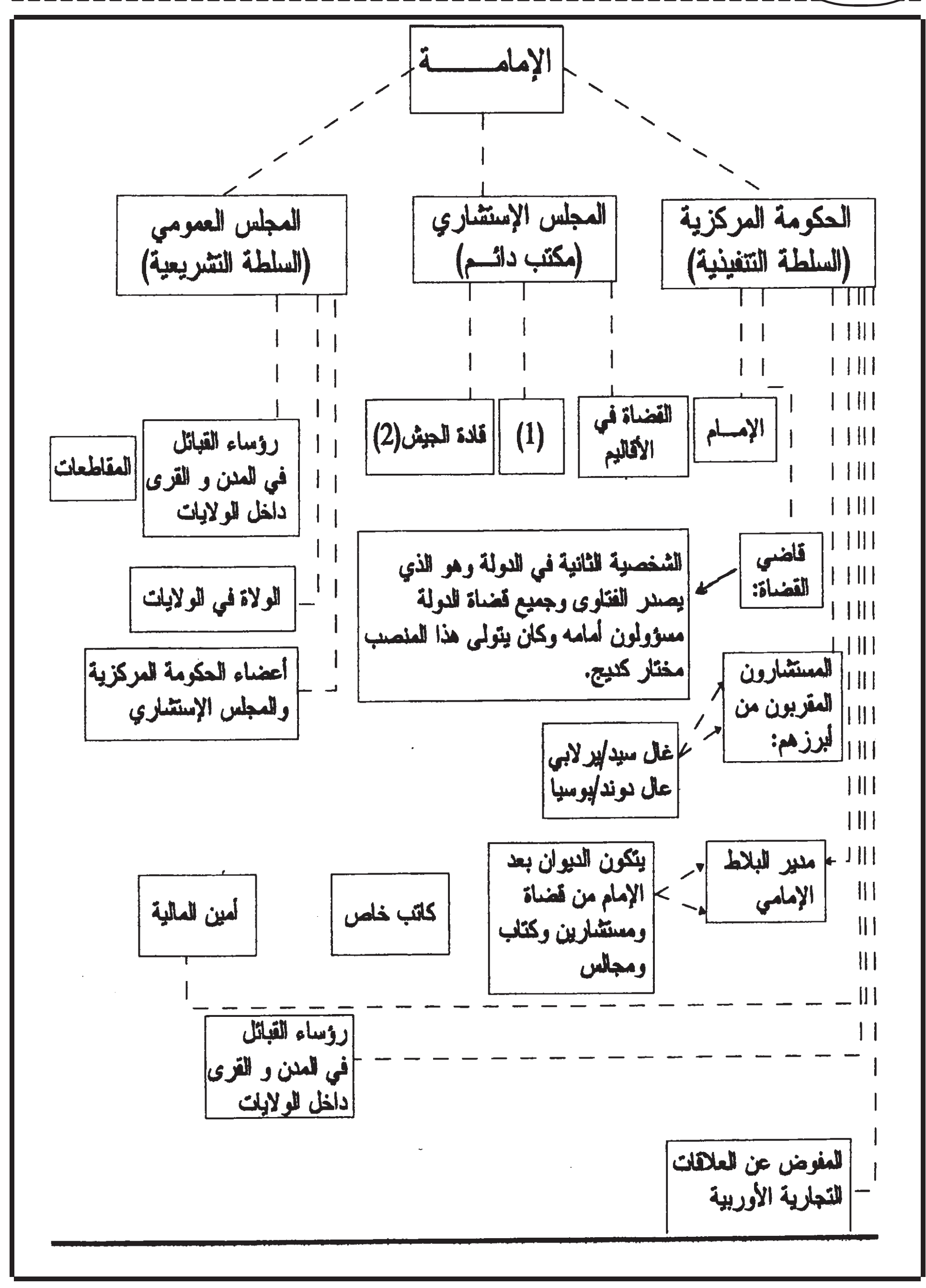
ج ـ الأعيان والعصبيات، ويمكن تقسيمهم إلى قسمين:

القسم الأول: ويتمثل هذا القسم في الأسر العريقة من: الأمراء والحكام السابقين وأصحاب الألقاب والرتب العالية مثل: «فربات، وأرطات، وفرمبالات، وكملينكوجي، ولوكوبي».

القسم الثاني: ويتمثل في أولئك الذين أبلوا بلاءً حسناً في المعارك التي خاضتها الحركة طيلة «سبع سنوات» منهم: جاوبي جمبو، وبعض القبائل من هبيابي وبوسيابي أمثال دابيانابي، وجاكورنابي وبوكينابي وجوكالنابي وبالاجنابي وهم جميعاً في الهيئة التي تنتخب الإمام، ولكن الكثير منهم فقدوا هذه المناصب بعد اغتيال الإمام عبدالقادر ولم يتمكنوا من استعادتها إلا في عهد البوكر، وكانت هذه المناصب في أيدي الزعماء الدينيين، وبهذا الاندماج السياسي تمكن النظام الإمامي بقيادة عبدالقادر كن من أن يحافظ على الاستقرار السياسي وعلى وحدة البلاد وتماسكها وتلاحمها سواء بين القمة والقاعدة أو بين مختلف مكونات الشعب الفوتي في مختلف الأقاليم، مما أكسب الإمام والرعية الثقة بالنفس التي تمنحهم شحنة معنوية ودفعة قوية للسير قدماً إلى مستقبل مشرق وضّاء وبخطى ثابتة.

وللتذكير فإن هذا التنظيم الإداري المتطور الذي نراه في الجدول يدل على عبقرية وحنكة المسلمين خاصة إذا علمنا أنه في تلك الظرفية حصلت أمريكا على استقلالها سنة **١٧٧٦**م، وأن الثورة الفرنسية لم تولد إلا في سنة **١٧٧٩**م، ومن الغريب جداً أن تدّعي أمريكا أو فرنسا أو مَن استيقظ بثورتهما في أوروبا، أنهم يعلموننا الإنسانية والديمقراطية والمدنية، وحقوق الإنسان ونحن في الألفية الثالثة[1].

(١) أبو بكر خالد أثر الحركة الإمامية ص**٢٠٥**، نقلاً من رسالة النظام الإمامي في فوتا تورو/ ابن عمر بوسو، ص٤٠ ـ ٤١.



---

(١) كلي آمدو ممدو مذكرة نهاية الدراسة/ مقومات الاستقرار والاستمرارية الاضطرابات ص١٧ (بالتصرف).

ـ بوسيا	عبدالقادر كن (كبل جاوبي) = ١ ممد مامود (آنيام ورو سيرى) = ٢ مامود كمب (آنيام ورو سيرى) = ٣ مصطفى (هورى فوندي) = ٤	4
ـ انقنار	سرى له (أوج) = ١ مختار مودبو (دندو) = ٢ آمد باب له (أوج) = ٣ ممد تفسير مامود آن (كجلون) = ٤ إبراهيم جاترا آن (كاوول) = ٥ سيبويه (أوج) = ٦ ممد بود (أوج) = ٧	6+1 / 4أوج = 7 / 4
ـ يرلابى	حمات سي (دبي) = ١ ممد لمن سي (دبي) = ٢	2
ـ هبيابي	يوسف سري له (جاب) = ١ آمدو دمب سرى له (جاب) = ٢ باب له (جاب) = ٣ مالك آمد اتيام (جاب) = ٤ انجاي عال (جاب) = ٥	5 / 5
ـ لاو لاو	حمات لمن باب (بود) = ١ عال تيرنو (امبمبا) = ٢ بران ون (امبمبا) = ٣ بوبكر بال (بودي) = ٤ سرى حسن (هاير لاو) = ٥ ممد بران (امبمبا) = ٦ سيرى عال تيرنو (امبمبا) = ٧ راسن ممد انجاي (مدينة) = ٨ الحسن برو (جالو) = ٩ بران (امبمبا) = ١٠	13
	ممد مالك باب لي (امبمبا) = ١١ ساد ايرا ون (امبمبا) = ١٢ ممد مود بال (فكير) = ١٣	13 (*)

(*) هكذا وردت في الأصل.

وظل الإمام يحاول تنفيذ البرنامج الموضوع على المستويين الداخلي والخارجي، وبعد الزيارة التفقدية التي قام بها إلى مختلف مناطق فوتا تورو للتعرف على مشاكل المواطنين عن كثب، والقيام بالإصلاحات السياسية والاجتماعية والإدارية مركز اهتمامه على مشكلة اجتماعية أخرى والتي أملتها على فوتا تورو أطراف خارجية، وفي مقدمتها فرنسا التي وضعت أقدامها على سنلوي منذ سنة **١٦٥٩**م، ومنذ ذلك الحين ما انفكت فرنسا تمارس التجارة النخاسية وتدافع عنها بحماسة وأنشأت محطة خصيصاً لهذا الغرض وتمكنت من تغيير نوعية التجارة التي كانت سائدة في المنطقة، ولجأت إلى سياسة فرق ـ تسود ـ ونجحت في تكوين الحلفاء والشبكات التي توفر لها الاكتفاء الذاتي، وكان النظام السراتيكي يتعامل كباقي أنظمة المنطقة مع التجار الأوروبيين، إلا أنهم تلقوا ضربة موجعة بمجيء الإصلاحيين بقيادة سليمان بال والذين تمكنوا من إقامة نظام تيوقراطي يعتبر إزالة الاسترقاق من أولى أولوياته، حيث كانت هذه التجارة النخاسية ـ تسبب لرعيته الخوف والفزع والهلع والاضطراب ـ فضلاً عن عدم شرعيتها، وقد نجح الإمام عبدالقادر كن في القضاء على هذه الظاهرة الاجتماعية الخطيرة.

والرسالة التي بعث بها الإمام عبدالقادر إلى الحاكم الفرنسي «بلنسو» بسانلويس **١٧٨٩**م، تظهر بوضوح موقف النظام تجاه الاسترقاق، وهذا نص الرسالة:

«نحن نحذركم بأن أولئك الذين سيأتون إلينا من أجل ممارسة تجارة الرق سيقتلون وكذلك الحال إذا لم تعيدوا إلينا أبناءنا الذين في أيديكم، نحن لا نريد إطلاقاً أن تشتروا المسلمين لا من قريب ولا من بعيد، ونكرر القول إذا كانت أهدافكم دائماً هي شراء المسلمين فعليكم أن تمكثوا في بلادكم ولا ترجعوا إلى بلادنا فليتأكد الذين سيأتون إلى بلادنا لهذا الغرض أنهم سيلقون حتفهم».

وسمح النظام الإمامي للأوروبيين بممارسة نشاطاتهم التجارية ما عدا تجارة النخاسة وخصص لهم مرفأ في صلدي «تبقت» يمرون به إجبارياً حيث يتم تفتيش بضائعهم من طرف مسؤول خاص عين لهذا الغرض ويدعى «الكاتي مبول» للتأكد من التزام الأوروبيين بالمعاهدة.

وبعد التفتيش يقدم التجار الأوروبيون الإتاوات طبقاً للاتفاقية **١٧٨٥م**، وكان قد بعث الإمام عبدالقادر كن إلى الحاكم الفرنسي رسالة مماثلة أصرّ فيها على مطالبته من الحاكم الفرنسي بإيقاف بيع المسلمين وهذا هو نص الرسالة:

«لا أريد أن أسمع من جديد بيع المسلمين لا من قريب ولا من بعيد وخلافاً لما حدث سلفاً يجب أن تتوقف عن بيع المسلمين من الآن فصاعداً، وأريد أن تفهم هذا وتنصاع كي لا تنجم عنها عواقب وخيمة».

وردّ «بلنسو» بالإيجاب وبالتالي حدث اتفاق بين الطرفين سنة **١٧٨٥م**، ووعياً منه أن الكفار لا يمكن الوثوق بهم عيّن رجلاً اسمه «مبول» للتحقق من التزامهم بالمعاهدة في قرية سالدي حيث تفتش سفنهم كلما رست بـ«سلندي تيجيت» ويلقب هذا الرجل بالكاتي مبول.

وسرعان ما خان الاستعمار ـ كعادته ـ العهد، وعندما علم الإمام عبدالقادر بذلك سارع إلى إعلان الجهاد ضد العدو ولبّى دعوته الفوتيون لأنهم كلهم مسلمون وعلى مذهب الإمام مالك ـ رضي الله عنه ـ ولذا كان الإسلام الركيزة الأساسية للسياسة الإمامية.

السياسة الخارجية للإمام عبدالقادر كن:

وعلى الصعيد الخارجي: فقد أخذت سياسة النظام الإمامي بصفة عامة بُعدين:

ـ دعم المسلمين والدفاع عنهم أينما كانوا وكيفما كانوا.

ـ محاربة الأنظمة التي لا تحكم بالشريعة وإن كانت مسلمة.

ويعتبر الجهاد من أولويات سياسة الإمام عبدالقادر الخارجية مما جعله ينادي إلى الجهاد في سبيل الله، فجهز جيشاً قوياً مكّنه من القيام بهذه المهمة على أكمل وجه، وذلك بعد تحقيقه الأمن الداخلي وهذا ما دفع بالعديد من الأنظمة المجاورة إلى اتخاذ مواقف عدائية ضد الإمام عبدالقادر ولا سيما تلك المتحالفة مع التجار الأوروبيين كالترارزة ووالو، لأن الإمام عبدالقادر بات يهدد مصالحهم ورغم هذا الموقف الذي يتبناه أمير الترارزة تجاه الإمام إلا أنه شخصياً يعترف بإسلامهم وبسلطتهم مع وجوب تقديم الدعم والنصرة لأمير المؤمنين الذي نادى إلى الجهاد في سبيل الله.

ويتضح موقف الإمام من خلال الرسالة التي بعث بها إلى أمير الترارزة وهذا نصها: «رسالة الإمام عبدالقادر أمير بلاد فوتا إلى اعلي الكوري أمير الترارزة، بعد البسملة والحمدلة، من أمير المؤمنين لبلاد فوتا عبدالقادر الفوتي ابعث إلينا خمس جياد لمساعدتنا على الجهاد الذي ننوي القيام به والسلام على مَن اتبع الهدى والضرر على مَن رأى الحق ونأى وأعرض عنه، ونسأل الله الرحمة والغفران، وعلى أنبيائه الصلاة والسلام، المرسل «عبدالقادر الفوتي إمام فوتا»».

وعندما قرأ أمير الترارزة الرسالة وفهم محتواها رماها، ولما عاد حامل الرسالة إلى الإمام عبدالقادر وأخبره بما وقع حزن عبدالقادر حزناً شديداً لأنه كان يعتقد أن الرابط الديني أقوى من الروابط التي تربط أمير الترارزة بالكفار الأوروبيين وبوالو الوثنيين فأعد الإمام جيشاً قوياً مكّنه من غزو إمارة الترارزة والانتصار عليها.

انظر قصيدة ولد بونه التي يمدح فيها الإمام بعد انتصاره على أمير الترارزة.

ولم يذكر الشيخ موسى كمرا القتلى من الفوتيين، لكنه ذكر بعض

الجرحى من الفوتيين من بينهم تفسير مك/ رحاب، وتفسير أحمد حمات/ كنل، وكان الإمام قد أخرجه من كنل وأمره بالرجوع إلى بمب، وكلاهما مات بعد العودة متأثرين بجروحهما، وكان الإمام عبدالقادر قد عين تفسير أحمد حمات قائداً للجيش.

ويرجع توتر العلاقة بين الإمام عبدالقادر وأمير الترارزة بشكل كبير إلى فرنسا التي زعمت وأوحت كما يوحي الشيطان بأن الأمير هو الذي يستحق أن ينادي إلى الجهاد في سبيل الله، لأنها تخشى الرابط الديني الذي يربط الإمام بالأمير، وتعرف حق المعرفة أنهما إذا اتحدا وتفاهما فلن يكون لها موطئ قدم في النهر.

وإن كان تقاعس أمير الترارزة عن الجهاد في سبيل الله بالنفس والمال كما يرى عبدالقادر هو السبب المباشر في إعلانه الحرب على اعلي الكوري، فإننا يجب أن لا ننسى أن هناك أسباباً أخرى خفية وتتمثل في العلاقة بين بني حسان والزوايا وخاصة بين أولاد «أحمد ابن دمان» القبيلة التي ينتمي إليها اعلي الكوري وقبيلة أولاد ديمان التي ينتمي إليها ناصر الدين، وجل أئمة فوتا تورو قد درسوا عند الزوايا كالشيخ سليمان بال قائد الحركة، والإمام عبدالقادر وغيرهما وتأثروا بشيوخهم وخاصة أن الأوضاع التي تعيشها قبائل الزوايا لا تختلف كثيراً عن الأوضاع التي يعيشها الفوتيون قبل الثورة وبالتالي فإنه يجمعهما هذا القاسم المشترك «الظلم، الاستبداد، عدم تطبيق الشريعة، الفوضى...».

أضف إلى ذلك الحنين والتقدير والإخلاص، الذي يكنه زعماء الحركة لزعيمهم المغتال ناصر الدين، وكذلك تحالف أمير الترارزة مع والو وفرنسا ضد المسلمين، وكان رفضه لمطالب الإمام بمثابة قطرة أصابت الكأس، وكان الإمام قد لجأ إلى أسلوب تكتيكي فقد غزا والو في الوقت الذي تحارب فيه الترارزة مع البراكنة وانتهز انشغال الترارزة بالحرب فشنّ حرباً على والو الحليف التقليدي للترارزة، وتمكن من اجتياح والو

واحتلال العاصمة دقانا وفر برك «لقب ملكهم، ولنيجر لقب الملكة»، فرا لاجئين إلى مملكة كيور دمل كيور (ويرى البعض أن برك والو رجع تحت شروط منها قبول الإسلام، أي: إن أسلم ودخل في دين الله بإشارة من سبب البور «أعيان فريند تجريل»، إذ حثوه أن يعلن إسلامه وعندما يرجع الإمام إلى وطنه يرده، فقبل المشورة وعندما عاد الإمام إلى فوتا تورو رفض ملك والو الرجوع عن دينه، فانقسم الأعيان وانشق بعضهم وأعلنوا الانفصال عن المملكة وأدى ذلك إلى انقسام العاصمة إلى جزأين وهو معنى كلمة دقانا واستولى بعضهم على داره وقتل وأسر العديد من أتباعه ومن بين الأسرى أربع بنات، بنتاه: فاتو بكرو، وإرم جلت، وبنتا أخيه، مريم أميوم، وفربوج)[1]. وكانت تقع عاصمتهم في المكان الذي يوجد فيه اليوم حي جربل وهو من الأحياء الشرقية لمدينة روصو عاصمة ولاية الترارزة بموريتانيا، وفي هذا الموضع تزوج محمد الحبيب أمير الترارزة بـ«لنجير امبوج» أميرة والو «جمبت امبوج» مما أدى إلى تدخل فرنسا لحماية مصالحها المهددة من طرف قائدها سين زرمين، وتمت الإطاحة بفاربند، ووضعوا مكانه خريفي خارى Kharifkhari وطالبوا من فاربند الاعتراف بالنظام الجديد ثم طردوه خارج البلاد وانضم إلى محمد الحبيب ودامت الحرب عدة سنوات من **١٩** يونيو **١٨٣١**م، إلى **١١** سبتمبر **١٨٣٣**م، وتمكن فربند من العودة إلى الحكم سنة **١٧٨٥**م، أي: السنة التي هاجمه فيها الإمام عبدالقادر، وكان جيش الإمام قد التقى، مع جيش والو في «سافتو» بين جد خار، وكورامباي، من الغرب وتمكن الجيش الإمامي من عبور النهر واحتلال العاصمة وطلب من ـ برك ـ مستشاروه الاستسلام والتظاهر بالإسلام، ثم يرتد عندما تتغير الأوضاع، مما أدى إلى انقسام العاصمة فيما بعد ـ كما رأينا ـ وانضم جيش فربند إلى جيش الإمام في حربه مع دمل كيور سنة **١٧٩٦** وحالف الإمام النصر في بداية المعركة لكنه عانى الأمرّين في نهايتها.

---

(١) الشيخ موسى كمر: زهور البستان ص٥٤٦ ـ ٥٤٧.

ويقول الشيخ موسى كمرا: «فلما دخل جيش فوتا أرض» ـ دمل ـ وناشبوه القتال هزمهم وهرب رؤساؤهم إلى أطراف بلادهم واجتمعوا هنالك يتشاورون فيما بينهم في حيلة لدفع هذا الجيش عنهم وعدده ٣٠٠٠ والإمام نازل في أنهارهم كما قيل، فقام فلاني من وطابي من قبيلة هنترب الساكنة هناك... وقال: إنما أريد أن أهلك الإمام وجيشه بحيلة، ثم قال لدمل: اجتمع بجيوشك عند بنكود وانتظروني هنالك، ثم ذهب الفلاني إلى الإمام وبايعه، وادعى أنه تلميذ له ناصح، معين له على أعدائه، ثم قال له: لو تجاوزت إلى بنكود لكان أروع لجيشك لأن هناك بحراً عميقاً لا يغور شتاءً ولا صيفاً، فقبل الإمام قوله ظانًّا أنه من الناصحين، ولم يعلم أنه من أهل النفاق والخداع، ثم أمر الإمام جيشه بالارتحال والتوجه نحو بنكود ومن ثم سألوه عن الماء[1]. فقال: غير بعيد، وهو يعلم أنهم لن يصلوا إليه إلا بعد تعب وعطش شديدين، فذهبوا إلى أن تعبوا وعطشوا فلما أشرفوا على الماء قال: انتظروني حتى أتفقد البحيرة خوفاً أن يكون عندها الأعداء، ولم يعلموا أنه يريد أن يُعلم جيش دمل بقدومهم في تعب وعطش فادحين، فقام جيش دمل إليهم بالبارود فانهزم جيش الإمام، فقتل من قتل منهم وأُسر من أُسر، فمن بين المقتولين سيرى سكيل، وسيرى درو فالمف، والد بيد فالمف، وغيرهما، وطلبوا من دمل إطلاق سراح عال دندو، وقبل دمل وألقي القبض على الإمام وبقي في السجن سنتين وقيل: ثلاث سنوات وقيل: سنة واحدة ثم أطلق دمل سراحه وأعطاه ٢٠٠ فرس كما يقال وأطلق معه قومه فرجعوا آخذين طريق جلف إلى بك...

وقد سمعوا أن أهل فوتا قد ولوا عليهم ألمام حماد بال من قبيلة الشيخ سليمان بال أهل نسود، وتخلى عن الملك بعد رجوع الإمام، ثم بايع الإمام عبدالقادر وطلب منه العفو، فعفى عنه الإمام وعيّنه عبدالقادر إماماً لمسجده.

---

(١) أبو بكر موسى، مملكة والو طبعة رقم ١٦٦٠٨ سنة ١٩٨٤م، ص٢٠٥.

إصلاحات الإمام الثقافية:

كان أول خطوة خطاها الإمام عبدالقادر كن على درب توطيد وتدعيم أركان دولته الفتية هي الأمر ببناء المساجد ورعايتها ومن ثم تحويلها إلى جامعات إسلامية لنشر الثقافة الإسلامية واتخاذ أهم القرارات السياسية، حيث وضع الحجر الأساس لبناء مسجد جامع في كل قرية أو مدينة حلّ بها، مع احترام شروط بنائه.

وعيّن لكل مسجد إماماً «ألمان» وهو القاضي الرسمي والمعترف به من الإمام، والقاضي هو المخول بالإفتاء وهو أيضاً مكلّف بمهنة التعليم وإبلاغ الأوامر وغيرها من الخدمات الاجتماعية وعين في كل مسجد مدرساً للقرآن ومدرساً للفقه وأحياناً يتولى القاضي القيام بجميع هذه الأمور، ومن المساجد الجامعية التي أسسها واعتمد أئمتها المساجد التالية، ذاكرين أسماء أئمتها، ومواضعها، والأقاليم التي توجد بها، دون ذكر أسمائها، كما هو مبيَّن أمامك في الجدول:

الرقم	الاسم	البلدة	الإقليم
١	ألمان عبدالكريم	هارون	دمغا
٢	تيرنو ألفا راسن	هركجر	دمغا
٣	آمد تيرنو جيفا	محمد هناري	دمغا
٤	محمد دمبا	فم حاردمبي	دمغا
٥	عبدالكريم جاوند	كنل	دمغا
٦	تيرنو حمد صديك «صديق»	أوكو	
٧	تيرنو صمب ليل	بناجي	انقنار
٨	ألمان تيرنو سيول أحمد	نباج سول	انقنار
٩	ألفا عمر تيرنو فنيبي	اندلوا ماج فليبي	
١٠	تيرنودمبا	دومقا روسري	انقنار
١١	ألمان نيقا	بكي جوي	انقنار
١٢	تيرنو سري	انقجلن	انقنار
١٣	ألمان مودو بويا	دوندو	انقنار
١٤	حمي سانون توري	جول	انقنار
١٥	ألمان الفقي «الفقيه»	جاول	انقنار
١٦	الإمام الأكبر عبدالقادر كَنْ	كبل	بوسيا
١٧	تيرنومولي	تيلن	بوسيا
١٨	ألفا عمر باه	حوري فوندي	بوسيا
١٩	تفسير آمد صمبا «بكل»	جاب	كبيابي
٢٠	تيرنو كليابي	قليا	بوسيا

الرقم	الاسم	البلدة	الإقليم
٢١	ألمان تيرنو سيول	آنيام سيول	يرلابي
٢٢	ألمان بيلا راسين «راشد»	بتى	لاو
٢٣	جيرنو وانوانبي	بمبا	لاو
٢٤	جيرنو يوسف بوسوبي	كلليري	تورى
٢٥	جيرنو باروبي	هاير	ديمات
٢٦	ألمان بوبكر كن	ديمات	تورو
٢٧	جيرنو بودى	سلا	بوسيا
٢٨	جيرنو سلانابى	سلا	بوسيا
٢٩	ألمان جيرنو مولل والو	ملل والو «كيهيدي»	بوسيا
٣٠	ألمان رنجو	رنجو	بوسيا
٣١	ألمان انجاجبي	انجاجبي «مدينة، جودي»	انجاجبي لاو
٣٢	جيرنو دقان	دقان	ديمات
٣٣	ألمان فني	فني	ديمات
٣٤	ألمان ديمات	جلمات	ديمات
٣٥	ألمان انجيقا	كدى	تورو

وقد شيّد الإمام عبدالقادر عدة جامعات في ربوع دولة فوتا الإسلامية وقد كتب عمر صالح با في كتابه «الثقافة العربية الإسلامية في غرب أفريقيا» حول الموضوع الفصل الآتي:




مدينة (نقيجيلون) والدراسات العربية الإسلامية

كان على مؤسسي مدينة نقيجيلون أن يسموها (الرباط) لأنها عمرت أساساً لتكون بمثابة الجبهة الأمامية لحماية البلاد (فوتا) من غارات الصحراويين، والمعلوم أن العلاقات بين الإمام عبدالقادر كَنْ، وقبائل الشمال، ما كانت صافية ولم تكن تلك القبائل تُكنُّ وداً ومحبة لأهل الجنوب نظراً للأخوة الإسلامية التي تربط أهل شمال وجنوب غرب أفريقيا كلًّا.

ذلك لأن الثورة التي قادها الفوتيون ـ بقيادة الشيوخ ـ كانت أساساً موجهة ضد حكومة دينيانكوبي وحلفائهم من الشماليين، والشماليون ـ كمستفيدين ـ كانوا يرغبون عن هذه الثورة، ويعملون على إبقاء دينيانكوبي، ولم ينظروا إلى هذه الثورة على أنها ثورة إسلامية، وإنما وصفوها بأنها تمرد وعصيان، كعادة أي مستفيد من وضع ما فإنه يرى الطرف الآخر على أنه خارج عن الصواب، ومارق عن الطريق المستقيم، وإن كان المجتمع مجتمعاً دينياً، فسرعان ما يتهم المقاومون بالكفر والإلحاد والخروج عن ملة الإسلام، وكأن الإسلام يطلب من الناس الخنوع، والاستسلام، والقبول للصيغ غير العادلة، والممارسات الظالمة، ولما طردهم الشيوخ بعد الانتصار على دينياكوبي، ظل الحسانيون ينظرون إلى النظام الجديد في فوتا على أنه نظام معاد، لأن فوتا ـ كما مر ـ كانت مورد

رزق، ومصدر خيرات للقبائل الشمالية الحسانية المتسلطة، فالمستفيد من الوضع يناوئ أي تبديل يستهدف الوضع القائم، ويعتبر الذين يقاومون الوضع، ويسعون إلى قلبه بصفتهم هم المستضعفين المظلومين، على أنهم عصابة من العصاة المتمردين المخربين المجرمين، فالمصالح عندما تتضارب، وتختلف، فإن من الصعب توحيد وجهات الأنظار، لقد رأينا ـ فيما مر ـ أن من بين الإجراءات التي اتخذها الشيخ/ عبدالقادر ـ كسياسة داخلية لحماية أمن الناس ـ أنه أرغم بعض المدن بالانضمام إلى الأخرى وأجبر بعضها على الارتحال عبر النهر للعيش في غربه جنوباً، وهي إجراءات وقائية، لأنه كان يحس شعور مناوئيه من الشمال، وكتقوية لسياسته الدفاعية فإنه شرع ينشئ مدناً ـ كخط دفاعي أول ـ حيث تكون هذه المدن بمثابة الحصون أو التروس لمملكته.

لقد كان من بين تلك المدن، مدينة نقيجيلون... جاء في كتاب «الأدب السنغالي العربي»[(١)] أنه (كان الأمير عبدالقادر قد أمر سبيّ كليابي بالارتحال إلى هذه البقعة لحراستها (المملكة) من البيضان)، ونظراً لكون الموقع مناسباً للزراعة فإن الإمام توقع أن تلعب البلدة الجديدة دوراً اقتصادياً في مجال الإنتاج الزراعي، وتطبيقاً لسياسات الإمام الثقافية والعلمية، وتمشياً مع أهداف الثورة في نشر الوعي الديني، فإنه تم إيفاد أسرة قادرة على القيام بشؤون الدين ونشر الأفكار الإسلامية وتعاليمه، ابتداءً من تعليم الصبيان وانتهاءً إلى كل الراغبين فيه في البلدة الجديدة لتتكامل متطلبات الحياة فيها، وهكذا تمّ إيفاد أسرة «آنْ» أو كما يقولون لهم في فوتا: (آنْ آنْبي Aan, Anbe) نسباً إلى آن، إلى المكان المذكور، ومع الزمن تطورت هذه المدرسة فأصبحت واحدة من المدارس المهمة في منطقة (نقينار)، واستمرت في تطورها حتى أصبحت أشهر مدرسة (لغوية) في فوتا تورو على الإطلاق.

---

(١) عمر صامب، الأدب السنغالي العربي، ج١ ص١٧٦، أبو بكر خالد، مذكرة عن حياة (الشيخ أحمد مختار آن).

لئن كان التخصص بمعناه العلمي المنهجي شبه منعدم في محاضر الدراسات العربية الإسلامية في الغرب الأفريقي، فإن نزعات المحاضر معروفة، وميول مشايخها معلومة، لقد سبقت الإشارة إلى أن مدرسة بوكيجاوي فقهية لذا يؤثر التلاميذ تلقي علم الفقه من تلك المحضرة، وكذلك الشأن بالنسبة لمحضرة نقيجيلون في الدراسات اللغوية (أي: اللغة العربية وآلاتها)، إن الناس قد تواطؤوا على اعتبار مدرسة «نقيجيلون» هي المدرسة الأدبية الأولى في فوتا، وهذا لا يعني أن غير الأدب من العلوم لم تكن تدرَّس فيها، كَلَّا، وإنما القصد أن مشايخها ذوو ميول أدبية أكثر منهم في أي فن آخر.

إن الشيخ الذي يعزى إليه الفضل في تقوية «محضرة» نقيجيلون، وإخلاد اسمها، هو الشيخ أحمد مختار آن، «جيرنو يروبال» الذي يعد في الواقع أستاذ الجيل لما بعده، ويشاطره هذا الفضل الشيخ/ أحمد مختار ساكو، وإن كانت امتدادات مدرسة نقيجيلون أكثر بركة، أقصد أعظم نشاطاً في مجال التعليم، وبث العلم، فلو لم يكن للشيخ/ أحمد مختار آن سوى تلميذه محمد بابا بن الصديق (حمى بابا) لكان هذا كافياً لتخليد اسم مدرسة نقيجيلون، وذلك لما له من أثر واضح وملحوظ على طول بلاد فوتا وعرضها، بل غير فوتا من المناطق المجاورة، إن ما يزيد على ٦٠٪ من العلماء وخاصة من جمهور ناطقي اللغة الفلانية (الشعب الفلاني) في حوض نهر السنغال هم إما تلاميذه أو تلاميذ لتلاميذه[١]، وهذا في الواقع هو الذي جعل مدرسة نقيجيلون أكثر المدارس تأثيراً، لأن الفروع التي تفرعت عنها تطورت تطوراً كمياً، وكيفياً، ولم تقل عنها في مجال أداء رسالة التعليم.

❋ ❋ ❋

---

(١) تناولنا هذه المسألة في شيء من البسط في رسالتنا لنيل الشهادة للدراسات المعمقة، وستأتي التفاصيل لاحقاً في نفس هذا الكتاب إن شاء الله.

أحمد مختار آن «وهو جيرنو يروبال»

ليس الشيخ أحمد مختار آن هو الذي أوجد محضرة نقيجيلون عن عدم، فقبله كان فيها أخواه عثمان الأول، وأحمد مختار الثاني، فالظاهر من كلام السيد/ عمر صامب، أن مدرسة نقيجيلون في أول عهدها كانت فقهية النزعة حتى بعد مجيء «جيرنو يروبال» فحوّلها إلى معهد لغوي وأدبي أكثر من فقهي، ويقول في الأدب السنغالي العربي، نقلاً عن دكتور عمر با: أن الشيخ يروبال، توفي في دكار عام ١٩١٧م، ويضيف عمر سامب، وهو ينقل عن المجموع النفيس للشيخ موسى كمرا، وحمد مصطفى آن أن أحمد مختار آن وهو «جيرنو يروبال» كان يعلّم الفقه وأصول الفقه، وعلوم البلاغة، وينقل عن الشيخ موسى كمرا وصفاً لجيرنو يروبال بأن (ذكره أشهر من نار على علم، وصيته أسير من بدر الظلم).

كان الشيخ أحمد مختار آن تلميذاً لمودي محمد عالم، وعلى يديه درس الفقه والشريعة، ولكنه لم يكتفِ بالذي نال منه، فقصد الشمال (ترارزة)، وانهمك في دراسة لغة العرب وآدابها، ويظهر أنه كان استغرق سنوات طوالاً ينتقل بين المحاضر في الشمال، وعاش ملياً في شنقيط، غير أنه لازم الشيخ حارث الحسن (من قبيلة داب الحسن) أكثر من سواه، وكان هذا الشيخ يعتبر واحداً من أكابر علماء شنقيط في الفقه والآداب.

ورجع أحمد مختار إلى فوتا وهو عَلَمٌ من الأعلام، يُستغنى به، ولا يُستغنى عنه، وحلّ في فوتا حلول الغيث على الزرع، فكان جيل محمد عالم قد مروا وبقي جيل أحمد مختار آن، وكان عليه أن يفعل شيئاً لتدارك الوضع الثقافي في البلاد، وجلس الشيخ للتدريس فقصده الخلق لطلب ما لديه من علم ومعرفة، وازدهرت به مدرسة نقيجيلون أيما ازدهار، وعلى يديه أخذ معظم العلماء الذين يشار إليهم بالبنان اليوم في السنغال، ومن أشهر مَن أخذوا عنه:

١ ـ الشيخ محمد بابا بن الصديق، وهو معروف.

٢ ـ المان محمد عبد ربه، وهو عالم وشاعر له كتابات في اللغة والأدب.

٣ ـ جيرنو مودي بوكر، تلميذ مود محمد عالم، وصاحب بوكيجاوي، أخذ عنه علوم العربية والمتمات.

٤ ـ الشيخ الحاج مالك سي، المعروف في تيواوون. قرأ عليه كتاب الاحمرار في النحو (ولد بونة) الجكني، وهو من أبلغ وأفصح مَن قال الشعر في السنغال من جيله، إن قصائده في المدح النبوي «الميميات والنونيات» وغيرها لتشهد للرجل طول الباع في اللغة والسيرة النبوية العطرة.

٥ ـ الفقي ساجو، يعد من أفقه مَن أخذ عن الشيخ أحمد مختار، وله مؤلفات قيِّمة في الفقه المالكي.

٦ ـ الحاج أحمد ديم، بسوكون، عالم وكاتب معروف في السنغال وغرب أفريقيا، له مؤلفات عديدة في كل العلوم العربية الإسلامية، غير أن أشهر كتبه هو تفسيره الموسوم بـ(ضياء النيرين) في نيف وعشرين جزءاً، ويعد من أروع التفاسير (لو اعتنى بطبعه منقحاً) وهو كتاب كثير الفوائد والحكم، قال عنه بومدين «عالم موريتاني معروف من أهل بوتيلميت» (لقد كان على أفريقيا الغربية دين فدفع عنهم أحمد سوكوني كل دين)(*).

(*) عندما انتهى الشيخ أحمد ديم من تأليف تفسيره العظيم هذا قال بيتاً من الشعر منوِّهاً بشأنه وبما وهبه الله. من باب. أما بنعمة ربك فحدّث: حديث شكر وثناء للمولى عزَّ وجلَّ، فقال:

أعطاني الله وخص في الأزل ... ما لن تراه لسواي قد حصل

وغمز عليه بعض العلماء فقالوا: إن الرجل تباهى. غير أن الشيخ محمد جولدي وقف معه مؤيداً قوله هذا فقال بنفس القافية والرويّ:

يَا مُنْيَةَ الثَّقَلَيْنِ دُسْتُورَ الأوَلْ ... بَلَغْتَ مَغْزَى مِنْ إذَا قَالَ فَعَلْ

أعطاك ربٌ من مقسِّم وجلْ ... مرتبة أعلى وأسمى من زحلْ

فكيف لا. وأنت حَبْرٌ لم يزلْ ... يُنمى إليك كل أمر اشتكلْ =

٧ ـ ألفا حماد ساجو، من مدينة قلويابي[(١)].

إن هؤلاء هم المشاهير، وأما جملة الذين أخذوا عنهم فإنهم لا يحصون عدًّا.

للشيخ أحمد مختار آن كثير من الشعر، وأنا أعتقد أن الصناديق التي تتراكم في (تلّيري)[(*)] لو أُخرجت وبُعثر ما فيها من أوراق لعُثر فيها على كثير من المخطوطات العربية الإسلامية، والدلائل كلها تشير إلى إنتاج علمي رائع ينطمر تحت ركام أوراق الماضين من علماء نقيجيلون، فكلهم كانوا كتّاباً وشعراء والذي بين أيدي تلاميذهم لا يقاس بالذي في يد أسرتهم، فمن الضروري خدمةً للعلم أن تخرج للناس. إن الذي لديّ من قصائد الشيخ أحمد مختار آن، ليس بالكثير، ومعظمها من طراز (الإخوانيات) أي: أنها قيلت مدحاً لبعض الأصدقاء، والغالب الأعم، قيل في حق الشيخ موسى كمرا، ويبدو أن الأخير كان صديقاً لأهل نقيجيلون، ولعل القادرية هي القاسم المشترك الذي كان يجمعهم وإياه. فالمعلوم أن الشيخ أحمد مختار آن كان تجانياً وقادرياً في آن معاً، والطريف أنه كان له أتباع تجانيون، وقادريون في نفس الوقت[(٢)]، ويظهر أنه لم يكن يرى بأساً في ذلك ما دام ذكر اسم الله تعالى هو الغاية، إن موقفاً كهذا يروى عن الشيخ موسى كمرا، أي: أنه يجوز للمرء أن يجمع بين نظام الذكر

= قال الأشموني: وهو أحمد بن محمد بن عبدالكريم. من علماء القرن الحادي عشر الهجري. مصري، قال في منار الهدى في معرض تعرضه لمعنى آية ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾ قال: قال الشافعي: جميع ما حكم به النبي ﷺ فهو ما فهمه من القرآن، وما من شيء إلا ويمكن استخراجه من القرآن لمن فهّمه الله... إلخ. فكلام الشيخ إذن له وجه شرعي لا غضاضة عليه. انظر: منار الهدى في بيان الوقف والابتدا، ص٦٤، ط دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان.

(١) الحاج محمد مصطفى آن، الإسلام والثقافة في الجمهورية السنغالية، ص١٧.

(*) حيّ في تلك البلدة حيث كان العلماء يسكنون.

(٢) انظر: الأدب السنغالي العربي، دكتور عمر سامب ج١ ص١٧٧م.

التجاني، والقادري، ثم لا تثريب عليه وأنا من جانبي لا أرى مانعاً منطقياً لهذا ولا سنداً عقلياً أو تحليلاً مقبولاً لمنعه.

ويا ليتهما عاشا حتى اليوم ليريا ما آل إليه الأمر، حيث صعد الناس بالطرق حتى وكأنها أديان مستقلة نازلة من السماء لها كتبها المقدسة، وأنبياؤها المرسلون، لا صلة لبعضها بعضاً ولا رابطة.

وكان الشيخ أحمد مختار قد أخذ الورد التجاني من معلمه الأول، مودي محمد عالم، وعندما اتصل بالشيخ سعد بوه تلقن منه الورد القادري، ولأجل ذلك كما مر، كان له تلاميذ تجانيون، وأتباع قادريون، وهذا أمر نادر كما قال عمر صامب.

لعل السر في استمرارية مدرسة نقيجيلون محافظة على مستواها العلمي ما يربو على قرنين من الزمن هو إيمان آل (آن) الشديد بالإسلام، وحبهم العميق للغة العربية إلى درجة كادت تصل بهم إلى حدِّ (التعرُّب) لو ساعدتهم البيئة الإقليمية المحيطة، إن أسرة «آن» تسكن في حي اسمه «تلّيري Tillere» فهذه الأسرة من الكبر والتأثير بحيث أضيف إليها الحي بقاطبته، فلهم تقليد عريق في زعامة الأسرة. إن أكبر العائلة سنًّا هو الذي يتولى زعامتها، بصرف النظر عن أي اعتبار آخر، ويطلق عليه اسم (جيرنوتليري، أي: شيخ حي تليري)، ولفرط عنايتهم للعلم لا يوجد من بين أبنائهم أُمِّي لا يكتب ولا يقرأ، وعندما تأتيهم رسالة باللغة العربية ـ حسب الروايات الشائعة ـ فإنها تناول إلى أحد غلمانهم ليقرأها بصوت عال مسموع بدون ترجمة لأن كل الحي يفهم اللغة العربية، حتى ليضرب المثل في فوتا فيقال: (رسالة تليري) أي شيء واضح يفهمه كل الناس، وبما أن العربية غدت لساناً عريقاً لديهم، فلا يستغرب أن تستمر عادة التعليم فيهم إلى أعلى مستوى، إن آل «آن» كانوا ـ ربما ما زالوا ـ أكثر الناس حباً، بل اعتزازاً بالعربية وآدابها على امتداد حوض نهر السنغال.

ويقال: إن الخاطب عندما كان يأتيهم راغباً في مصاهرتهم فإنما كانوا يسلطون عليه أولادهم وتلاميذهم ليناظروه بغية سبر ما لديه من علم

واطلاع في الأدب والشعر «وبحضور البنات» وإذا ثبت أنه ثقيل الوزن علميًّا كفء يُعْتَدُّ به زوّجوه، وأما إذا اكتُشِف خاوي الوفاضِ قاصرَ الفهم سطحيَّ الثقافة، خذل وأُشير عليه أنه غير كفء للتي جاء يخطبها، إن حفظ القرآن كان عادة عريقة فيهم، غير أن انصرام جيل الآباء المتحمسين، وحلول آخرين محلهم يعطون أموراً أخرى أهمية تفوق أهمية العلم، من شأنه أن يجعل الأوضاع تتقلب، والأمور تتغير، والمقاييس تتبدل تبعاً لتبدل الأحوال، وربك يفعل ما يشاء.

وفاة الإمام عبدالقادر كَنْ:

عاش الإمام عبدالقادر بن ألفا حمادي بن الحاج الأمين أمير دولة الأئمة الإسلامية بفوتا تورو، وأحد أعلام بني صالح «شرفاء كمبي صالح» عاش حياته متعلماً ومعلماً وإماماً وقائداً مرابطاً ومجاهداً في سبيل الله حتى لقي الله، فقد جدّ رَحِمَهُ اللَّهُ في طلب العلم حتى صار من كبار العلماء، وقد أشاد بعلمه كثير من العلماء ومدحه كثير، منهم العلامة المختار بن بونه والنابغة القلاوي والعلامة حرمة بن عبدالجليل وفيه يقول:

قد فقت كل ملوك الأرض قاطبة وفقت في العلم والعرفان كل ولي
ما سار سيرك في شأو العلى أحد إلا سميك عبدالقادر الجيلي

قلت: هذا الوصف فيه من الإطراء والمبالغة ما لا يصح ولا يجوز اعتقاده، فلم يعطِ الله سبحانه وتعالى لمخلوق من خلقه مُلكاً أعظم من مُلك نبيه سليمان بن داود عَلَيْهِ السَّلَامُ، ولم يعطِ الله سبحانه وتعالى لمخلوق من خلقه علماً أكمل وأنفع ومنزلة أسمى وأرفع مما أعطى لنبينا محمد ﷺ.

وقد جدّ الإمام رَحِمَهُ اللَّهُ في نشر العلم وذلك ببناء المساجد والمحاظر كما مر معنا ولو لم يكن له من الفضل في ذلك إلا تأسيسه لمدرسة (نقيجيلون) والتي تفرعت منها مدارس أخرى من أبرزها مدرستي (خاي، وجيلون) لكفاه ذلك شرفاً وفضلاً، وفي مجال التخطيط والعمران أرسى دعائم دولة قوية مترامية الأطراف شهد بعظمتها وشموخها القاصي قبل

الداني، وقد أشاد بعظمتها جدنا العلامة محمد صالح بن عبدالوهاب العياسي الناصري المغفري الحساني حيث اعتبرها رابع دولة في غرب وشمال أفريقيا على الإطلاق وذلك في رسالته التي وجهها إلى أمير فوتا في زمانه (الإمام بِرِمْ وَانْ) والذي تولى إمارة فوتا الإسلامية بعد مضي خمس وعشرين سنة على وفاة الإمام عبدالقادر كن، ونصها:

(وليعلم الإمام برم أن أمراء المؤمنين في هذه الجزيرة المغاربية أربعة: هو، والشيخ مولانا عبدالرحمٰن صاحب مراكش وفاس ومكناسة وتلك الجهة، وأحمد بن لُبُّ صاحب تمبكت، وقرمغ وجني وتلك الجهة، والباشا يوسف التركي صاحب تونس وطرابلس والقيروان وتلك الجهات، وغير هؤلاء الأربعة ملوك الكفرة من الأعراب والنصارى والسودان)(١).

وقد نقل أحمد ولد الحسن في تحقيقه لكتاب «التكملة» في تاريخ إمارتَيْ البراكنة والترارزة هامش «**١٥٢**» تعليقاً على حاشية ابن أبي مدين عند ذكر المؤلف للإمام عبدالقادر قائلاً: «مات إعلى الكور هذا عام مائتين وألف قتله جيش المامي عبدالقادر استنجدته البراكنة لغزوه»(٢) حيث جاء في التعليق ما يؤكد قوة الإمارة الإسلامية وصلاح قائدها حيث كان لا يفتر عن قيام الليل، وهذا نص ما جاء في الهامش:

(المامي عبدالقادر: أو الإمام عبدالقادر، أحد أئمة الدولة الدينية في فوتا تورو حكمها من سنة **١١٩٣**هـ /١٧٧٩م ـ **١٢٢١**هـ /١٨٠٦م) وقد أضاف ابن أبي مدين عند ذكره الحاشية التالية: «قلت: يحكى أن عمر بن المختار لما قتل جيش المامي والبراكنة أمير الترارزة اعلي الكوري ذهب وحده مختفياً حتى دخل مسجد المامي ومكث فيه ليالي كلما صلّى العشاء الأخيرة دخل المسجد فتعبّد فيه فلما تكرر عليه سماع القرآن من عمر أتاه فقال له: مَن أنت؟ فقال: رجل من زوايا الساحل، فقال له: ومَن أقرأك القرآن؟ قال: إعلى الكوري، فقال: ومَن إعلى الكوري؟ قال: أمير

(١) كتاب «فتح الوهاب على الحسوة البيسانية» ص٦.

(٢) كتاب «التكملة»، المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات ص٤٨.

الترارزة الذي قتلت، فاسترجع مراراً وقال: غرّني البراكنة، قالوا لي: إن الترارزة ليسوا مسلمين والله لا يسير من عندي أبداً جيش إلى الترارزة وذلك هو الذي يريد أعمر ووفى المامي عبدالقادر بما قال»).

قلت: وأشك في أن الإمام عبدالقادر يجهل إسلام أمراء الترارزة وهو الذي درس وتعلم داخل إمارة الترارزة عند أهل العاقل الديمانيين.

وقد حكى لي الأستاذ بب بن سيد بن التاه شقيق العلامة حمدا بن التاه ـ رواية عن أسباب إيقاف الإمام عبدالقادر الحرب على الترارزة ـ مغايرة لهذه الحكاية المتقدمة ومفادها: أن أحمد العاقل زميل الإمام عبدالقادر في الدراسة وشقيق أستاذته الشيخة خديجة بنت العاقل هو الذي نصح الإمام عبدالقادر بأن أمراء الترارزة لن يستسلموا إلا عن بكرة أبيهم وبالتالي إذا استمرت الحرب ستموت جموع غفيرة من المسلمين، وهذا يتنافى مع قصد الشرع من حقن دماء المسلمين وصيانة أعراضهم، فقبل الإمام عبدالقادر النصيحة وصان الدماء.

كما قضى رحمه الله السنوات الأخيرة من عمره مجاهداً مرابطاً في سبيل الله فقد جاهد السراتيك والوالو وحلفائهما من النصارى الغزاة حتى كادوا له وكمنوا له كميناً تمّ استشهاده فيه وكان ذلك على يد أحد أفراد قبيلة بوصياب يوم ٤ إبريل وذلك سنة ١٢٢١هـ /١٨٠٦م عن عمر ناهز ٨١ سنة وقد أبدى صديقه النابغة القلاوي حزنه وأسفه الشديد على وفاته وذلك في نظمه للوفيات المسمى (أم الطريد) وهذا نص ما ورد فيه:

ولعبت بالمام عبدالقادر ... وغادرته بين كل غادر

وجيشت له من البنا بره ... من هدّ ما بناه من منابره

ومزقت ما عنده من خزنه ... وصيرت دولته للخزنه

وفات فوت عدل ذاك الصالح ... وأصبحوا من بعد قوم صالح

لذلك لم يصلح لها إمام ... عوض كما قد قاله أعلام[1]

---

(١) كتاب «النجم الثاقب في بعض ما لليدالي من المناقب»، تحقيق محمذن ولد باباه ص٣٤.



إمارة بني صالح بإقليم (دمت راشد) التابعة لإمارة الأئمة الإسلامية

لمحة تاريخية:

ذكرنا فيما مضى أن بني صالح بن عبدالله الرضا الشيخ الصالح ويلقَّب بأبي الكرام بن موسى الجون بن عبدالله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط رضي الله عنه لما سجن أبوهم صالح بخراسان ذهبوا من هنالك متجهين نحو الغرب حاملين لقب أخوالهم من قبيلة «خانْ» إلى أن وصلوا غانة فحرفه السودان إلى لقب «كانْ» فكان لهم هناك ملك ودولة إلى أن أفنى الله ملكهم وتفرق شملهم، سلكت طائفة منهم الصحراء من الجنوب حيث مدينة «جنّى» إلى الشرق حيث «تنبكت» وصولاً إلى الشمال حيث «شنقيط ووادن» وانتهاءً بالغرب حيث توجد ضفتا نهر السنغال. وقد بنوا على الضفة الشمالية مدينة «أنتيكان» حيث تقع في الجزء الغربي الجنوبي من القطر الموريتاني وتتبع كمركز حكومي إداري للولاية السادسة «ولاية الترارزة» التي عاصمتها روصو، وكانت تعرف بـ«القوارب» لأنها كانت محل مرسى السفن وبها ميناء للبواخر الصغيرة لوقوعها على ضفة نهر السنغال، وتبعد مدينة أنتيكان عن مقاطعة روصو بحوالي ٧٠كلم كما تبعد عن مقاطعة المذرذره بحوالي ٨٠كلم جنوباً، وبعد أن كانت تابعة لمقاطعة روصو أصبحت تابعة لمقاطعة الركيز، وتبعد عنها ٤٦كلم جنوباً، وقد أصبحت مدينة أنتيكان في وقتنا الحالي مقاطعة، وإذا ما عدنا إلى

الوراء قليلاً نجد أن الطائفة المذكورة هي طائفة «حم جولط كَنْ» وقد تفرعت إلى فرعين رئيسيين هما: أهل اعمر الغاني وأهل راشد، أبناء الشريف حم جولط «محمد زين العابدين، أو محمد السلام، أو محمد المسلم» ثاني ناشر للإسلام في التكرور مع أسيكا محمد وهذا الأخير نصبه كرئيس لإمارة «جنى» وأعطاه رتبة «القائد العام» وهي بلسانهم «كان إفاري» حيث الجملة الشهيرة التي يستهل المغنون الدمشقيون بها ميثاق الأنساب: (حمى بن داود بن يرو بن هلال بن العائد، سيد الميلو واتيامالي، يهاجر ويوصي بـ«جنّى») وهناك مجموعة أخرى من الدمشقيين بقيادة «جابر كَنْ الملقب مالي بيرو» توجهت إلى الجنوب الشرقي لنهر النيجر لتذوب في: (اتجاماكاندا، وطن إدجما) من ولاية «دوسو» في النيجر، فالشجرة التاريخية الرسمية للأنساب تعطي منذ ذلك الوقت أصلان للمجموعة الديمشقية، الأصل السوري «دمشق» التي اشتق منها علم (ديمات وديماك، وديمار ودمت) والأصل الغربي الأفريقي ما بين السنغال والنيجر أي: أصل موريتاني ومالي وخصوصاً منطقة تالمست شمال تكانت الذي سيصبح فيما بعد (جلمج في السنغال وجنى في مالي)[1] وقد استقر أبناء حم جولط كانْ في منطقة الركيز إلى أن اشتراها منهم إدواعلي، ويفصل لنا الإمام عبدالعزيز بعض ملامح رحلة هذه القبيلة من مهدها إلى مستقرها الآن بمقاطعة أنتيكانْ وما جاورها وذلك في رسالته الجامعية «حياة القاضي الإمام أبو بكر سي» تحت عنوان سبب التسمية: (قيل: إن سبب تسميتهم بدمت ناب هو أن القرية التي ينتسبون إليها تسمى بـ«دمت» وهذا الاسم حسبما يقال وما هو موجود في الكتب مشتق من دمشق وقيل: «دمياط» اسم القرية أو البلاد التي هاجروا منها، ومما وجدته مكتوباً بخط عمي الحاج محمد بن الإمام إبراهيم سه وخط الحاج أبو بكر سه وما وجدته في دار الثقافة الموريتانية وهو أن الدمتيين هاجروا من دمشق الشام إلى موريتانيا ـ وبعد هجرتهم منها ـ نزلوا في

(١) حياة القاضي الإمام أبو بكر كان، تأليف مصطفى بولي سعيد كان.

فلسطين ومكثوا فيها ١٨ شهراً ثم من فلسطين نزلوا بور سعيد إلى الإسكندرية وقضوا فيها عاماً ثم منها إلى تونس ولبثوا فيها ثلاث سنوات فرحلوا من تونس إلى موضع آخر فأقاموا فيه سبع سنوات فانتقلوا منه فنزلوا موضعاً آخر مكثوا فيه ١٦ شهراً ثم رحلوا منه فنزلوا في مراكش واستقروا فيها عامين ثم من مراكش إلى واد سوس، فتفرقوا فذهب الماسنيون إلى أرض ماسى بمالي وذهب الباقون إلى شنقيط واستقروا فيه أربعة أعوام ثم من شنقيط إلى تندكسم فاختاروها وما يحيط بها شرقاً وغرباً من سكام إلى برواج ومن نهر السنغال جنوباً إلى الركيز وحفروا الآبار في كافة أنحاء الركيز واستقروا فيها فيما يزيد على مائة سنة وخاصة المواضع التالية: (تن مختار، و«كرمد» بتشديد الدال المهملة، وعمر، ومعاد، ودمر، وكويليت، وجنكام، ودويكة، والقربى، وسلك، وطيشطايات الخراش، وبعد فترة من الزمن التحق بهم إداوعلي واشتروا من عندهم الركيز بستين فرساً ودفعوا ٤٤ من العدد المذكور وبقي ١٦ جواداً حتى الآن، وكان الزهاد من علماء إداوعلي لا يأكلون من غلتها لعلمهم بعدم قضاء بقية الثمن ثم انتقلوا من هذه المواضع إلى «راشد» وقد جرى بينهم وبين مجاوريهم العرب الذين كان يقودهم آنذاك إعلي الكوري سوء تفاهم كان سبباً في مكيدة العرب بهم، فعلم الدمتيون بكيدهم لهم وما حشدوه من جموع لا تتناهى كثرة بغية الإيقاع بهم واستنجدوا أهل فوتا موضحين لهم موقف العرب وما لديهم من جموع متآمرة عليهم).

وقام بنجدتهم المامي عبدالقادر الذي كان وقتئذٍ إمام فوتا، وجمع أهل فوتا عن آخرهم وعبروا نهر السنغال عند قرية شالا متجهين إلى آفطوط، والطريق التي سلكها المام عبدالقادر لا تزال آثارها قائمة إلى الآن وهي معروفة عند سكان تلك البلاد بطريق «القارب» في آفطوط، فالتقى الفريقان وجرت بينهما مفاوضات في «تنيد روجل» فلم تغنِ المفاوضات شيئاً، وبعد فشل المفاوضات عزموا على المعركة وفي الصباح الباكر نشبت المعركة بينهما في نفس المكان من طلوع الشمس إلى ما بين صلاة الظهر

والعصر، فظفر جيش فوتا بأمير العرب وقتل بعد أن جرى بينهم ما جرى من القتل ثم تفرق العرب بعد موت أميرهم اعلي الكور فمنهم مَن اتجه نحو سلك ودمر وعمر وتن مختار ومنهم مَن ذهب إلى معاد، فكانت هذه آخر معركة بينهم مع العرب.

وبعد نهاية المعركة وعودة أهل فوتا إلى مواطنهم فكر الدمتيون في أمرهم فإذا هم بعيدون عن فوتا وليس لديهم من القوة ما يستطيعون أن يؤمنوا به أنفسهم، فعزموا على الانتقال من راشد إلى دمت جنوب نهر السنغال، فرحلوا من راشد ونزلوا دمت (جلمج) حيث أصبحوا غير بعيدين من قرى فوتا[1].

وبعد نزولهم في «دمت» المكان الذي اختاروه لسكانهم ـ وهو مكان بمثابة حصن منيع لأنه يقع في جزيرة تحيط بها الأنهار والبحيرات والغابات ـ فكان إلى جانب كونه حصناً منيعاً، يعد كذلك مركزاً اقتصادياً فهو صالح للمرعى والصيد والزراعة ـ في هذا المكان بالذات جرت بينهم وبين العرب مهادنة ومسالمة فترة من الزمن إلى أن قتل همد قطاط أحد أعيان أهل راشد ـ أحد زعماء أولاد البعلي من أولاد دامان في قرية دمت، فجدّ أولياء المقتول في أخذ ثأرهم فاستعانوا بأحمد الحبيب الذي كان أميراً آنذاك فلبّى طلبهم وجمع جموعاً لا تعد كثرة وهمّ بالإيقاع بهم، فبلغ الدمتيون ما عزم عليه خصمهم، فجمعوا من حولهم من مناصريهم ومجاوريهم واستعدوا للقائهم ومقاتلتهم قبل أن يباغتوهم فالتقى الفريقان في موضع يسمى «دار موسى بوبو» المعروف بـ«جدر المحقن» وكان أحمد الحبيب هو القائد العام للجيش ففكر في خطورة الموقف، ودعا الطرفين للصلح ودفع الدية صوناً للدماء ومحافظة على العهد الذي كان بينه وبين أهل راشد، فاشترك الفريقان في دفع الدية، فأول مَن دفع نصيبه من الدية

---

(١) رسالة الإمام عبدالعزيز سي/ حول حياة أبيه القاضي أبو بكر سي، المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية، إشراف محمد المختار كاكية، السنة **١٩٨٣**، ص٤٠ ـ ٤٣.

إبراماً للصلح وتأكيداً للأخوة بين الطرفين هو سيد ميل الكبير فأدى الناس جميعاً الدية، وآل الأمر إلى إطفاء نار الفتنة وعاد كل فريق إلى بلاده ولم تقع بينهم بعد ذلك فتنة.

ولما تأكد الدمتيون من صدق العرب ووفائهم بالعهد رغبوا في العودة إلى مواطنهم القديمة، وقبل تنفيذهم لإرادتهم وقعت بينهم مع المستعمر.

حربهم مع المستعمر:

وبعد استقرارهم في دمت «جلمج» بنوا حصوناً منيعة محيطة بجميع القرية كما كانت العادة في زمن الحروب الدائمة إذ لا يأمن أحد على نفسه من العدو، مما جعل الناس دائماً في حالة الاستنفار وإعداد العدد للطوارئ وأخذ الحيطة لأنفسهم، وكان من الأمور المهمة في هذا المجال الحصون والأسلحة اللازمة، ولكمال استعدادهم للحرب وعدم خضوعهم لأي نظام لا يتماشى مع ما يريدون، لم يخضعوا للمستعمر عندما دخل البلاد في أول الأمر وحاول إخضاع البلاد لسلطانه، ولكنهم رحمهم الله رفضوا محاولاته تلك وقاوموه مقاومة شديدة دامت سبع سنوات لم يستطع المستعمر خلال هذه المدة تحطيم حصونهم.

وخلال تلك السنوات السبع فرض المستعمر عليهم حصاراً محكماً حتى عجزوا في نهاية المطاف عن سد حاجيات الحرب من البارود وشكوا ذلك إلى الإمام بصورة علنية وأصوات عالية وسمع بذلك بعض مَن كان في جيش المستعمر من البولاريين، فأخبروا المستعمر بأن القوم مسّهم عجز عن تغطية حاجاتهم من البارود، فتهيأ المستعمر لاقتحام الحصن، فأخذوا يتسللون من الحصن فرادى وجماعات قبل استيلاء المستعمر وتحطيمه الحصون، فخرج جميع القادرين على الخروج ونجوا بأنفسهم، وكانت هذه الحرب في زمن ألمان سعيد بن ألمان ببكر كن فصالح «فيدرب» قائد جيش المستعمر بعد أن شعر بالهزيمة، ورفض هذا الصلح ابن عم له اسمه «المان عبدل بول» بن أحمد قطاط وكان هذا الرفض سبباً لإلقاء المستعمر القبض عليه ولم يزل تحت سيطرته حتى توفي.

وآل الأمر أخيراً إلى استسلامهم للمستعمر كما استسلم جميع أهل تلك البلاد ولم أقف ـ والكلام هنا لا زال للإمام عبدالعزيز سي ـ على تاريخ هذه الحرب، وإنما وقفت على ما يشهد على وقوعها وذلك في أبيات ـ قلت: ولم تسلم من اللحن من جهة ومن الدعاء بالتوسل بغير الله من جهة أخرى ـ ونصها:

يا أيها الإمام لما زلت تمر ... على الكفار مثل شرى وصير
تذل أهل الشرك طراً وتذر ... بلادهم بلاقعاً شذر مذر
أيدك الله بنصر مستمر ... طول الليالي قاهراً لمَن كفر
لا زلتم يا أهل راشد صبر ... ما إن ذو الهيجا رمتكم بالشرر
من أمكم رغبة فيكم ظفر ... ومن تكونوا ناصريه ينتصر
يا رب هذا الروم حاد وغدر ... وغادر الحق وجار واستمر
ألبسهم ثوب الصغار المقشعر ... واجعلهم في ضيعة وكل ضر
واجعل لهم من العذاب المستمر ... عليهم ما هو أدهى وأمر
فدمدمن عليهم يا من قدر ... عليهم وأهلك بأمر قد قدر
حتى يكونوا صاغرين يعتبر ... بشأنهم كل عدو وقد غدر
واعد على ابن بوب إذا ما يمر ... فإن يكن خيراً وإن شراً فشر
واسلك لذا الإمام صار ما ذكر ... من نصرك الجم إذا ما ينتصر
نصراً من الله وفتحاً قد حضر ... اجعل لنا عليهم يا مَن أمر
بذا الدعاء بجاه مَن نصر ... وجاه مَن لبّى وقبّل الحجر
وجاه مَن هاجر ثم وابتدر ... أمر النبي بقتل كل مَن كفر

قلت: والأبيات كما ترى نقلتها لك من المصدر كما هي ويغلب عليها اللحن والتكسر، وركاكة الأسلوب، وقد ختمت بالسؤال بالجاه، وهو بدعة ولا يجوز فمَن أراد أن يدعو الله بشيء فليدعوه بأسمائه الحسنى، أو الصالح من عمله.

عودتهم إلى موريتانيا:

وبعد أن انتهت حربهم مع المستعمر، وقبل إبرام الصلح الذي سبق وأن ذكرنا أنه تم بينهم مع خصومهم العرب، رغب بعضهم في العودة إلى موريتانيا من جديد، فقاموا بعدة محاولات تحقيقاً لرغبتهم فهاجروا من دمت إلى موريتانيا فنزلوا غرب قرية أنتيكان في موضع يقع جنوب غرب المؤسسة الزراعية الواقعة غرب القرية، ويقال: إن أول مَن قام بهذه المحاولة دنب كديج ولم يستقر به الحال في ذلك الموضع المعروف بمدينة «ميلقى» ولم ينجح الكثير من هذه المحاولات بسبب ما يتلقوه من مضايقات من بعض مجاوريهم.

هذا ما سمعته من أفواه الرجال ـ والكلام لا زال للإمام عبدالعزيز سي ـ وأما ما وجدته مكتوباً هو: أن أول مَن هاجر من دمت إلى موريتانيا «أنتيكان» هو ألمان دمب جد «له» ومعه مجموعة من الدمتيين وتقروا في «ويندكيل» غدير مضاف إلى أسماء أشجار ويسمى هذا الموضع «أنتيكان الأول». وكان هذا على ما قيل سنة ١٢٢٠ هجرية ثم عادوا إلى دمت بعدما عمروا جميع نواحي خليج أنجاوان «اسم الخليج الذي تطل عليه القرية» ثم هاجر من دمت الإمام محمد سي جد الحاج ببكرسه وألمان علي كن بن ألمان ماليم وبوكرسه، جاء كل واحد من هؤلاء الثلاثة صحبة بعض عشيرته وعياله واتخذوا «أنتيكان» المعروف إلى الآن موطناً لهم. وعمروا جميع نواحي الخليج ثم عادوا إلى دمت نزولاً عند رغبة عشيرتهم الباقية في دمت ليتولوا تسيير أمورهم، لأنهم آنذاك أسن من الجميع، إذ كان من عاداتهم أنه لا يتولى تسيير الأمور إلا مَن هو أسن، وخلفو ألمان علي كن على القرية عند عودتهم إلى دمت فتولى رئاستها.

وبعد أن استقر بهم الحال في دمت بلغهم أن أولاد عايد تريد إحياء أراضيهم وأن أحمد الحبيب يمنع أولاد عايد من ذلك رغبة في عودتهم إليها، ولما تأكدوا من صحة الخبر رجع الإمام محمد سه وسيد موم وبوكر سي الذي كان منعهم في المرة الأولى، فأخذ الإمام محمد سه الموضع

الواقع شمال شرق المسجد محل سكناه المعروف اليوم بـ«أهل ألمان جام» وأخذ بوكر سي موضعاً يقع جنوب غرب المسجد واتخذ سيد موم داره التي يطلق عليها «دار أهل يروا أمهان» وتركوا شاطئ الخليج لصيادي السمك.

شكوى قومهم من الهجرة ومضايقة المستعمر لهم:

فلما طاب بالمهاجرين المقام وركنت نفوسهم إلى الاستقرار في «أنتيكان» وبلغ قومهم ما هم عليه من الاطمئنان وحسن الحال أخذوا يهاجرون إليهم فرادى وجماعات، فهال قومهم ما رأوا من هجرة الناس إليهم، وأرجفوا في الناس أن الأمر إن دام هكذا سيكون مآل الجميع العودة إلى مواطنهم القديمة، فبلغ الأمر «فيدرب» قائد جيش المستعمر، وطلب منه الدمتيون إرجاع قومهم المهاجرين إلى أنتيكان ليعودوا إلى قومهم فجاءهم وأمرهم بالعودة وأمهلهم مدة ثم عاد إليهم وهددهم بطلقات نارية وأحضر لهم القوارب والسفن وأمر أهلها أن يحملوهم إلى السنغال وقال إنه سيوقع بهم إن لم ينتقلوا من المكان الذي هم فيه إلى السنغال.

فذهبوا إلى القرية غير أنهم لم يعودوا إلى دمت، وإنما اتجهوا إلى نهر قرب قرية في جنوب نهر السنغال، تبعد عن النهر حوالي ٥كلم وتقع جنوباً من أنتيكان على بُعد حوالي ١٠كلم ومكثوا فيها عدة سنوات حيث توفي فيها الإمام محمد سه، ودفن في مقابرها، وقبره معروف عند أهل القرية إلى الآن، وبعد وفاته رجع ابنه إبراهيم والد الحاج أبي بكر سه ومَن معه من سكان أنتيكان إلى أنتيكان، فرحمهم الله جميعاً رحمة واسعة تعمهم وذويهم ومحبيهم ومَن دعا لهم بخير وحشرنا وإياهم مع النبيين عليهم الصلاة والسلام وآلهم وأصحابهم وجميع المؤمنين.

تعليق الحاج أبو بكر على هذه النبذة التاريخية:

يقول أبو بكر سه تعليقاً على هذه النبذة: وهذا ما وجدناه في بعض

أوراق لأوائلنا وما سمعناه من أفواه كبار الدمتيين وأولاد ديمان وبعض مشاهير الترارزة، ثم أضاف معللاً ما قاله: لأن الجميع كان يتعايش على أرض واحدة منذ ما يزيد على خمسمائة سنة، وقال: قال لي الأستاذ أحمد بن بابكر احجاب في زمن قراءتي عليه التاريخ (تاريخ والد، وتاريخ أبيه أبي بكر بن أحجاب الديماني): أن تأسيس أنتيكان الأولى تزامن مع ولادة الشيخ سيديا الكبير وذلك في سنة **١٢٢٠** نقلاً عن أبيه[١].

مميزات سكان أنتيكان خاصة وأهل دمت عامة:

ليس هناك كبير امتياز بين سكان أنتيكان وغيرهم من أهل فوتا وخاصة في العادات والطبقات الاجتماعية، فتوجد فيهم جميع الطبقات المتعارف عليها اجتماعياً كطبقات الزوايا والعرب وما إلى ذلك، وكذلك العادات والأعراف والتقاليد. وإنما يمتازون عن غيرهم في الأمور التالية:

أ ـ حسن الجوار والمعاملة بالتي هي أحسن، فهم بطبيعة وضعهم الجغرافي يسكنون بين مختلف أنواع الناس وأجناسهم وشتى القبائل البيض منهم والسود، العرب منهم والزوايا كما يسكنون بين إفلان والولوف، فقرية (أنتيكان) هي آخر قرية من قرى فوتا غرباً، وهذا الموقع جعل أهلها بمثابة همزة وصل بين جميع القبائل، فاستطاعوا بحسن جوارهم وطيب معاملتهم أن يكتسبوا الجميع وأن يتفاهموا مع الجميع دون تفضيل ولا تمييز عنصري فجميع جيرانهم يرضون عنهم بيضهم وسودهم.

ب ـ الإقبال على شأنهم فقلما تجد أحداً منهم مشتغلاً فيما لا يعنيه، فهم يحبون العمل ويبغضون الاتكالية، لذا كان يضرب بهم المثل في الزراعة الحديثة وإنشاء التعاونيات والاهتمام بتعليم أبنائهم في المدارس النظامية.

ج ـ ومن أبرز مميزاتهم حسن الضيافة، فلا ينزل عندهم أحد إلا كان

(١) رسالة الإمام عبدالعزيز سي ص**٤٣ ـ ٤٧**.

موضع إحسانهم وتكريمهم، سواء في ذلك الشريف والوضيع والصغير والكبير فهذه طبيعتهم مع الضيوف عموماً والزوايا منهم خصوصاً، وفي هذا المعنى يقول قائلهم مادحاً لهم وواصفاً إياهم بالعلم والتقى والكرم:

جئنا إلى قرية الإحسان التيكان ... إلى قضاة ولاة العلم فتيان
قوم لدى قرية التيكان أصلهم ... من ذروة العرب من قاص ومن دان
بيض الوجوه كرام الأصل عادتهم ... قرى الضيوف وتبجيل وإحسان
إن القضاة لفي التيكان قد عرفوا ... بالعلم والدين في سر وإعلان
بنوا على أسس التقوى بيوتهم ... وليس يصلح شيء دون بنيان
ما إن أتى قادم يوماً لمجلسهم ... إلا تلقوه من برٍّ وإحسان
وقد قفوا سنة المختار وامتثلوا ... وبيّنوا كل مكروه وبهتان
بنوا بتقوى إلٰه العرش مسجدهم ... وعظموه بتدريس القرآن
ثم الصلاة على المختار من مضر ... ما هبّت الريح يوماً دوحة البان

ويؤكد هذا المعنى أحد المعلمين الذين كانوا يراقبون امتحانات تلاميذ المدارس الابتدائية بأنتيكان قائلاً:

الحمد لله الذي أمر بالعدل والإحسان، ونهى عن الظلم والشرك والطغيان، والصلاة والسلام على خير بني عدنان المخصوص بالسبع المثاني والقرآن، أما بعد فإنا قدمنا عليكم يا حي قصرا أنجيكان حضرة أعيان الأعيان وخيار أهل الزمان، شرفاء الأنساب وأئمة أولي الألباب، العلماء المنيرين والأصفياء المشتهرين المتمسكين بالسنّة عند فساد الأمة ومحلّي مشكل ما يقع بين اثنين القاضي فلان وفلان وفلان... إلى آخر مَن سماهم، ثم قال: وعامتكم من الذكور والإناث، وبعد أن صرّح بمقصوده تمثّل ببيت الشاعر قائلاً:

مَن أمّكم رغبة فيكم ظفر ... ومَن تكونوا ناصريه ينتصر[1]

---

(١) رسالة الإمام عبدالعزيز سي ص٤٨ ـ ٤٩.

أما من حيث التركيبة السكانية فإن مجتمع أهل دمت يضم أجناساً مختلفة الأنساب والأعراق ويوحدها الدين واللسان والأصهار والأرحام ويجتمع الكل تحت مسمى التكارير غالباً وهذه الأجناس هي:

١ ـ قبيلة (كانْ) وهم الشرفاء وأهل الرئاسة وينحدرون من بني صالح شرفاء كمبي صالح ملوك غانة ومالي من بلاد السودان وهم المعروفون بأهل راشد وقد تلقب داود بن راشد بن حم جول كن بلقب (جكو) وصار اللقب صنت لذريته بينما بقي لقب (كَنْ) صنت على بقية إخوته وهو الأصل، وبما أن داود الملقب جكو هو أصغر أبناء راشد فقد أسندت إليه مهام القيادة العسكرية ووضع العمامة على رأس الحاكم عند تنصيبه وذلك له مغزى سياسي وهو أنه إذا حاد عن جادة الصواب وخالف الدستور فستنزع العمامة من فوق رأسه إيذاناً بخلعه، لذا كانت مهمة أهل جكو التولية والعزل، ولكن بالتشاور مع الفئات الأخرى إضافة إلى أنهم زوايا متعلمين، واستمر الحال حتى انفرط عقد نظام أهل دمت فاستقل أهل جكو برئاسة بطن هليب من التكارير خاصة وهي فيهم إلى اليوم، وكتب الإمام عبدالعزيز في رسالته السالفة الذكر عن مكانة قبيلة (كانْ) في مجتمع دمت ـ وذلك في معرض حديثه عن نسب أبيه من جهة الأم ـ ما نصه:

٢ ـ (هو الحاج أبو بكر سه بن الإمام إبراهيم، سمّته أمه أحمد صالح واسمها مريم بنت ألمان علي كن، وألمان عبارة عن الإمام ولا فرق في ذلك بين الإمام الجامع وزعيم القوم المتقدم عليهم وإنما يعرف الفرق بينهما بالإضافة وألمان علي كن ابن ألمان ماليم بن شبل بن هنت بن راشد بن حم جولط كن الدمتي) يرفع نسبه إلى كنانة بن مالك القريشي، وراشد كن هو الذي ينتمي إليه جميع الأسر المعروفة عند أهل فوتا بدمتناب، وعند الموريتانيين بأهل راشد نسبة إلى راشد هذا، والأسر الملقبة بكن هي التي تتولى الزعامة حسب التوزيع التقليدي للوظائف الاجتماعية وهم في التكارير بمنزلة العرب عند البياضين غير أنهم يمتازون عنهم بأمرين:

أولهما: أنهم في التكارير لا يتولون إلا برضى أهل الحل والعقد من الأسر الأخرى وليس لهم أي تدخل في ذلك، وإنما لهم أن يرشحوا مَن يشاؤوا منهم، فيتم الاختيار من طرف الجميع، بحيث يتم للجميع التحكم في الأمر، فلا يكون هنالك استبداد في الحكم، كما يتم الحكم والاستبداد عند العرب بالقوة.

ثانيهما: أن منهم مَن يهتم بالعلم كاهتمام الزوايا ويوجد من بينهم العلماء الأجلاء كألمان ببكر كن مثلاً الذي خالفوا في توليته نظامهم التقليدي، الذي هو تولية الكبير بغض النظر عن مؤهلاته وصلاحيته لذلك، فولي الإمام أبو بكر كن لعلمه وورعه وأعمامه في قيد الحياة(١).

٣ ـ قبيلة سه «وهم القضاة وأئمة المساجد وأصحاب الخطط الدينية وغيرها».

وأصلهم من قبيلة السماسيد إحدى قبائل الزوايا.

٤ ـ قبيلة «له» ويشاركون بطن جكو من قبيلة كن في التولية والعزل وهم زوايا أيضاً منهم حفاظ وحملة فقه ويزعمون أنهم من العلويين وهي دعوة لا دليل عليها.

ونختم هذه النبذة التاريخية المفصلة عن مجتمع الدمشقيين بما كتبه المختار بن حامد رَحِمَهُ ٱللَّهُ كملخص لتاريخ أهل دمت، ونصه:

٥ ـ (دمت هي الاسم الجامع لكل من صنته كن، أوسه، أوله، أوجكو، وقراهم: أنتيكان، ومني، وجنكي، وغاني، وجلمت، وفندان، ووقرى انبنك، ولهود، ويقال: إن معنى دمت: دمشق، وأنهم خرجوا منها ولم يزالوا ينتقلون من بلد إلى بلد. فلما وصلوا جنى بإزاء تنبكتوا توطنوها وبنوا بها مساجد، ثم لم يزالوا ينتقلون إلى أن بلغوا تندكسم فمكثوا برهة من السنين ثم زايلوها أوائل دولة الترارزة ونزلوا جبنتيت وهو اعليب الوحش، وعمروا الركيز ونواحيه كسهوة الماء، ونجد معاد، ودمد، وعمر،

(١) المصدر السابق ص٣٧ ـ ٣٨.

وراشد، وأقطعوا أنبيكات دونينكه، وهو العويجه، والجنكام، ونصره، سميت باسم إمامهم نصره، وأقطعوا الباي السلف وهو نجد الركيز الغربي. ثم تحاربوا مع الترارزة ومات أميرهم إعلي الكور في تلك الحرب (بانكرين) عام ١٢٠٠هـ).

وفي أثناء مقامهم فيما وراء البحر تحاربوا مع نائب الدولة الفرنسية المعروف بفيدرب، ولم تزل الحرب بينهم سبع سنين فنفد بارودهم وهربوا قاصدين بلادهم وهم الآن بها أواسط القرن الرابع عشر، ثم إن أنتيكان دمت يشتمل كما تقدم على أربع فرق؛ إحداها: سه، وهم القضاة وأئمة المساجد والمدارس وغير ذلك من الخطط الدينية، والثانية: كَنْ وفيهم الرئاسة، والثالثة: لِهْ، ولهم التولية والعزل في الرؤساء خاصة. والرابعة: جكُو، وبأيديهم الطبل والتولية والعزل[1].

وبعد هذه الإطلالة التاريخية على إمارة بني صالح بإقليم «دمت راشد» التابع لإمارة الأئمة الإسلامية نشرع الآن في بيان حياة قائد هذه الإمارة العلوية الصالحية.

حياة «الإمام القاضي أبو بكر كان» الصالحي الحسني:

نسبه، مولده، دراسته، توليه الإمارة وإصلاحاته السياسية، جهاده ضد المستعمر، وفاته.

نسبه:

هو العلامة القاضي الإمام أبو بكر كان بن سعيد بن ببكر خديجة بن بيكر بن سعيد بن هنت بن راشد بن حم جولط كان بن داود بن الشريف سيد الياس (يرو) بن هلال بن العائد بن محمد بن أحمد بن عبدالله الشريف بن هلال الصغير بن عبدالرحمٰن بن عبدالله بن هلال الدمشقي ابن العائد الكناني «آيل كان» بن حبيب الله بن عبدالله الشريف خان

(١) حياة موريتانيا الجزء الثلاثون، ممالك السودان وأعلامهم ص٢٣٢.

ـ القادم من خراسان ـ ابن هذيم بن مسلم بن زيد بن عبدالله أبي الضحاك ابن الحسن الشهيد بن عبدالله الشهيد بن محمد الشاعر ابن صالح بن عبدالله الرضا الشيخ الصالح ويلقب بأبي الكرام بن موسى الجون بن عبدالله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ وفاطمة رضي الله عنها وأرضاها[1].

وأما نسبه من جهة أمه: فأمه هي السيدة «كمب هلي» بنت بكار، من بطن جَكو ينتهي نسبها إلى داود جَكو بن راشد بن حم جولط كن فيجتمع نسبها مع ابنها عند راشد هذا، وبالتالي فالإمام أبو بكر كان من أهل راشد أباً وأماً.

مولده ودراسته:

الإمام أبو بكر كانْ مزيج من العزة البولارية والكبرياء العربية ولد الإمام أبو بكر كان من أبوين شريفين محافظين في ظل مجتمع إسلامي مفعم بالتدين، بقرية تيشكيل شمال شرق المذرذرة، وتقع قرية تيشيكل بمقاطعة «الركيز» ـ بموريتانيا حالياً ـ وكانت المنطقة في السابق تابعة لديمات ريو، الواقعة بالضفة الشمالية اليمنى لنهر السنغال وذلك سنة ١٧٢١م حيث كان أبوه سعيد بن ببكر عالماً متجراً وولياً صالحاً وقد عاش مع زوجته وابنة عمه «كمب هيلي جكو» ومنها أنجب الإمام أبو بكر كان، وقد كانت زوجته هذه عظيمة الاعتزاز بنسبها، بالغة الوفاء لزوجها، فهي سليلة أسرتين عريقتين في المجد؛ إحداهما: أسرة «جكو» الراشدية الشريفة والتي تعد من أهم زوايا «تورودو» بلدة هالورا، وأما الثانية: فهي أسرة فلانية من بلدة تيلي، وقد أحاطت «كمب هلي جكو» ابنها الوحيد أبو بكر كان بعناية كبيرة وربّته تربية جيدة، وقد تولى أبوه الإمام سعيد بن أبو بكر كان تعليمه القرآن الكريم والعلوم الإسلامية حتى بلغ سن الخامسة عشر من

(١) تاريخ صالح، الجزء الأول، ص٢٢١، ٢٤٩ ـ ٢٥٠.

العمر ثم انتقل من الضفة لإكمال دراسته في المحاضر الموريتانية، حيث درس علوم القرآن وعلوم الشريعة الأخرى في محاضر «تند كسم» وتيشيكل، والمذرذرة على محمد العاقل الذي ظلت أسرته مخلصة له حتى بعد موته بكثير»، راجع مراسلات فيدرب ومحمد ولد العاقل **١٨٥٩** على خلفية إلقاء القبض على «مامادودادا».

ثم انتقل الإمام أبو بكر بن سعيد إلى «ديار مايلار» ليعمق دراساته العليا قبل أن يذهب إلى جامعة «أبيرسا نبيوكورو» ليتابع دراسته هناك مع جهابذة من علماء فوتا، من أمثال الشيخ سليمان بال، والإمام عبدالقادر كان وتفسير حامد لوا. . . وغيرهم، وفي جامعة «ابير» التقى أستاذه وقريبه «دمبا إفال فادي لوم» أحد أبناء القاضي عمر إفّال الملقب همت إفال الشيخ السابق «لبحيرة خيار» أي: بحيرة الركيز، قبل أن يصبح شيخ جامعة «أبير» وقد درست الأغلبية الساحقة من نخبة علماء فوتا الفقه والقانون في جامعته.

وقد تميز الإمام أبو بكر كانْ بذهن ثاقب وذكاء خارق واستقامة أخلاق منذ طفولته الأولى، فالروايات تذكر أن الإمام أبو بكر كان، حظي بمواهب خارقة مكّنته من النبوغ في معارف شتى، فقد كان شيخه بمحظرة «تيشيكل» يستغرب من فهمه واستيعابه للفقه رغم صغر سنه ويظهر ذلك جلياً فيما أخبره به شيخه العلامة الجليل المرابط غالي أعمر فال لما أكمل عليه الدراسة قائلاً: «إنك ستملك العلم والملك معاً زمناً طويلاً» وهو ما كان فعلاً إذ تولى الإمام أبو بكر الحكم **٥٠** سنة دون أي منازع أو أدنى محاولة تمرد في بلاد ديمات «فوتا تورو» وقد ساعد الإمام أبو بكر كان على تحصيله العلم الغزير زيادة على ذكائه وعلو همته ـ عمره الطويل حيث عاش مائة وثلاثين سنة ـ والذي ينبغي أن نستخلصه من هذا التعمير هو غناه وفائدته، فالإمام أبو بكر كان لم يعش طويلاً فقط، ولكن حياته كانت مليئة بالإنجازات والعطاء، وإذا كان من أمثلة فلان ما سينا القول: «بأن مَن عاش طويلاً دون أن ينفع ويفيد كثيراً، لم يعش ولكنه ببساطة أكل كثيراً»، فالحياة الطويلة عندهم ليس معناها محاولة البقاء، أما الإمام

أبو بكر فكان عكس ذلك، حيث كانت حياته مليئة بالمعاني، وخلاصة القول: إن مدرسة أبيّر، التي أكمل فيها الإمام أبو بكر كَانْ دراسته إلى جانب نظرائه من قادة دولة الأئمة الفوتية كالشيخ سليمان بال والإمام عبدالقادر كانْ والحاج مالك سي ومابادياخو... فقد نحتته كما نحتت غيره على المثالية والعقيدة والنخوة والاستقلالية ومقاومة كافة أشكال الهيمنة، حيث ارتوى الإمام أبو بكر من معين هذه المدرسة وأصبح النموذج الأمثل للفقيه المؤسس للدولة الجديدة في فضاء دمشق، حيث لا زال حتى الآن أهل دمشق يمثلون نموذج المجتمع المتكامل للنظام السائد في الحكم الدمشقي من القرن الحادي عشر وحتى نهاية القرن الثامن عشر.

توليه الإمارة وإصلاحاته السياسية:

يعتبر الإمام أبو بكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ أحد الأبطال الذين أشعلوا الثورة الإسلامية في فوتا ضد حكم «دينيا نكوب» وبعد انتصار الثورة الإسلامية ومع بداية نواة تشكيل حكومة الأئمة الإسلامية على أساس فدرالي، تم انتخاب الإمام أبو بكر كان قائداً لإقليم «دمت» حيث يعتبر هذا الإقليم إمارة علوية خالصة إذ لا يتولى قيادته العامة إلا شخص من قبيلة كان العلوية الصالحية وذلك على عكس الولاية العامة لدولة الأئمة الفوتية والتي يجوز أن يتولى قيادتها أشخاص خارج قبيلة كان، ويعد إقليم «دمشق» مملكة انتخابية، حيث يتم تولية الإمام وعزله بالانتخاب، ولكن لا بد أن يكون من ذرية «حم جولط كان» وبخاصة البيوتات التالية: «بيت آل سعيد، وبيت آل دمبا، وبيت آل جالو» كما يتم إضافة إلى انتخاب الإمام، انتخاب مجلس من الأعيان لمساعدة الإمام في مهامه، وهذا المجلس بمثابة الجمعية أو البرلمان، كما أن الانتخابات تتم وفق مبدأ الشورى الإسلامية وليس عن طريق مهزلة الديمقراطية، وقد تولى الإمام الحكم عام ١٨٠١م حين خلف عمه الإمام حمدين بن بو بكر كان وكان عمره ساعتها ٨٠ سنة، وما لبث فور تسلمه مقاليد الأمور أن عزّز قبضته السياسية والعسكرية

على الإقليم وأعاد تنظيمه وعزّزه وقوّاه، وأما على المستوى الديني فقد أصبح الإمام أبو بكر كان حامل لواء الإسلام في ذلك الإقليم، إذ أن بلاد فوتا رغم ثورة حملة العلم الشرعي الديني «التورودو» إلا أنه ظلت ممارسات الكثير من الشيوخ وأمراء الحرب مخالفة للشرع الإسلامي فكافح الإمام لإصلاحها وتقويمها كما نشر الإسلام بمحاربته لكفار «سينلوي» وقاتل الوثنيين في مناطق أسفل وأعالي النهر، حيث كان للإمام أبو بكر جيش منظم تنظيماً جيداً، أبلى بلاءً حسناً وأثبت قوته في معارك متنوعة، وقد ساهم مساهمة فاعلة في الثورة الدينية التي قام بها الزوايا في بلاد فوتا سنة ١٧٧٦م مع كل من سليمان بال وعبدالقادر كان، واضعين بذلك حداً لحكم أسرة دينيا نكوبي الفلانية. كما عهد بابنه إلى الشيخ عمر تال الفوتي مساهماً بذلك في الجهاد وذلك نظراً إلى تقدم سنه حينها وقد شارك الإمام أبو بكر كان في معركة بونغوي «محاولة خلع الإمام عبدالقادر كانْ» إلى جانب الإمام الذي كان حينها أمير دولة الأئمة الإسلامية، ولقد أصاب اغتيال عبدالقادر كانْ بتمالؤ وتواطؤ مع الكفار ـ الإمام أبو بكر بصدمة قوية بالنظر إلى ما كان يكنه له من تقدير واحترام فضلاً عما يربطهما من أواصر القربى ـ وإذا كان الإمام أبو بكر قد قبل أن يصبح حامي انضمام بلاد تورو إلى الحكم الجديد فإنما ذلك لأنه كان يأمل أن يحذو سكان فوتا «الشرقية» حذو أهل دمشق بإقامة مجتمع يكون فيه الإسلام دين الدولة، وتحترم فيه أحكامه احتراماً تاماً، غير أن اغتيال الإمام عبدالقادر كان قد كشف للأسف عن الأطماع الحقيقية لبعض شخصيات فوتا. ومنذ ذلك الوقت، ابتعد الإمام أبو بكر من حكم الإمامة وأصبحت بلاد دمشق مستقلة.

وبعد اغتيال رئيس الاتحاد الفدرالي يوم ٤ إبريل ١٨٠٧ والذي أوّله وفسره الإمام أبو بكر بأنه انقلاب رجعي وأن زعماء فوتا رجعوا إلى عصر الخيانة والرشوة بين المتنافسين الأكثر بذلاً أو الأقوى الذين انتخبوا الإمام بقناعتهم، أدار الإمام ظهره لنظام الأئمة في فوتا وصمم أن يحول الحكم السياسي الدمشقي من وضعه القبلي الجماعي إلى وضع إقليمي أعم فضاء

من إقليم دمشق، حيث بدأ إقليم دمشق يتوسع ويتمدد شيئاً فشيئاً فقد تحالف الإمام مع «دكانا سرين» الذي قبل أن يكون شيخاً دينياً مؤقتاً وبهذه الخطوة يكون الإمام قد وسّع منطقة نفوذه إلى منطقة «تارد جي» في الشرق.

وعلى الصعيد الإداري فقد نظم الإمام أبو بكر كانْ إدارته تنظيماً جيداً حيث عين قائداً للجيش يتمثل في شخص «يرودادا صار، وعين إنجاي» صديق وزيراً للمالية، كما عين بوكارمالا دوتال أميناً عاماً لشؤون الرئاسة، وقد عين «إمبارشوري جكو» وزير الداخلية وقائد حرس الرئاسة، كما عين صنب ماما نتي مستشاره الخاص ومديراً لديوانه، وتم تعيين إديالو ببكر دمبا وزيراً للخارجية، كما تم تعيين فاربا موسى رئيساً لاتحادية الفنانين المسؤولة عن حفظ الأنساب وتحميس الجيوش في أجواء الحرب، كما عهد إلى رجال من أسرة «سد» بحماية وصيانة الدستور، هذا علاوة على تعيين رؤساء للنقابات العمالية وهيئات المجتمع المدني فيما يشبه الهياكل الاقتصادية بحيث تطلع كل نقابة بدور هام في توفير حاجيات السكان من لوازم الحياة الضرورية، فبعضها وهم المنمون يقومون بتلبية حاجيات المجتمع من اللحوم والألبان والدهون والجلود، وبعضها وهم المزارعون يوفرون مختلف المنتوجات الزراعية من الحبوب وغيرها، أما الصيادون فيوفرون أنواعاً من لحوم الأسماك والطيور إضافة إلى الحيوانات البرية الأخرى، وأما أصحاب الحرف من حدادين ونساجين ونجارين فيمدون السوق المحلية بكل احتياجاتها من الآلات والأدوات والأواني والقماش... إلى آخره.

أما على المستوى الثقافي فقد اهتم الإمام أبو بكر كان بالتعليم، فبعد عودته من دراسته الجامعية إلى قريته في ديمات ريو والتي تسمى بالعربية «دمشق راشد» كما يطلق عليها البعض «دار السلام أو مدينة الرشيد» فتح مدرسة درّس فيها علوم الشريعة الإسلامية بنفسه وذلك قبل أن ينتقل إلى الحكم وبعد توليه الحكم عيّن مجلس للتعليم في إقليم دمشق من مختلف قبائل الزوايا كقبيلة «سه، وله، وجكو، وكان» وغيرها بل كان

الإمام أبو بكر كان يحتفظ لنفسه إلى جانب منصب الرئيس بمنصب قاضي القضاة حيث كان يتولى بنفسه منصب القضاء ويشرف بنفسه على إقامة الحدود، وكتب الإمام عبدالعزيز سي في رسالته السالفة الذكر في هذا الصدد ما يلي:

(وكان يحكم بالشريعة ويقيم الحدود ويشير إلى هذه الحقيقة الشيخ محمد المامي في كتابه البادية ص**٣٥** وذلك عند كلامه على «الحدود» وأما مَن له جماعة لا تخشى معها الفتنة فإن أحكامهم كأحكام الإمام سواء كانوا أهل بادية أو حاضرة وقد شاهدت المان ببكر كانْ يقيم الحدود فللَّه دره).

جهاده ضد المستعمر:

ارتبط الإمام أبو بكر كانْ بعلاقات وثيقة مع فرنسا بداية الأمر ووقّع معهم اتفاقيات للتجارة الحرة وأخرى للاستثمار الزراعي وصيد السمك، وذلك مقابل تعزيز وتقوية اقتصاد بلده بحيث تنعكس تلك الاتفاقيات إيجابياً على التنمية الاقتصادية للإمارة الإسلامية، ومن أهم تلك الاتفاقيات اتفاقية وقِّعت مع الحاكم الفرنسي «إشمالتز» بين عامي (**١٨١٧** ـ **١٨١٨**) واتفاقية أخرى مع الحاكم «ويلوميز» وذلك سنة **١٨٤٤**م ونفس الشيء فعله زعماء دولة الأئمة الفوتية كالمامي يوسف والمامي بران.

لكن الإمام في نظر الفرنسيين يعد أقوى الزعماء الأفارقة إذ كان الفرنسيون يرون فيه محنكاً سياسياً وأحياناً يسمونه الشيخ الثعلب، حيث يرون أنه يستخدمهم لترسيخ سلطانه فهو يعرف كيف يستقطب الحلفاء عندما يحاول الفرنسيون تقليص قوته بالتحالف مع أطراف أخرى ضده، قصد الإضرار بمصالحه كالاتفاقية التي أُبرمت بين (إشمالتر، وأبراك آماري فاتيم امبورسو) في الوالو يوم **١٩** فبراير **١٨١٩** والاتفاقية التي أبرمت مع محمد الكوري ضد الدمشقيين لبناء قلعة في «دكَانه» يوم **٨** نوفمبر **١٨١٩**م وكرد على هذه الاتفاقيات ألغى الإمام الاتفاقيات السابقة حيث قام الإمام بعد

ذلك بتشكيل تحالف ضد المستعمرين شمل أقاليم من فوتا والترارزة والبراكنة وكايور ويعتبر أول تحالف كبير ضد الإمبريالية في جنوب الصحراء، وفي هذا المضمار وجّه الإمام أبو بكر كانْ رسالة تحذيرية شديدة اللهجة للغزاة الفرنسيين يحذرهم فيها من مغبة التدخل في الشؤون الداخلية للشعوب المجاورة لنهر السنغال، وهذا نص الرسالة نقلاً من وثائق الأرشيف السنغالي «١٣ ـ G ـ ١١٨ ـ ١٨٤٨م»: وقد جاءت رداً على رسالة المستعمر (موجب هذه الرسالة إليكم أن نعلمكم أن مَن كتب رسالتكم لا يعرف اللغة العربية ولا يعرف لغة الزنوج، فلو كتبها بلغة الزنوج لفهمناها، غير أننا إنما فهمنا نواياكم بقلوبنا، إن جوابنا لكم أن تسمعوا جيداً وتصبروا على الاستمتاع إلى جوابنا فإذا فعلتم ذلك عرفتم أن الإمام أبو بكر لم يظلم أحداً ولا يظلم أحداً وليس من الظالمين في شيء ولم يقل إنه يفعل ذلك ولكن إذا أعنتم عليّ مَن ظلمني فإن الأمر يصير عند ذلك جللاً وخطيراً.

إن الولدين اللذين أساءا[1] لم يعملا ذلك بتوجيه أوامر من أي أحد ولا مني أنا ولم يكن لذلك سبب. إن كل ما يقال عني من سوء إنما قصد به الإخلال بكلامي وعهدي وليس من طبعي ولا من خلقي أو خلق الشرفاء، بل أنتم والمسيو رفرديت «reverdit» مَن ظلم وأساء لأنكم تدخلتم في شؤون لا تعنيكم، وتجاوزتم حدودكم لتدخلوا في حدود ليست لكم وأنتم بفعلكم ذلك ظالمون، فإذا كانت طائفتان من العرب في حرب بينهما فعليكم أن لا تدخلوا في خلافهما ونزاعهما، وعليكم مثل ذلك مع شعب التكرور وكذلك مع أهل بلاد «انغلام» ففعل ذلك ظلم للناس، إنكم نصارى عندكم الكتب، وتعرفون معرفة عقلية جداً، فلأي شيء تأتون هنا إلى بلادنا وقد ذهبت سفن نخاستكم، إنكم ترغبون في محاربتنا وظلمنا لأمرين لا يعنيانكم في شيء، أما القانون والعهد الذي تريدون مني

---

(١) يشير الإمام أبو بكر إلى أميرين من أمراء الترارزة كانا في صراع داخلي على السلطة من جهة وضد الفرنسيين من جهة أخرى.

الموافقة عليه فإني لا أرفض ذلك لأني رجل عهد وميثاق، ولكن بأي طريق وأي وجه يكون هذا القانون؟

فأنا لا أركب سفنكم وأنتم لا تنزلون إلى الأرض وأما سفنكم التي بها الكثير من الخيل والرجال فخير لكم أن تبقوا ذلك على متن سفنكم إذ أنكم إذا أنزلتم ذلك سترون قوة لا قبل لكم بها وليس لكم مثلها).

وقد واجه الإمام أبو بكر كان بقوة وبسالة الغزو الفرنسي فقاتل الفرنسيين في معركة «فاناي» عام **١٨٠٥**م حيث قتل نقيباً فرنسياً يدعى «ريبو» واستمرت المعركة بينه وبين الفرنسيين إلى أن توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وبعد وفاته أصبح ابنه سعيد إماماً لأهل دمشق، لكن حكمه لم يستقر نتيجة للسياسات الاستعمارية والتي انطلقت عام **١٨٥٢**م بعد وفاة الإمام أبو بكر بسنة وذلك يوم **٢١** مارس من عام **١٨٥١**م حسب الرواية المحلية أو **٢٨** أكتوبر من نفس السنة حسب الرواية الفرنسية والتي اعتمدت على الرسالة التي أرسلها لهم «إديالو ببكردمب» ليبلغهم بوفاة الإمام وكونه أصبح خليفته في نفس اليوم، على كل حال فاديالوا بوبكر دمب رئيس الدبلوماسية استحوذ فعلاً على الخلافة ولم يكن الأمر بإجماع الجميع خاصة ألمان سعيد الذي يصر أن يخلف أباه، وبعد مشاورات طويلة في الكواليس قبل الجميع أن يتولى ألمان سعيد منصب الخلافة في نفس اليوم من عام **١٨٥٢**م وبعد وفاة الإمام أبو بكر بدأ الأعداء يتربصون بالدمشقيين والذين لن يتأخروا في الهجوم عندما يعلمون بضعف المؤسسات بعد الفراغ الذي تركه رحيل الإمام أبو بكر كان، بيد أنه بعد سنة ونصف من تنصيبه واجه الإمام سعيد، فرنسا والتي كانت سياستها الجديدة هي الاستعمار المباشر للقضاء على المقاومة الفوتية عامة بغية وضع سياسة لتفكيك الفوتيين، الشيء الذي يحلم به الوالي «أدوارو يلوميز» الذي كان يطالب بتطبيق هذه السياسات منذ عام **١٨٤٢**م فالإمام سعيد هو أحد كبار الأبطال في الغرب الأفريقي والذي لم تدوَّن حياته بالكلية فقد قاد الدمشقيين في حرب ضد الفرنسيين استمرت سبع سنوات وذلك بعد وفاة أبيه ـ وكان قائد جيش

العدو الفرنسي فيدرب ـ ولم يستطع الفرنسيون خلال هذه السنوات السبع مواصلة التوغل في بقية أجزاء فوتا إلا بعد سقوط مقاومة الدمشقيين الباسلة وذلك يوم ٧ مايو ١٨٥٨م بعدما نفذ مخزونهم من البارود، وبعد هزيمة الدمشقيين تمّ إلقاء القبض على الإمام سعيد كانْ وقد سجن في سينلويس وعذِّب حتى توفي هناك لمعارضته وعدم قبوله للاستعمار رحمه الله رحمة واسعة، وقد نفي ابنه مامادودادا كان إلى «الغابون» وما لبث الفرنسيون أن لاحظوا شجاعته فدفعوا به إلى الجيش الاستعماري حيث حصل على رتبة نقيب، ولما عاد إلى سينلويس قدّم استقالته وأسّس بلدة دار السلام «دار» واستقر بها، غير بعيد من دمشق، وعلى الصعيد الحربي، خاض أهل دمشق معارك ظافرة كثيرة ضد مملكة والو، فمن ذلك معركة «انديرِ» غير أن سكان والو قد أخذوا ثأرهم في معركة «جالوا والي» وفقد الإمام أبو بكر كان في هذه المعركة كثيراً من رجاله من بينهم أبطال محاربين من الغالونكي «أوسبي أي: المحاربين» ممن كانوا في غاية الولاء للإمام أبو بكر كما كان هذا الأخير يكن لهم عظيم الاحترام، وفي هذه المعركة أيضاً فَقَدَ ابنه خرّاشي كانْ.

الإمام أبو بكر كان وحنكته السياسية والاجتماعية:

فلئن كان ينظر إلى الإمام أبو بكر أحياناً على أنه كان متعاوناً مع الفرنسيين فإن الحقيقة هي أن تحالفه سواء مع الفرنسيين، أو مع العرب أو مع أمراء فوتا وتغييره لتلك التحالفات من حين لآخر إنما كان يسعى من كل ذلك إلى غاية واحدة أولاً وهي تعزيز قوته وحماية مصالحه، فقد كانت للرجل إدارة صلبة في أن يغدو قائداً إقليمياً كبيراً وذلك ما جعله يتصدى مبكراً للفرنسيين، ذلك أنه كان أحد أوائل قادة بلاد فوتا ممن أدركوا أطماع الفرنسيين الاستعمارية في المنطقة، وفي الوقت نفسه لم يكن الإمام أبو بكر حاكماً متسلطاً، وذلك بالنظر إلى سعة أفقه ورحابة صدره، فقد كان يفاتح ويتصل دائماً بكل الذين كانوا يحاولون أن يبيِّتوا أمراً ضد ملكه، وهكذا لم يكن يتردد في إرضاء بعض المطالب دون ضغينة أو

كراهية، فقد كان الرجل سخياً كريماً بلا حدود وذلك ما نرى الحاكم الفرنسي «شمالتز» يعترف به ويجعله سبباً في كون الإمام أبو بكر أفلح بسهولة في إقامة تحالف عريض ضد الفرنسيين سنة **١٨٢٠**م وعلى صعيد العلاقات الاجتماعية والروحية، أدت صلات الصداقة الوثيقة والعميقة بين الإمام أبو بكر والصوفي الشيخ محمد فاضل اللادمي رَحِمَهُ اللَّهُ إلى زواج هذا الأخير من بنت الإمام أبو بكر السيدة النمجاط وباسمها سميت قرية النمجاط الحالية.

كما سعى الإمام من وراء مصاهراته إلى مزيد من توسيع دائرة نفوذه الديني أولاً والسياسي ثانياً، فواحدة فقط من النساء الخمس اللاتي تزوجهن كانت من إقليم دمشق، أما الأخريات فكنّ إما من مجموعات قروية أو من أقاليم أخرى على علاقات حسنة معه، وهكذا كانت زيجاته هذه إما لإطفاء حرائق أو تسكين صدامات سياسية واقعة أو مرتقبة.

أما زوجته الأولى: فهي ابنة عمه «فادوم جالوم» ولم تنجب منه إلا ابناً واحداً.

وأما زوجته الثانية: فكانت «مريم عائشة سي» من بلدة جعتر.

وأما الثالثة: فكان اسمها عائشة كان، من ذرية الإمام أعمر الغاني، وإن كانت بنت عمه إلا أنها من إقليم «غاني» فهي سليلة حم جولط كان.

وأما الرابعة: فكانت «دادا أو خدي أجيان» وهي من قبيلة «التشدو» المحاربين، وأما زوجته الرابعة الثانية ـ بعد طلاق الأولى ـ فهي «جاوجوب» وأصلها من والو من قرية اسمها «إنجانغي» ويذكر بعض الإخباريين أنها بنت «أعمرفاتيم أمبورسو».

وقد أنجب الإمام أبو بكر من زوجاته المختلفة أربعة عشر من الأبناء والبنين، سبعة منهم ذكور وسبعة إناث.

وفاة الإمام أبو بكر كان:

فبعد أن أصبح الإمام أبو بكر كانْ وسيبقى ـ مثالاً وقدوة تحتذيها الأجيال على مَر الأيام بفضل خبرته وحكمته، وخصاله الخلقية الرفيعة وما آتاه الله من العلم والرئاسة ـ هذا فضلاً عن عمر طويل عمَّره في طاعة الله، انتقل إلى الرفيق الأعلى يوم **٢١** مارس سنة **١٨٥١**م رحمه الله وطيّب ثراه.

❍ ❍ ❍ ❍ ❍ ❍




رد الاعتبار للمقاومة الموريتانية المنسية من خلال شعار العلم الوطني الجديد (مقاومة أهل راشد) نموذجاً.

إن قلب المواطن الموريتاني البسيط ليحزن وإن عينه لتدمع وإن بدنه كله ليقشعر إذا علم أن فصيلاً واحداً من فصائل المقاومة الموريتانية على ضفة نهر السنغال قد كبد جيش المستعمر الفرنسي ٦٠٠ قتيل بين جندي وضابط دون الجرحى والأسرى وذلك في معركة واحدة فقط من المعارك التي دارت بين مقاومة أهل راشد بمدينة (دمت) قرب مدينة انتيكان بولاية الترارزة حاليا وبين النصارى الفرنسيين خلال أربعين سنة من عام ١٨١٤ حتى عام ١٨٥٤م.

فماذا ستكون صدمة المواطن الموريتاني البسيط الذي غيبت عنه هذه الحقائق منذ ذلك التاريخ إلى لحظة كتابة هذه السطور؟

وإني على يقين أنه سيصعق إذا علم أن هذه الحقائق موجودة في الأرشيف الفرنسي بباريس وأن هذه الحقائق جاءت في تقارير الجنرال الفرنسي فيدرب الذي نص فيها حرفياً على أن مقاومة أهل (دمت) أخرت سقوط إقليم فوتا تورو على ضفتي نهر السنغال أربعين سنة وحالت بين دخول فرنسا الأراضي الموريتانية من جهة النهر أربعين عاماً.

وحول الموضوع ونص تقرير الجنرال فيدرب الفرنسي الوالي على

مستعمرات غرب أفريقيا كتب المؤرخ أبو بكر خالد با في كتابه: «صور من كفاح المسلمين في أفريقيا الغربية» ص ٨٨-٨٩ النص التالي:

كان هدف فرنسا منذ تسلم فيدهربه القيادة هو الوصول إلى حوض النهر بمالي ولا يمكن لها ذلك من غير أن تسعى ـ ولو ببارود المدفع ـ لفصل الأقاليم الفوتية بعضها عن بعض وإدخال الواحد تلو الآخر في حماية فرنسا وكان هذا الهدف هو الخطوة الثانية بعد التدخل الذي تذرعوه باسم التجارة.

وفي **٢٣** مايو **١٨٥٤**م قاد هربه حملة عسكرية ضد (جلمت) عاصمة الإقليم الغربي لبلاد فوتا وذلك بعد أن استنفد كل الوسائل السلمية لإقناع الإمام سعد بن بكر كن لقبول الحماية الفرنسية.

وكانت الحملة تتكون من **١٨٠٠** جندي مسلحين بعتاد حربي جيد وحاصرت عاصمة الإقليم (جلمت) والتي كانت تتبعها مدن هامة في فوتا وهي كاني قاي (Gaya) وتيكان (Tekan) ودار السلام فني (Fenay) وسخوار (Skhwar) ـ العين ـ تريقا (Teregha) وعمور ـ بلو (Ballo) وجلي (Jually) وفني والو (Fanay) وسنقي (Sangay) وجانم جاوب (Janaum Jiabe) ودمت جير كنداو كنداو سيولي (Siyali) وتيجق (Tigga) وقندار (Gandar) وهذه المدن الرئيسة لإقليم دمت أو (تلد راشد).

وكانت محصنة تحصيناً عتيداً ويحيط بها سور ضخم ارتفاعه **٩** أمتار وعرضه **٣** أمتار وعلى جوانبه نقاط للمراقبة وقوات الإقليم المسلحة تقدر بـ**٢٠٠٠** من القناصة المهرة بالإضافة إلى النساء المتطوعات اللآئي أدين البطولة النادرة التي لم تشهد المنطقة لها مثيلاً. لقد طلعن على قمم السور يغلين المياه في القدور يصببن على القوات الفرنسية المهاجمة المعتدية.

واستخدمت فرنسا الدبابات التي كانت تجرها الخيول ـ استخدموها ضد الإقليم لأول مرة في وادي السنغال ـ لقد اعتبر فيدرب سقوط المدينة معجزة كبيرة لتحصينها وثبات رجالها.

ويقول في أحد تقاريره إلى فرنسا: (لقد وقفنا إجلالاً لرجالنا الذين صمدوا أمام الحصن «القلعة» المحصنة، وسقوط المدينة في أيدينا بهذا العدد من الرجال وبهذه السرعة الغير المتوقعة كانتا معجزتين. بيد أن الحرب في (جلمت) كانت ضارية وقاسية وفقدنا من رجالنا حوالي ٦٠٠ بين جندي وضابط وجرح من ضباطنا جروحاً بالغة: السيد قبشار، والسيد كورني، والسيد موزير...

وكانت جلمت عقبة كبرى حالت دون أخذ فوتا منذ أربعين عاماً. أما وقد استطعنا الآن ضرب هؤلاء الغوغائيين الذين كانوا يعتقدون أنهم لم يغلبوا فإن الأمور سوف لن تكون صعبة أمامنا... وأقترح ترقية هؤلاء الضباط لحسن بلائهم في هذه المعركة: ليتنا ديو (L. Diyo) وليتنا فرنك (L. Frank) وليتنا ايرو (L Iroo) وبتري (Batre) وبرياد ايوت رديوارته (Diyoerth): الذي واجه المياه الحارقة بشجاعة نادرة، وكنار (Genaar).)[1].

إن رجالنا لم يشهدوا مقاومة منذ حملة نابليون على القاهرة مثل مقاومة أهل (جلمت).

ويضيف الإمام الداعية عبدالعزيز سي رحمه الله تعالى في رسالته: (حياة الإمام القاضي أبو بكر سي بن الإمام إبراهيم سي) أن النصارى الفرنسيين لم يستطيعوا دخول (دمت) عاصمة إمارة أهل راشد إلا بعد حصار دام سبع سنوات نفد فيها مخزونهم من الغذاء والبارود، وبعد تلك السنين العجاف قامت فرنسا بتدخل بري وبحري عبر السفن التي تمخر النهر وإنزال جوي.

---

(١) للوقوف على نص تقرير الجنرال الفرنسي فيدرب حول مقاومة أهل راشد انظر: أرشيف سنغال: ص٧ وثيقة رقم ١٥٦.
وانظر أيضاً خالد أبو بكر با ص: ٨٨ ـ ٨٩. وابحث عن الأصل في أرشيف باريس تقارير الجنرال فيدرب عن مقاومة أهل (دمت) على ضفتي نهر السنغال.
ورسالة الإمام عبدالعزيز سي عند تخرجه من المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية سنة ١٩٨٣.

ولكن مع ذلك كله تكبدوا في تلك المعركة وحدها ما سبقت الإشارة إليه من خسائر.

هذا فقط ما حصل في معركة واحدة من معارك مقاومة أهل راشد بمدينة (دمت) قرب مدينة انتيكان بولاية الترارزة حاليا وبين النصارى الفرنسيين خلال أربعين سنة، فما هو مجموع خسائر الفرنسيين طوال أربعين سنة من مقاومة أهل راشد؟.

وأقول لأولئك الأعداء للمقاومة الوطنية الموريتانية والذين ينكرون أصلا وجود مقاومة للاحتلال الفرنسي على التراب الوطني الموريتاني ما هو ردكم على هذه الحقائق التي شهد بها الاستعمار الفرنسي؟؟.

ولماذا تعارضون تغيير العلم الوطني من أجل رد الاعتبار لهذه المقاومة المنسية والمتجاهلة عن قصد وعمد؟ ولكن عملاء الاستعمار وشيوخ الاستعمار وعلماء الاستعمار وأذيال الاستعمار والذل والعار لا يريدون لهذه الحقائق أن تظهر للعلن كي لا يتميز المجاهد عن العميل والشهيد عن المنافق الجاسوس والوطني الشريف عن المتاجر بدينه ودماء الشهداء ووطنه خدمة للنصارى الفرنسيين الغزاة.

واختصارا يخافون من ظهور هذه الحقائق لأنها ستميز الخبيث من الطيب.

وبناء على ما سبق فإني أدعم قرار فخامة رئيس الجمهورية السيد محمد ولد عبدالعزيز تغيير العلم الوطني لرد الاعتبار للمقاومة الموريتانية المنسية والمهمشة تاريخياً عن قصد وسابق إصرار.

كما أثمن تسميته مطار انوكشوط الجديد بمطار أم التونسي تخليدا لتلك المعركة الفاصلة التي كانت نقطة تحول نحو الانعتاق والتحرر من الاستعمار الفرنسي، وتخليداً أيضاً لأرواح أولئك الشهداء الذين ارتوت بدمائهم الزكية التراب الوطنية.

وكان أمير أهل راشد عند دخول الفرنسيين إلى السنغال وقبل

وصولهم إلى ضفة النهر هو الإمام العلامة القاضي ألمان ببكر كن الصالحي الحسني، والذي كتب عنه العلامة الشريف الشيخ محمد المامي الحساني الجعفري الطيار الهاشمي في كتابه: «البادية» (لقد حضرت القاضي ألمان ببكر كن يقيم الحدود فللّه دره).

وعند استقلال موريتانيا سمي الشارع الذي يتفرع عن شارع جمال عبدالناصر باتجاه شارع الأمل، ويمر أمام المكتبة الوطنية ودار الشباب القديمة، سمي هذا الشارع بشارع: ألمان ببكر كن تخليداً لدوره الريادي في المقاومة الوطنية.

وللتعريف بأمير أهل راشد الذي جرت هذه المعارك تحت قيادته فهو السيد الشريف سعد بن الإمام العلامة ألمان ببكر كن بن سعيد بن ببكر خديجة بن سعيد بن هنت بن راشد بن محمد المسلم «حم جولط كان» ابن داود بن الشريف سيدي إلياس «يرو» التنبكتي الوداني، ابن هلال بن العائد بن محمد بن أحمد بن عبدالله الشريف بن هلال الصغير بن عبدالرحمٰن بن عبدالله بن هلال الدمشقي الكبير بن العائد الكناني بن حبيب الله بن عبدالله الشريف خان ـ والذي حرف السودان لقبه من «خان» إلى «كان» ابن هذيم بن مسلم بن زيد بن عبدالله أبي الضحاك بن الحسن الشهيد بن عبدالله الشهيد بن محمد الشاعر بن صالح الجوال ابن عبدالله الرضا الشيخ الصالح ـ ويلقب بأبي الكرام ـ ابن موسى الجون بن عبدالله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي وفاطمة رضي الله عنهم أجمعين.

وكان قائد جيش أهل راشد الذي اقتحم ساحات الوغى وأصلى النصارى الفرنسيين ناراً تلظى هو السيد الشريف امباشور جكو بن بكار بن داود بن راشد بن محمد المسلم «حم جولط كان» الصالحي الحسني.

ولكن كما أريد لتاريخ بني صالح شرفاء كمبي صالح ملوك غانة ومالي من بلاد السودون أن يُنسى ويُمحى من الذاكرة والتاريخ الموريتاني أريد كذلك للمقاومة الموريتانية عامة ومقاومة أهل راشد خاصة أن تنسى هي الأخرى ويطويها النسيان ويلفها الإهمال.

ومن هذا المنطلق جاء دعمي وتأييدي لهذه الإصلاحات الدستورية التي اقترحها فخامة رئيس الجمهورية السيد محمد ولد عبدالعزيز وفَّقه الله لما فيه رضاه لما يترتب على تلك الإصلاحات من إحقاق لحقوق المجاهدين المقاومين في سبيل تحرير هذا الوطن الغالي ومن حفاظ على الذاكرة التاريخية لتلك المقامة الشريفة والتي في الحفاظ عليها الحفاظ على الهوية العربية الإسلامية الموريتانية.

٭ من أعلام بني صالح:

إن بني صالح قبيلة كبيرة جداً، تنتشر في شمال وغرب أفريقيا، وكان منها قديماً فرع بالحجاز بمكة وهم آل أبي الضحاك الصالحيون من عقب محمد بن صالح بن عبدالله الرضا، إلا أنهم لا يعرفون اليوم بهذا الاسم، وكانت منهم طائفة بمصر، مما جعل مهمة تقصِّي فروعهم وبطونهم وما آلت إليه أحوالهم مهمة صعبة للغاية، ورغم ذلك كله فإننا لن ندخر جهداً في تقصي تلك الفروع وتتبع تلك البطون، أينما كانت، بل ونسعى أكثر من ذلك لدراسة مميزاتها الثقافية والاجتماعية، ونسأل الله عزّ وجلّ جلاله وتعالت أسماؤه وصفاته وكماله: أن يوفقنا ويسدِّدنا ويعيننا على ذلك إنه نعم المولى ونعم النصير.

وبما أن القبيلة أنجبت أعلاماً كثيرين كانوا منارات في غياهيب الظلام، ومصابيح في الدجى استنارت وأضاءت بل وأشرقت بنورهم بقاع وأحيى الله بهم ما شاء من الأصقاع، إلا أننا سنختصر في هذا الباب على ثلاثة أعلام منهم فقط.

بعد أن قدّمنا ـ فيما سبق ـ كوكبة من أعلام هذه القبيلة: منهم ملوك غانة بدءاً بعبدالله الشريف خان بن صالح المعروف بعبدل الشريف گانْ، وأبنائه وأحفاده، وكان من أشهرهم «العائد الكناني» المعروف بآيل گانْ، وابنه هلال الدمشقي، الذي يعتقد أنه هو الذي أعاد بناء قصر كمبي صالح سنة (٥١٠) من سني الهجرة، كما نص على ذلك الشريف الإدريسي في «نزهة المشتاق في اختراق الآفاق»، ومن أولئك الأعلام أيضاً ملوك مالي،

والذين من أبرزهم الأمير الأسد، المعروف بسندياتا كيتا، وماري جاطه، والسلطان موسى بن أبي بكر المعروف بمنسا موسى، حيث يرجع إلى هؤلاء الفضل في قيام النهضة العلمية والثقافية في ربوع مملكة مالي وبخاصة عاصمتها الثقافية تنبكت، حيث جلبوا لها العلماء والكتب من الحجاز ومصر والمغرب وغيرها، وأسسوا الجامعات وشيّدوا المساجد، وأرسلوا عشرات البعثات العلمية إلى الأزهر الشريف، وجامع الزيتونة، وجامع القرويين، وفاس... وغيرها من الحواضر العلمية، بل استقدموا علماء من الأندلس كذلك، وفي هذا الجزء الثاني الذي بين أيدينا، قدّمنا حياة الشرفاء الملوك الأمراء ملوك مملكة مالي العلوية، وكوكبة من علماء وقادة فوتا تورو، فمنهم على سبيل المثال: الإمام عبدالقادر گانْ أول رئيس لدولة الأئمة، والإمام القاضي أبو بكر كان رئيس إمارة بني صالح بإقليم (دمت راشد)... إلخ.

فالكلام عن بني صالح وأعلامهم يعني باختصار: الحديث عن طائفة من أبناء الأئمة الأطهار، والحديث عن الملوك والممالك ـ الأمراء والإمارات ـ القادة والولاة ـ العلماء والدعاة.

حياة العلامة الفقيه محمد (مينحن) بن مودي مالك الصالحي الحسني:

وأول علم من أولئك الأعلام الثلاثة الذين سبقت الإشارة إليهم هو:

العلامة الشريف محمد (مينحن) بن الفقيه مودمالك رحمهما الله تعالى: وننقل لك أيها القارئ الكريم حياة هذا العالم الرباني سليل الدوحة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم، من كتاب «ورقات الأنساب» لابن عمنا الشريف المهابة بن محفوظ، حيث بدأها بالتعريف بآل مود مالك عامة وحياة العلامة (مينحن) خاصة تحت عنوان:

❊ ❊ ❊

كلمة موجزة للتعريف بجماعة آل مودي مالك

أود هنا أن أدوّن كلمة مختصرة حول جماعة آل مودي مالك، عسى أن تجد في المستقبل باحثاً يزيدها تعميقاً وإثراءً وشمولاً.

ومعتمدي في هذه الكلمة ما رواه الشيخان في موسوعتيهما: المؤرخ الكبير المرحوم المختار بن حامدن والشيخ العلامة محمد فال البناني، هذا فضلاً عما ذكره العالم النسابة والد بن خالنا وما أشار إليه البرتلي في فتح الشكور حول العلامة أشفع مينحن.

أما مودي مالك الذي نحن بصدد الحديث الموجز عنه وعن حفدته فقد قدم على أولاد ديمان ومكث فيهم وتناسل، ثم تناسلت ذريته فيهم صاغراً عن كابر، وكانت أم أبنائه ميجة مستقيمة، صالحة، وقد اشتغل مودي مالك بتدريس القرآن الكريم بعد أن شرطوا عليه صبيانهم. قال المختار بن حامدن نقلاً عن والد بن خالنا: «وكان مودي مالك لما سمع بخبر تشمشه وتحالفهم وتعاونهم على البر والتقوى خرج إليهم فوجدهم كما يجب فأعجبوه وأعجبهم فشرطوا عليه صبيانهم».

وله من الأبناء من المرأة المذكورة سابقاً:

أ ـ بتف واسمه المصطفى وكان صالحاً ومن أهل الكشف حسب رواية ابن حامدن.

ب ـ مينحن واسمه محمد.

ج ـ أحمد بوراص كان أنجب فتى في عصره، عمر أوقاته بتدبير الدين والدنيا وقد شرط عليه الكوري ولد سيد الفاضل يتامى «شرببه» فأنجبوا كلهم ما بين قارئ وخطاط وعالم وشاعر. «المختار بن حامدن».

د ـ الأمين.

هـ ـ وتوءمته خديجة.

وهنا أعرِّج بشيء من التفصيل على ملامح هامة من حياة العالم العلامة والحبر الفهّامة أشفع مينحن.

١ ـ الاسم واللقب:

اسمه محمد ولقبه مينحن وقد حملته أمه إلى الولي أبي زيد فدعا له وقال: هذا منا نحن الأولياء، فكانت كلمته علماً له، وقد توفي ١١٦٠هـ.

٢ ـ مكانته العلمية:

قال فيه محمد اليدالي:

«كان أقضى القضاة، وسيد الهداة، وسيد الحكام، خاتمة الأعلام، يرجع إليه عند التباس الأوهام بالأفهام، بركة الزمان... إلخ».

وهذه الشهادة صادرة من تلميذ لأستاذه، فتقرر من خلال هذا النص إمامة هذا العالم في مسائل ثلاثة:

أ ـ إمامته في القضاء.

ب ـ إمامته في الفتوى.

ج ـ إمامته في العلم والهدى.

ويشهد لذلك ما أورده العلامة محمد فال البناني عندما صرّح أنه كان من أكابر العلماء وأجلاء الصالحين، أخذ العلم من مدرسة سيد الفالي عن حفيده العالم المدرس زين العابدين بن الفغ الأمين وقد خلفه في التدريس في تلك المدرسة وتصدر على يديه جهابذة من كبار المدرسين والمؤلفين كالشيخ محمد اليدالي وسيد عبدالله بن رازكه ومحمد الكريم بن الفال بن الكوري ومحمد لمجيدري بن حبيب الله والطالب أجود بن مودي أوبك.

كما أشاد البرتلي بمكانته العلمية حيث يقول: «كان رحمه الله تعالى أستاذاً فاضلاً جليلاً فقيهاً نحوياً لغوياً أديباً شاعراً مجيداً».

٣ ـ نموذج من مساجلاته الشعرية:

لابن رازكة يمازح أشفغ مينحن:

لـسـيـدنـا مـيـنـحـن بـرذونـة إذا ... خطت أخطأت سير المراخي الأمالح
تباهي ذوي الأعراف، منها ذؤابة ... على نافع بن التونسي بن صالح

فقال مينحن:

لئن كـان عـبدالله قـد عـابا عـرفهـا ... وأخطاها سير المراخي الأمالح
فقد زانـهـا تـبغيلـها واصطلاؤها ... إذا ارتـكـبـت يـومـاً أمـام الـملالـح
عـلـيـهـا فـتـى لا يـنـثـني لـكـريـهـة ... ولـيـس بـذي سـيـف ولـيـس بـرامـح

وقال ابن رازكة في تقريظ قاموس مجد الدين الفيروزآبادي:

كـتـب الـلـغـات كـثـيـرة لـكـنـهـا ... مـجـمـوعـهـا لا تـعـدل الـقـامـوسـا
أمـا تـراهـا أبـطـلـت وتـعـطـلـت ... كـالسحر أبطل حين ألقى موسى
وجـه الـتـشـابـه أنـهـا لـمـا بـدا ... طرحت كشعر الرأس يلقى موسى

فقال أشفغ مينحن ينتصر لصالح الجوهري:

الـجـوهـري هـو الـمـقـدم إنـه ... في الفن كان لهم هدى ملموسا
لـو أنـه لاقـاه حـمّـر وجـهـه ... لا حـاسـداً لا حـاقـداً إلا مـوسـا

٤ ـ ذريته:

أولاد مينحن هم: عبدالله ـ والأمين ـ ومحمد.

قال المختار بن حامدن:

وأولاد مينحن: عبدالله والأمين ومحمد وكلهم علماء صلحاء رؤساء، فمن عبدالله منهم: المختار إسلامه بن أحمد بن الدن واسمه حمدن بن عبدالله الصالح الورع.

ومنهم عبده بن الأمين بن إمامو بن عبدالله بن مينحن الشاعر الظريف، وابنه شماد الظريف الشاعر وابنيه عبده وباب، ومنهم محمد بن أحمد بن الأمين بن إمامو وإسلم بن محمدين بن أحمد إمام.

ومنهم محمد سالم بن إسلامه بن حبيب الله بن محمد أشفع مينحن.

ومحمد بن محمد سالم بن سيد الأمين بن محمد بن عبدالله جنك بن المبارك بن محمد بن أشفع مينحن.

ومن الأمين بن أشفغ مينحن: آبود وأعديجه والمصطف أبناء محمد بن الأمين، فولد آبود: محمذن صاحب النوادر، وله منظومة فيما يستقبح في عرف بني ديمان منها:

والنعل إن كان من الجلود   فلبسه ليس من المعهود
إلا لشيخ ذي عيال فان   كابنين وابنتين يجريان
واعلم بأن أعظم الآفات   أكل طعام صاحب البنات

وبقيتهم أباه ومحمد ابنا سيد بن محمد، ومن أعديجه بن محمد بن الأمين: أمين بن امحمد بن اعديجه وعبدالله والخليفة ابنا محمد بن محمد ميلود بن محمد فال بن اعديجه.

ومن المصطف بن محمد بن الأمين: محمود بن سيد الفالي بن بييني بن المصطف ومحمد فال بن بازيد بن بييني وابنه أحمد، وأحمد ميلود بن الداه بن أحمد ميلود بن المصطف.

ومن محمد بن أشفغ مينحن ابنتاه: أم الفضل وأم هاني اللتان يقول فيهما خالنا يهنئ زوجيهما:

هنيئاً لمَن نال الرشا أم هانئ   وطوبى له إذ نال من ذلك الرشا
لما حاز كل الفضل من حاز أمه   وذلك فضل الله يؤتيه مَن يشا

الجانب الإفتائي في شخصية مينحن:

من فتاويه:

الحمد لله وحده ولا يدوم إلا مُلكه.

أما بعد فإنه يجب على «الزاوية» كل ما هو وسيلة إلى بقاء نظامها، باجتماع شملها، ومن جملة ذلك تعاونها على المداراة، التي من جملتها الضيافات، فيجب على كلٍّ أن يدخل في قسم الأضياف على العدل، أضياف الليل، وأضياف النهار على قدر ما ينوبه من ذلك والعون، إن تعذر بلوغ العدل، غاية.

ويحرم عليه السعي فيما فيه إخلال بنظام «الزوايا» وتفريق الجماعة وتلاشيها، مع ما ينوب من المداراة، ومن الضيافة، فلا يرتحل أحد عن الزاوية والسواد الأعظم، إلا لضرورة بيِّنة مخافة أن ينتقل كل واحد إلى مكان يواتيه، فيجيء المحذور المذكور.

ذكر عن بعض مفتي بلادنا هذه أن مَن كان خارجاً عن السواد الأعظم فإنه إن أدى به ذلك إلى استغراق الذمة ـ عياذاً بالله من ذلك ـ بأكله أموال الناس من ضعفاء المسلمين لا عن طيب نفس، وقد يؤدي إلى انفساخ نكاحه إن استحل لما أفتى به قاضي شنقيط عبدالله بن محمد بن حبيب.

هذا وفي الصحيح عنه ﷺ: «**مَن والى قوماً بغير إذن مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، ولا يقبل منه صرفاً ولا عدلاً**».

صيغة أخرى من هذه الفتاوى:

سؤال عن حكم المداراة وجوابها: أنها توزع على رؤوس الناس والمال وهي شاملة للصغير والكبير والذكر والأنثى على حسب ما لكل بالنسبة للجماعة، فيجب على أهل الحل والعقد وهم مَن تمد لهم الأيدي عند نزول النوائب ـ أن يجتهدوا في ذلك ويتفقوا عليه، فإذا كان متمرداً أو

امتنع راودوه على ما وافق الشرع وإلا رفضوه إن لم يؤدِّ ذلك إلى اختلاف الجماعة وانحلالها، فإن كان يؤدي إلى ذلك عملوا على عادتهم التي يحصل بها الوفاق، وإثم ذلك على مَن أبى عما اقتضى الشرع، وما يؤدي إلى النزاع والاختلاف حرام، ومَن حاد عن الجماعة التي تقصد للضيافة وتوجه إليها الظلمة وتطالبها بالمداراة فنصيبه من الضيافة التي حملتها الجماعة عليه، وما استضافوا به مصيبة نزلت بهم ولا حجة لهم في قولهم: انعزلنا لهمنا.

هذه لمحة موجزة عن بعض حفدة الشيخ مودي مالك وخصوصاً الفقيه ألفغ مينحن، وأعتذر عن النقص والتقصير وعدم استيعاب هذه الكلمة لكافة فروع الجماعة ورجالها ولعل مناسبة أخرى في مستقبل الأيام تسمح بما هو أشمل وأدق وأكمل[(١)].

○ ○ ○ ○ ○ ○

---

(١) ورقات الأنساب، الشريف المهابة بن محفوظ، ص٢٣ ـ ٢٩.





لمحة تاريخية مختصرة عن الإمام العلامة محمد محمود بن الشيخ بن سيدي بوبكر الأرواني

هو من بني صالح صاحب مدينة كمبي صالح عاصمة سلطنة غانا القديمة والذين تفرقوا في الصحراء الكبرى وفي الشمال الأفريقي ما بين القرن الخامس الهجري إلى ما بعد القرن السادس أولاً إلى الجزائر في جبل البليدة ثم إلى تونس والمغرب وإلى ليبيا في تاورت في منطقة الشط وفي داخل بلاد شنقيط القديمة وفي منطقة أزواد عند الطوارق الملثمين وإلى مصر في آيت البارود وفي السودان وهم من سلالة موسى الجون الحسني الذي أبناؤه في اليمن والعراق والبحرين والأردن وبلاد الحجاز.

تاريخ ميلاده:

ولد رَحِمَهُ اللَّهُ في ضاحية مدينة تمبكتو مسكن والديه في أواخر شهر رمضان ١٣٢٨هـ الموافق ١٩١٠م.

قال في نظم له:

تمبكتو مطلع شمسي ونسبتي أرواني.

وفي آخر:

قال الفقير واسمه محمد محمود نجل الشيخ ربي أحمد الفاطمي الحسني محتداً موطنه تمبكتو كانت مولداً.

وقال في آخر:

يقول: مَن في الفقرا معدود مَن اسمه محمد محمود والده الشيخ سليل الحسن سبط النبي حائز كل حسن موطنه تمبكتو وهي الوطن والفرع والأصل بها قد قطنوا.

تاريخ وفاته:

توفي ليلة الإثنين **١٩٧٣/١١/٢٥**م في تمبكتو ودفن في المقبرة الشمالية في تمبكتو المعروفة بمقبرة الشيخ سيدي محمود الصنهاجي.

من أهم مؤلفات الإمام العلامة محمد محمود بن الشيخ ابن سيدي بوبكر الأرواني:

ـ المنظومة الجكانية في الذب عن المعالم الإسلامية، ومدح المقاومة الأفريقية الجزائرية للتحرر من البراثين الاستعمارية.

ـ كتاب الترجمان في تاريخ الصحراء والسودان وبلاد تمبكتو وشنقيط وأروان ونبذ من تاريخ الزمان في جميع البلدان.

ـ القول المشكور في اختصار فتح الشكور.

ـ تحفة أحباب الله في مراتب الشهود في ذكر الله.

ـ نفع البلاد والأولاد بخير الأذكار والأوراد.

ـ النظم الموصول بالدعاء المقبول.

ـ السنن الصحيحة في سنية التسبيح.

ـ حزب الدندنة ذات النور المبين الجامع لاسم الله تعالى الأعظم المعين.

ـ عون المالك في وصلة السالك.

ـ توضيح القول والقدر في مقدار مدة الحمل.

ـ تنبيه الغافل في فرش الأعراش في أحكام لحوق الولد بالفراش.

ـ تنظيف الأثاث في أحكام الطلاق ثلاثاً.

ـ دليل الحاج المسرور إلى إحكام الحج المبرور.

ـ توضيح المدرج في مراسلة الشيخ أحمد سكيرج حول الطريقة التيجانية برفع الحرج.

ـ تحفة المجيد إلى بحور المنطق الجديد.

ـ البلاغة في نظم فقه اللغة.

ـ غنية المولد في علم أوزان الشعر العربي المتجدد.

ـ الإسلام بنسائه ورجاله يحرّم الإرهاب في جميع أشكاله.

ـ نصيحة المسلمين ذوي الألباب في التعاون مع أهل الكتاب.

ـ ترجم تاريخ أفريقيا من الفرنسية إلى العربية والرد على مؤلفه الفرنسي في كثير من غلطاته التاريخية.

ـ كتاب العلوم والمعارف.

ـ مختصر مفيد جامع في تفسير القرآن الكريم.

ـ شرح وتعليق على كتاب البخاري ومسلم في الحديث الشريف.

وله كتب أخرى قيِّمة وفتاوى عديدة وقصائد كثيرة يمكن جمعها في ديوان مستقل.

المناصب التي عمل بها:

عمل قاضياً شرعياً في أروان ثم في تمبكتو بصفته قاضي ومفتي شريعة المسلمين وذلك في عهد الاستعمار **١٩٣٢ ـ ١٩٥٩م** في الصحراء وغرب أفريقيا مندوباً للحزب الدكولي **١٩٥٢ ـ ١٩٥٦** الفرنسي، عمل كذلك مع التجمع (الشعبي الفرنسي) ورئيساً للمكتب التنفيذي الفرعي لهذا الحزب في إقليم حوض النيجر، وكان قبل ذلك مناضلاً بارزاً في الحزب السوداني التقدمي، ثم انضم سنة **١٩٥٦م** إلى الاتحاد السوداني للحزب الديمقراطي الأفريقي في باماكو.

ثم انضم إلى حزب التجمع الأفريقي في دكار **١٩٥٢م** وبقي منتمياً إليه حتى بزوغ فكرة الاستقلال سنة **١٩٥٨ ـ ١٩٥٩م**.

وكان الرئيس ومفكر ومؤسس حزب يطلق عليه التجمع لشعب الصحراء.

تزعم برنامجه السياسي وكان وسيطاً للحرب الجزائرية الفرنسية من طرف فرنسا كرجل ديني وعالم كبير له وزنه المرموق في أوساط المنطقة لدى المسلمين الجزائريين إلا أنه كان حريصاً على مصلحة الشعب الجزائري وكانت علاقاته وطيدة مع جماعة بن باديس كما كان يجري في الصلح بين الطرفين مع الدفاع دائماً عن موقف الإسلام بكل صرامة مما جعل فرنسا تحافظ على شخصه كصديق وتأخذ الحذر التام من تطبيق فكرته السياسية في ما يخص الصحراء الكبرى.

وكانت له علاقة مع الحركة القيمة لتحرير الجزائر في مصر بالقاهرة وكذلك مع اتحاد السودان العام في مصر بالقاهرة، وكان ممن ساهم في طرح نقاشات فكرة منظمة الوحدة الأفريقية خصوصاً مع كونينكورما في غانا.

وكان يعد نفسه من الجبهة الوطنية لتحرير الجزائر، وفي مقابلة معه باللغة الفرنسية صرّح بذلك في إذاعة دكار سنة **١٩٥٨م**.

وكانت له علاقة أيضاً مع شخصيات مرموقة في ذلك الوقت مثل:

سعود بن عبدالعزيز ملك السعودية، محمد الخامس ملك المغرب، جمال عبدالناصر رئيس جمهورية مصر العربية، الشيخ محمد بن حورا قاضي جزائري، الشيخ عبدالرحمٰن تاج شيخ الأزهر، الشيخ محمدن ولد داداه في موريتانيا، الأستاذ المؤرخ المختار ولد حامدون في موريتانيا، الشيخ محمد بن الكبير في الجزائر، وغيره، والحسن التازي في المغرب، وكذلك القاضي سيدي محمد بن عبدالمالك في موريتانيا.

الدول التي زارها:

نذكر منها بالأخص: الجزائر ـ ليبيا ـ تونس ـ المغرب ـ مصر ـ السودان ـ المملكة العربية السعودية ـ الأردن ـ العراق ـ سوريا ـ لبنان ـ القدس ـ السنغال ـ ساحل العاج ـ بوركينا فاسو ـ غانا ـ النيجر ـ نيجيريا ـ فرنسا ـ الولايات المتحدة الأمريكية ـ بريطانيا ـ إيطاليا ـ إسبانيا.

كانت زياراته كلها رحمه الله تعالى كما ذكر هو نفسه بعد استجوابه عندما ألقي عليه القبض وفرض عليه المنفى وطلب منه تقرير شامل حول حياته السياسية فكتب بأن أسفاره كانت كلها إما للبحث التاريخي أو للاكتشاف العلمي أو صلة الأرحام.

أُدخل السجن في مدينة غاوا ثم في جويلا ثم في كولونجبا ثم في **١٩٥٩/١٢/٣٠م** نقل إلى باماكو وباختيار منه إلى بنمبا لقربها من الحدود الموريتانية إلا أنه لم يلبث حتى أعيد إلى باماكو العاصمة وتم إطلاق سراحه من طرف اللجنة العسكرية للتحرير بقيادة موسى تراوري وذلك بعد الإطاحة بموديبا كيتا ونظامه الشيوعي وذلك بتاريخ **١٩٦٨/١١/١٩**. وبذلك رجع إلى مسقط رأسه مدينة تمبكتو.

أسماء الذين عارضوا معه الانضمام إلى مالي خلال فترة الاستقلال:

كانت معه الأغلبية الساحقة في البداية من علماء وفقهاء وأمراء ووجهاء ثم تراجعت عنه من جراء الأغلوطات السياسية المحاكة آنذاك باسم الإسلام، وبقيت معه فئة قليلة جداً نذكر منها أفراد وهم:

من الوجهاء: الحبيب بن محمد وافي، ومحمد بن عبدالوهاب.

ومن العلماء: عيسى بن محمد المولود.

ومن الشباب: الناجي بن الناجي وغيرهم.

ومن المجاورين: الأستاذ يعقوب بن أبي مدين في موريتانيا وغيرهم.

تمت بحمد الله

إعداد ابنه الأستاذ الشاعر الأزوادي
عادل محمد محمود الشيخ

❊ ❊ ❊



حياة العلامة المختار بن بابه بن حمدي بن الطالب أجود الصالحي الحسني

إن لكل شعب وبلد ما يميزه، وميزتنا نحن أهل شنقيط هو قوة الذاكرة، مما أنتج أعلاماً أفذاذاً كلهم بمثابة مكتبة متنقلة تحتاج إلى البحث والتحقيق.

ولهذا سنميط اللثام عن أحد أولئك الأعلام، وهو علم من أعلام ولاية أترارزة عاش ما بين ١٩١١ ـ ١٩٨٦م، يسمى المختار ولد بابه ولد حمدي ولد المختار ولد الطالب أجود، الشريف نسباً الحاجي وطناً، وهو سليل أسرة علمية عريقة توارثت العلم خلفاً عن سلف.

نشأته ودراسته:

نشأ المختار ولد حمدي في بيئة علمية حيث درس القرآن الكريم على والدته وهو صغير، ثم درس العلوم الشرعية والعربية على محمد ولد أحمد ميلود الحاجي ومحنض بابه ولد إمام الحاجي أيضاً.

ودرس كذلك على العلامة أحمد مولود ولد أحمد فال اليعقوبي الموسوي الملقب آد وعلى ولده محمد الأمين، وجالس علماء كثيرين كالعلامة المختار ولد ابلول الحاجي مما كان له أثر كبير في حياته العلمية وتكوين شخصيته المستقبلية.

نشاطه العلمي:

أصبح المختار ذا باع طويل في شتى الفنون والمعارف كما يشهد به تراثه الجم من المؤلفات الكثيرة فقد ألف في جميع الفنون تقريباً.

فعلى سبيل المثال لا الحصر من مؤلفاته في بعض الفنون أو العلوم مثلاً في القرآن وعلومه نظم في آداب التلاوة مع شرحه...

وله في العقيدة نظم في أحكام الردة ونظم في التوسل بأسماء الله الحسنى...

وأما في الفقه فقد ألّف الكثير، فمن ذلك: نظم في أحكام الحج وهو نظم شامل ومستوعب لجميع أحكام الحج، وهو من أضخم ما أُلِّف في هذا الموضوع.

وألّف كذلك في السيرة واللغة كنظمه «مفتاح المشكلات لما في الكفاف من اللغات».

ولا شيء أدل على اتساع أفقه في العلم من كونه ألف في المكملات كالفلك والتاريخ والجغرافيا والأنساب، فقد نظم أنساب العرب والعجم.

وكان يطبع مؤلفاته جميعاً طابع الوضوح كما كان يطبعها الطابع الموريتاني البارز وهو النظم حيث نظم في التاريخ والجغرافيا والفلك والطب... وللأسف أثرت على مؤلفاته حياة الحل والترحال فقد ضاع بعضها مثل نظم في السيرة النبوية يتألف من خمسمائة بيت. ورغم سعة علمه وكثرة مؤلفاته وتنوعها لم يكن لديه حرج في مطالعة كتب غيره والأخذ منها أياً كانت.

وإن كان قد عكف على مؤلفات علماء بعينهم مثل: العلامة عبدالله ولد مختارنا، والمرابط محمذن فال ولد متالي، وحامد ولد محنض بابه خاصة في علوم القرآن والعقيدة والتصوف، وقد حصّل مكتبة كبيرة، طارفة وتالدة تشمل جميع الفنون تقريباً ما بين مخطوط ومطبوع، ومما يؤسف له أن عوادي الزمن بدأت تزحف إليها، كما أنه قد ضاعت منها كتب بسبب

الإعارة، ورغم هذا كله ما زالت موجودة في مكانها الذي تركها فيه شمال مدينة روصو في قرية دار البركة التي تبعد من المدينة ١٤كلم. وكانت له أيضاً محظرة عامرة وهي امتداد لمحظرة أجداده العريقة وما زالت موجودة، ولم يتوقف عن التدريس إلا في أيامه الأخيرة، فاستفاد منه خلق كثير، أما مَن حفظ عليه فخلق لا يحصى.

وكان يتولى احتياجات الطلبة وأحياناً احتياجات أسرهم، وممن أخذ عنه وتتلمذ عليه نذكر على سبيل المثال:

ـ العلامة الأديب أحمد الكريم ولد زياد شيخ محظرة «زمزم».

ـ العلامة محمد المختار ولد محنض ولد شيخ محظرة «أغنجاييت».

ـ القاضي محمذن باب ولد عبدالله رَحِمَهُ ٱللَّهُ رئيس المحكمة الإقليمية بالنعمة سابقاً، وغيرهم من الفقهاء والأئمة.

كما أنه لما جاءت المدرسة العصرية نظر إليها نظرة وسطية فلم يطلق القول بتحريمها، كما فعل البعض، وزاول التعليم فيها مدرساً للعلوم العربية والشرعية حتى تقاعد أواخر السبعينات. فزاوج بين التعليم الأصلي والعصري إلا أنه أخرج منها أبناءه أيام امتداد المد الشيوعي في الستينات، حيث رأى أنها أصبحت تشكل خطراً على عقيدتهم ودينهم.

عبادته وورعه:

كان مضرب المثل في عصره في الورع والزهد والبكاء من خشية الله تعالى، وله في ذلك أشياء غريبة، فقد عرض عليه القضاء فامتنع منه، وعرض عليه التفتيش فأبى عنه، ومنع أولاده من التقدم للوظائف التي فيها مسؤولية، فاقتصروا على التعليم.

دقته في استغلال الوقت:

كان ممن يستغل الوقت أحسن استغلال، إذ لم يرَ فارغاً في وقت

من الأوقات بل وقته مقسَّم بين التعلم والتعليم والمطالعة والعبادة والتصنيف، حيث كان يبدأ برنامجه اليومي من الساعة الرابعة ليلاً، فيقوم الليل حتى إذا أصبح جلس للتعليم والتصنيف إلى الظهر، واستمر على هذا الحال طوال حياته، وبلغ من الدقة في التعامل مع الوقت شيئاً عجيباً كما تدل على ذلك القصة التالية:

دخل يوماً على محمد ولد أحمد ميلود في زمن دراسته عليه، وكان اليوم ممطراً والسماء ملبدة بالغيوم، فلم يعرف شيخه هل دخل وقت الظهر، فقال له: حان وقت الظهر، فقال: كيف عرفت؟ قال: إني أكتب منذ زمن مصحفاً، فأكتب من الصباح إلى الظهر خمسة أحزاب وأنهيت اليوم خمسة أحزاب. فقال الشيخ للجماعة: صلُّوا، لأنه يعلم صدقه.

علاقته بعلماء عصره:

كانت بينه وبين علماء عصره علاقات قوية وخصوصيات، من هؤلاء على سبيل المثال: العلامة المختار ولد ابلول، والقاضي حامد بن محمد فال، والعلامة المختار بن حامد، والعلامة نافع ولد حبيب، والقاضي أحمد سالم ولد سيد محمد... إلخ. وتوجد رسائل هؤلاء وغيرهم في مكتبته. ونورد في ما يلي نماذج من ثناء هؤلاء عليه. فقد خاطبه العلامة محمد المختار ولد محنض بقصيدة مطلعها:

ألا أبلغ إلى الحبر ابن بابا ... سلاماً من شذاه المسك طابا

يليق بحضرة عظمى تسامت ... وقد علت الكواكب والسحابا

إلى أن يقول أيضاً:

نمته أرومة شرفت وطابت ... إلى باب بن أحمد نجل بابا

إلى حمدي إلى المختار تنمى ... سلالة الطالب الأجود انتسابا

هم البيت السعيد وهم لعمري ... حماة الدين علماً واحتسابا

وكان علماء عصره يرجعون إليه في الفتوى في أعوص المسائل، فهذا القاضي أحمد سالم ولد سيد محمد قاضي روصو سابقاً، يستفتيه في قضية طرحت له وأشكلت عليه، وصورة السؤال هي: نسأل العلامة المختار بن باب ولد حمدي عن امرأة غاب عنها زوجها في أسبوع نفاسها، وادعى أنه لم يمسها، وأنها في ذلك الأسبوع لم تطهر، فمكث عنها في الغيبة إلى ساحل العاج عامين وستة أشهر، وبعد أن جاء من الغيبة ألفاها قاربت الوضع، ووضعت بعد مجيئه بليال...

ورد عليه بفتوى طويلة، خلاصتها أن الولد لاحق بأبيه، ومثل هذا كثير مثل فتواه عندما سئل عن مقيم بمدينة روصو الموريتانية، إذا سافر إلى مدينة روصو السنيغالية. هل يبدأ القصر عندما يجتاز النهر؟ أم عندما يقطع أربعة برود؟ أو عندما يجتاز بساتينها المسكونة؟

فأجاب: أنه يبدأ القصر عندما يجتاز النهر، لأن لكلتا المدينتين استقلالها في السياسة والاقتصاد وأثمان التجارة وتفاضل أوراقها البنكية إلى آخر الفتوى. ورغم قوة صلته وعلاقته مع بعض العلماء فلم يرَ بدًّا من مخالفتهم في الفتوى إذا تبين له الصواب، مثل فتواه في حكم صلاة الجمعة في القرى السنغالية حيث يقول فيه:

هذا وما بسنغال من قرى	مملوءة مساجداً كما ترى
وأهلها يقيمون بها الجمع	فلزمت كل مقيم بالتبع
مكلف من كل حر ذكر	من أي إقليم وأي عنصر
وقد ترى بعض البياضين أنف	من اتباعه أئمة «ألوف»

... إلخ.

وسطيته:

كان صاحب نظرة اعتدالية كبيرة، إذ كان لا تبلغه سنّة عن رسول الله ﷺ إلا بادر بفعلها ولو كانت خارج مذهب مالك، فمن ذلك

عمله بالتمتع في الحج. فقد حج ثلاث مرات تمتع في إحداها عملاً بالأحاديث الواردة في التمتع.

وكان يسدل في الصلاة ثم تركه، يقول في ذلك:

مكثت أسدل في الصلاة أزمانا ... وأكره القبض مع علمي بأن كانا
متخذاً لخليل وابن عاشر إذ عدا ... من الندب سدل للأيدي برهانا

. . . إلخ.

ولم تقتصر هذه الاعتدالية وعدم التعصب على الأحكام الفقهية فحسب بل شملت الأمور الأخرى كالرقية والتصوف. . . إلخ.

فقد ترك الرقية إلا بالنصوص الشرعية، وكانت لديه رقية أعجمية وتركها لأجل ذلك.

إلى أن يقول:

لئن يكن المختار آثر ربه ... فودع محمولاً على الآلة الحدباء
لقد جلّ رزء الدين يوم رحيله ... فما أتفه الدنيا وما أعظم الخطبا

وعدّه العلامة نافع بن حبيب في نظمه على رأس الأعيان الذين توفوا في تلك السنة حيث يقول:

ومات فيه ذو التقى والمجد ... مختار نجل باب نجل حمدي

إلى آخر ذلك. . .

بقلم: عيشة بنت أحمد
يومية الأمل العدد: ٨٢
الثلاثاء ٢٠٠٦/٥/٢٣ ص٧

○ ○ ○ ○ ○ ○

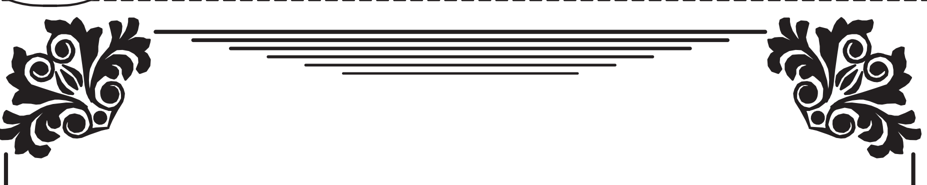
الفصل الخامس

بعض فروع بني صالح

١ ـ ما كتبه المؤرخون الشناقطة عن نسب الموديات أشهر بطون بني صالح.

٢ ـ فروع الشريف سيدي إلياس وغيرها.

٣ ـ بنو صالح في عيون مؤرخي البربر الشناقطة.



ما كتبه المؤرخون الشناقطة عن نسب الموديات أشهر بطون بني صالح

اتفقت آراء المؤرخين الشناقطة الذين كتبوا عن الموديات ـ والذين هم فروع من قبيلة كان انصهروا في البيضان كما انصهر سلفهم في السودان ـ اتفقت آراؤهم على شرفهم، وإن اختلفوا في عمود نسبهم، وذلك راجع إلى محاولات البعض من المتأخرين رفع عمود نسب أبيهم الشريف سيد إلياس التنبكتي الواداني الشنقيطي، بناءً على الظن والتخمين من غير دليل وذلك عكس ما درج عليه سلف المؤرخين قبلهم. وقد كتب والد بن خالنا في كتابه الأنساب ما يلي: (بنو شيخنا ـ مود مالك ـ قيل إنهم من ذرية سيد إلياس[1] وسيد إلياس قيل بشرفه كان ساكناً تنبكت ثم انتقل إلى وادان وتزوج منها وأقام بها إلى أن توفي وقبره الآن مشهور يزار هنالك) أما الشيخ محمد اليدالي فقد كتب منوهاً بشرف أشياخه آل مود مالك ما يلي:

دع عنك هجو الخيار ... وعد عن عيش عار
وعن مذمت سادا ... تنا حماة الذمار
وعن بني مود مالـ ... ـك ذوي المزايا الغزار
والفخر والصيت في الـ ... ـبدو والقرى والقواري

---

(١) كتاب الأنساب لولد بن خالنا، مخطوط ال(٥).

والـجـود جـود عـمـيـم والـعـلـم عـلـم كـثـار
والـسـحـر سـحـر حـلال يـزري بـسـحـر كـرار
أقـطـابـنـا الـسـادة الـغـر ر الـمـفـحـمـو مـن يـمـاري
أئـمـة الـفـضـل والـعلـ ـم الـغـالـبـو مـن يـبـاري
الـكـمـل الـشـهـم الـفـا ئـزون عـنـد الـفـخـار
الـشـارحـون خـفـيـا ت الـمـشـكـلات الـطـواري
لـهـم مـنـاقـب دلـت لـذي نـهـى واعـتـبـار
عـلـى عـلا شـرف الـمـنـتـ ـمـى وطـيـب الـنـجـار
فـإن رؤيـة الـجـواد نـفـس الـقـرار[1]

وكتب في بداية رسالة اللفعة ما يلي: (الحمد لله الذي إذا تاب عبده قبل وعطف وغفر له ما اجترح وما اقترف، إلى الأخ الصفي الأودي الأمين بن شيخنا مينحن رحمه الله تعالى:

إلى من عندهم روحي وقلبي ومنزلهم سواد المقلتين
سلام لو تفتق صار مسكاً وكافوراً يقلب باليدين
فلما لم أجد سبباً لوصل وحال البعد بينهم وبيني
كتبت لهم سواداً في بياض لأبصّرهم بشيء مثل عيني)[2]

وقد كتب الخليل النحوي في هذا الصدد ما يلي: (ومن الجانب الآخر[3] تجد قبائل عربية في بلاد شنقيط ذات أصول أفريقية فقد ذكر

(١) رسالة اللفعة، للشيخ محمد اليدالي مع كتاب النجم الثاقب فيما لليدالي من المناقب، تحقيق الأستاذ محمذن ولد باباه، المطبعة المدرسية بالمعهد التربوي الوطني.
(٢) ص١٨، من نفس المصدر السالف الذكر.
(٣) بلاد شنقيط... المنارة والرباط/ الخليل النحوي/ المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس ١٩٨٧م، ص٢٦٤.

والد بن خالنا في كتابه عن الأنساب أن أحد أبناء الشريف سيد إلياس الولاتي، خرج إلى أرض السنغال وتزوج إحدى النساء الأفريقيات ولم تكن مسلمة فولدت له ولدين وكانت ذريتهما على دين أمهما إلى أن ولد عبدالله دينغ (دينغ: العالم) فكان على دين الجد مسلماً عالماً، وولد له مود مالك فنشأ نشأة دينية ونال حظاً من العلم، وقد توجه مود هذا إلى بلاد شنقيط فأقام بمنطقة القبلة، يدرس القرآن في قبيلة أولاد ديمان وكان ذلك في القرن الحادي عشر للهجرة السابع عشر للميلاد، ومن صلب مود مالك هذا خرج علماء كثر منهم ابنه الفقيه الصالح مينحنا (ت١١٥٠/١٧٣٨) الذي درس عليه سيدي عبدالله بن محمد وذكره في شعره بما يفيد علمه بل إنه اعتبره أبرز علماء البلد حين سأله السلطان مولاي إسماعيل عن أعلم معاصريه أو خيرهم، ومن ذرية مود مالك وابنه مينحنا اليوم عشير كبير من بيوتات العلم في البلاد) وقد حصلت على نبذة في الموضوع أهداها لي زميلي وخليلي أخي في الله ومحبي فيه: السيد بدّي بن منّ المسمى محمدّو بن البراء بن محمدن بن ببكر بن محمدو بن البراء بن بكَي بن سيدي بن محمد حرمة الله بن المختار بن المعزوز (الفاضل) بن اجفغ الأمين بن سيدي الفاضل المتوفى ١٠٤٥هـ ابن محمد بن ديمان المتوفى ١٠٠٠هـ ابن يعقوب بن أجفغ موسى بن مهنض أمغر بن عامريلل بن يحيى التونكلي المتوفى ٨٠٠هـ دفين مدينة تنكث المغربية وأصل التونكلي التونكثى نسبة لمكان دفنه بها، وإبدال الثاء لاماً كثير في اللهجة الصنهاجية وهو الجد الجامع لقبيلة بني ديمان بمفهومها الواسع، وهو بكري[1] حيث كتب فيها ما يلي: هذه نبذة مختصرة عن آل مود مالك وكذلك عن آل الصالح الشريف: باهنين (الأمين) ابن الفاضل (يفلج) ومعناها باللهجة الصنهاجية طال عمره لأنه عاش ١٢٠ سنةً ابن محم المكنى بوسيد بن مود همر صار، ونبذة قليلة عن آل الشريف مود أوبك

---

(١) نبذة مختصرة من إحدى عشرة صفحة، تأليف بدي بن منَّ المعروف بمحمدو البراء بن محمدن.

حسبما توصلت إليه وأرجو التوفيق والسداد، فأقول وبالله القبول ونية: المؤمن أبلغ من عمله: مود مالك علامة شريف وقارئ ورع مشهور بجودة الخط من أحفاد الشريف سيد إلياس التنبكتي، قادم من إقليم: جيولوف من السنغال وله خؤولة كباقي سلسلته من قبيلة سنونكي ابتداء بجده القادم من مدينة تنبكت إلى السنغال وهو إسماعيل الذي تزوج بامرأة غير مسلمة، وهكذا تواصل الأبناء والأحفاد على ملة والدتهم في قرية (ويلاض) من إقليم كجور حتى ظهر من بينهم العلامة الصالح المفتي الفقيه عبدالله دينغ بن محمد بن ميجو بن شنكَط بن إسماعيل بن سيد إلياس، ورزق عبدالله جنك هذا سبعة أولاد وقيل ثمانية وأمهاتهم علات: أي شتى ومنهم عثمان والد مود مالك وحبيب صنب الذي يقال عند البعض أنه جد آل باهنين الشرفاء حيث يلتقون فيه مع بقية موديات، إذ يعتقد بعض الثقات من المؤرخين في نسب آل مود همر صار (أهل باهنين ـ الأمين ولد الفاضل: يفلجي، ومعناها طال عمره لأنه عاش **١٢٠** سنة، ولد محم صار: بوسيد، ولد مود همر صار، أنهم يجتمعون مع آل مود مالك في عمهم الشريف حبيب صنب وعليه فالسلسلة الصحيحة هي: مود همر صار بن مود أوبك بن أبو بكر بن أحمد بن عثمان بن حبيب صنب بن عبدالله دينغ وهذا هو الراجح من الناحية التاريخية وهكذا سمعته من بعض المصادر الموثوق بها، والله أعلم، وسلسلة آل مود همر صار، منقولة من خط العلامة محمد اليدالي بن المختار بن محم سعيد، ومن عند آل العلامة أحمد بن محمد العاقل اللذين يجزمان بصحة شرفهم وهو الراجح في الأوساط الشمشوية عند المؤرخين، ويشتهرون بكثرة الصلاح ومكارم الأخلاق والعز والبهاء والجمال المعنوي على غرار المجموعة الفاضلية التي يسكنونها وينتمون إليها، ونظم أنسابهم العلامة القاضي المؤرخ الشاعر محمدو بن البراء بن بكَى المتوفى **١٣٦٢**هـ في نظم له يبلغ **١٥٦** بيتاً. ومنهم إبراهيم دكَه وغيرهم، وأما شرفهم فهو أمر أظهر من الشمس في رابعة النهار عند الجميع هنا وقد ذكره ونوه به الكثير من العلماء والأدباء ونقتصر على هذه النماذج التي تعطي صورة أكثر عن الموضوع حيث يقول العلامة الصالح

الشيخ أحمدو بن اسليمان الديماني عندما زار الكثير من الأولياء والصالحين يطلب رؤية النبي ﷺ في النوم ولم يجدها حتى زار جده العلامة القارئ الصالح الخطاط الولي مود مالك دفين: تنبلين بولاية الترارزة فوجدها فقال في هذا الشأن:

ولي حاجة مذ أزمن عز نيلها ... تطفلت جراها على كل سالك
فلما غلت أسعارها وتعذرت ... أتيت بها جدي الولي مود مالك
حططت بتنبلين رحل حوائجي ... لتقضى لدى ذاك الشريف المبارك

كما نوه بشرفه وفضله كذلك العلامة القاضي الشاعر سيد التاه بن المختار أم بن محمذن بن أحمد بن العاقل بقوله في زيارته لجده مود مالك ما نصه:

ليهنئك تنبلين ثمن تلالك ... لدن ضمنت بدر الدجى مود مالك
وليٌّ ترقى في المعارف سالكاً ... مراقي لم تظفر بها يمنى سالك
ذكرتك إكسيراً لتبديل حاجتي ... بيسر الشفا واليسر من فضل مالك

وكذلك العلامة الشاعر المفلق يكو (محمد يقوى) ابن محمذن بن أحمد ميلود بن شدار (سيدي المختار) بن أجفغ الأمين بن سيدي الفاضل بن محمد بن ديمان، في التوسل بذرية الشريف الصالح العلامة القارئ مود مالك وابنه العلامة الصالح القاضي الشاعر المفتي المدرس: الفغ مينحن بن مود مالك بقوله:

توسلت بالقطب الرضى مود مالك ... لمالكه رب الأنام ومالكي
وبمينا نحن الأولياء وكل من ... تفرع منهم من قريب وسالكِ
إلى نبع فوق السماكين فرعها ... ومغرسها البطحاء بين المناسكِ
ذكرتهم وفداً إلى الله ضارعاً ... لإصلاح أحوالي وأمن مناسكِ

كما نوه به ومدحه: المرابط بن الغوث الألفغي بقوله في زيارته لمود مالك والتوسل به هذا الكَاف من بت لبيّر:

يـا لـقـطـب إلـمـنـش مـنـتـش زرتـــك يـــمـــود مـــالـــك
إنـــج ســـالـــك وانـــجـــيـــب ش أنـــلـــحـــكَ ذلـــوا عـــد ســـالـــك

كما جادت قريحة جامع هذه النقلة وكاتبها أخوكم في الله ومحبكم فيه محمدو البراء بن محمدن الملقب: بدي بن من بن ببكر بن محمدو بن البراء بن بكَى (أبو بكر)... حيث جادت قريحتي بهذه الأبيات التي ضمنتها في الختام ثلاثة أبيات لشاعر شيعي يمدح بها بعض آل البيت الشريف، وهي في مدح الجواد العابد الكريم الشريف الحسيب الظريف: محمد فال بن بازيد (إبّيد) بن بيين بن احميد (أحمد) بن المصضف (المصطفى) بن الأمين بن أجفغ مينا نحن الأولياء (محمد) بن مود مالك بن عثمان ...بن سيد إلياس، فأقول وبالله القبول ونية المؤمن أبلغ من عمله مؤكداً صحة شرفه وعظيم منزلته وفضله بهذه الأبيات مخاطباً له رضي الله عنه وعن الجميع:

حـويـت مـعـال هـن غـر ثـواقـب مـخـلـدة في الـمـكـرمـات عـجـائـب
ونـجـمـكـم في الـيـمـن أشـرق بـازغـاً وسـؤددكـم في الـفـضـل فيـه مـراتـب
فحسبك فضلاً في الأنام ومفخراً مـقـال أديـب فـي الـبـلاغـة صـائـب
لـقـد عـظـمـت أنـسـاب آل مـحـمـد فـلـيـس لـهـم فـي الـعـالـمـين مـنـاسـب
ومن مثلهم والشمس بعض جدودهم وبـدر الـدجـى والـنـيـرات الـثـواقـب
إذا شجرات العرف طابت أصولها فـلا يـمـتـرى أن الـفـروع أطـيـب

وأنبهك إلى أن العلامة القاضي المؤرخ النسابة محمد بن البراء بن بكَي المتوفى **١٣٦٢**هـ نظم أنساب ذرية آل مود مالك بنظم يبلغ **٧٥٨** بيتاً ومطلعه:

شـرف سـيـد إلـيـاس قـد قـيـل بـه عـــلـــى الـــذي حـــرر كـــل نـــبـــه

كما نظم نسب باهنين المسمى الأمين المتوفى **١٠٢٥**هـ بن محم صار المكنى بوسيد بن مود همر صار وذلك في نظم له يبلغ **١٥٦** بيتاً وبدايته:

وأم محم صار نجل همر صار ابنه الندب النجمري

وقصته المتداولة بين قومه بني ديمان وغيرهم من المؤرخين والباحثين هي كالتالي حسب ما كتبه العلامة المؤرخ الشاعر المؤلف الصالح محمد والد بن خالنا الأبهمي الديماني الشمشوي في كتاب أنسابه ما نصه: (قال: إن مود همر صار قدم على زوايا تشمشه قادماً من قرية تگب من إقليم كجور من جولوف في السنغال وتزوج بنت أحمد يعقوب بن خليفة من قبيلة إنجامر ورزق منها ابناً اسمه محم صار المكنى بوسيد، فرجع إلى موطنه الأصلي وخلف عليها رجلاً سباعياً...) أما خبر آل الشريف مود أوبك فقليل وخلاصته أن عقبه هو آل الصالح العلامة: الطالب أجود... وهم بطنان حالياً.

وهما آل الأمين بن الطالب أجود، وهم في أولاد باب أحمد وأولاد يفينلل بن ديمان، وفرع أهل المختار بن الطالب أجود الذين منهم أسرة العلم والفضل: أهل باب بن حمدي بن المختار، وأهل الطالب أجود أخوال العلامة محنض بابه بن اعبيد الديماني، وهم في إدوالحاج القبلة، ومود أوبك من صلحاء تشمشه هو وابنه وحفيده الطالب أجود واستشهد في حرب شربب وأصله شريف حاجي من أهل وادان. كما أنبه إلى أن العلامة الأديب أحمد بن محمد اليدالي له نظم من اثني عشر بيتاً أو عشرة أبيات يؤكد فيه صحة شرف آل مود مالك ومطلعه:

وآل مود مالك كرام مداهم في المجد لا يرام
ولي على شرفهم قرائن منكرها مخطئ ومائن
متهم لأنهم أخوالي لكن أذكر كما بدالي

وكذلك أكد صحة شرفهم العلامة خاتمة المحققين محمد فال (ببّها) بن محمذن بن أحمد بن العاقل، ولكنه ذهب معتمداً على النسخة التي أخذت من عند آل الشيخ سيديا أنهم شرفاء من ذرية الحسين عن طريق عبدالقادر الجيلاني وتبعه في ذلك العلامة القاضي محمدو بن البراء

في نظمه لأنساب آل مود مالك، ولكن الصحيح أن عبدالقادر الجيلاني ليس بإدريسي ولا حسيني بل هو حسني ـ قلت: وليسوا من ذريته كذلك بل من ذرية صالح كما أسلفت ـ ولكن القول الجامع في هذا والحل الوسط هنا هو القاعدة الشهيرة التي تقول: إن كل حسني حسيني، وكل حسيني حسني وذلك من قبل عبدالله المحض المعروف بعبدالله الكامل لأنه تمحض عن الحسن من جهة أبيه الحسن المثنى وعن الحسين من جهة أمه فاطمة بنت الحسين رضي الله عنهم أجمعين حيث كمل نسبه فيهما فسمي بالكامل، وهذا نص أبياته التي قالها بدافع الرد عن سب آل أجفغ مينحن بن مود مالك الشرفاء، حيث قال رداً على أمة قالت لهم ما لا يليق بهم:

طربت جوًى لا لانثناء المعاطف	ولا لدلال من ذوات المعاطف
ولا لاختلاس من عيون جئاذر	خرجن علينا من زقاق ابن واقف
ولكن لسب المصطفين ذوي النهى	بني الشيخ منا نحن غر المعارف
ألا لا ترم سب الكرام فإنهم	غطارف قوم من كرام غطارف
غطارف من آل الحسين وحبهم	ضمان علينا في بطون المصاحف

قلت: وما ذهب إليه رحمه الله تعالى من أنهم أبناء الحسين هو أحد قولي أحمد بن علي القلقشندي عن بني صالح، حيث نسبهم إلى الحسين وذلك عند كلامه على الحسينيين كما نسبهم إلى الحسن أيضاً عند كلامه على الحسنيين، وذلك في كتابه نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، وقد تقدم ذلك[1]. أما الأستاذ محمذن ولد باباه، فقد كتب في تحقيقه لكتاب شيم الزوايا عن الموديات ما يلي:

(محم صار ١٠٥٠هـ ـ ١٦٤٠م، توفي عن ١٢٠ سنة من العمر،

---

(١) انتهى من نبذة مختصرة من إحدى عشرة صفحة، تأليف بدي بن منَّ المعروف بمحمدو البراء بن محمدن.

من موديات وهي أسر التحقت ببني ديمان استحساناً لسيرتهم ونظامهم الاجتماعي والسياسي، اختلف في نسبهم والأشهر أنهم في الأصل من السودان وقيل بشرفهم شرفاء وادان، واندمجوا روحياً وثقافياً واجتماعياً في الوسط الديماني الذي انفتح عليهم واستقبلهم بصدر رحب لا يعبأ بالفوارق العرقية إذا تكافأت المقومات الدينية والأخلاقية ويقدر عدد الموديات المندمجين في تشمشه بخمسة عشر نفراً نذكر منهم محم صار ـ ومود همت ـ ومود أوبك ـ جد أهل الطالب أجود ـ ومود مالك الذي تزوج مريم بنت أبي ميج بن يعقوب بن يديمان، بيت علم نذكر منهم مينحن وأولاده ومحم صار بن همر صار معدود هنا من أكابر الصلحاء الذين زامنوا نهاية عهد أولاد رزق على يد المغافرة)[1] قلت: قوله (والأشهر أنهم في الأصل من السودان وقيل بشرفهم) كلام غير متناقض فهم شرفاء نسباً من بني صالح وسود خؤولة، لذلك جاز أن يطلق عليهم سودان شرفاء، أو شرفاء سودان.

أما الشريف الكاتب الصحفي الأستاذ: حمود بن المصطفى بن محمدان آل سالم، فقد كتب عن بطن آل سالم أحفاد الشريف مهدينا الله في قبيلة أولاد غيلان بولاية آدرار: نبذة موجزة عن شرفهم وعلاقتهم بأخوالهم المغافرة في آدرار، ونورد مقالاً نشره بجريدته: (تنتشبين)[2] حول التعريف بالشريف سيدي محمد بن سالم **١٦٥٠/١٧٢٠** وهو الشريف سيدي محمد بن سالم بن أحمد بن سالم بن أحمد بن الشريف مهدينا الله بن مودي بن نل ابن الشريف سيد إلياس التمبكتي الواداني الشنقيطي دفين (وادان) رحمهم الله، وهذا نص المقال الذي بدأه بقوله: لماذا العنوان؟

لا شك أن الكتاب من السياسيين خاصة قد اعتادوا بفضل تأثير أقلامهم وألسنتهم الحادة على التغلغل في نفوس القراء، وامتلأت قلوب

---

(١) شيم الزوايا/ تحقيق الأستاذ: محمذن بن باباه/ المؤسسة الوطنية بيت الحكمة/ وزارة الثقافة والإعلام، الملحق (٧٦، ص٨٦ ـ ٨٧).

(٢) تنتشبين/الناشر/حمود بن محمدان آل سالم، ص(١ ـ ٢).

الناس باليافطات والعناوين الجذابة المفرغة من جوهر الحقيقة المتوخاة من المادة المكتوبة. وتفادياً لهذا الروتين ارتأينا الخروج على العادة، وتشبثنا بالقيم الروحية وارتبطنا بالأرض الموريتانية وانتقينا من شعاب جبالها وسهول تلالها الاسم الرائج في الوسط الشعبي، تيامناً بما تحت الثرى من هامات شريفة نالت من فضل الله شهرتها الموقرة بالقلم والورع واتباع السنة.

وفي خضم التداعيات المفعمة بالإرهاصات سوف نحاول بالإرادة الخلاقة نفض غبار السنين والغوص في أعماق الزمن الغابر بحثاً عن كنوز الماضي المجيد في المناطق التاريخية المنسية، من أجل تسليط الضوء عليها وجعلها على الواجهة في الساحة الوطنية الحبلى بالأسماء والعناوين المتغيرة.

وعلى أثر ذلك تعتبر هذه المبادرة سباقة لغيرها وإن كانت غير دعائية في مفهوم الصحافة الصفراء، وربما غريبة على الذين قد يتساءلون يوماً في خلجاتهم عن معنى (تنتشبين Tentechbine) وأين تقع وما قيمتها وأهميتها؟

وللإجابة على هذه الخواطر والافتراضات أقول: إن تنتشبين كلمة بربرية معناها «عين الشعاب» وتقع مرتفعات تنتشبين في الجهة الشرقية الشمالية على بعد **٣٠** كلم تقريباً من مدينة أطار بولاية آدرار. وقد شاد بها المؤرخون كثيراً نظراً لكثرة ما في صعيدها الطاهر من أضرحة أعلام العرب المغافرة والعلماء والصالحين الذين دأب الناس عبر العصور على زيارة أضرحتهم والتأسي بهم وبأعمالهم الخالدة.

بالإضافة إلى ما تزخر به أيضاً من آثار تاريخية معتبرة، ونقوش محفورة على الصخور تحكي بلسان حالها حياة الرعيل الأول من السلف الصالح للعرب الفاتحين لهذا البلد العربي، كما ذكرها الشعراء في شعرهم النبطي الحساني. ومعروف لدى السكان أن تنتشبين قد استمدت أساساً صيتها الشائع وصداها المدوي في الآفاق وقيمتها الروحية الخالدة في نفوس أبناء المنطقة الشمالية من وجود ضريح العارف بالله الصالح سيدي

محمد بن سالم المتوفى بها حوالي سنة (١٦٥٠م). بوصفه كان رحمه الله في حياته عربياً شهماً وعالماً فذاً وصالحاً ربانياً توارثت الأجيال المتلاحقة عنه حكايات تاريخية عجيبة، ونوادر غريبة ومواقف نبيلة ما زالت تروى من الآباء والأجداد نبراساً في بيوت الأحفاد في قالب كرامات الصالحين المعهودة في المجتمع الموريتاني. ومن أبرز هذه الكرامات الخارقة تفجر عين من الماء العذب المنهمر إبان وفاته على تل في سفح جبل يندر وجود الماء فيه على الإطلاق. ويقول ساكنو المنطقة في رواياتهم العاطفية الجياشة أن لهذا الماء ميزة خاصة وأسرار خفية جعلته يشفي بإذن الله من الأمراض العضوية والنفسية وبطبيعة الحال قد صمدت هذه العين الفياضة قروناً عديدة أمام عاديات الزمان وعوامل التعرية القاسية، حيث لم تندثر من السهل ولم ترمم قط ولم تنضب من الماء، ومع ذلك ما زالت تجود بعطائها الجزيل تشفي بمائها المنهمر غليل الوارد والمريد والزائر إلى ما شاء الله في علمه.

ومن أجل الخروج من دائرة الأسماء والعناوين الضيقة ومتاهات زخرف القول أقول: إن التاريخ يتجدد في وجدان كل جيل يذكر قادته والإشادة بأعلامه، وكذلك المناطق التاريخية الأثرية قد تنسى أيضاً من مخيلة الناس بهجران أهلها لها، وإهمالهم لإشعاعها الحضاري والثقافي وموروثها الروحي، سواء كانت تنتشبين أو غيرها، وحقاً ما قاله الشاعر الموريتاني:

بلاد ألفناها على كل حالة وقد يؤلف الشيء الذي ليس بالحسن

وقد تؤلف الأرض التي لا مرعى بها ولا ماؤها عذب ولكنها وطن

بقلم المدير الناشر:

حمود بن محمدان

○ ○ ○ ○ ○ ○





من أعلام البلد
«قصيدة تنتشبين»

للشاعر: عبده بن أحمد سالم
مهداة إلى العارف بالله الصالح سيدي
محمد بن سالم (ت/١٦٥٠م)

قف تأمل إذا أتيت رحابي ... مهبط المجد حول «عين الشعاب»
وتفيأ جنائن العلم حتى ... تتلقى معين وحي الكتاب
وترقى إلى الصعيد لتلقي ... في نقوش الصخور فصل الخطاب
عن رعيل قد أسرج الخيل صبحاً ... يبتغي الفتح في ثغور ترابي
ينشر الآية والحديث ويبني ... معقل المجد فوق هام السحاب
وينادي لثورة العلم جهراً ... باغي العز أو بغاة الصواب
في حمى «تنتشبين» حتى استجابت ... وتسامت وازينت للصحاب
وتجلت لنفحة العلم حتى ... أصبح العلم كالهوى والشراب
لا يرى القوم دون لوح وكتب ... ويراع مدرج بخضاب
يبتغون العلوم من كل فن ... همهم علم لا كؤوس التصابي

هـذه «تـنـتـشـبـيـن» كـانـت وتـبـقـى شعـلـة المـجـد في زمـان الـضـبـاب
شـعـلـة الـروح فـي حـضـارة قـوم نـشـروا الـديـن رغـم كـل الـصـعـاب
بـخـطـى الـرائـد الـهـمـام الـمـزكـى صـاحـب الـذكـر في عـمـوم الشعـاب
منتهـى الـعـلـم والـفـصـاحـة حـسـناً نـاصـر الـحـق بـالـهـدى والـحـراب
صـالـح الـقـول والـفـعـال كـريـم شـرعـه الـجـود واكـتـسـاب الـثـواب
سـيـد الـشـأن في الـكـرامـات شـهـم عـربـي سـلـيـل «عـيـن الـشـعـاب»
فـجـر الـمـاء سـلـسـبـيـلاً فـراة مـن ربـى الـتـل فـوق سـفـح الـهـضـاب
وجـرى الـمـاء بـالـكـرامـات يـروى ظـمـأ الـنـاس كـانـهـمـار الـسـحـاب
يـبـرئ الـسـقـم إن أردت وإلا يـرجـع الـجـسـم في خـريـف الـشـبـاب
يـتـهـادى فـي فـيـضـه لا تـغـضـه عـاديـات الـزمـان بـالاضـطـراب
هـذه «تـنـتـشـبـيـن» مـجـد وذكـرى زانـهـا الـصـالـح الـولـي الـعـرابـي
الـشـريـف ابـن سـالـم رمـز عـلـم وخـلـود وعـزة وصـواب

الشاعر: عبده بن أحمد سالم

❊ ❊ ❊

ويضيف السيد الشريف حمود بن المصطفى بن محمدان معرفاً بالشرفاء أهل سالم وذاكرا بعض مناقبهم وما قاله الشعراء في حقهم من مدح وثناء وذلك في كتابه: «ديوان المرحوم أحمد سالم ولد أمحمد ولد بوبوط» هذه النصوص التالية. مع العلم أن مشجرات نسب أهل سالم سوف تأت إن شاء الله تعالى فيما بعد.

❍ ❍ ❍ ❍ ❍ ❍



ديوان المرحوم
أحمد سالم ولد امحمد ولد بوبوط

روايات الرعيل الأول من السلف الصالح في هذه القبيلة العربية أن الزعيم امحمد ولد المحمود قد ربطته روابط روحية وأواصر قربى حميمة بالفقيه الصالح سيدي محمد ولد سالم الذي ذاع صيته في حياته آنذاك بالعلم والتقى والكرامات الخارقة والمشهور أيضاً في مزاره في منطقة تنتشبين في آدرار بسيد محمد ول سالم الملقب بابن أخويرة بنت دومة لعويسية، بزواجه من بنته عائشة بنت سيدي محمد ولد سالم والتي أنجب منها ابنه الفارس المشهور، أعل الملقب كاره ولد امحمد ولد المحمود وإخوته سالم وسيد. وكانت هذه المرأة المباركة الأخت الوحيدة للأخوة/ أحمد وكنكو وهمَّد، وبوبكر. فكانت عائشة في حايتها المرأة العربية العصامية أثناء الحروب وشح الأزمات في بيت رئاسة قبيلة أولاد سلة. فكان الزعيم امحمد بن المحمود وأصهاره أبناء/ سيدي محمد بن سالم وأبناء عمهم الزبير وبيلُّول أول رجال غرسوا شجرة المحبة والألفة بين أحفادهم إلى ما شاء الله. وقد زادت خؤولة الزعيم كاره بن امحمد ولد المحمود من أبناء سيدي محمد بن سالم إلى مصاهرات عديدة بين عائلات أهل المحمود، وعائلات أهل سالم بصفة خاصة. وجمعت تلك الألفة الحميمة عبر العصور بين أولاد سلة وأهل سالم بصفة عامة. فقد ربت هذه الأسرة العربية أبناءها العرب المغافرة على النخوة العربية الأصيلة والقيم الإسلامية الفاضلة حتى أهلهم ذلك إلى نيل كل مجد

وصيت وقديماً قالوا: إن وراء كل رجل عظيم امرأة. وقد تبوأ عبر التاريخ، أبناء هذه العائلة العربية الفاضلة جيلاً بعد جيل المكانة الريادية في قومهم أولاد سلة بلا منازع، وما زالت دوحة شجرة أهل بوبوط الظليلة تؤتي أكلها كل حين، وبسبب هذه الخؤولة المباركة تطورت هذه العلاقة عبر الزمن إلى عصبة قوية. فقد شكل أولاد سلة وأهل سالم وأهل سيد أحمد بوفارس ثلاثياً عربياً قوياً متآلف ومتعاون على عاديات الزمان أينما حلوا وارتحلوا في هذا الوطن، مع العلم أن أهل سالم قد اعتزلوا عبر العصور حمل السلاح لزهدهم الناتج عن تصوفهم السابق. إلا أن ذلك الاعتزال لم يؤثر سلباً في انسجامهم مع ذويهم العرب المغافرة بل يعتبر أهل سالم في واقع الحال مكونة أساسية من أولاد سلة بصفة خاصة ومن أولاد غيلان بصفة عامة. هذه الروابط التاريخية الوثيقة التي وطدها لاحقاً برباطة جأش أسوة بأجداده الكرام الزعيم البارز امحمد الملقب النهاه ولد بوبوط، كما جسدها بعده بكل وفاء وحكمة ابنه الزعيم أحمد سالم ولد امحمد ولد بوبوط. كما زاد أيضاً هذه اللحمة الاجتماعية قوة وتماسكاً أبناءهم البررة وأحفادهم الكرام. وقد تجلت علاقة أهل بوبوط وأهل سالم في شعر أحمد سالم ولد بوبوط المفعم بالمشاعر الودية الصادقة اتجاه أخواله أهل سالم الذي سيرد فيما بعد.

كما مدحهم آخرون من ذلك ما قاله:

محمد محمود بن محمد سيدينا:

خَيْمَتْ سَالَمْ زَعْمَ وَأَسْيَادْ   أُلاَ يَمْرَكْهمْ مَاهُ لَجْوَادْ

وَأَكْوَام الْمَعْرُوفْ أُلَمْكَادْ   وَأَخْيَار الْحَسْبَ حَسْبَتْهَ

وَالْمَعْنَ لَكْبِيرْ التِّلاَدْ   أَلِّ مَحْتَاطْ أَبْسَتْرَتَهَ

مَنْ يَوم إِلِّ خَلْكَتْ تَنْزَادْ   دَرْجِتْهَ فِيهْ أُبَرْكِتْهَ

وَأَجْمَاعَتْهَ فَالزَّيْنْ أَكْدَادْ   اللَّهْ إِمَدْ أَجْمَاعَتْهَ

وقال أيضاً في حقهم الشيخ بن أبنون (اذهيرات):

يَتْرَكْت سَالَمْ مَا يَنْصَابْ ... عَنْكُمْ فَنْهَارْ الْمَعْلُومَ
وَالصَّايبْ عَنْكُمْ بَعْدْ أنْصَابْ ... فَجْمِيعِتْ مَسْلَ مَسْلُومَ
وَلِّ بِيهْ أنْكْطَعُ لَسْبَابْ ... رَكَّابِتْ لَسْبَابْ أنْتُومَ

وقال الأديب ولد محمد خوي:

بَلْ الْغَلْظ أُبَلْ أَهْلْ الشَّانْ ... وَالْخِيمْ الْمَعْلُومَ أُكْيَانْ
الشِّرْفَ لَغْلاَظْ الشِّجْعَانْ ... مَنْ شِ حَكْ أُهَاذَ مَحْتُومْ
فْذْرَارْ خَيْمَتْ مُحْمَدانْ ... يَامَسْ كَانْ أمُزَالْ الْيَوْم
فِيهُمْ مَقْيُومْ افْ كِلْ أَزْمَانْ ... مَا فِيهُمْ مَاهُ شِ مَعْلُومْ
دَهْرُ الدَّنْيَ يَحْكِيهْ الْسَانْ ... شَاعِرْ فَغْنَ نَشْرُ مَنْظُومْ
شَادَتْ بِيهْ أحْيَ بَنْ عَشْمَانْ ... أدْوَارِيكْ الْحَرْبْ أسْلُومَ
الصِّلاَحْ أُلاكَطْ أشْيَانْ ... لَشْر أفْحَدْ أُلاَهُ مَرْدُومَ
نَجْعْ أجْوَادْ الشُّرْفَ ضِمَانْ ... حَدْ إِلاَجَ طَامْعْ مَظْلُومْ
مَاهُ خَايَفْ صَوْلِتْ غَزْيَانْ ... أدْنَاكِيرْ الْحَيْ الْقَيُّومْ
فَالتَّارِيخْ أقْطَابْ الزَّمَانْ ... مَن شِ حَگْ أُفِيهِمْ مَقْيُومْ
الْحَدِيثْ أُحِفْظْ الْقُرْآنْ ... فَاللَّوحْ أُمَحْفُوظْ أُمَخْتُومْ
بَالسِّيرَ وَبالْمَدْح ألْذَانْ ... الدَّايَمْ وَالْخِيمْ الْمَعْلُومْ
ذَرِّيْت سَالَمْ مَن لَشْرَافْ ... مَا فِيهُم مَاهْ شِي مَعْلُومْ
مَنْ شِ حَگْ أبْلَ الْعَفَافْ ... الدَّايِمْ وُالصِّدْق الْمَحْتُومْ

هذه خلاصة ما وجدناه من معلومات مفيدة في إرشيف عائلة أهل بوبوط الكريمة، بالإضافة إلى ما حفظناه من روايات السلف الصالح من الرعيل الأول وغير ذلك من معلومات نقلناها بأمانة من كتب التاريخ الموريتاني وشهادات أعيان القبيلة. وهنا أقول حقاً ما قاله الشاعر العربي:

تسمو الرجال بآباء وآونةَ تسمو الرجال بأبناء وتزدان

ويؤكد ذلك أيضاً دعاء الصالح والولي الكامل محمد الشيخ ولد كَنْكُو رحمه الله تعالى:

تمنعهُم مِن كُل عِلَّ يلِلاَهْ وكُل ظَالِمْ
أهل سالم وولاد سلَّ أولاد سِلَّ وَأهْل سَالِم

يقول أحمد سالم ولد بوبوط حول تقلب أحوال الدنيا في عصره وتغلب نمط الحياة الجديدة:

الدَّنْيهَ فَاتَتْ مَاهِ گُولْ وَافِ مِنْهَ صَوْعَانْ الْمُولْ
مَاهُ عِلْم أُلاَهُ وُصُولْ أُلاَ تِنْشَافْ أَجْمُوعْ أَعْلَ دِينْ
أُلاَ تِنْشَافْ اجْمُوعْ أَعْلَ هَوْلْ أُلاَهُمْ رَجَالَ مَجْتَمْعِينْ
كَاعْ أَعْلَ هَمْ أَتْلَ مَكْيُولْ فِيهِ انْتِفَاعْ الْمُسْلِمِينْ
أُلاَهْ عِيَّلْ فِالسِّغَرْ أَتْجَوَّل أُلاَهُمْ طَافِلاَتْ أَتْبَيْظِينْ
أُلاَهُمْ خَيلْ أُلاَزَادْ أَفْحُوْلْ يَنْشَافُ تَحْتْ السَّلاَطِينْ
أُلاَهِ طَلْعَ بَاطْ أُلاَكَافْ فَكْطَاعْ أُلاَه غَزَلْ زَيْنْ
أُلاَهُ زَادْ أَنَارَگْ يَنْشَافْ ظَاهَرْ كَونُ أَعْلِ لِگْرَاصِينْ

وقال أيضاً في شكر أخواله أبناء الصالحين (أهل سالم) مخصصاً لكل عائلة ما يميزها من مناقب وخصال حميدة دون أن ينقص ذلك من شأن العائلات الأخرى:

شَگْرِي لَخْوَالِ طَولْ لَعَدْ فِيهْ أُتْمَتَانْ الْغَايَ
مَا نِكْفِ مِنُّ غَيرْ بَعْدْ فِيهْ أنْگُولْ الْكِفَايَ
وَخْيَارْ إلاَّهِ يَنْذَكْرَ بِالشِّكْر أُحِجِتْ يَنْشَكَرْ
ذِرِّيتْ سَالَمْ فِاصْهَر بَالْقِيَّامْ أُلُوفَايْ

وَكّوَامْ الْعَهْدْ وَبَاصْبَرْ ‏   وَالسِّتْرَ بِالْهَدَايَ
خَيْمَتْ كَنْكُو مَا كِيفَهْ ‏   خَيْمَ يَالنَّاسْ أشْكِيفَهْ
خَيْمَ مَا يَشْبَعْ ظَيْفَهْ ‏   أُوْخَيْمَ فَالْعَلْمَ أَزْوَايَ
وْخَيْمَ فَالْجَذْبْ أنْزَيْفَه ‏   يَطْلَسْ لَرْهَاجْ أعْمَايَ
وْخَيْمَ فَالْمَدْ أغْرِيفَهْ ‏   كِيفْ أغْرِيفْ أمَنْ الظَّايَ
خَيْمَتْ هَمَّدْ ذِلْتَلْتَگْ ‏   هِيَ مَلْجَأْ مُولْ أشْگْ
أُبَلْ الدَّهْكْ وُبَلْ أنْگْ ‏   أُبَلْ أخْيَامْ الْمَرْصَايَ
أُبَلْ الضَّعِيفْ إِلاَ أبْگْ ‏   أُبَلْ أمْشَدْ ألْوِلاَيَ
وَاكْرَامْ الضَّيْفْ وبلْ ازْگْ ‏   أُقِيَّامْ اللَّيْلْ أُلُفايَ
خَيْمَتْ بُوبَگَّرْ كِلْ حَدْ ‏   مَنْهَ فَضِيلْ وُذَاكْ بَدْ
بَلْ الضَّعَّيفْ إِلاَ أشْتَدْ ‏   أُبَلْ أمْشَدْ ألْوِلاَيَ
أُمَلْگْ لْوُجُوهْ أُبَلْ مَدْ ‏   لَيدْ أُبَلْ الوَلاَيَ
وَأهْل أحْمَدْ كَاعْ أمْخَرْجِينْ ‏   بَالْغِلْظ أعْلِيهُمْ كَامْلِينْ
وَالدِّينْ أعْلِيهْ أمْجَمَّعِينْ ‏   أفْلَمْسِيدْ أبْلَگْرَايَ
وَالظَّيْف أعْلِيهْ أمْعَشِّينْ ‏   بَالسِّتْرَ وُالْهِدَايَ
وَالْهُم أعْلِيهِمْ كَامْلِينْ ‏   وَأغْلَ كَظْيَان الْغَايَ
بِالْكَرَامَ وَأمْخَلَّطِينْ ‏   لَمْرُوَّ وُالْوَلاَيَ
وَاهْل الزُّبَيْر ابْزَينْ دِينْ ‏   فِيهُمْ مَعْرُوفْ أوْ عَامْلِينْ
بَالْحَگْ وْلاَ هُمْ خَايفِينْ ‏   كُونْ امْنَ اللَّهْ وَالرَّايَ
لِذْرَارِي سَالَمْ حَامْلِينْ ‏   بَالسَّتْرَ وُبْلَكْرَايَ
وَلْأمُورْ الشَّكْر امْكَمْلِينْ ‏   شُرْفَ وَاعْرَبْ وَازْوَايَ
شكرِي لَخْوَالي طُول لَعْد. . . ‏   ....

○ ○ ○ ○ ○ ○

الشريف سيد إلياس
بطن من بني صالح الجوال
من بني الحسن السبط من العلويين
من بني هاشم من العدنانية

وهم: بنو الشريف سيد إلياس الملقب (يَرُو) ابن هلال بن العائد بن محمد بن أحمد بن عبدالله الشريف بن هلال الصغير بن عبدالرحمن بن عبدالله بن هلال الدمشقي الكبير بن العائد الكناني بن حبيب الله بن عبدالله الشريف خَانْ (الملقب عبدالله الشريف كَانْ الأول) ابن هذيم بن مسلم بن زيد ابن عبدالله أبي الضحاك بن الحسن الشهيد بن عبدالله الشهيد بن محمد الشاعر الشهيد بن صالح الجوال بن عبدالله الرضا الشيخ الصالح ـ ويلقب بأبي الكرام ـ ابن موسى الجون بن عبدالله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي وفاطمة بضعة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ـ فروع الشريف سيد إلياس:

فروع الشريف سيد إلياس: حسب الوثائق الفوتية والشنقيطية، حيث أعقب الشريف سيد إلياس من بنيه داود وإسماعيل وانجب (أحمد) ومهدينالله وإنيق وبسكيت وبوب وعثمان.

(فرع داود):

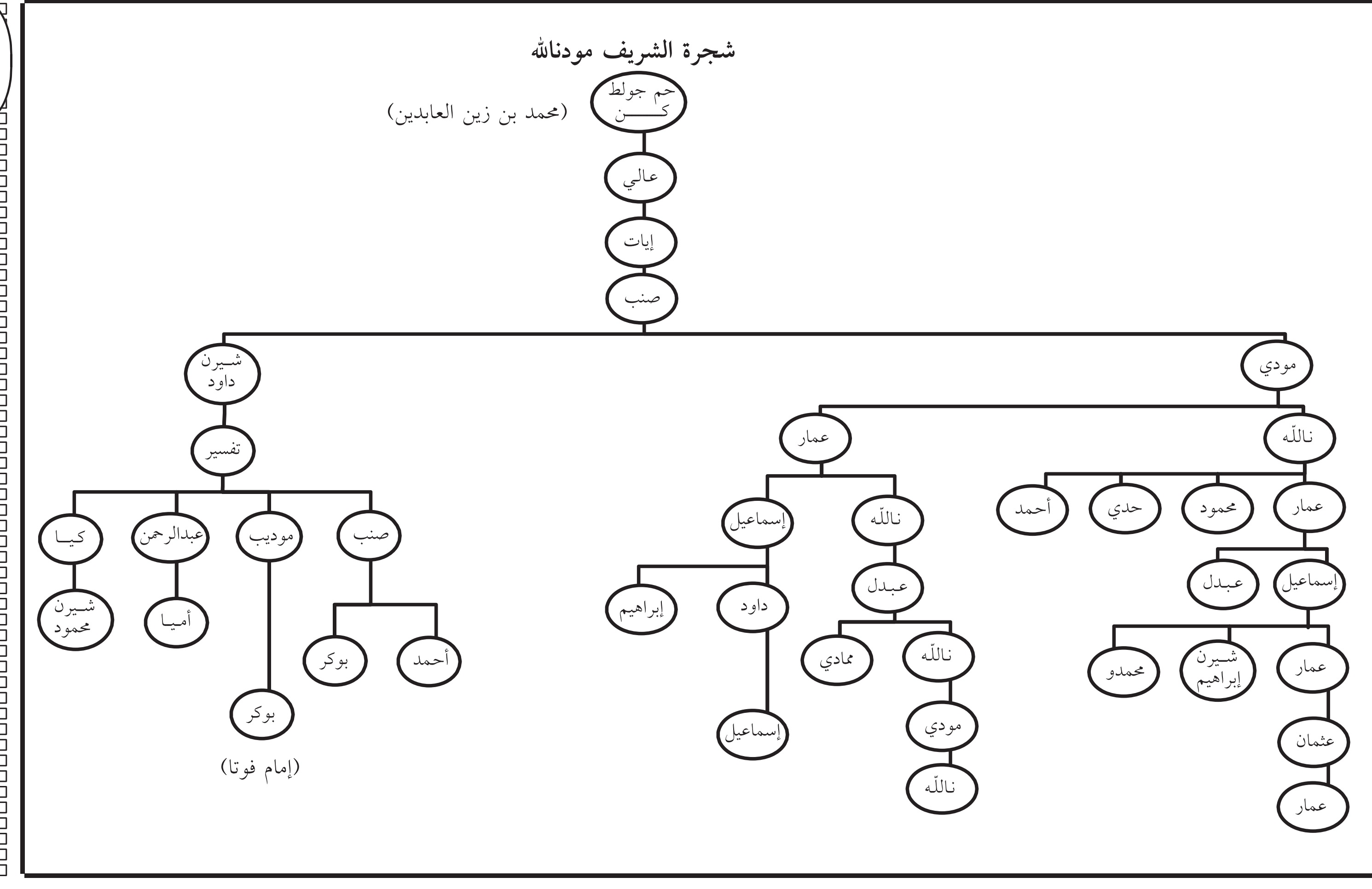
● وهؤلاء ولد داود بن الشريف سيد إلياس حيث أعقب من أربعة أبناء وهم (محمد زين العابدين المعروف بحم جولط كن) والأمين وأحمد الملقب انجب، ومالك والد محمد عبدالله سعاد وعقبه في (دللي) بمالي أما محمد المسلم (حمى جولط) بن داود بن الشريف سيد إلياس فقد أعقب من بنيه أعمر وراشد وبوب وداود وعثمان وهماد وحيمود وببكر وعال.

● فمن أعمر (أهل ألمان غاني) وبعض أهل بول المعروفون بأعمر (ناب) وكلمة (ناب تعني بالكولارية النسبة) أي: العمريون ومن ببكر جمناب وأهل جامع كاز مانس، ومن بوب أهل كمك «بكافين معقودين» وقيل: هم من مالك بن حم والد بوب المذكور وأخوه عبدالله بن مالك ومن هذا الأخير كلسلناب.

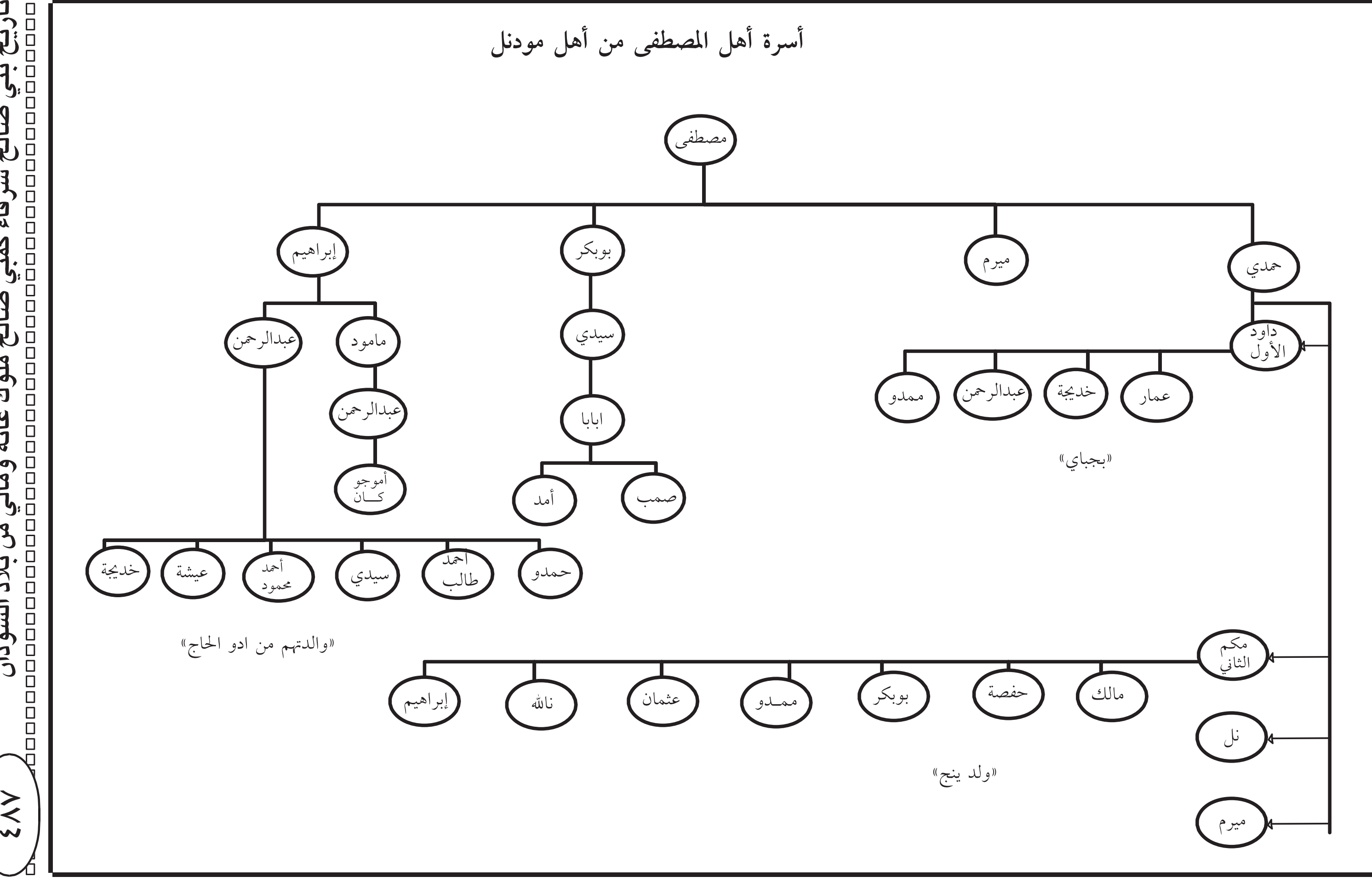
● ومن عال بن حم اباتي وبران وعبدل ومتى وصنب ودمب و(يرو: سيد إلياس) وأهل قرية (ديك جاوي) فمن عبدل بن عال أهل كبل وأهل ألمان دك بكاف معقودة من مالك بن عبدل بن عال، ومن صنب بن عال بن حم أهل سطى ومن عقب دمب بن عال بن حم أهل (كد) بكاف معقودة ومن عقب (سيد إلياس بن عال بن حم)، (أهل بمياب) ومن عقب إبات بن عال: صنب وعقبه من رجلين داود ومودي نالله الصغير، فمن داود بن صنب بن إبات (أهل سيول ناب).

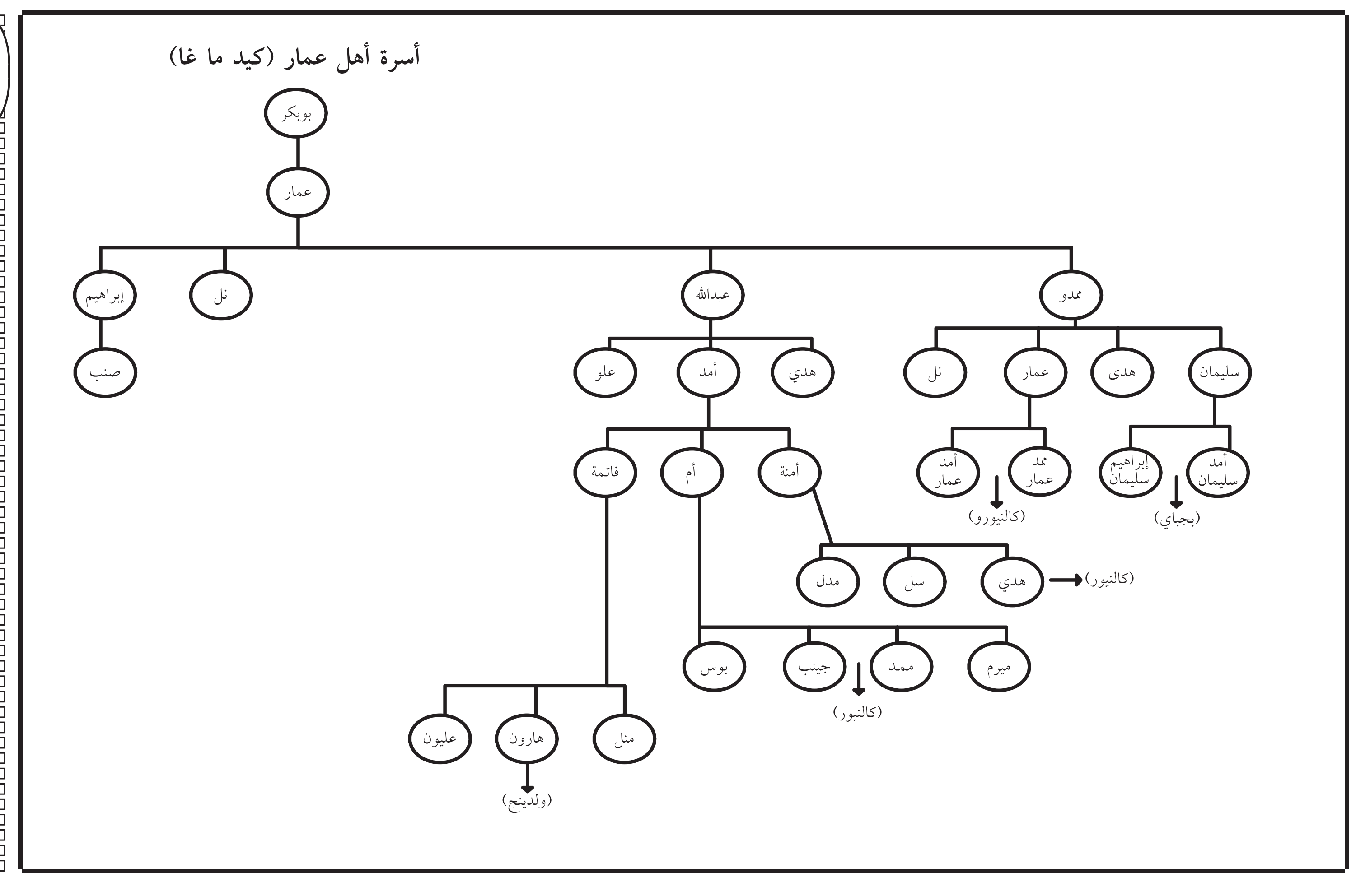
● وأما أهل مودنالله فهم كثيرون جداً فمنهم أهل إعويس تصغير عيسى بن عبدالله بن مودنالله وقد استوطنوا في أهل الحاج المختار من زمن قديم فمن هذه الأسرة محمد ميارة وإخوته عبدالقادر ومحمد محمود ومحمد عبدالله وهم أبناء عبدالودود الملقب (عبده) بن أكاه بن المختار بن عيسى، وأخوه أحمد ومحمد ابني (أكاه)، ومن أهل إعويس السيد عبدالقادر بن المختار بن عيسى والمختار أخوه أحمد الملقب (أحميده) فالمجموعة إذاً تضم بطنين أحدهما يسمى أهل عبده ولد أكاه والبطن الثاني أهل أحميده.

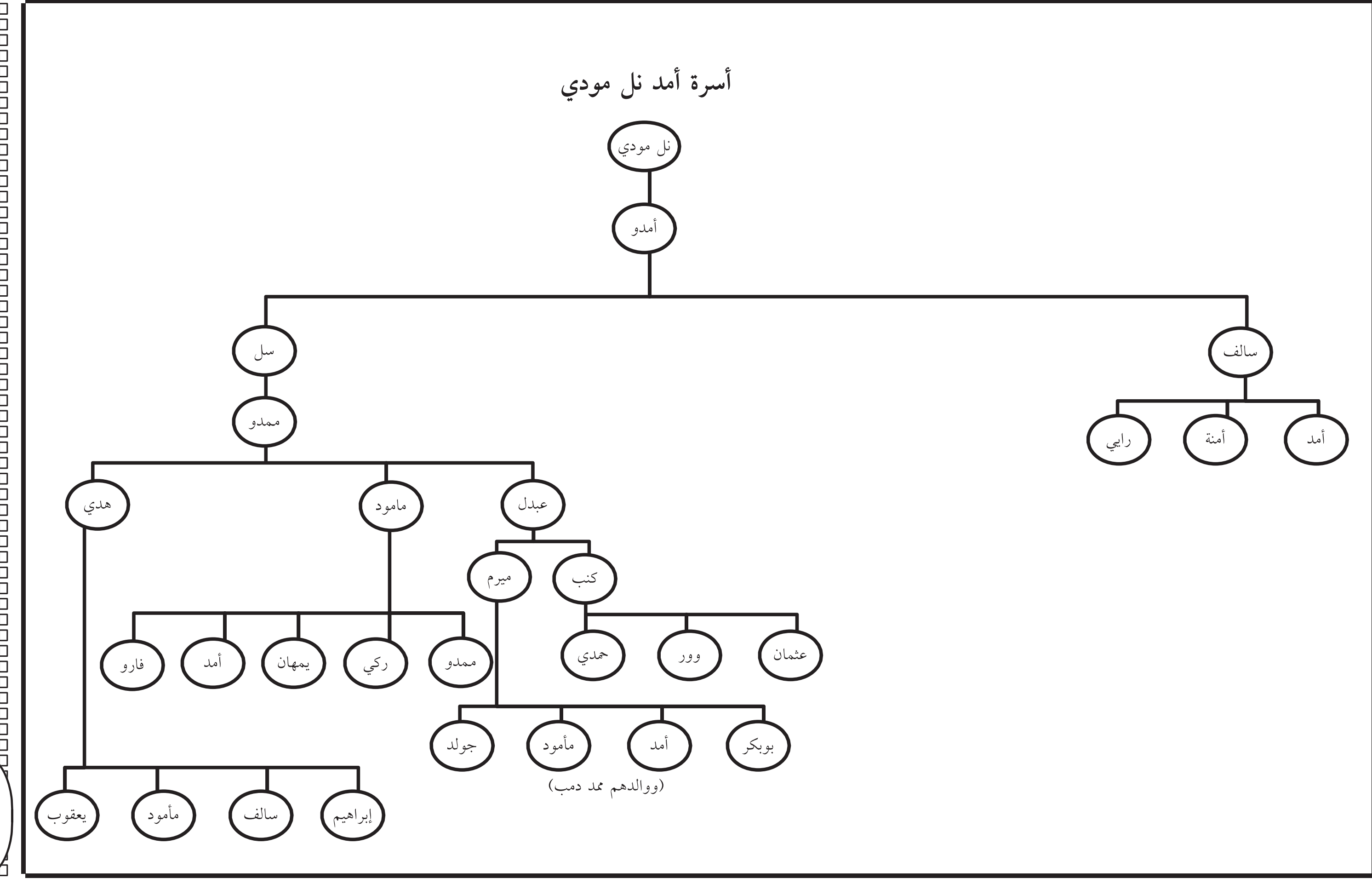
شجرة نسب أهل مود نل حسب الرواية القائلة بانتمائهم إلى عبدل شريف خان القادم من باكستان، يعني: عبدالله بن صالح بن الحسن بن علي ابن أبي طالب رضي الله عنهما.

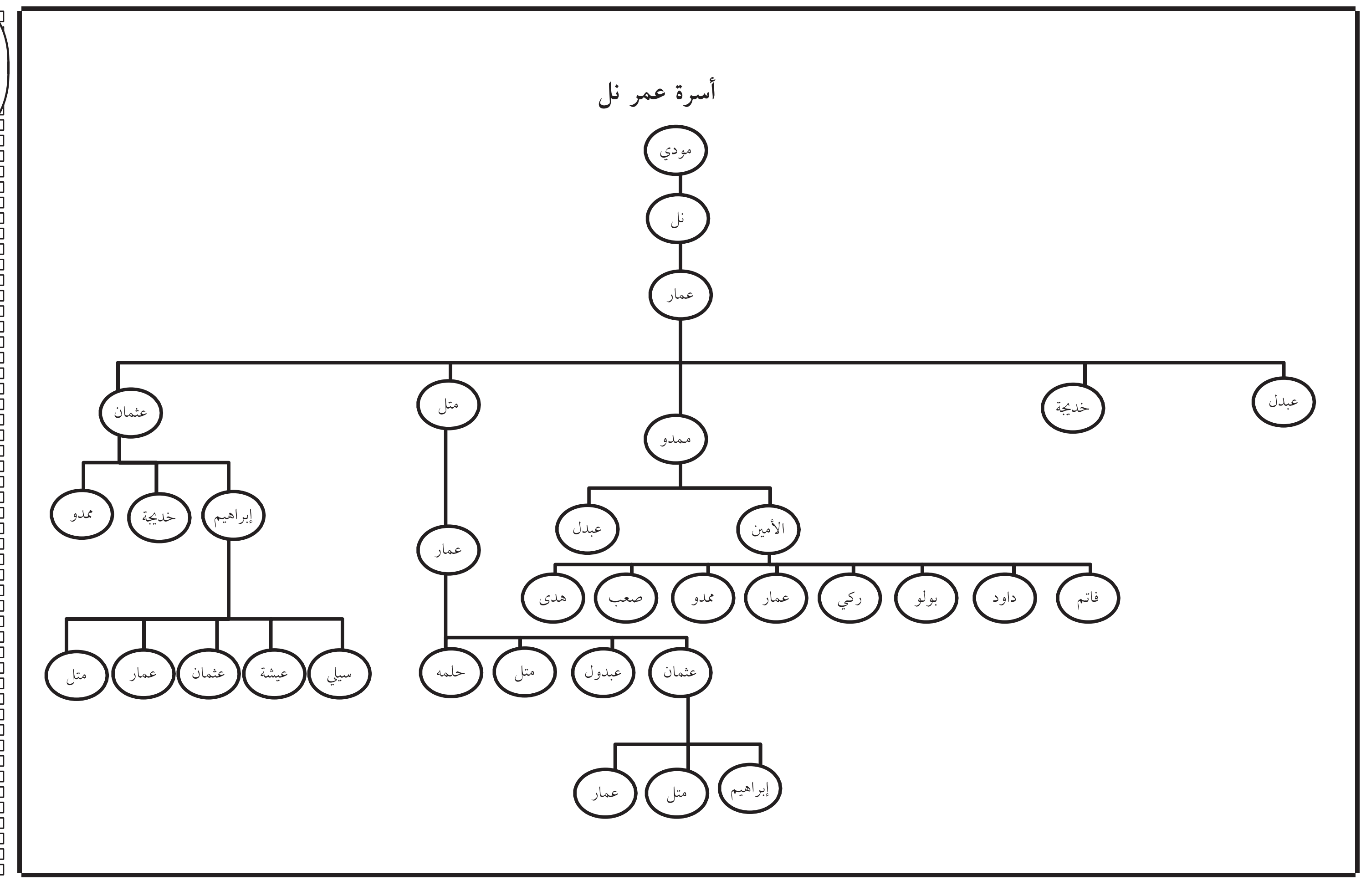

شجرة الشريف مودنالله
حم جولط
كـــن
(محمد بن زين العابدين)
عالي
إيات
صنب
شيرن
داود
تفسير
كيا
شيرن
محمود
عبدالرحمن
أميا
موديب
بوكر
(إمام فوتا)
صنب
بوكر
أحمد
مودي
عمار
إسماعيل
إبراهيم
داود
إسماعيل
نالله
عبدل
ممادي
نالله
مودي
نالله
نالله
أحمد
حدي
محمود
عمار
عبدل
إسماعيل
محمدو
شيرن
إبراهيم
عمار
عثمان
عمار

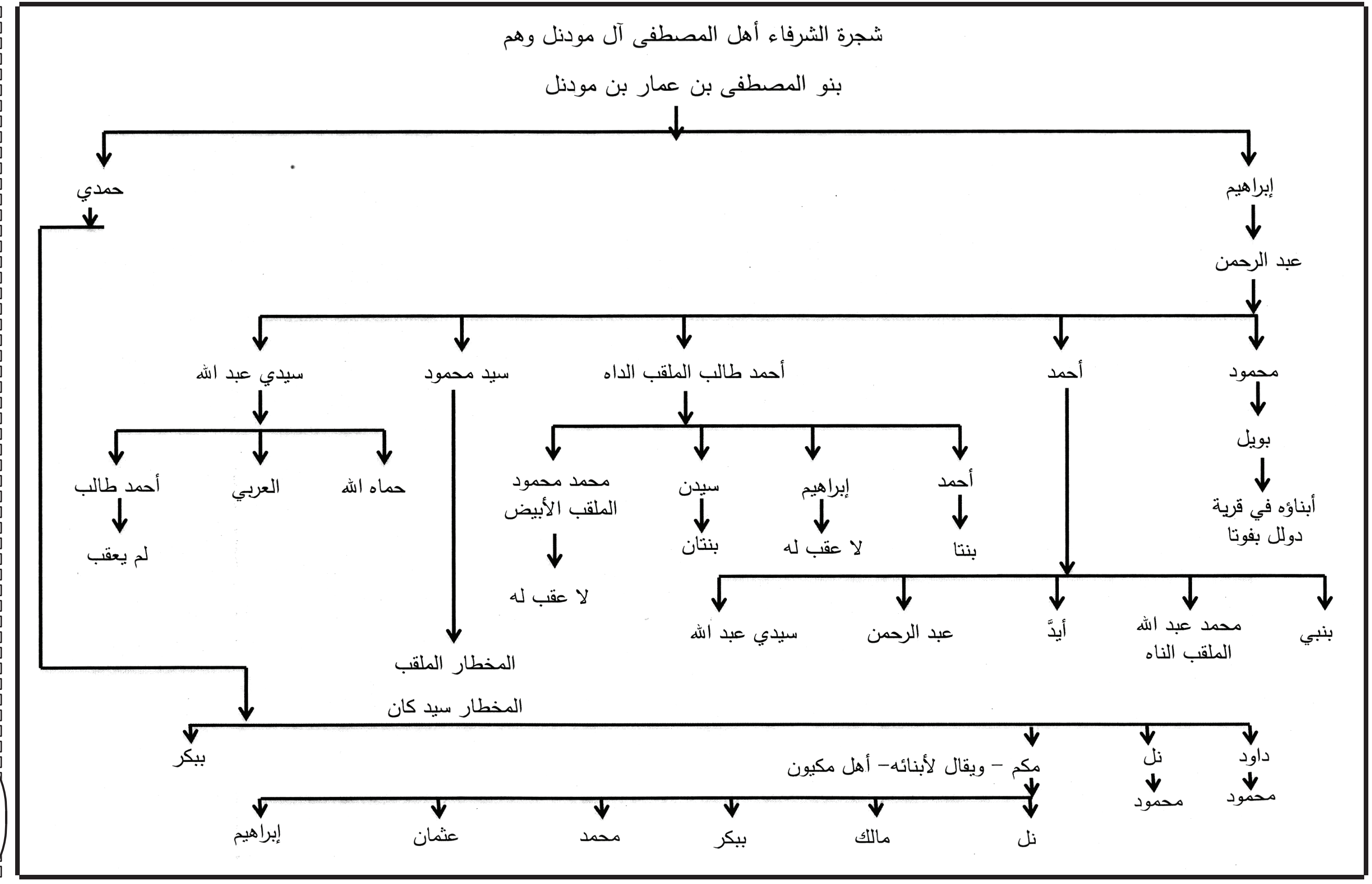
أسرة أهل المصطفى من أهل مودنل



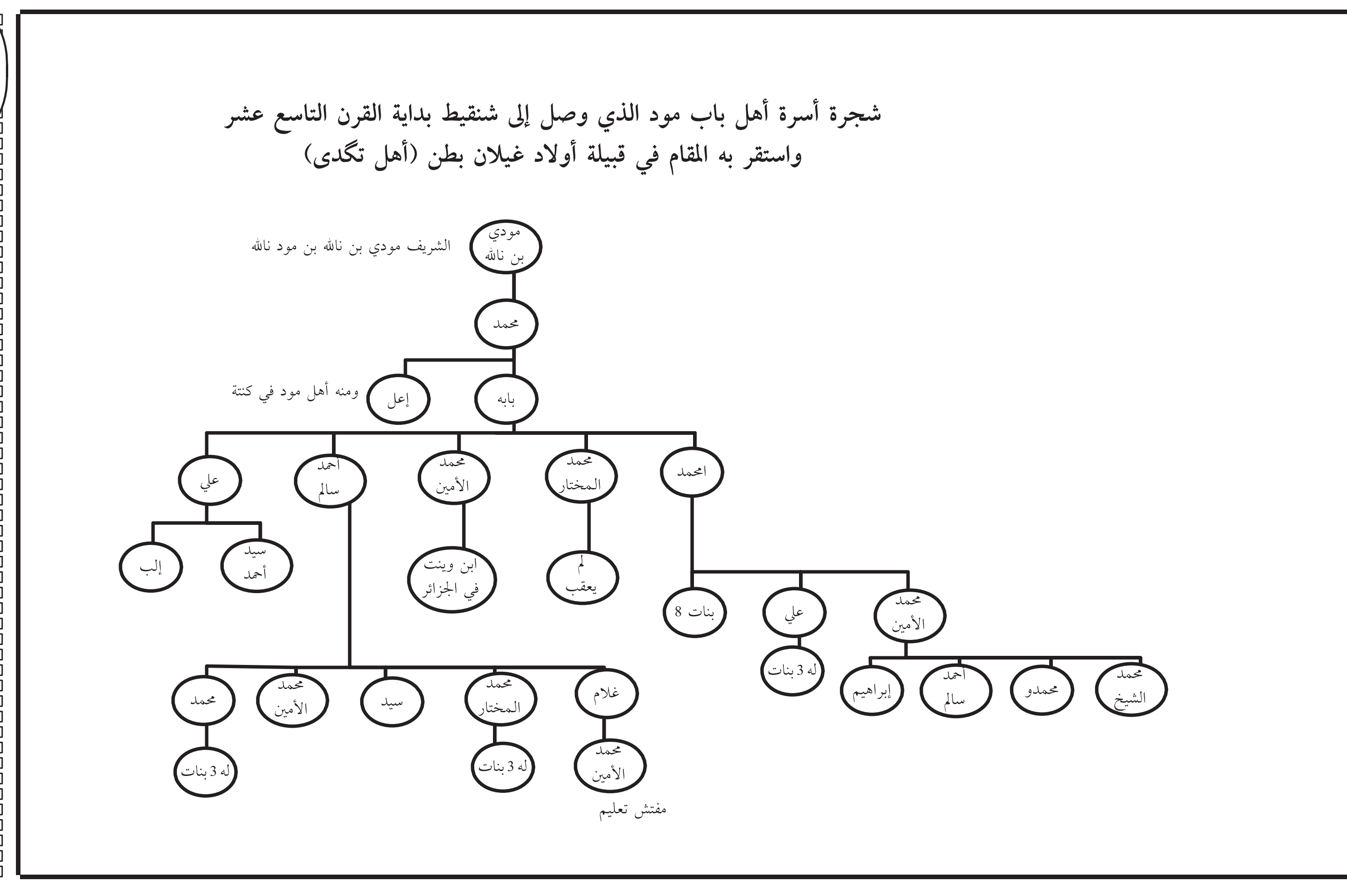

أسرة أهل عمار (كيد ما غا)
بوبكر
عمار
إبراهيم
صنب
نل
عبدالله
علو
أمد
هدي
فاتمة
أم
أمنة
منل
هارون
عليون
(ولدينج)
بوس
جينب
ممد
ميرم
(كالنيور)
مدل
سل
هدي
(كالنيور)
ممدو
نل
عمار
هدى
سليمان
أمد عمار
ممد عمار
(كالنيورو)
إبراهيم سليمان
أمد سليمان
(بجباي)

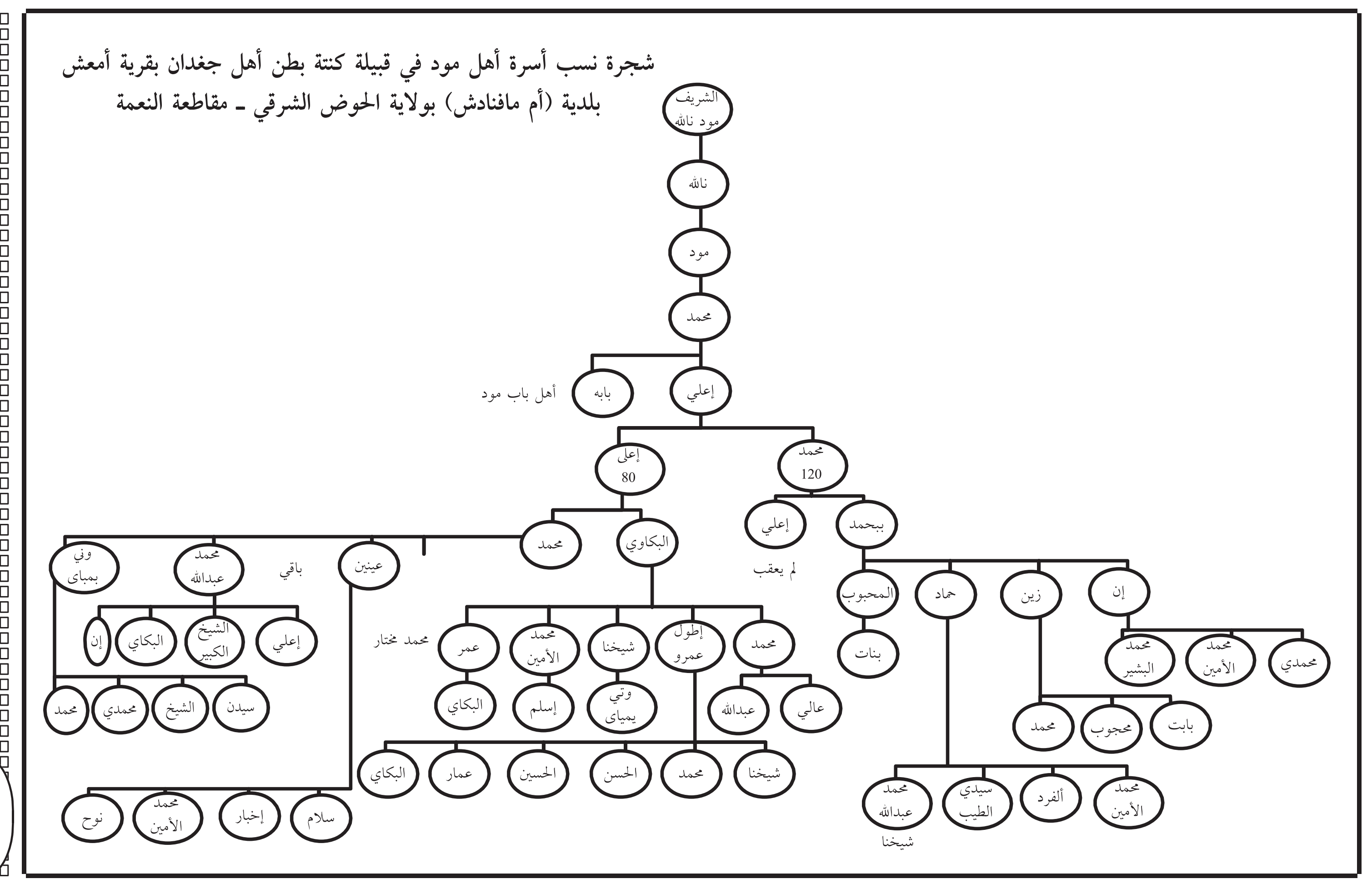

أسرة أمد نل مودي
نل مودي
أمدو
سل
سالف
ممدو
هدي
مامود
عبدل
أمد
أمنة
رابي
ميرم
كنب
فارو
أمد
يمهان
ركي
ممدو
حمدي
وور
عثمان
جولد
مأمود
أمد
بوبكر
(ووالدهم محمد دمب)
يعقوب
مأمود
سالف
إبراهيم

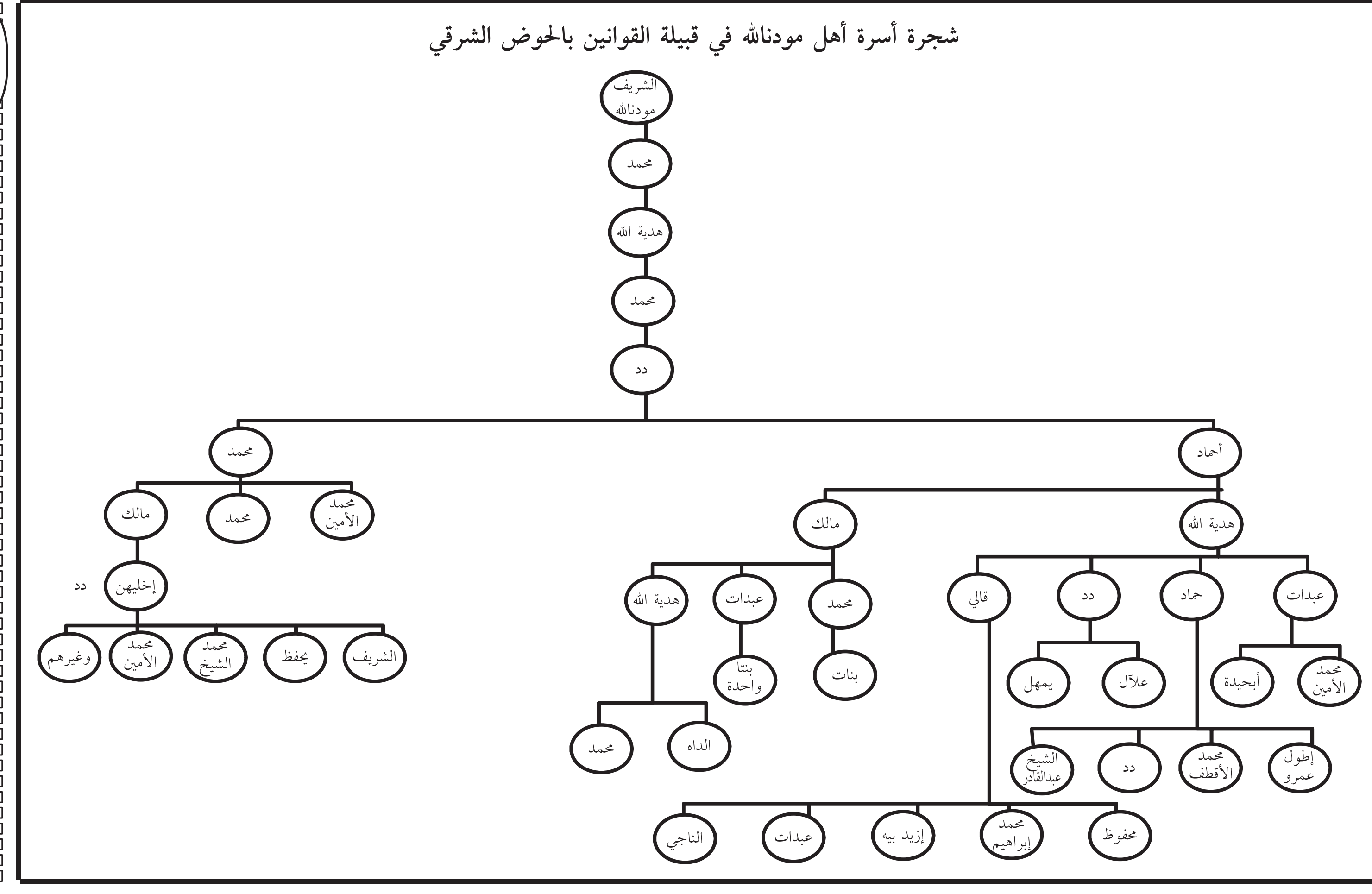

أسرة عمر نل
مودي
نل
عمار
عبدل
خديجة
ممدو
متل
عثمان
الأمين
عبدل
فاتم
داود
بولو
ركي
عمار
ممدو
صعب
هدى
عمار
عثمان
عبدول
متل
حلمه
إبراهيم
متل
عمار
إبراهيم
خديجة
ممدو
سيلي
عيشة
عثمان
عمار
متل



شجرة الشرفاء أهل المصطفى آل مودنل وهم
بنو المصطفى بن عمار بن مودنل
حمدي
إبراهيم
عبد الرحمن
محمود
أحمد
أحمد طالب الملقب الداه
سيد محمود
سيدي عبد الله
بويل
أبناؤه في قرية
دولل بفوتا
أحمد
بنتا
إبراهيم
لا عقب له
سيدن
بنتان
محمد محمود
الملقب الأبيض
لا عقب له
حماه الله
العربي
أحمد طالب
لم يعقب
بنبي
محمد عبد الله
الملقب الناه
أيدَّ
عبد الرحمن
سيدي عبد الله
المخطار الملقب
المخطار سيد كان
داود
محمود
نل
محمود
مكم – ويقال لأبنائه– أهل مكيون
ببكر
نل
مالك
ببكر
محمد
عثمان
إبراهيم


شجرة أسرة أهل باب مود الذي وصل إلى شنقيط بداية القرن التاسع عشر
واستقر به المقام في قبيلة أولاد غيلان بطن (أهل تگدى)
مودي بن نالله
الشريف مودي بن نالله بن مود نالله
محمد
بابه
إعل
ومنه أهل مود في كنتة
امحمد
محمد المختار
محمد الأمين
أحمد سالم
علي
سيد أحمد
إلب
ابن وينت في الجزائر
لم يعقب
بنات 8
علي
له 3 بنات
محمد الأمين
إبراهيم
أحمد سالم
محمدو
محمد الشيخ
غلام
محمد الأمين
مفتش تعليم
محمد المختار
له 3 بنات
سيد
محمد الأمين
محمد
له 3 بنات


شجرة نسب أسرة أهل مود في قبيلة كنتة بطن أهل جغدان بقرية أمعش
بلدية (أم مافنادش) بولاية الحوض الشرقي ـ مقاطعة النعمة
الشريف مود نالله
نالله
مود
محمد
إعلي
بابه
أهل باب مود
إعلى 80
محمد 120
البكاوي
محمد
عينين
باقي
محمد عبدالله
وني بمباى
إعلي
الشيخ الكبير
البكاي
إن
سيدن
الشيخ
محمدي
محمد
سلام
إخبار
محمد الأمين
نوح
محمد
إطول عمرو
شيخنا
محمد الأمين
عمر
محمد مختار
عالي
عبدالله
وتي يمباى
إسلم
البكاي
شيخنا
محمد
الحسن
الحسين
عمار
البكاي
إعلي
لم يعقب
ببحمد
المحبوب
بنات
حماد
زين
إن
محمدي
محمد الأمين
محمد البشير
بابت
محجوب
محمد
محمد الأمين
ألفرد
سيدي الطيب
محمد عبدالله
شيخنا


شجرة أسرة أهل مودنالله في قبيلة القوانين بالحوض الشرقي
الشريف مودنالله
محمد
هدية الله
محمد
دد
محمد
أحماد
مالك
محمد
محمد الأمين
إخليهن
دد
وغيرهم
محمد الأمين
محمد الشيخ
يحفظ
الشريف
مالك
هدية الله
هدية الله
عبدات
محمد
بنتا واحدة
بنات
محمد
الداه
قالي
دد
حماد
عبدات
يمهل
علاّل
أبحيدة
محمد الأمين
الشيخ عبدالقادر
دد
محمد الأقطف
إطول عمرو
الناجي
عبدات
إزيد بيه
محمد إبراهيم
محفوظ

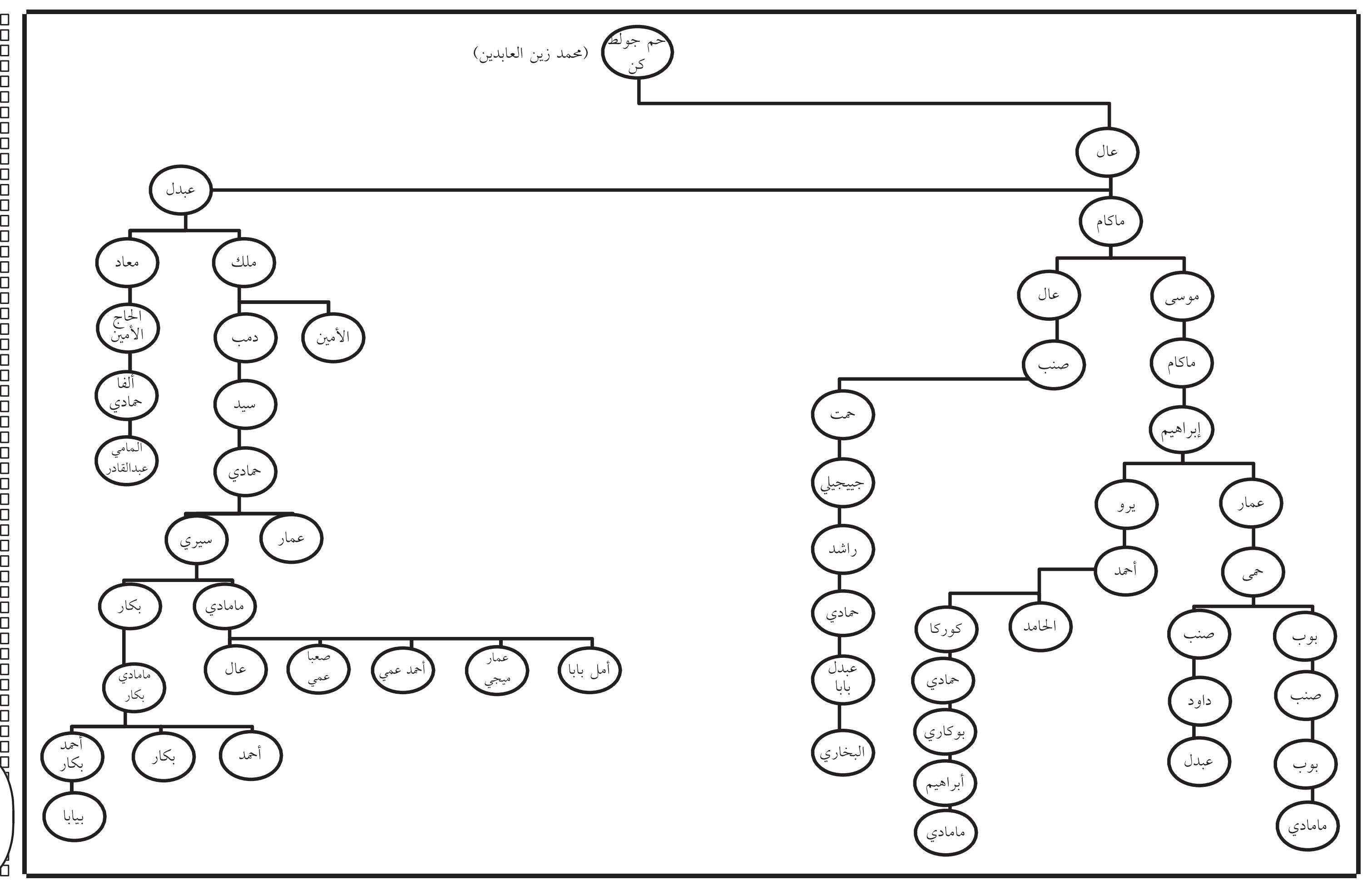
ومن ذرية الشريف مودنالله (أهل صائم الشمس في ارقيبه وأهل التفسير وجماعة منهم تقيم في قبيلة اكسيم بالحوض الشرقي ومنهم أهل صغير وأهل بوي زيد، ومن عقب مودنالله الفروع التالية أهل (مود) في قبيلة كنتة بالحوض الشرقي وأبناء محمد ولد مودنالله في قبيلة القوانين بالحوض الشرقي كذلك وأهل بابه مود في قبيلة أولاد غيلان بأوجفت وغالبية أهل مودنالله بمقاطعة ولد ينج ومقام وكنكوصة وبطون أخرى متفرقة في البلاد وهذه شجرات لبعض فروع الشريف محمد زين العابدين (حم جولط كن).

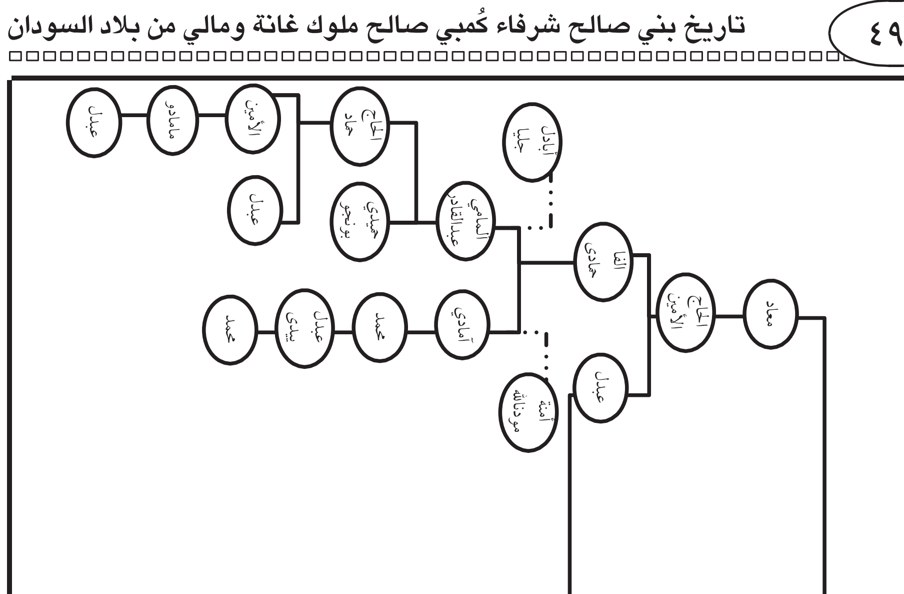
ومن عقب عال بن محمد زين العابدين (حم جولط) حمت ومنه أهل إنبيك وقيل: من مكم بن عال وهو الأصح، ومن بران بن عال أهل بول ومن أهل بول أيضاً أعمر ناب وهم من عثمان بن عال وقيل غير ذلك والله أعلم وأما باقي ذرية عال بن حم جولط فسنورده في الشجرات اللاحقة.

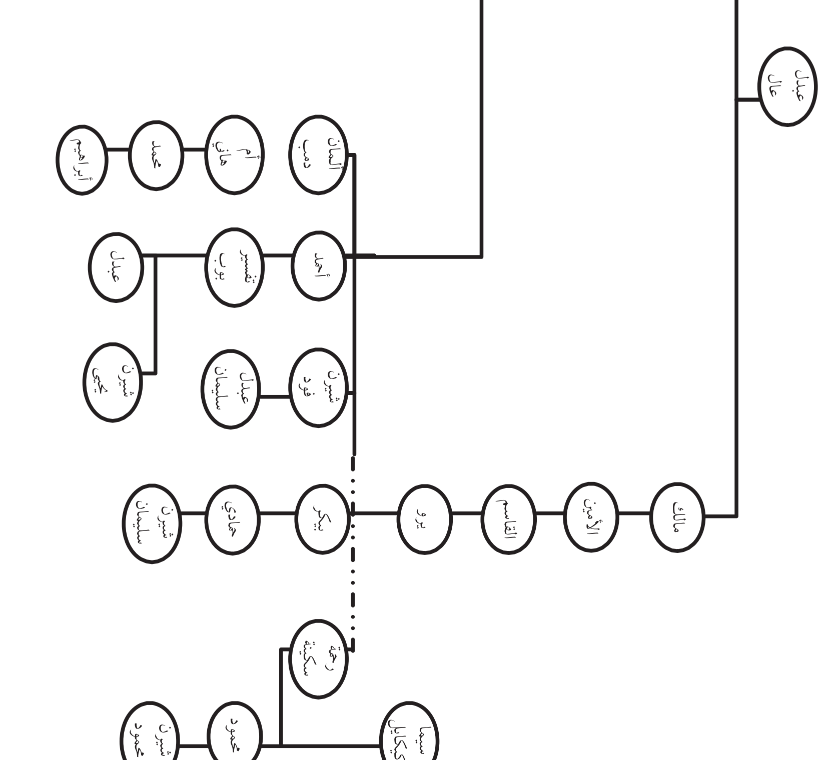
● وأما راشد بن محمد زين العابدين بن داود بن الشريف سيد إلياس فمن عقبه سليمان، وهنت وشبل وداود فمن سليمان بن راشد، كن المعروف بورابالي وذلك أنه لما مات أبوه وكان أكبر أولاده وكان متكبراً سيئ الخلق منع من ملك أبيه وكان ينحر البقر بدلاً من الضأن فلقب بذلك بورابالي وتكثر في عقبه أئمة المساجد، وأما شبل راشد فولد هنت وولد هنت: ماليم عثمان وأما ماليم فهو والد ألفا ماليم ودمب وأما ألفا بن ماليم فولد عبدل وعلي، وولد عبدل بن ألفا ممد وهنت وأحمد، وولد ممد بن عبدل محمود وإبرا، وأما أحمد بن عبدل فولد ممد باب وراشد وعلي وأما هنت بن عبدل فولد الأمين وعبدل وعلي وأما علي بن أحمد بن عبدل فلم يخلف إلا بنات، وأما دمب بن ماليم فولد جاي (فور) وولد جاي فور: جال كن وحم فور بواب، وأما جال كن فولد أحمد وألفا، وولد ألفا بن ماليم ألمان جال الذي ولد ألمان ممد والله تعالى أعلم وأما عثمان بن هنت بن شبل بن راشد بن محمد زين العابدين (حم جولط) فولد جاي، وولد جاي بن عثمان: سيري وسعيد وببكر وأحمد، وولد سيري بن جاي: حمدن سيري الكبير وحمدن الصغير وعثمان ودوت، وولد حمدن الكبير: شيرن عمروجاي وولد شيرن عمر: شيرن فامة وأبو ألمان

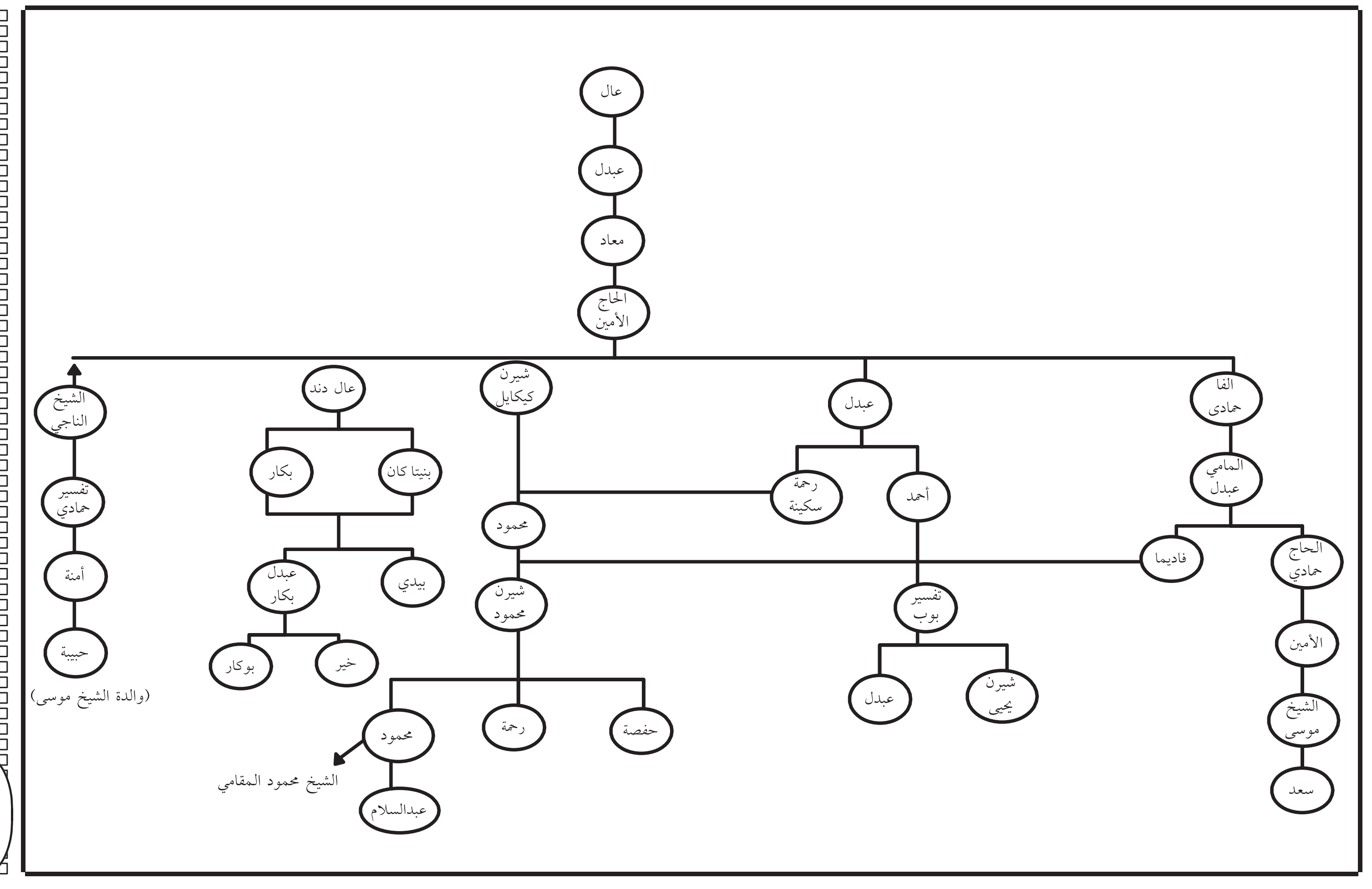
عمر، وولد حمدن الصغير بن سيري بن جاي: جاي ودمب، وأما جاي بن حمدن الصغير فولد: ألمان محمود وعلي ومحمود وسفات محمود وسيري محمود وأما دمب بن حمدن فولد: ألمان علو/ أبو ممدكجت المعروف بألمان بور وأخوه جاي بن ألمان علو الذي ولد عبدل ساجل سلدات، وسعيد كن وجب، وعبيد وأما سعيد كن فولد ألمان جاي وولد ألمان جاي: سير كن وحبي كن ومحمود كن وأحمد كن وحمدن سيري وأما جب بن جاي بن حمدن فولد: جب ومحمود وعبدل ويسمى أيضاً عبدل ساجل ولم يعقب إلا إناثاً، وأما حمدن بن جب فولد سيري وأما محمود بن جب فولد سعيد كن وأما ببكر بن جاي فولد جاي وإبراهيم وسعيد وهمدكن، وولد إبراهيم بن جاي: ألمان عمر، وولد سعيد كن: عمر كن وولد عمر كن: أحمد الأمين، وأما سعيد بن جاي فولد دمب ومن عقب دمب ألمان جاي علو بن ألمان كان بن سعيد موم بن دمب ومن ولد سعيد جاي أيضاً «سيد إلياس يرو» المعروف بيروأمهان وولد يرو: حمدن وسعيد كن ويقال لبني عثمان بن هنت (دار جاينات) في بنداو وتيكان نسبة إلى جاي بن عثمان الذي ولد: سيري وسعيد وببكر وأحمد... إلى آخر ما تقدم فلذلك قيل لولد عثمان هنت «دارجاينات» وقيل: إن هنت هذا ابن راشد مباشرة قيل وهو الأصح والله تعالى أعلم.

وأما سعيد بن هنت بن راشد بن حم جولط بن داود فولد ببكر المعروف بألمان ببكر الكبير ودمب ومالك وأما ألمان ببكر بن سعيد فولد سعيد المعروف بألمان سعيد ـ المعاصر للإمام عبدالقادر كن ـ وإخوته هم همدين وجال وسعيد وأحمد، أبناء ببكر بن سعيد وأما سعيد بن ببكر بن سعيد الذي هو ألمان سعيد فهو والد الصالح ألمان ببكر قلت هو ألمان أبو بكر قاضي وأمير أهل دمت «دمشق» وقد حكمها خمسون عاماً وهو والد ألمان سعيد الذي قاوم الاستعمار الفرنسي، وقد تم سجنه حتى توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ مسجوناً وقد خلف ابنه المعروف بممد داد، ومن ولد حمدن بن ببكر ألمان أحمد وببكر وأما جال بن ببكر فهو أحسنهم حالاً وأتقاهم قلباً وهو الذي منعهم من ضرب الدفوف في الملاهي ومن أخذ بنات مواليهم للخدمة.


حم جولط كن
(محمد زين العابدين)
عال
عبدل
ماكام
ملك
معاد
الحاج الأمين
ألفا حمادي
المامي عبدالقادر
دمب
الأمين
سيد
حمادي
سيري
عمار
بكار
مامادي
مامادي بكار
أحمد بكار
بكار
أحمد
بيابا
عال
صعبا عمي
أحمد عمي
عمار ميجي
أمل بابا
عال
موسى
صنب
ماكام
حمت
جبيجيلي
راشد
حمادي
عبدل بابا
البخاري
إبراهيم
يرو
عمار
أحمد
حمى
كوركا
حمادي
بوكاري
أبراهيم
مامادي
الحامد
صنب
داود
عبدل
بوب
صنب
بوب
مامادي


عبدل
مامادو
الأمين
عبدل
الحاج حماد
الشامي عبدالقادر
الفا هادي
الحاج الأمين
معاذ
عبدل
آمادي
محمد
محمد


عبدل عال
أم هاني
محمد
ابراهيم
أحمد
عبدل
عبدل سليمان
مالك
الأمين
القاسم
برو
بكر
حمادي
شيرن سليمان
محمود
شيرن محمود
عبدل سيري


عال
عبدل
معاد
الحاج الأمين
الشيخ الناجي
تفسير حمادي
أمنة
حبيبة
(والدة الشيخ موسى)
عال دند
بكار
بنيتا كان
عبدل بكار
بيدي
بوكار
خير
شيرن كيكايل
محمود
شيرن محمود
محمود
رحمة
حفصة
الشيخ محمود المقامي
عبدالسلام
عبدل
رحمة سكينة
أحمد
تفسير بوب
عبدل
شيرن يحيى
الفا حمادي
المامي عبدل
فاديما
الحاج حمادي
الأمين
الشيخ موسى
سعد

(محمد زين العابدين)
حم جرلكم كي
عال
عبدل
معاد
الحاج الأمين
عبدل
ألمان دمب
محمد
أبراهيم
أم هاني
أحمد
تفسير بكار
عبدل
شيرن كيجي
شيرن فرد
فاطمة
شيرن كيكابل
محمود
شيرن محمود
الشيخ عماد
راشد
داود
عثمان
بكاري
معاد
مالك
مود صنب
أحمد أنجب
يوسف
محمد حم
مالك
عبدالله
رضوان
عباس تفسير
عثمان
سعيد
الحاج عمادي
آيات عال
صنب
مودي
نائلة
أمنة
شيرن مقام
أقيماتي
راشد
مقام

وقد ولد حمدن، وحمد، وولد حمدن بن جال: عبدل المعروف بعبدل جول الذي ولد داود وببكر سخن، وأما حمد بن جال فولد جال وولد جال بن حمد بن جال: ببكر وألمان جاي، ومن ولد سعيد بن هنت بن راشد: مالك ودمب وولد مالك بن سعيد ألمان دوتول بن عثمان بن مالك وولد دمب بن سعيد: ببكر وآدم، وولد ببكر بن دمب بن سعيد: ألمان دمب كديج وولد ألمان دمب: حبي وأما آدم بن دمب فولد ألمان ببكر العالم الصالح الصغير وألمان دمب كديج المذكور هو دمب بن ببكر أخو جال بن ببكر ومن عقبه ألمان عبدل كمب داد سعيد بن حمد بن جال، ومن ولد ألمان ببكر العالم الصالح المتأخر شيرن محمد سعيد وقيل: إنه كان عالماً ومات قبل موت أبيه وولد محمد سعيد بن ببكر: حبي فدم وحمدن فدم وفاطمة محمد وفي جملة أولاد ألمان ببكر الصغير أيضاً ألمان سعيد وخراش ومحمود وألمان دمب الصغير، وأما ألمان سعيد بن ألمان ببكر فولد ممد داد وآب داد وجال كمبي، وأما خراش بن ألمان ببكر فلا عقب له وأما محمود بن ألمان ببكر فولد ملاط وتك ومحمد، وأما محمد بن ألمان ببكر فقد تقدمت ذريته.

ومن ولد هنت بن راشد بن محمد زين العابدين وقيل: هنت بن شبل بن راشد: سيد ومن عقب سيد هذا ببكر بن محمود بن أحمد بن ببكر بن سيد بن هنت، ومن عقب ببكر بن محمود بن أحمد عثمان.

وأما داود الملقب جگو بن راشد بن محمد زين العابدين بن داود بن الشريف (سيد إلياس: يرو) فعقبه هم المعروفون بجگو في كل من دمت وانتيكان ودمت بوقي وأما أهل دمت بوقي وما جاورها فهم أبناء: حم بن يوسف بن أحمد (أنجب) بن مود صنب بن مالك بن داود بن راشد بن حم جولط المقدم ذكره، وهؤلاء ولد حم بن يوسف ولد أنجب ولد (مود صنب) ولد مالك ولد داود ولد راشد ولد (حم جولط: محمد زين العابدين) ولد داود ولد يرو: (الشريف سيد إلياس) التنبكتي الواداني تغمدهم الله برحمته وأسكنهم فسيح جناته. فولد حم بن يوسف خمسة أبناء وهم: أ ـ إبراهيم. ب ـ يرو (سيد إلياس). جـ ـ الأمين. د ـ باران. هـ ـ بكي.

أ ـ وهذه ذرية إبراهيم بن حم بن يوسف حيث ولد (سلي: سليمان) وبكار، وولد سليمان بن إبراهيم بن حم: صنب وكويلا وولد صنب بن سليمان بن إبراهيم: بكار، ويرو: (سيد إلياس) و(سلي: سليمان) وولد بكار بن صنب بن سليمان: صنب والحسن وولد سليمان بن صنب بن سليمان: سيد وولد سيد هذا الحاج أحمد. وأما يرو (سيد إلياس) بن صنب بن سليمان فولد أحمد وولد أحمد هذا محمد والحسن و(يرو: سيد إلياس) وعلي وعمر.

وولد صنب بن بكار بن صنب: بيدي تفسير وولد الحسن بن بكار بن صنب: الحسين وعلي وموسى و(آبو: أبو بكر) و(يرو: سيد إلياس) و(سلي: سليمان) وولد (سليمان: سلي): محمد، وولد محمد عبدالله وولد عبدالله: محمد بن عبدالله بن محمد بن سليمان بن الحسن بن بكار بن صنب وولد بيدي تفسير بن صنب بن بكار بن صنب: عبدالله بيدي.

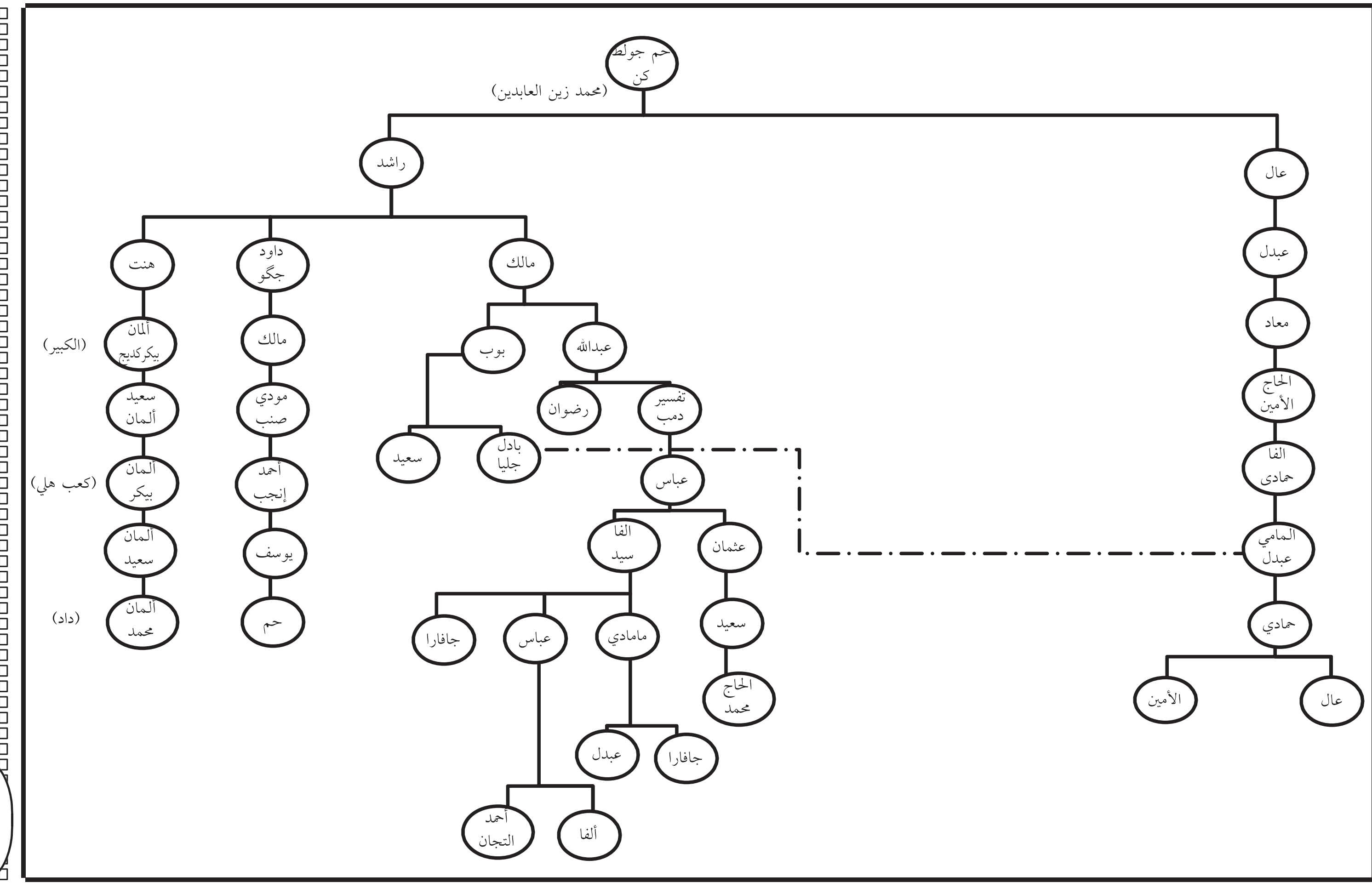
وولد الحسين بن الحسن بن بكار بن صنب: صنب دم ومحمد قطاط وموسى كمب وسلي كمب. وولد: صنب دم: عبدالله وسعيد الذي ولد أحمد وولد علي بن الحسن بن بكار: سليمان ميمونة وخالد كمب.

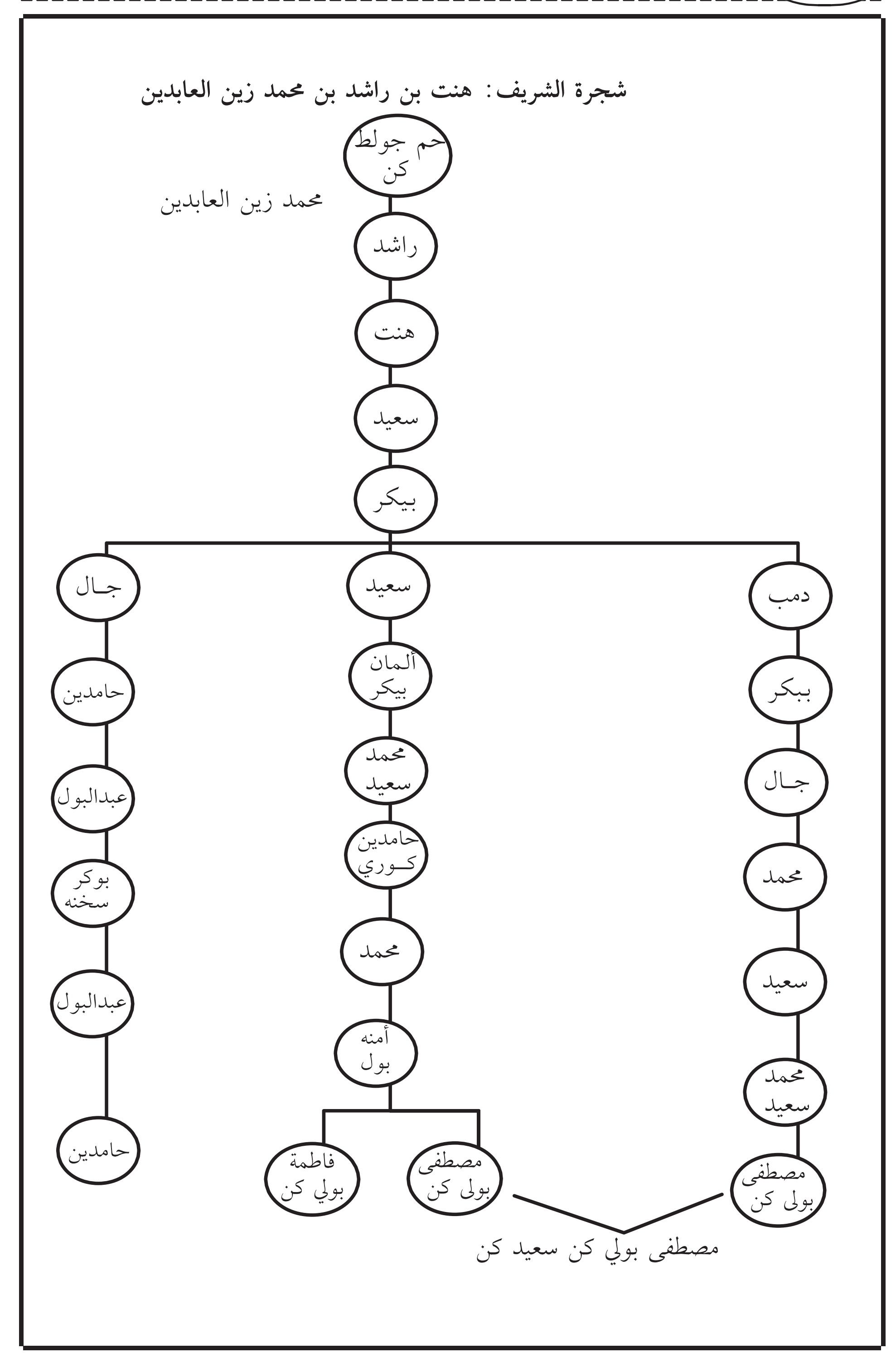
وولد موسى بن الحسن بن بكار: أحمد ومحمد تكٍ وهذا الأخير ولد عبدالله.

وولد أبو بكر (آب) بن الحسن: باب وأما يرو بن الحسن فلم أقف له على ذرية وولد سليمان (سلي) بن الحسن بن بكار: محمد.

* وولد محمد ولد أحمد ولد يرولد صنب: عبدل وجب، وولد جب هذا: دمب حفصة وحمات بقي.

وولد الحسن بن أحمد بن يرو: محمد وأحمد، فولد محمد بن الحسن بن أحمد: عمر ألمان وولد أحمد بن الحسن بن أحمد: مالك وولد يرو بن أحمد بن يرو بن صنب: سدرين وهني زين ابني زين بن يرو وولد علي بن أحمد بن يرو: داود وولد عمر بن أحمد بن يرو: يرويل وانتهى ما عندنا من عقب: سليمان بن. . .


حم جولط كن
(محمد زين العابدين)
راشد
عال
هنت
داود جگو
مالك
ألمان بيكركديج
(الكبير)
سعيد ألمان
ألمان بيكر
(كعب هلي)
ألمان سعيد
ألمان محمد
(داد)
مالك
مودي صنب
أحمد إنجب
يوسف
حم
بوب
عبدالله
سعيد
بادل جليا
رضوان
تفسير دمب
عباس
الفا سيد
عثمان
سعيد
الحاج محمد
جافارا
عباس
مامادي
عبدل
جافارا
أحمد التجان
ألفا
عبدل
معاد
الحاج الأمين
الفا حمادى
المامي عبدل
حمادي
الأمين
عال


شجرة الشريف: هنت بن راشد بن محمد زين العابدين
حم جولط كن
محمد زين العابدين
راشد
هنت
سعيد
بيكر
جال
حامدين
عبدالبول
بوكر سخنه
عبدالبول
حامدين
سعيد
ألمان بيكر
محمد سعيد
حامدين كوري
محمد
أمنه بول
فاطمة بولي كن
مصطفى بولى كن
دمب
ببكر
جال
محمد
سعيد
محمد سعيد
مصطفى بولى كن
مصطفى بولي كن سعيد كن



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

نبذة عن حياة البروفسير
الشريف مصطفى بولي سعيد كن رَحِمَهُ ٱللَّهُ

مصطفى بولي سعيد كن: رمز الصمود والتحدي والبطولات الثقافية مصطفى بولي سعيد كن: سليل بني صالح ومؤرخ فرع قبيلة كن بلا منازع. مصطفى بولي سعيد كن: أستاذاً كان محط أنظار طلبة العلم وقبلة للباحثين والدارسين في مجال علم التاريخ والاجتماع واللغات، فقد كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ نبراساً تستضيء به صروح ومنابر الكليات والجامعات وتلمع به إستديوهات القنوات والفضائيات الثقافية وفي فترة ما تغنت به مؤسسة المكتبات والمتاحف الوطنية كما كان بريقاً لأهم المؤتمرات والندوات السياسية، كيف لا؟ وهو أستاذ مجاز في العلوم السياسية له شهادات في علم الاجتماع السياسي، باحث ومؤرخ موريتاني حيث كان في المنفى بأوروبا منذ سنة **١٩٩٢** يعمل أستاذاً في كلية اللغات بجامعة لاهاي (هولندا) فهو رَحِمَهُ ٱللَّهُ يتقن ويؤلف ويبحث بالفرنسية والإنجليزية والهولندية والروسية، إضافة لإلمامه بلغات أخرى، فمصطفى بولي سعيد كن رَحِمَهُ ٱللَّهُ كان رجلاً وطنياً مخضرماً فكرياً ومحنكاً سياسياً وزعيماً قومياً، فقد وقف شامخاً كالطود العظيم في أواخر الثمانينيات وبداية التسعينيات أمام سياسة الاغتيالات الجماعية والتصفيات العنصرية والحملات الإقصائية التي

مورست من قبل اللجنة العسكرية بقيادة الطاغية العقيد معاوية ولد الطايع حيث قتل وأعدم المئات من قبيلته وسجن ونفي المئات بذرائع مزيفة ومختلقة ثبت مع مرور الأيام بطلانها وفي كل ذلك ضحى الأسد مصطفى بولي سعيد كن بالرخيص والغالي والنفيس من أجل إحقاق الحق وإنصاف المظلومين فدارت عليه الدائرة ولم يكن أحسن حالاً من المئات من أقاربه حيث سجن أعواماً ونفي خارج البلاد أعواماً أخرى، وبعد الإطاحة بالسفاح العقيد ولد الطايع في الثالث من أغسطس سنة (٢٠٠٥م) عاد إلى الوطن إلا أن فرحتنا بعودته لم تعمر طويلاً حيث انتقل رَحِمَهُ اللهُ إلى الرفيق الأعلى مساء الخميس، الخامس من رمضان سنة (١٤٢٧هـ) الموافق **٢٠٠٦/٩/٢٩**، وذلك على إثر حادث سير مروع قضى فيه كذلك ابن عمه السفير الخراش كن، تغمدهما الله برحمته وأسكنهما فسيح جناته وخلفهما في أهليهما وإنا لله وإنا إليه راجعون.

وقد كانت لي معه رَحِمَهُ اللهُ عدة مقابلات أنارت لي سبيل البحث فجزاه الله عنا خير الجزاء.

إبراهيم بن حم بن يوسف وهؤلاء ولد أخيه (البخار: بكار) بن إبراهيم بن حم بن يوسف فولد البخار: دمب وولد دمب: صنب وولد صنب: سيد وعال، وولد سيد بن صنب (يرو: سيد الياس) وأحمد وصنب فامه وهذا الأخير ولد: أحمد بن صنب فامه. وولد (سيد إلياس) جبريل، وولد عال بن صنب بن دمب: أحمد ودمب سل وولد أحمد بن عال: موسى، وهذا ولد أحمد وولد أحمد هذا: محمد موسى، وموسى بيدي المشهور بمحمد بيدي، وآب: أبو بكر بيدي وولد آب بيدي: موسى وعبدالله ومحمد وإبراهيم الملقب بويل وآمد وعلي وأبو بكر.

وولد موسى بن آب: آب والحسن وعبدل والتجان وجيب وأحمد وبويل وشيرن مختار ومحمد وعمر وعثمان وعلي والبخاري وإبراهيم وراشد وعبدالله وباران.

- وولد عبدالله بن آب: الحسن والحسين.

● وولد محمد بن آب: أحمد ومحمد، وأما بويل وآب فلهما عقب وأما آمد وعلي وبو بكر فلم يتزوجا بعد.

● وهؤلاء ولد موسى بيدى المعروف بمحمد بيدى وهو جدي، فولد: بيدى والشيخ سليمان وهو والدي ومحمد وآدم وسليمان الصغير، وقد توفي من غير عقب وكذلك الحاج توفي ولم يعقب، ومن ولده أي موسى بيدي: إبراهيم وعبدالله وآب وهؤلاء لا زالوا على قيد الحياة وأما بناته فهن: بيدية وعيشة الملقبة أيسارة وجارية وميمونة وآمنة وفاطمة والعالية وبنتين لا أعرف اسميهما إحداهما تسكن بمقاطعة باب بي واسمها لال وقد التقيت بها والحمد لله، والأخرى شقيقة لآب.

● وهؤلاء ولد كويلا بن سليمان بن إبراهيم بن حم حيث ولد: إبات وعمر وجمعة، وولد إبات: محمد الذي هو جد (سلي) بنداينور وولد عمر بن كويلا: دمب وولد دمب هذا: (سليمان: سلي) ومحمد والد نول، إلخ. . .

ب ـ الفرع الثاني من فروع الشريف حم بن يوسف هو الشريف (يرو: سيد إلياس) ومن عقبه عبدل (وسليمان: سلي) ابني عال الشهير بسيد جليا بن دمب بن حم بن صنب بن يرو بن الشريف حم بن يوسف، وولد عبدل بن سيد جليا: بيد وسل وولد بيد التجان وولد سل: باب وبيد، وولد بيد هذا جب أيل، ومن أبنائه كذلك عبدل بن بيد؛ الذي ولد الحسن، ومن ولد الحسن هذا بيد بيد الذي هو بيد كمبو والد جب تالا وتجان كمبو، وولد (سليمان: سلي) بن بيد جليا: محمد وآبو، وسيد، وولد سيد بن سليمان بن عال الشهير بسيد جليا: ألفا سيد جد الإمام شيرن أحمد بن الإمام شيرن الأمين رئيس أهل دمت اليوم.

ج ـ الفرع الثالث من فروع الشريف حم بن يوسف هو الأمين، وعقبه موجود في (بودور) بالسنغال.

د ـ الفرع الرابع من فروع الشريف حم بن يوسف هو بران، وعقبه بقريتي (مرده، وابات قالو) بالسنغال.

هـ ـ الفرع الخامس من فروع الشريف حم بن يوسف هو بكي، وعقبه في (بند كازما نص وبكل) بالسنغال كذلك.



(درجات الجدود)

يوسف	يوسف	يوسف	يوسف
حم	حم	حم	حم
إبراهيم	إبراهيم	يرو	يرو
سليمان	سليمان	صنب	صنب
صنب	صنب	حم	حم
بكار	يرو	دمب	كمب
الحسن	أحمد	عال	بوب
الحسين	الحسن	سليمان	أحمد
صنب دم	محمد	سيد	إبراهيم
عبدالله وسعد		آلفا سيد	
أحمد بن سعد		شيرن الأمين	
		شيرن أحمد	

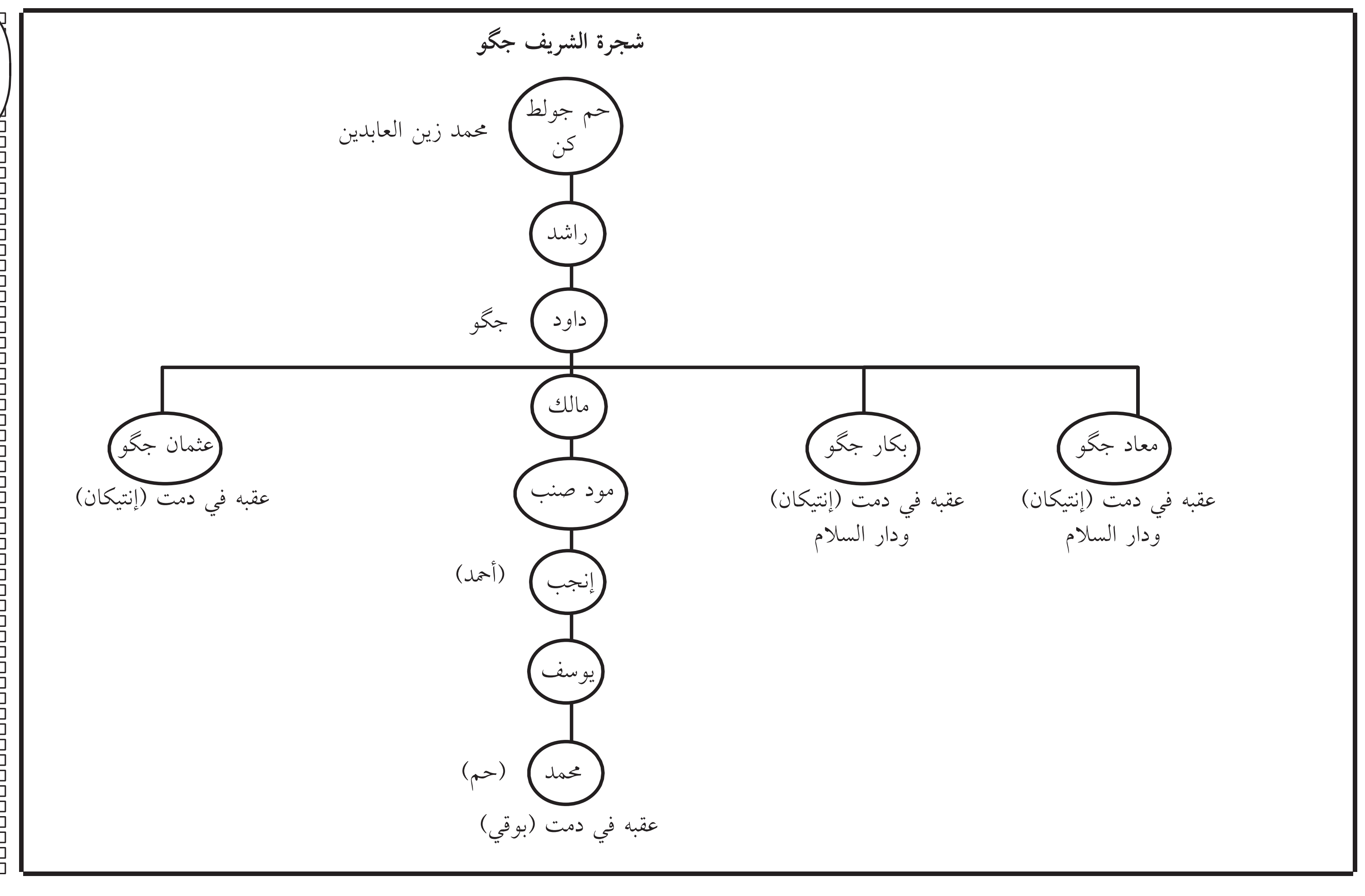
• ومن أبناء داود جگو بن راشد: في دمت انتيكان ودار السلام، البخاري (بكار جگو) ومعاد جگو وعثمان جگو، ومن هؤلاء الثلاثة بقية بطن داود جگو بن راشد في كل من موريتانيا والسنغال والله أعلم. هذا ما وقفت عليه حتى الساعة من عقب محمد زين العابدين بن داود بن الشريف

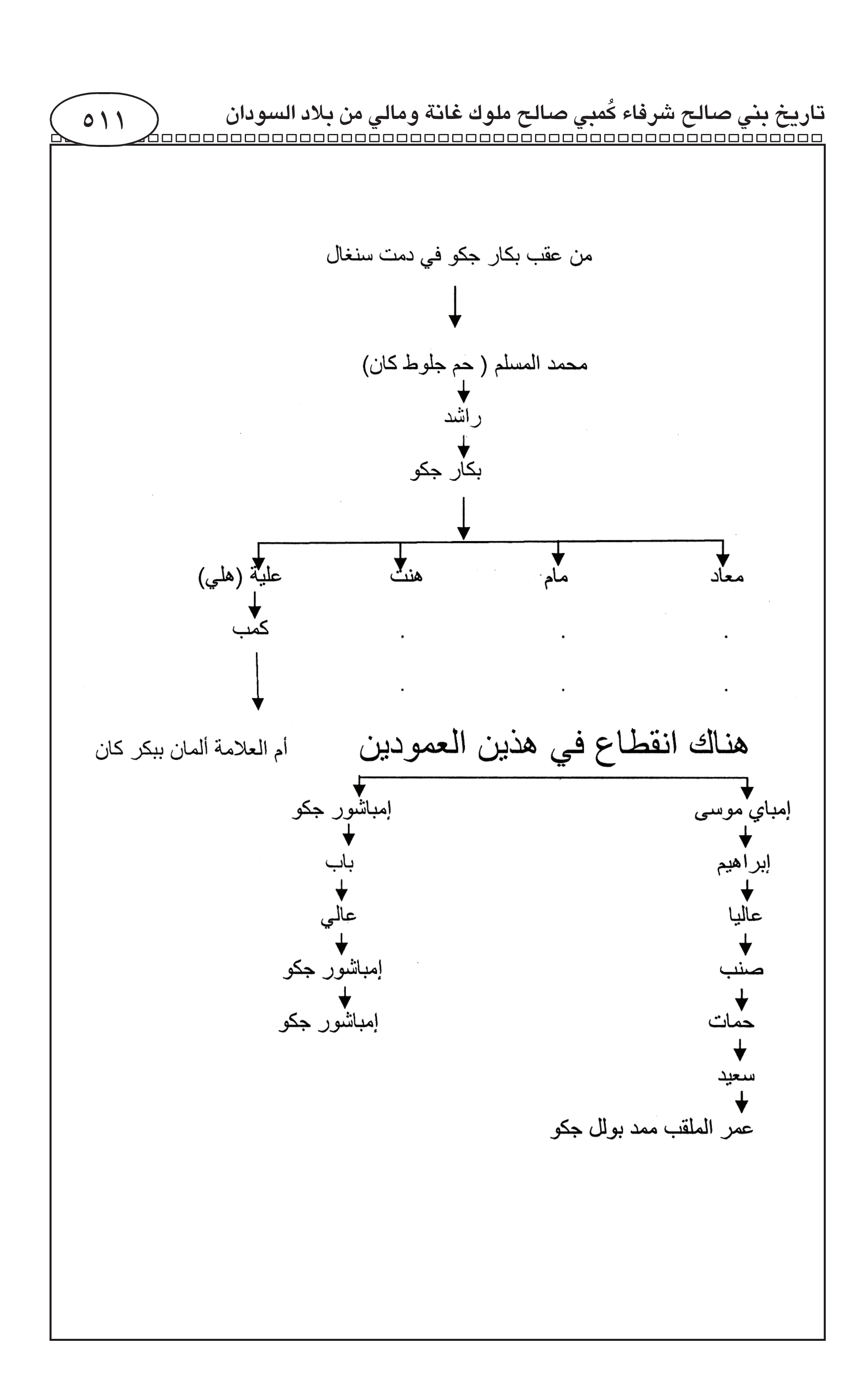
سيد إلياس ولا زالت هناك بطون أخرى لم يتسنَ لنا الوصول إليها حتى الساعة.

● وهؤلاء ولد الأمين بن داود بن الشريف سيد إلياس (يرو) فأعقب من ابنه حماد وأعقب حماد هذا من ابنيه متار والأمين ابني أعمر بن حماد بن الأمين، وولد متار بن أعمر أحمد مختار بن إبراهيم بن حمدن بن متار بن أعمر ولأعمر بن حماد هذا ولداً ثالثاً هو انجاي، وأما قرية سنكي فقد كان فيها جاجاب[١] وسكسكب الذين لقبهم سك وكنهب وجاب وقد تفرقوا أيضاً في البلاد لكثرة الفتن ومنهم ديار في دبي وقد كانوا في شنقي أئمة مساجدها وكذلك هم في دبي أئمة المساجد أيضاً وهم من ساداتها وبعض منهم في دناي سادات كذلك ومن سكسكب الذين كانوا في سنقي آل عبدالله الشيخ الذي صارت ذريته في (اندر) وكان منهم المترجم محمد بن المقداد المعروف بدود سك وأخيه سيد وقضاة السنغال القاضي عينين سك وأخوهم التاج الصدوق البر السخي الشفيق عبدالله سك والد النجل المبارك بكاي سك.

○ ○ ○ ○ ○ ○

(١) قبائل جاجاب وسكسكب الذين لقبهم سك، وجاوب، ليسوا من بني صالح وإنما من أحلافهم، وعليه فإن أسرة سك من قبيلة جاجاب لا من بني صالح.


شجرة الشريف جكو
حم جولط كن
محمد زين العابدين
راشد
داود
جكو
مالك
مود صنب
إنجب
(أحمد)
يوسف
محمد
(حم)
عقبه في دمت (بوقي)
عثمان جكو
عقبه في دمت (إنتيكان)
بكار جكو
عقبه في دمت (إنتيكان)
ودار السلام
معاد جكو
عقبه في دمت (إنتيكان)
ودار السلام


من عقب بكار جكو في دمت سنغال
محمد المسلم (حم جلوط كان)
راشد
بكار جكو
معاد
مام
هنت
علية (هلي)
كمب
أم العلامة ألمان ببكر كان
هناك انقطاع في هذين العمودين
إمباي موسى
إبراهيم
عاليا
صنب
حمات
سعيد
عمر الملقب ممد بولل جكو
إمباشور جكو
باب
عالي
إمباشور جكو
إمباشور جكو



شجرة الشرفاء أهل داود جكو الراشدي الصالحي الحسني في قبيلة هليب التكرورية بمقاطعة بوكي من ولاية لبراكنه

الشريف داود الملقب «جكو»:

بطن من أهل راشد، من بني الشريف سيدي إلياس «يرو»، من بني الشريف عبدالله كان ـ المعروف عند السودان بـ: «آيل كان الأول»، من بني صالح، من بني الحسن السبط، من العلويين، من بني هاشم، من العدنانية.

وهم:

بنو الشريف داود الملقب «جكو» ابن راشد بن محمد المسلم «حمى جولط كن» ابن داود بن الشريف سيدي إلياس «يرو» ـ التنبكتي الوداني ـ ابن هلال بن العائد بن محمد بن أحمد بن عبدالله الشريف بن هلال الصغير بن عبدالرحمٰن بن عبدالله بن هلال الدمشقي الكبير بن العائد الكناني بن حبيب الله بن عبدالله الشريف كان ـ المعروف عند السودان بـ: «آيل كان الأول» ابن هذيم بن مسلم بن زيد بن عبدالله أبي الضحاك بن الحسن الشهيد بن عبدالله الشهيد بن محمد الشاعر بن صالح الجوال بن

عبدالله الرضا الشيخ الصالح بن موسى الجون بن عبدالله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي رضي الله عنهما.

فاق الشريف داود ـ الملقب «جكو» الراشدي الصالحي الحسني ـ إخوته أبناء الشريف راشد بن محمد المسلم «حمى جولط كن» والذين كانوا فتياناً وفرساناً شجعاناً ـ فاقهم بشجاعة وإقدام سارت بهما الركبان، وخلد ذكره بهما التاريخ، حيث غطت تلك الصفتان على كل صفاته من علم وخلق وكرم وسيادة، وكانتا السبب في تغيير لقبه ولقب ذريته من بعده، من لقب ـ أجداده «كانْ» بسكون النون ـ وهو لقب قبيلته من لدن أبيه راشد وإخوته حتى جده السادس عشر عبدالله الشريف كانْ والمعروف عند السودان بلقب «آيل كانْ الأل» ـ إلى لقب «جكو» بكاف معقودة، وينطق أيضاً «جقو» بقاف معقودة، وهو لقب أطلقه عليه أهل زمانه من السودان والبيضان تقديراً لشجاعته الفائقة ولحزمه وإقدامه المنقطعي النظير.

ولقب «جكو» هو لقب فخر واعتزاز ورمز للشجاعة عند المغاوير من بني حسان الشرفاء الجعافرة، وخصوصاً المغافرة منهم.

وقد اشتهرت به قبائل منهم كأولاد رزق، وأولاد امبارك، وأولاد الناصر، بل إنه يعتبر لقباً للشجاعة والبسالة عند أصحاب الشوكة في موريتانيا من خارج قبائل بني حسان كقبيلة إدوعيش مثلاً.

إلا أن نطقه عند البيضان يختلف عند نطقه عن السودان، فالبيضان ينطقونه «جكو» و«دكو» بكاف خالصة مع كسر الجيم والدال فيهما.

وعند السودان «جكو، وجقو» بكاف وقاف معقودتين مع كسرهما أيضاً.

وكان سبب إطلاق هذا اللقب على الشريف داود جكو، هو كثرة ركوبه المخاطر وحزمه وإقدامه في عالم تسوده الفوضى وانعدام الأمن والاستقرار «فترة السيبة» حيث تميزت تلك الفترة بتناحر القبائل لأتفه الأسباب ونشوب الحروب بين إمارات بني حسان والبربر والسودان من جهة، والتناحر داخل الإمارة الواحدة طمعاً في الحكم من جهة أخرى،

فضلاً عن كثرة قطاع الطرق، والصائلين، والبغاة المحاربين.

وفي هذه الفترة المتميزة بالحروب والقلاقل والصراعات، كانت إمارة أهل راشد ـ المعروفة بإمارة أهل «دمت» حديثة النشأة إذ رافق تأسيسها سقوط إمارة أولاد رزق الحسانية، في القبلة على يد أبناء عمهم المغافرة والذين سبق لهم أن أسقطوا أيضاً إمارة أولاد رزق الأولى في ولاية آدرار. وفي هذا المناخ والظرف الزمني المضطرب كان قدر إمارة أهل راشد أن تقع بين فكي كماشة الإمارات الأخرى، بين إمارتي العرب الترارزة ولبراكنة الحسانيتين، إضافة إلى إمارة إدوعيش الصنهاجية من جهة، وبين إمارات الوالو ودينيانكوبي وبراك السودانية من جهة أخرى.

فقد خاضت إمارة أهل راشد حروباً مع بعض تلك الإمارات.

وفي حرب من بين تلك الحروب تم إحكام حصار اقتصادي على إمارة أهل راشد «دمت» من أجل استسلامهم، فعقد الأمير راشد اجتماعاً تشاورياً مع أعيان إمارته من أبنائه وفرسان قبائل السودان الأخرى المنضوية تحت إمرته والتي هي قوام وسكان إمارته الفتية بغية التوصل إلى حل لرفع الحصار وفك العزلة الاقتصادية عن الإمارة.

وانتهى الاجتماع التشاوري بانتخاب كتيبة من الفرسان الأسود، وتم تعيين الشريف داود جكو قائداً لها، ومضوا في طريقهم لفك الحصار، وجلب المواد الغذائية لسكان الإمارة، حيث تمكنوا من فك الحصار، وطالت غيبتهم حتى ظن الناس أنهم قتلوا أو أسروا، فأصبحوا يرددون «جكور» أي: تأخروا وأبطأوا بلسان التكارير السودان... فلما رجعوا سالمين غانمين تم تكريم القائد الأسد الشريف داود جكو، بلقب «جكو» تقديراً لشجاعته وحسن قيادته. وهذه هي الرواية المشهورة لهذا اللقب يضاف إلى ذلك أن الشريف داود جكو، أمه من قبيلة أولاد رزق الحسانية الجعفرية والتي حسب علمنا أسست أول إمارة لبني حسان في موريتانيا وأول من لقبت بلقب «جكو» من العرب عامة. لذا لا أستبعد فرضية أن يكون الشريف داود بن راشد قد لقبه أخواله أولاد رزق أيضاً بلقبهم

«جكو» واستعاره منهم إضافة إلى تلقيب التكارير السودان له أيضاً بذلك.

وفي هذا الصدد كتب:

الإمام والداعية السيد الشريف محمد بن سليمان بن الحسن ـ الشهير بـ: «يرو فاتي جكو» ـ ابن عبدالله بن محمدو بن باتي بن كويلا بن سليمان بن إبراهيم بن محمد بن يوسف بن أحمد «انجب» بن الفقيه مودي صمب بن مالك بن الشريف داود «جكو» بن راشد، الراشدي الصالحي الحسني.

كتب في كتابه: «من مشاهير علماء وشيوخ فوتا تورو عبر التاريخ» ص١٣ النص التالي:

(اللقب «جكو» من أين جاء؟

أوردت الرواية المحلية من قبيلة «جكو» أنهم في الأصل من «كنهنب» «كن». أما سبب تسميتهم «جكو» فإن منطقة «دمت» بفوتا تورو، أصابتها المجاعة والجفاف، فانتدبت القبيلة أحد أبنائها ـ وهو السيد داود بن راشد بن حمى جولط كن «محمد زين العابدين» ـ مع مجموعة من شباب المنطقة ليمتاروا لهم القمح والشعير والذرة. وكانت القلاقل والاضطرابات وقلة الأمن تسود كافة المنطقة، ونظراً لذلك تأخر رجوع الوفد عن موعده المحدد، وضاق الناس بغياب الوفد الطويل دون أن يجدوا لهم خبراً، فظنوا أن البعثة قد أسرت أو ماتت جميعاً، ثم أصبح الناس يرددون كلمة «جكور» ليلي، بمعنى تأخر وأبطأ، وعندما رجع السيد داود مع الشباب سالمين لقب بـ: «جكو»، فهو أول من لقب «جكو» من قبيلتنا، وداود هذا أنجب أولاداً كثيرين من بينهم: مالك ومالك أنجب صمب الشهير بمودي جكو الذي هاجر إلى مدينة «دمت» هليب فسكن فيها).

قلت: بل هو من أسسها وسماها على مدينة جده راشد «دمت» عاصمة إمارة أهل راشد.

وللوقوف على حقيقة شجاعة وبسالة أهل الشريف داود جكو،

واقتحامهم ساحات الوغى إضافة إلى العلم والتعليم، نرى ما كتبه المؤرخ الحاج موسى أحمد كامره في كتابه: «زهور البساتين»، ص٦٨٤ ـ ٦٨٥ ما يلي:

(بعض أوصاف أهل «دمت» ومكانتهم بين القبائل: وقيل إن أقسام ما يقسم بين أهل دمت كالغنيمة مثلاً يقسم عشرة أقسام، «فلجكوب» ـ أي: بطن جكو، والباء في جكوب للنسبة ـ منها سبعة، ولسائر أهل دمت ومنهم إلمان دمت ثلاثة أقسام، وقيل: إن سبب زيادة أقسام «جكوب» على غيرهم تميزهم بالشجاعة البالغة بين قبائل دمت، وأن «جكوب» حيثما كانوا فأصلهم من «دمت» لا غير ـ يقصد أهل «راشد» ـ وأن أحدهم كان قد هاجر لطلب العلم في فوت، فلما صار عالماً سكن في «دمت» فلما أراد ألمام عبدل أو ألمام يوسف أن يقسم الأراضي لمن يستحقها من أهل العلم أو غيرهم وكان بينهما محبة ومعرفة أعطاه «حرائث كلكل جلكوج وحرائث كلكل فر» فسمي إلمان فر، هنالك والله تعالى أعلم).

وأول من هاجر من بطن أهل الشريف داود جكو بن راشد من مدينة «دمت راشد» إلى قبيلة: هليب التكرورية بمقاطعة «بو قي» في ولاية لبراكنة حالياً، هو: الشريف الفقيه مودي صمب بن مالك بن داود جكو بن راشد كان الصالحي الحسني، حيث أسس هناك مدينة سماها باسم مدينته الأصلية ومسقط رأسه «دمت راشد» عاصمة إمارة أهل راشد، وقد اندمجت ذريته وانصهرت في قبيلة «هليب التكرورية» وارتبطت بها قبلياً وفي هذا الصدد كتب المؤرخ الحاج موسى أحمد كامره، في كتابه: زهور البساتين في تاريخ السوادين ص٥٧٧ ـ ٥٧٨، النص التالي:

(أصل قبيلة «هليب»، وأما لفظ «هليب» حيث أطلق فهم: لملمب، و«جكوب». . . ومن قرى هليب «دمت» بإمالة الدال والميم وسكون التاء في آخره ملحون «دمت» إذ قيل إن أول من سكنها: «جكوب» الذين أصلهم من هجرة أهل «دمت» بكسر الدال وفتح الميم وسكون التاء في آخره، ثم ارتحل بعض «جقوب» من دمت معهم فسموها باسم مسكنهم الأول «دمت»

فما زال العوام يصحفون اللفظ ويغيرونه إلى أن صار «دمت» كما قيل والله تعالى أعلم، و«جقوب» دمت أيضاً هم الذين عمروا: «بكي، وجم كبي»، في موريتاني، وكلا اللفظين من كلام أهل دمت، لأنهم يسمون «بك» أي: شجرة التيدوم، وببكي).

ويفصل لنا الشريف محمد بن سليمان بن الحسن جكو قصة هجرة الفقيه الشريف مودي صمب من أهله أهل راشد إلى قبيلة «هليب التكرورية» وذلك في كتابه: من مشاهير علماء وشويخ فوتا تورو عبر التاريخ، ص**١٤** ما نصه:

(هجرة الشيخ مودي صمب «جقو» إلى مدينة دمت هليب:

ولأسباب غير معروفة هاجر الشيخ مودي صمب «جقو» من مدينة اديني القريبة من موقع: نواكشوط العاصمة حالياً «على بعد **٥٠**كم» موريتانيا إلى منطقة دمت هليب، وكانت آهلة بالسكان في تلك الفترة. وينقصنا معلومات كافية ووافية، حول تاريخ القدوم وكم عاش فيها ومتى توفي؟ وعلى كل حال وحتى كتابة هذه الورقة، لم نجد مرجعاً أو مصدراً أو وثيقة تاريخية، تطلعنا على تاريخ مجيء الشيخ مود صمب جقو إلى دمت هليب، لكن الرواية الشفهية، تفيد أن قدومه إلى المنطقة كانت في منتصف دولة دينيانكوبي، وقد زامن أن حاكم «ستك» صمب نحوم، كان متواجداً في المنطقة، فجرى التعارف بينه وبين جيرنو حاسو في مينة بودي «سنغال»، وجيرنو حاسو هذا هو الذي سعى لتوطيد العلاقة بين الشيخ مود صمب جقو مع الحاكم «ستكي صمب نحوم»، حيث وافق أن ابنة الحاكم مصابة بمرض مزمن أعيا الأطباء، فجرت اتصالات بين جيرنو حاسو والشيخ مود صمب من أجل شفاء بنت الحاكم ثم رتب جيرنو حاسو اللقاء بين الحاكم والشيخ مود صمب، فعاهده الحاكم بأنه إذا ما شقيت ابنته بإذن الله تعالى سيقدم له مائة نوع من الأنعام، فما سمع ذلك جيرنو حاسو حتى هرع نحو زميله الشيخ مود صمب بأن لا يقبل العرض «لأنك جئت من بعيد وغريب عن المنطقة وليس لك أرض للحرث»، فقبل الشيخ مود

صمب العرض وقال: «أفضل الأرض»، فأمره أيضاً أن يستزيده فزاده له حتى رضي، وهذه الأرض هي التي بين أيدينا ونملكها الآن في ضواحي مدينة «دمت هليب»، منها ما يتواجد بالسنغال والجزء الآخر في موريتانيا حالياً، وقد قال له الحاكم «ستكي» صمب نحوم:

«هذه الأرض لك ولذريتك من بعدك لا يشاركهم أحد من الملوك والأمراء الفوتيين»، ومنذ ذلك التاريخ، قرر الشيخ مود صمب أن لا يورث الأرض بين أبنائه، بل لتكن بين ذريته إلى آخر نسلهم، بيد أنه بزمن غير معروف، قسمت الأرض بين بيوت جقوب الأربعة الرئيسية المعروفة.

١ ـ بيت الشيخ كويلا بن سليمان، جد محمد بن سليمان جقو الشهير بـ: الحاج جقو.

٢ ـ بيت السيد صمب بن سليمان جد الشيخ أحمد موسى جقو.

٣ ـ بيت السيد يرو بن صمب جد الشيخ الأمين جقو.

٤ ـ بيت السيد دمب بن بكار، جد بوكر بن أحمد جقو).

قلت: وهذا البيت الأخير أي: بيت السيد دمب بن بكار، هو: بيتي، فأنا الحسن بن الشيخ سلميان بن موسى بيدي بن أحمد بن موسى بن أحمد بن عال بن صمب بن دمب بن بكار ـ المذكور ـ ابن إبراهيم بن حم بن يوسف بن مودي صمب بن مالك بن الشريف داود جكو بن راشد الراشدي الصالحي الحسني.

وأما لقب «إلمان فري» الذي لقبت به قبيلة «هليب التكرورية» جدنا الشريف مودي صمب، فإن: «إلمان» تصحيف للفظ الإمام، و«فوري» بكلامهم تعني: الحقول والبساتين، والمعنى مالك الأرض، وقد ملك جدنا الشريف مودي صمب حقول مطلة على ضفتي نهر السنغال بمدينة دمت التابعة المحاذية لمقاطعة بوكي بولاية لبراكنة.

وهذه الحقول تعرف باسم: «حقول بوري، وبنجي»، كما جاء في كتاب زهور البساتين وكتاب: «من مشاهير علماء وشيوخ فوتا تورو عبر

التاريخ» لابن العم الشريف محمد بن سليمان بن الحسن جكو، الراشدي الصالحي الحسني.

وتعتمد ذرية الشريف الفقيه مودي صمب جكو في إدارة شؤونها الداخلية وسياستها الخارجية وعلاقتها بالقبائل الأخرى على مشيخة القبيلة. فشيخ القبيلة ومساعديه يعتبرون بمثابة مجلس الأعيان الخاص بالقبيلة.

ويتم اختيار شيخ القبيلة ونوابه حسب كبر سنهم وقدم أعمارهم، ويطلق على الشيخ لقب «ألمان بري» أي: إمام القبيلة ومالك الأرض، ولقب الإمام تيامناً بالإمامة والخلافة العامة للمسلمين.

وقد تولى هذا المنصب عدة شيوخ من ذرية الشريف الفقيه مودي صمب وهم ـ حسب ما جاء في كتاب: من مشاهير علماء وشيوخ فوتا تورو عبر التاريخ، تحت عنوان: «لائحة ألمان بوري جقوبي دمت هليب» ـ كالتالي:

١ ـ إلمان: يرو بن صمب جقو.

٢ ـ إلمان: سيد جليا جقو.

٣ ـ إلمان: سيد صمب جقو.

وهؤلاء الثلاثة لا يعرف شيء عن تاريخ توليتهم ولا مدتها.

٤ ـ إلمان: الحسن بن بكار جقو، لم تحدد سنة توليه الإمامة وقد مكث في الإمامة **٣٠** عاماً، وقيل إن وفاته كانت قبل مجيء الحاج عمر الفوتي تال إلى دمت هليب، وبعد رجوعه من الحرمين الشريفين بزمن يسير.

٥ ـ إلمان: صمب بن بكار جقو لم تعرف سنة توليه الإمامة وكانت مدة إمامته **١٥** عاماً.

٦ ـ إلمان: يرو جقو لا يعرف شيء عن تاريخ إمامته.

٧ ـ إلمان: أحمد بن يرو جقو مدة إمامته **٢٧** عاماً.

٨ ـ إلمان: بيد بن صمب جقو مدة إمامته **٣** أعوام.

٩ ـ إلمان: سيد كمب جقو مدة إمامته **٢٤** عاماً.

١٠ ـ إلمان: محمد قطاطو جقو والد المهندس تفسير جقو رحمة الله تعالى عليهم جميعاً مدة إمامته عامين.

١١ ـ إلمان: سيد سل جقو مدة إمامته **٤** سنوات.

١٢ ـ إلمان صمب فاطمة جقو مدة إمامته **٤** أعوام.

١٣ ـ إلمان: سليمان ميمونة جقو مدة إمامته **١٧** عاماً.

١٤ ـ إلمان: دمب سل جقو مدة إمامته **٥** أعوام.

١٥ ـ إلمان: عمر إلمان جقو والد الشيخ أحمد موسى جقو.

١٦ ـ إلمان: دمب سل جقو مدة إمامته عامين.

١٧ ـ إلمان: تجان بن بيد بن عبدل جقو جد أحمد بن سيد جقو.

١٨ ـ إلمان: يرو يبيل عيشة جيين جقو.

١٩ ـ إلمان: عبدول تكو جقو بن سليمان بن الحسن جقو، وهو أخو محمد بن سليمان جقو مؤلف كتاب: من مشاهير علماء وشيوخ فوتا تورو عبر التاريخ، مدة إمامته عاماً.

وذلك بتاريخ **٢٠١٢**م.

قلت: وكلما سطرناه هنا هو عن بطن واحد من بطون أهل الشريف داود جكو الراشدي الصالحي الحسني.

وبقية البطون الأخرى هي:

١ ـ بطن معاد جكو بن الشريف داود جكو.

٢ ـ بطن بكار جكو بن الشريف داود جكو.

٣ ـ بطن عثمان جكو بن الشريف داود جكو.

وهذه البطون الثلاثة بقيت ضمن قبيلتها أهل راشد، في قرى ومدن: دمت، وانتيكان، ودار السلام، وابات قالو، وابدور. وذلك على ضفتي النهر بين موريتانيا والسنغال.

٤ ـ وأما البطن الرابع فهو بطن: مالك جكو بن الشريف داود جكو، وهو الذي انتقل ابنه الشريف الفقيه مودي صمب جكو إلى قبيلة «هليب التكرورية» بمقاطعة بوكي. وعليه مدار هذا المنشور.

ونأمل أن يوفقنا الله سبحانه وتعالى لكتابة نبذة عن البطون الأخرى، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وكان جدي موسى بيدي جكو الراشدي الصالحي الحسني رحمة الله تعالى عليه شجاعاً مقداماً فارساً.

إلا أن الاستعمار الفرنسي أرغمه على الدخول في جيشه.

وفي هذا المقام سوف أرد على:

مزوري التاريخ من أمازيغ موريتانيا وهم: إمام الكذب عبدالله المختار بن مياه أحد أئمة المساجد في العاصمة نواكشوط، والكذاب «ول باني» والمزور محمد فاضل ولد الحسن، ومسيلمة عصره في الزور والكذب «أكس ولد أكس أكرك»... وغيرهم من مؤرخي أمازيغ موريتانيا والذين يكذبون كما يتنفسون.

تواطأ هؤلاء المزورون الكذابون جميعاً على فرية أن ولد محمد ولد امسيكه الباركي رحمه الله تعالى، قد جرد جدي موسى بيدي من ملابسه وقيده حتى رآه الناس عارياً مقيداً، وأن جدي سنغالي وليس موريتاني ـ ألا لعنة الله على الكاذبين، الذين فضحتهم كل الروايات الشفوية في ولاية لبراكنه وفي وثائق الأرشيف الفرنسي ـ بل إن من جرده ولد امسيكه من ملابسه بعد أن سلب منه سلاحه وجمله ومعونه هو: «الضابط الفلاني في الجيش الفرنسي ملل Melal»، وأمره أن يدخل قرية بتلميت وهو يكرر «ينسخ ملل Melal»، فصارت مثلاً سائراً للخزي والعار «ينسخ ملل

Melal»، وليس ذلك المجرد من سلاحه وعدته ولباسه جدي موسى بيدي جكو الراشدي الصالحي الحسني رحمة الله تعالى عليه ـ كما تواتر عليه مزوروا تاريخ موريتانيا من الأمازيغ ـ بل إن جدي موسى بيدي جكو الراشدي الصالحي الحسني رحمة الله تعالى عليه ـ تطوع للقبض على المقاوم ولد امسيكه حينما أضر ولد امسيكه رحمة الله تعالى عليه بسكان الضفة قتلاً وإهلاكاً للحرث والنسل تصدى له جدي لإيقاف ضرره وكف شره وأذاه عن المسلمين.

وفي هذا الصدد نورد شهادة أحد أولئك المزورين الذين أشرت لهم آنفاً بعد أن وفقه الله لقول الحقيقة ـ بعدما نشرت مقالاً على صفحتي على الفيس بوك أفضح فيه تلك الشلة من مزوري التاريخ الموريتاني ـ وسمى نفسه على صفحتي على الفيس بوك بـ: «عبدالله بن عبدالرحمٰن» حيث كتب معلقاً على مقالي حول الموضوع:

(بعد التدقيق في مراسلات الإدارة الفرنسية ومنشورات المعهد الفرنسي لأفريقيا الغربية في قضية ولد امسيكه لم أتوصل إلى ما يثبت أن ولد امسيكه قد جرد موسى بيدي من سلاحه وثيابه. كل ما حصلت عليه هو أن هناك ثلاث حرسيين كل منهم تبرع للبحث عن ولد اسميكه في مرحلة معينة وهم موسى بيدي ديكو وصال وملل ولم يبحثوا عنه من أجل الفرنسيين، وإنما رداً على ما ينال سكان الضفة منه، وخاصة مجموعة هليب، كما أن المراسلات لم تفد بأن أياً من الثلاثة سنغالي الجنسية وبالتالي وجب التنبيه على خطئي في ما قلت عن أسر ولد امسيكه لجد الحسن حيث لا دليل مادي يثبته في ما اطلعت عليه).

انتهت شهادة عبدالله عبدالرحمٰن.

وطبعاً هناك روايات شفوية محلية متداولة أن جدي الشريف موسى بيدي جكو الراشدي الصالحي الحسني حينما أكرهه الفرنسيون ضمن من أكرهوهم من الموريتانيين على الدخول في جيشهم، هو من طلب منه المستعمر الفرنسي، أن يحضر لهم ولد امسيكه حياً وتطوع جدي موسى

بيدي جكو الراشدي الصالحي الحسني رحمة الله تعالى عليه للقيام بهذه المهمة ـ دفاعاً أساساً عن أهله وذويه الذين لحقهم الأذى من ولد امسيكه ـ وتم اختياره نظراً لشجاعته منقطعة النظير ولحزمه وإقدامه شأن سلفه وأجداده، وإن كانت شجاعته هذه ـ حسب شهادة عبدالله عبدالرحمٰن لم يستخدمها هنا خدمة للمستعمر ـ إلا أنه هو من ألقى القبض على ولد امسيكه وقدم به إلى قريتنا جلوم ووضعه مقيداً تحت ظل شجرة لا زالت قائمة في قريتنا اليوم على بعد ١٤كم من مقاطعة بوكي على ضفة النهر قرب الطريق الرابط بين مدينة روصو ومقاطعة بوكي حالياً.

ثم جاءته هناك وحدة من جيش المستعمر الفرنسي، ونقلته إلى مقاطعة ألاك عاصمة ولاية لبراكنه حالياً حيث تم سجنه.

فخاطبه الحاكم الفرنسي عبر ترجمان شامتاً وساخراً منه قائلاً: (إنك ستقضي فصل الخريف في مدينة ألاك ومدينة ألاك في فصل الخريف كثيرة البعوض والحشرات وشديدة الحر والرطوبة، بمعنى أنك ستذوق الأمرين السجن وبعوض ألاك وحره ورطوبته، فرد ولد امسيكه رحمه الله تعالى على الحاكم الفرنسي متهكماً بقوله:

(قولها إلمخرف فلاك) بمعنى هذا الكلام قله لمن سيدركه موسم الخريف في مدينة ألاك.

وقد أصدقه الله رحمة الله تعالى عليه حيث أعانه الله على الهروب من السجن مبكراً.

وقد أصبح جوابه للحاكم الفرنسي لمدينة ألاك مثلاً سائراً في موريتانيا (قولها إلمخرف فلاك).

فكان جدي المباشر موسى بيدي جكو الراشدي الصالحي الحسني تجاوز الله عنه وعنا هو من أسر ولد امسيكه وسلمه للمستعمر وليس العكس، وبعد أن تمكن ولد امسيكه رحمة الله تعالى عليه من الفرار من السجن تشاور ضباط جيش المستعمر مع كافة الجنود التابعين لهم في

موريتانيا بحثاً عن من سيأتي هذه المرة بولد امسيكه حياً فلم يجدوا من يمتلك الشجاعة والقوة منهم لذلك.

فطلبوا من جدي رحمه الله تعالى موسى بيدي جكو الراشدي الصالحي الحسني رحمة الله تعالى عليه إحضار ولد امسيكه ثانية فرفض، فأرسلوا إليه الضابط الفلاني «ملل Melal» فأسره ولد امسيكه وجرده من ملابسه وأمره بدخول مدينة بتلميت وهو عارياً يكرر كلمة «ينسخ ملل Melal».

ثم بعد ذلك أرسل الفرنسيون الجنديان سام وعبدات لإلقاء القبض عليه حياً فغدرا به وخدعاه بعدما أعطياه الأمان وقتلاه.

فقال مخاطباً لهما رحمه الله تعالى:

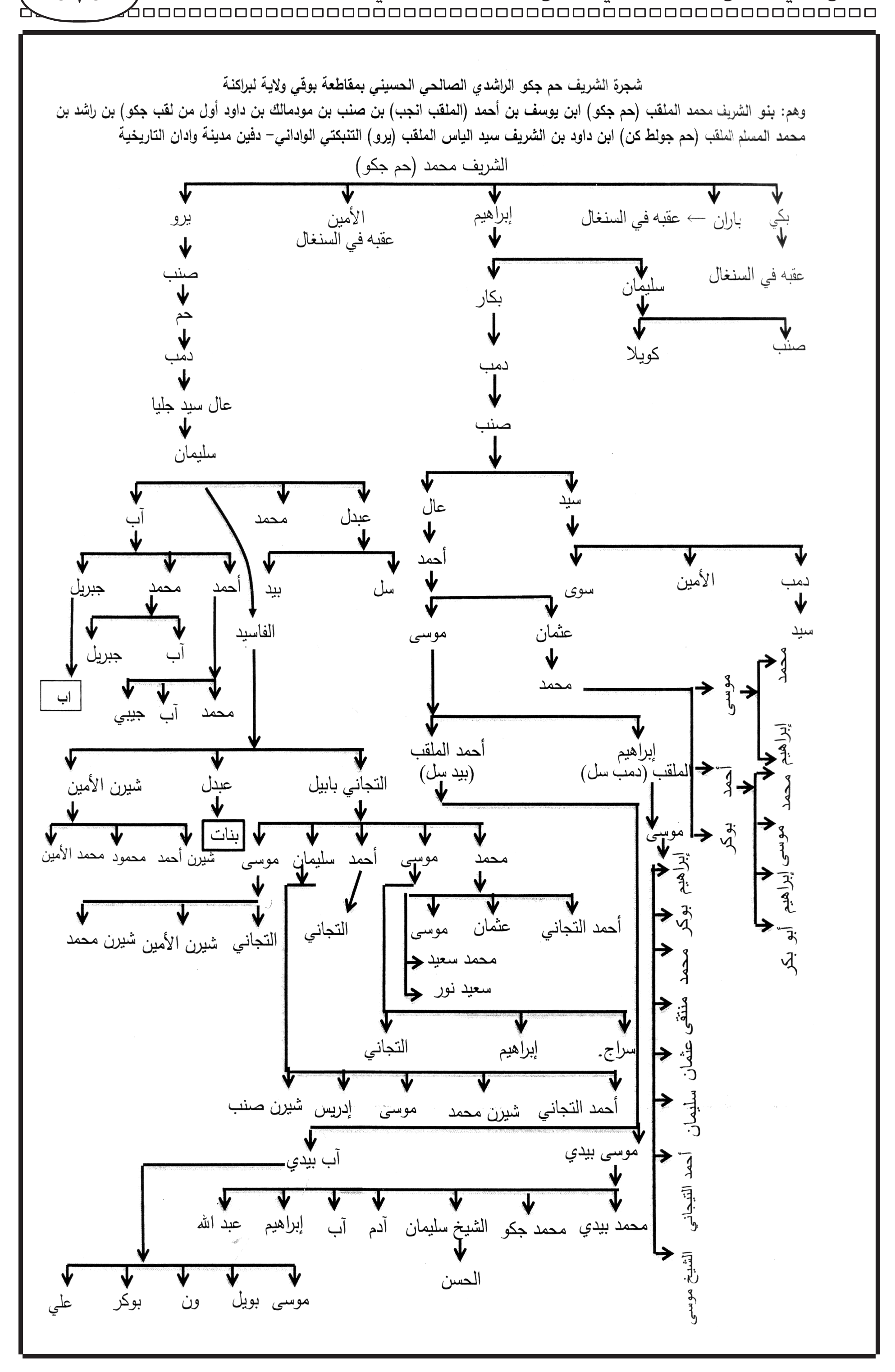
قول إلسام أقول إلعبدات والقوم إللي كبظو بيدي

عن يوم الدني راه فات نلقاهم يوم الوعيد

وجاءا به إلى مدينة ألاك ميتاً، فتم سجنهما عقوبة لهما على قتله.

وما كنت أود ذكر جدي ولا وصفه بالشجاعة رحمه الله تعالى لكونه كان جندياً للفرنسيين. وإنما أردت رفع الظلم عنه بعد أن تم تلفيق الكذب عليه من قبل إمام الكذب والدجل عبدالله المختار بن مياه وشلته.

❍ ❍ ❍ ❍ ❍ ❍


شجرة الشريف حم جكو الراشدي الصالحي الحسيني بمقاطعة بوقي ولاية لبراكنة
وهم: بنو الشريف محمد الملقب (حم جكو) ابن يوسف بن أحمد (الملقب انجب) بن صنب بن مودمالك بن داود أول من لقب جكو) بن راشد بن محمد المسلم الملقب (حم جولط كن) ابن داود بن الشريف سيد الياس الملقب (يرو) التنبكتي الواداني- دفين مدينة وادان التاريخية
الشريف محمد (حم جكو)
بكي
باران ← عقبه في السنغال
إبراهيم
الأمين
عقبه في السنغال
يرو
عقبه في السنغال
سليمان
بكار
صنب
كويلا
دمب
صنب
حم
دمب
عال سيد جليا
سليمان
سيد
عال
عبدل
محمد
آب
دمب
الأمين
سوى
أحمد
سل
بيد
أحمد
محمد
جبريل
سيد
عثمان
موسى
الفاسيد
آب
جبريل
محمد
محمد
آب
جيبي
اب
محمد
موسى
إبراهيم
أحمد
محمد
موسى
بوكر
إبراهيم الملقب (دمب سل)
أحمد الملقب (بيد سل)
التجاني بابيل
عبدل
شيرن الأمين
موسى
بنات
محمد
موسى
أحمد
سليمان
موسى
شيرن أحمد
محمود
محمد الأمين
أحمد التجاني
عثمان
موسى
محمد سعيد
سعيد نور
التجاني
التجاني
شيرن الأمين
شيرن محمد
إبراهيم
بوكر
محمد
منتقى
عثمان
سليمان
أحمد التجاني
الشيخ موسى
محمد
إبراهيم
محمد
موسى
إبراهيم
أبو بكر
سراج.
إبراهيم
التجاني
أحمد التجاني
شيرن محمد
موسى
إدريس
شيرن صنب
موسى بيدي
آب بيدي
محمد بيدي
محمد جكو
الشيخ سليمان
آدم
آب
إبراهيم
عبد الله
الحسن
موسى
بويل
ون
بوكر
علي

الشريف محمد (حم جكو)

إبراهيم

بكار سليمان

دمب

صنب كويلا صنب

عالي سيد عمر إبات سليمان يرو بكار

أحمد سوى الأمين دمب محمد سيد أحمد

موسى محمد بنات سيد عبد الله سعد الحسن صنب

أحمد الملقب بيد سل أحمد الحسن سليمان محمد سليمان الحاج أحمد

محمد يرو بوكر أحمد سعد محمد

أحمد محمد الحسن آدم الحاج أحمد

جبريل بوكر عبد الله سليمان بوكر عبدالله سعد محمد

عبدالله خالد صنب موسى أحمد

الحسن جبريل سعيد عثمان يرو بوكر سليمان آب عبدالرحمن الحسن

موسى بيدي آب بيد آدم سليمان إبراهيم آدم عبدالله آب جبريل آدم محمد

أحمد آب منتقى آب سعيد نور عبدالله آدم بوكر محمد أحمد

عبدالله إبراهيم آب آدم الشيخ سليمان محمد جكو محمد بيدي

بنت لا عقب له الحسن له عقب في السنغال

الشيخ سليمان محمد زين

يعقوب آدم موسى عبدالله محمد اسماعيل شغالي قالي باب

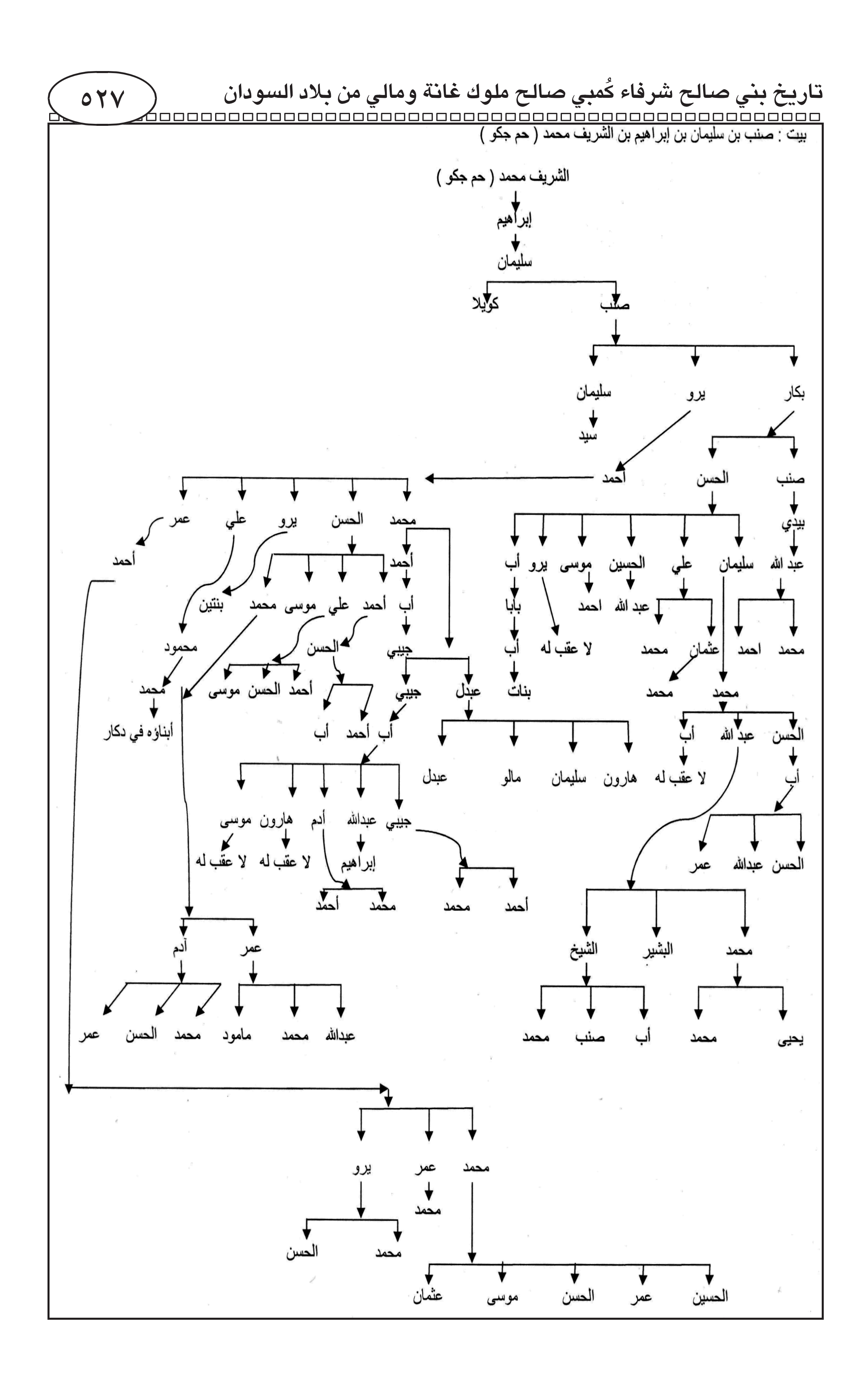
عبد الله بديه الشيخ أحمد سالم ديدي محمد

علي بوكر ون بويل موسى

محمد

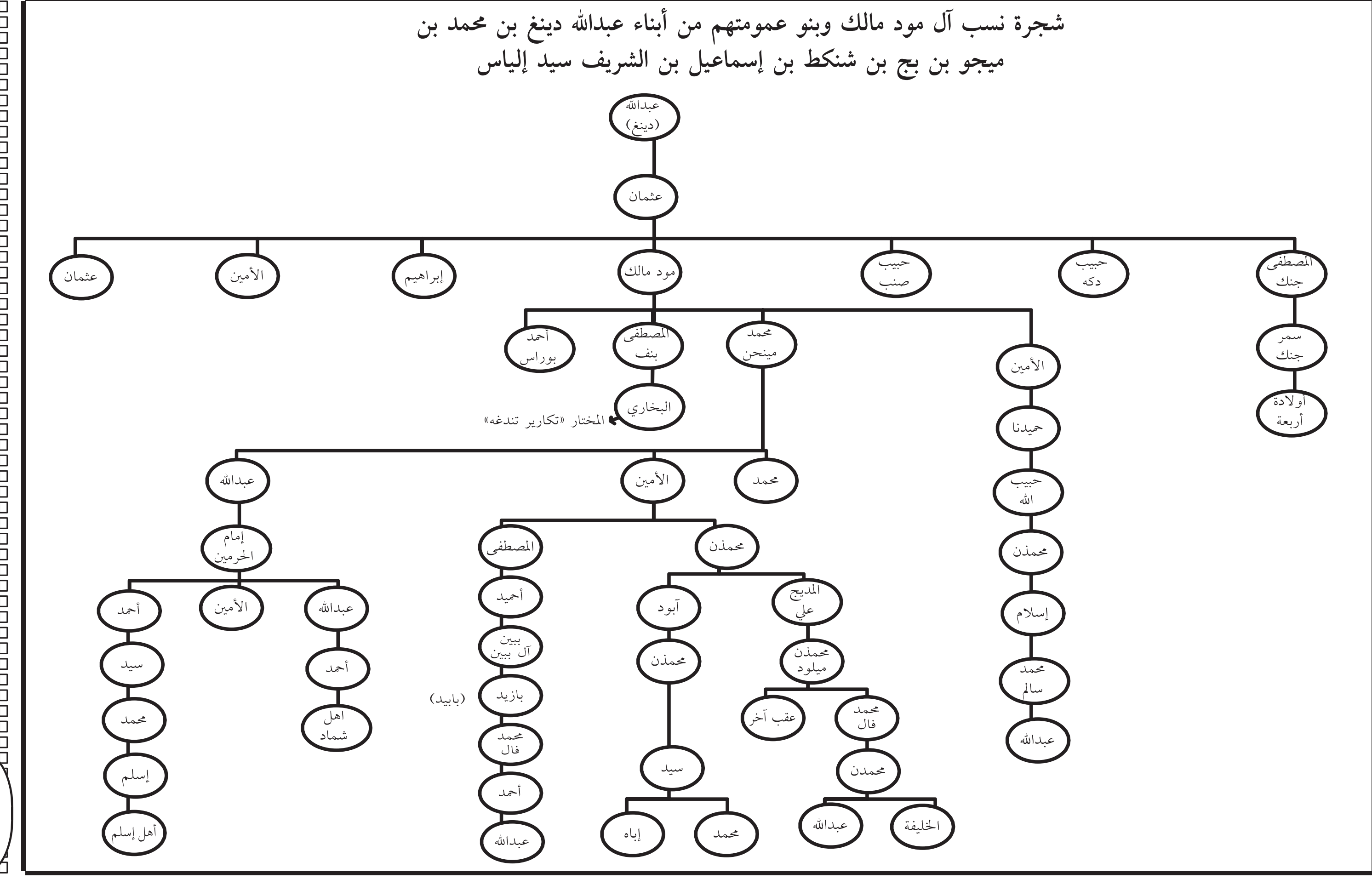
آدم موسى بخاري عثمان عمر أحمد شيرنوالامين بويل محمد صودا عبدل جبي التجاني الحسن كر آب

أبو صاد محمد بيدي أحمد حامد موسى الحسن الحسين آب عبدالله الحسن مكتار ابراهيم راشد عبدالله بران


بيت : صنب بن سليمان بن إبراهيم بن الشريف محمد (حم جكو)
الشريف محمد (حم جكو)
إبراهيم
سليمان
صنب
كويلا
بكار
يرو
سليمان
سيد
صنب
الحسن
أحمد
بيدي
عبد الله
محمد
احمد
سليمان
علي
الحسين
موسى
يرو
أب
عبد الله
احمد
بابا
لا عقب له
أب
بنات
عثمان
محمد
محمد
محمد
الحسن
عبد الله
أب
أب
لا عقب له
الحسن
عبدالله
عمر
محمد
البشير
الشيخ
يحيى
محمد
أب
صنب
محمد
محمد
الحسن
يرو
علي
عمر
أحمد
أحمد
أب
أحمد
علي
موسى
محمد
بنتين
محمود
محمد
أبناؤه في دكار
جيبي
الحسن
أحمد
الحسن
موسى
عبدل
جيبي
أب
أحمد
أب
هارون
سليمان
مالو
عبدل
جيبي
عبدالله
أدم
هارون
موسى
إبراهيم
لا عقب له
لا عقب له
أحمد
محمد
محمد
أحمد
عمر
آدم
عبدالله
محمد
مامود
محمد
الحسن
عمر
محمد
عمر
يرو
محمد
محمد
الحسن
الحسين
عمر
الحسن
موسى
عثمان

● وأما كنهب فهم رؤساء شنقي قديماً وحديثاً وهم أولاد عثمان بن يرو: أي الشريف سيد إلياس بن هلال بن العائد بن محمد بن أحمد بن عبدالله الشريف، وولد عثمان هذا عال ومن عقب عثمان هذا أهل الطالب أجود وأهل باهنين وهم أي: أهل الطالب أجود أبناء مود أوبك (أبا بكر) بن أحمد بن عثمان بن أحمد بن إتشفغ بن إتشفغ بن محمد بن إتشفغ بن عثمان بن الشريف سيد إلياس فأما أهل الطالب أجو فيوجدون في إدوالحاج وبني ديمان ومنهم العلامة المختار (**١٩١١ ـ ١٩٨٦م**) ابن بابه ولد حمدي ولد المختار ولد الطالب أجود، وأما أهل باهنين فيتركزون أساساً بولاية الترارزة وخصوصاً مقاطعة المذرذرة ومن عقب باهنين آل ميلود بن الأمين بن محمذن بن الأمين الملقب باهنين بن الفاضل يفلج بن محمد صار بن مود همرصار ينتهي نسبه إلى عثمان بن الشريف سيد إلياس «يرو».

ـ ومن ولد عال بن عثمان المعروف بعال مرم راشد بن أحمد بن راشد لوتان بن عال مرم بن عثمان. ومن عقب إسماعيل ابن الشريف سيد إلياس أبناء عبدالله دينغ (العالم) بن محمد بن ميجو بن بج بن شنكط بن إسماعيل بن الشريف سيد إلياس فمن عقب العالم عبدالله دينغ: عثمان ومن عقب عثمان هذا المصطفى جنك وحبيب دكه وحبيب صنب ومود مالك وإبراهيم والأمين وعثمان. وأما أبناء عثمان بن العالم عبدالله دينغ فعقبهم في السنغال ما عدا أبناء مود مالك وبطن التكارير الشرفاء الموجودون في قبيلة تندغة، أما المصطفى جنك بن عثمان ابن العالم عبدالله دينغ فولد سمر جنك وأولاده أربعة وعقبهم في السنغال كما مر. ومن عقب مود مالك الأمين ومحمد المعروف باجفغ منحن والمصطفى بتف ومن عقب مود مالك كذلك أحمد بوراس ولا عقب له.


شجرة نسب آل مود مالك وبنو عمومتهم من أبناء عبدالله دينغ بن محمد بن
ميجو بن بج بن شنكط بن إسماعيل بن الشريف سيد إلياس
عبدالله (دينغ)
عثمان
عثمان
الأمين
إبراهيم
مود مالك
حبيب صنب
حبيب دكه
المصطفى جنك
سمر جنك
أولادة أربعة
أحمد بوراس
المصطفى بنف
محمد مينحن
الأمين
البخاري
المختار «تكارير تندغه»
حميدنا
حبيب الله
محمذن
إسلام
محمد سالم
عبدالله
عبدالله
الأمين
محمد
إمام الحرمين
أحمد
الأمين
عبدالله
سيد
محمد
إسلم
أهل إسلم
أحمد
اهل شماد
المصطفى
أحميد
ببين آل ببين
بازيد
(بابيد)
محمد فال
أحمد
عبدالله
محمذن
آبود
محمذن
سيد
إياه
محمد
المديج علي
محمذن ميلود
عقب آخر
محمد فال
محمذن
عبدالله
الخليفة

تابع لذرية مود مالك:

ـ آل إمام: المعروف بمختار إسلام[(١)].

ـ آل: مختار إسلام بن أحمد بن حمداً بن عبدالله بن إشفاع مينحن بن مود مالك.

● ولد أحمد محمود، وخديجة ـ وعيشة ـ وأحمدو: لم يعقب وولد أحمد محمود: إمام ـ ومحمد ولا عقب له.

● وخديجة بنت المختار إسلام تزوجها اسليمان ولد امحمد وأنجبت منه المريد ولا عقب له، وفاطمة الزهراء ولم تعقب كذلك، وأم الخير تزوجها محمد ولد متالي، وزيد: ولا عقب له أيضاً وفاطم فال بنت اسليمان.

● ومن أبناء بنات إمام (مختار اسلام): أم الفضل بنت الأمين أم أحمد ولد الوالد.

● وعيشة بنت مختار إسلام زوج أحمدو، ولد المختار: أم إمد ـ وعبدالله ـ ومحمد.

ملاحظة:

● أم الفضل بنت سيديا والدة أهل أحمد ناه أمها بنت حمداً الملقب إدا بن عبدالله بن إشفاغ مينحن.

● أما الشريف مهدينالله بن مود بن نلل بن الشريف سيد إلياس «يرو» فمن عقبه الشرفاء آل سالم في أولاد غيلان وهم بنو سالم بن أحمد بن سالم بن أحمد بن الشريف مهدينالله وفروعهم أهل محمدان وأهل كنكو وأهل همد وأهل ببكر وأهل الزبير وأهل الداه من أهل بيلول في قبيلة أهل سيد محمود بولاية لعصابة ويتركز آل سالم أساساً بولاية آدرار وهذا بيان لشجرتهم.

---

(١) حمداً الملقب إدا بن عبدالله أمه: خديجة بنت العاقل.




شجرة الشرفاء
أهل سالم الصالحي الحسني

سالم بن أحمد:

بطن من بني الشريف سيدي إلياس، من بني الشريف عبدالله كان، من بني صالح، من بني الحسن السبط من العلويين من بني هاشم من العدنانية.

وهم: بنو الشريف سالم بن أحمد بن سالم بن أحمد بن الشريف مودي نالله الكبير بن مود بن نلَّل بن الشريف سيدي إلياس «يرو» ـ التنبكتي الوداني ـ ابن هلال بن العائد بن محمد بن أحمد بن عبدالله الشريف بن هلال الصغير بن عبدالرحمٰن بن عبدالله بن هلال الدمشقي الكبير بن العائد الكناني بن حبيب الله بن عبدالله الشريف كانْ الأول ابن هذيم بن مسلم بن زيد بن عبدالله أبي الضحاك بن الحسن الشهيد بن عبدالله الشهيد بن محمد الشاعر بن صالح الجوال بن عبدالله الرضا الشيخ الصالح ـ ويلقب بأبي الكرام ـ ابن موسى الجون بن عبدالله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي، وفاطمة، رضي الله عنهم.

وبنو الشريف سالم بن أحمد، عصبة منذ القدم مع الأشراف أهل أحمد سالم بن أمحمد بن ببوط في قبيلة أولاد غيلان بولاية آدرار، شمال موريتانيا اليوم.

وعمود نسب الشريف سالم موجود جزء منه في كتاب: «تاريخ بني صالح شرفاء كمبي صالح ملوك غانة ومالي من بلاد السودان» الطبعة الأولى الجزء الأول.

وذلك بدءاً بالشريف سالم بن أحمد ـ حتى ـ عبدالله الشريف كان الأول، وما بعد عبدالله الشريف كان الأول ـ حتى ـ الحسن السبط بن علي رضي الله عنهما، موجود في كتب النسَّابين والمؤرخين، من ذلك كتاب: «حدائق الألباب في الأنساب» للنسَّابة الفتوني العاملي، وكتاب: «الأساس لأنساب الناس» للعلامة السيد الشريف جعفر الأعرجي الحسيني رحمهم الله تعالى.

والأشراف أهل أحمد سالم بن أمحمد بن ببوط: بطن من أولاد سله من أولاد غيلان من أولاد يحيى بن عثمان من مغفر من بني حسان من بني معقل من الزينبيين من بني جعفر الطيار من بني هاشم من العدنانية.

وهم: بنو الشريف أحمد سالم بن أمحمد الملقب النهاه بن محمد الملقب ببوط بن أعلي الملقب كار بن أمحمد بن المحمود بن شنان بن قدور بن أعلي بنصر بن سليمان الملقب سله بن مسعود بن غيلان بن يحيى بن عثمان بن مغفر بن أدي بن حسان بن موسى بن حامد بن سعيد بن المختار بن محمد بن معقل بن موسى الهراج بن محمد العالم بن جعفر الأمير بن إبراهيم الأعرابي بن محمد الرئيس بن علي الزينبي بن عبدالله الجواد بن جعفر الطيار رضي الله عنه.

فعمود نسب الأشراف أهل أحمد سالم الغيلانيين الحسانيين، جزء منه موجود في كتاب (الحسوة البيسانية في الأنساب الحسانية) لمؤلفه جدي من الأم العلامة محمد صالح بن عبدالوهاب الناصري الحساني المعقلي الجعفري الطيار، رحمه الله تعالى.

وذلك ما بعد حسان، وأما ما قبل حسان فهو موجود في كتاب: «التكملة في تاريخ إمارتي لبراكنة والترارزة»، لابن بابه الإيداو علوي.

وكتاب: «طلعة المشتري في النسب الجعفري».

وقد هاجر الشريف سالم بن أحمد عن قبيلته الأصلية بني صالح وأبناء عمومته من بني الشريف سيدي إلياس «يرو» ـ والذي يوجد قبره الآن بوادان ـ هاجر عنهم إلى منطقة آدرار، وحل ضيفاً كريماً عظيماً على الأشراف أولاد غيلان الزينبيين الجعافرة الهاشميين، حيث أكرموه، وعظموه، ولقي منهم من التبجيل والاحترام ما جعله يقرر الإقامة فيهم والسكن.

ومنذ ذلك التاريخ ربطت بينهما أواصر المحبة والقربى والمودة، حيث أنجب الشريف سالم بن أحمد ولدين هما:

١ ـ سيدي محمد بن سالم والمعروف بابن اخويرة بنت دومة من قبيلة الأشراف لعويسيات وهم: بطن من ذرية كروم المغفري الحساني الجعفري الزينبي.

٢ ـ محمد بن سالم.

وحسب ما كتبه السيد الشريف حمود بن المصطفى بن محمدان والمعروف بلقب أبوه ولد صدف آل الشريف سالم الصالحي الحسني، في كتابه:

«ديوان المرحوم أحمد سالم بن أمحمد بن ببوط في الأدب والتاريخ والتراث».

عن تفاصيل ذرية الشريف سالم بن أحمد، فإن:

محمد بن سالم بن احمد خلَّف ولدين هما:

١ ـ الزبير بن أمحمد بن سالم، وقد أعقب ولدان هما: عبدالله، والزبير.

٢ ـ بيلول بن أمحمد بن سالم، ومن ذريته اليوم أسرة أهل الداه، في قبيلة أهل سيد محمود بولاية لعصابة، وقد انضمت إليهم أسر من قبيلة أولاد غيلان وشكلوا بذلك بطناً صغيراً حمل اسم أهل بيلول.

وأما العارف بالله سيدي محمد بن سالم فله أربعة أبناء وبنت هم:

١ ـ أحمد وقد خلف ابنين هما:

محمدان، وعلي.

أما محمدان بن أحمد بن العارف بالله سيدي محمد بن سالم بن احمد، فقد خلف خمسة أبناء هم: سالم، وسيدي، واعل، وبانم، والحسن.

وأما علي بن أحمد بن العارف بالله سيدي محمد بن سالم بن احمد، فقد أعقب ابنين هما: الكوري وسيدي، وتضاف ذريتهم ويدخلون ضمن مسمى بطن أهل محمدان.

٢ ـ كنكو بن العارف بالله سيدي محمد بن سالم بن أحمد، فقد خلف ستة أبناء وهم: سيدأبه، وأحمد، وامحمد، وسالم، وعثمان، وسيدي أحمد.

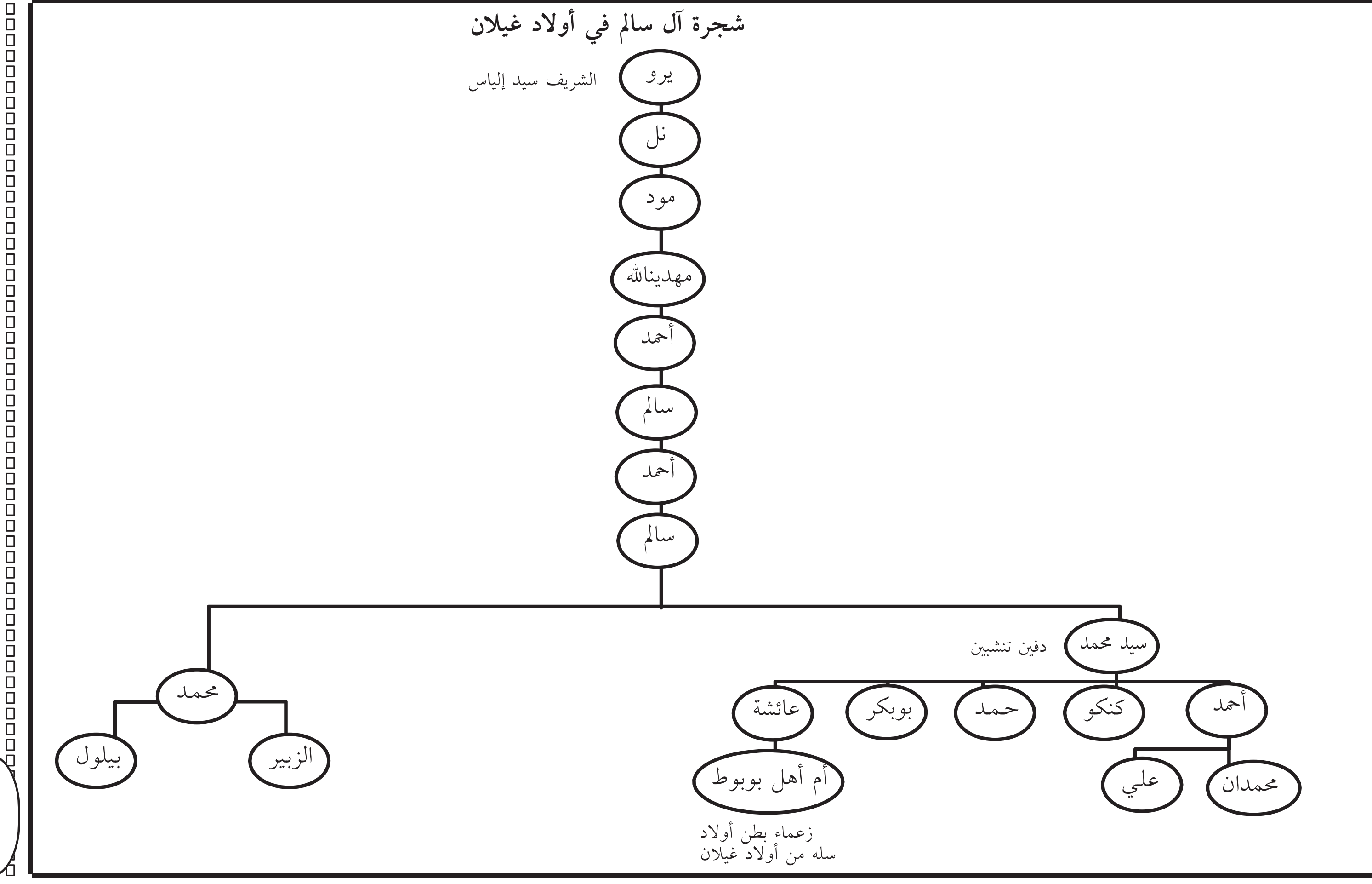
٣ ـ همد بن العارف بالله سيدي محمد بن سالم بن احمد، فقد خلف أيضاً ستة أبناء وهم: سالم، وإبراهيم، ومحمدان، والمختار، وأحمد، ومحمد، والسوداني، وقد خلف السوداني بنات فقط فهو مئناث.

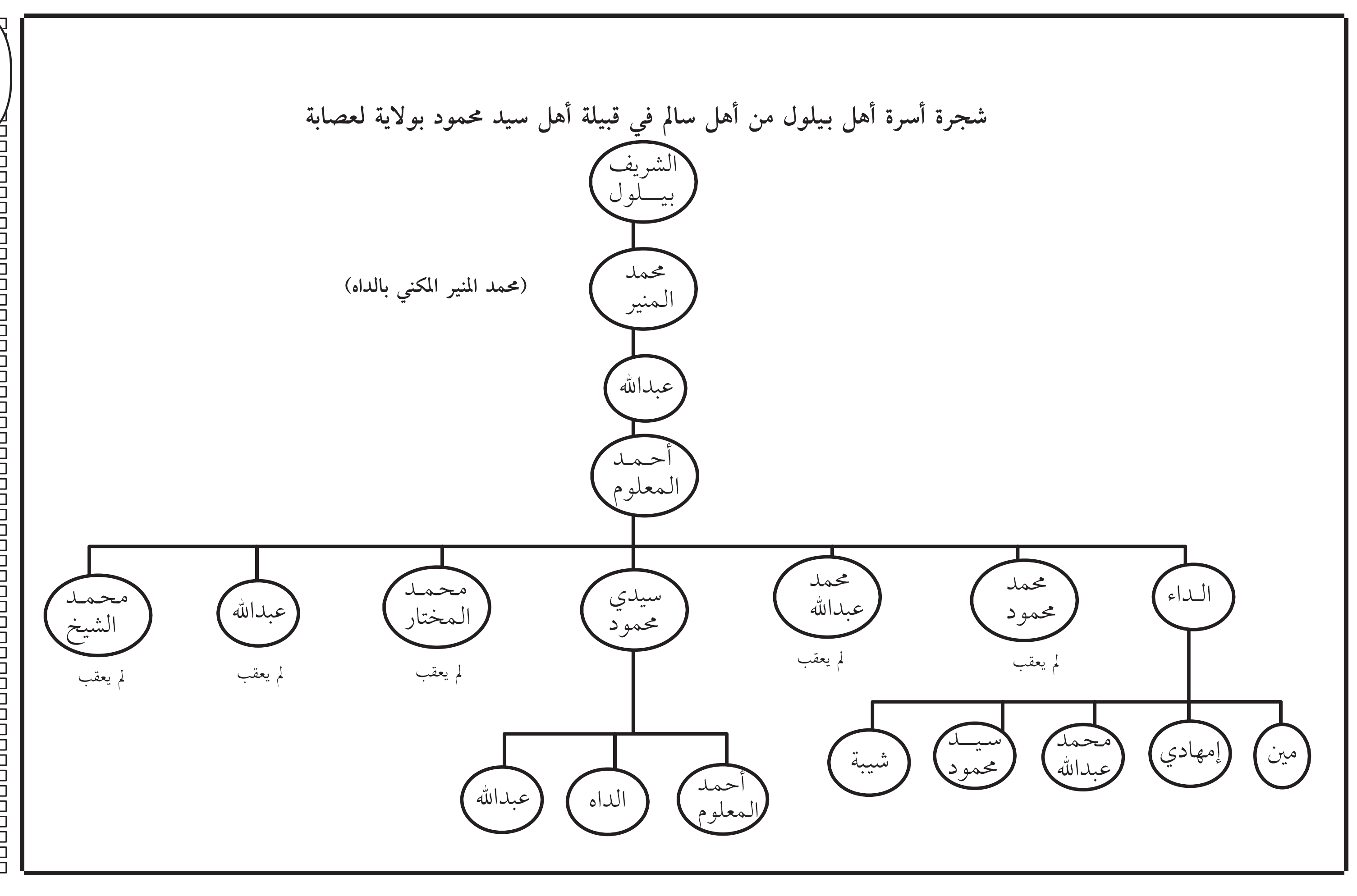
٤ ـ بوبكر بن العارف بالله سيدي محمد بن سالم بن احمد، فقد خلف ثلاثة أبناء هم: اعلي، والشيخ أحمد، وسيدي.

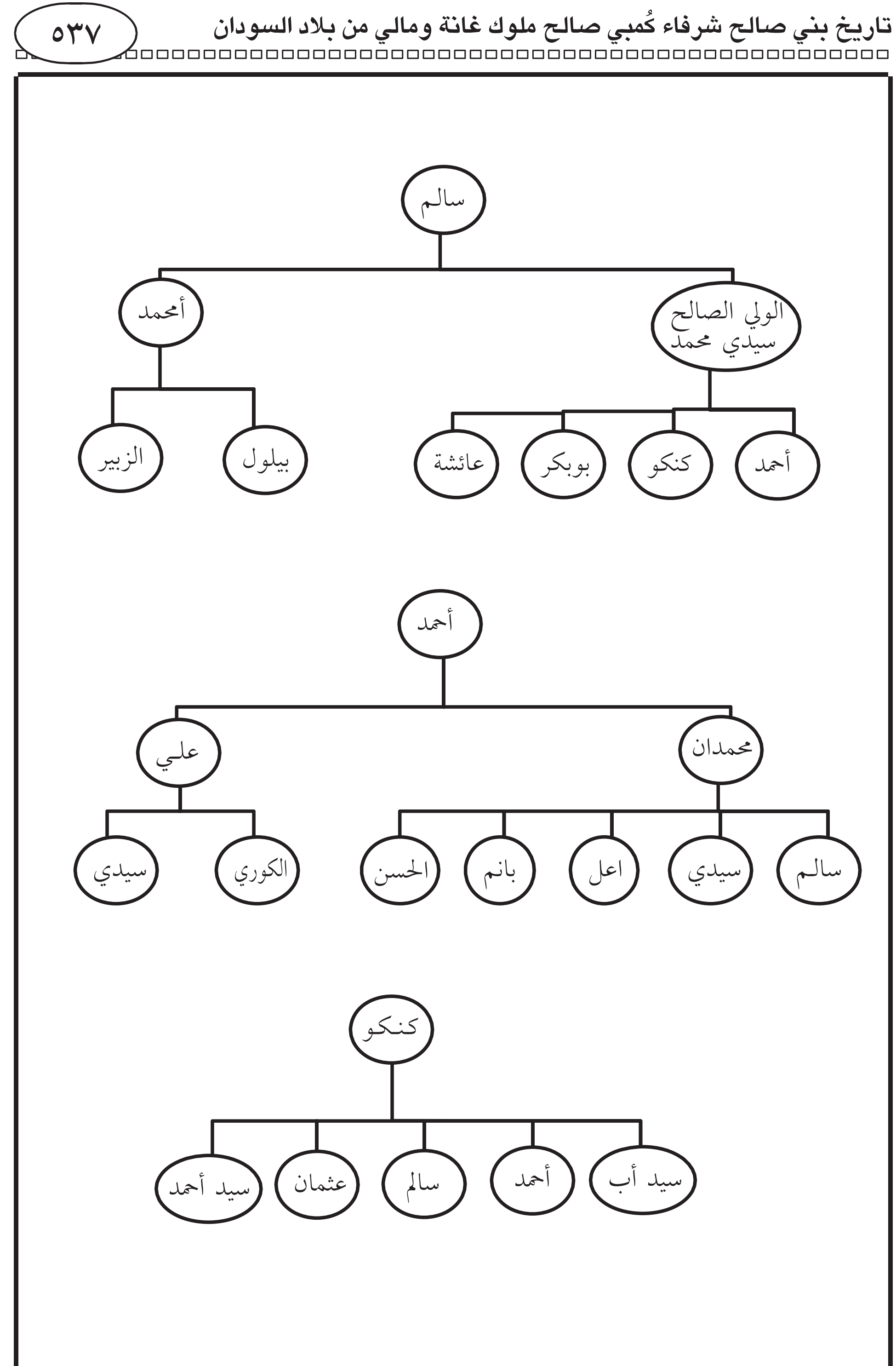
وأبناء سيدي بن بوبكر بن العارف بالله سيدي محمد بن سالم بن أحمد هما: السوداني، ومحمد الكوري الملقب اكو بن سيدي بن بوبكر.

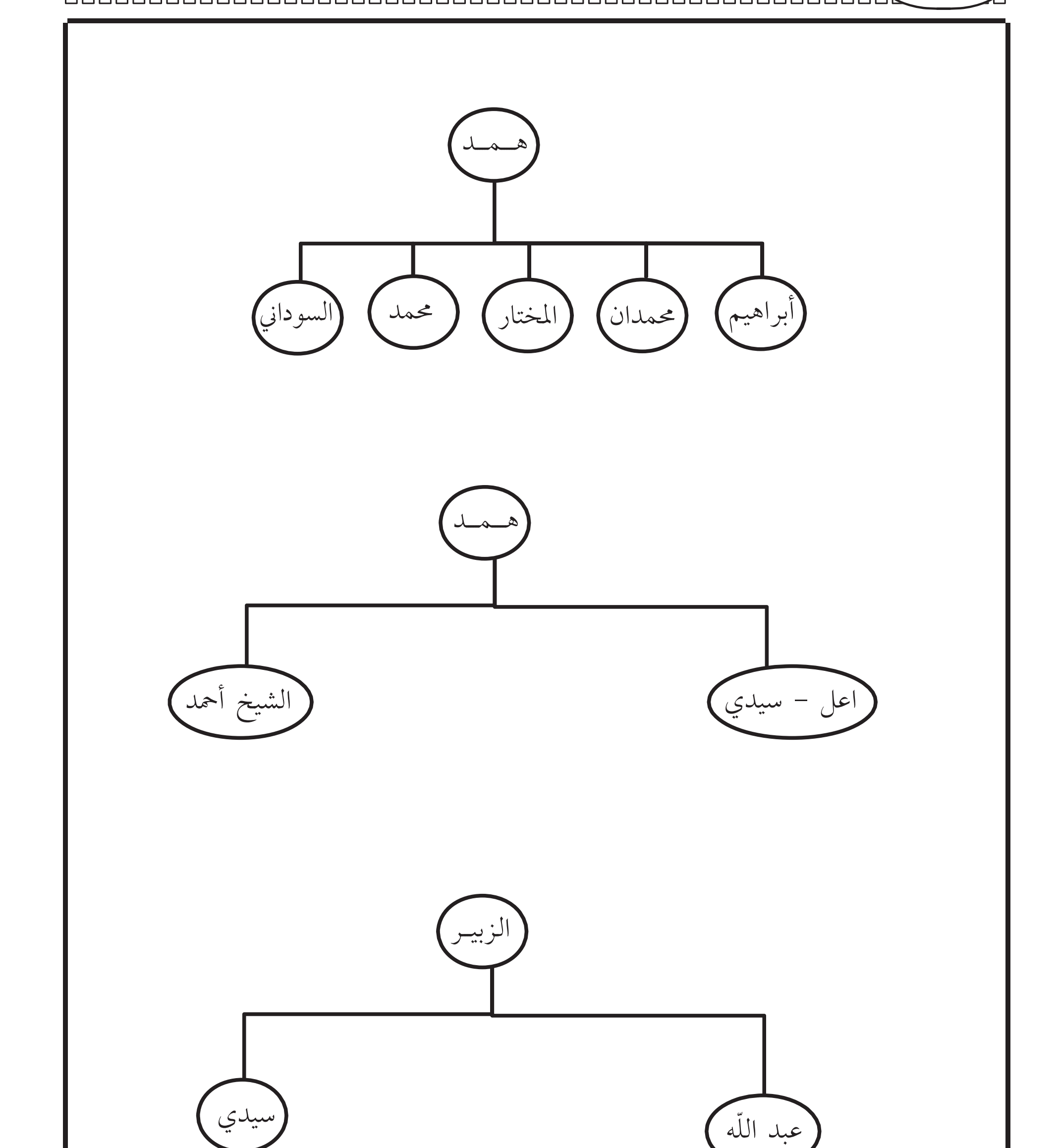
٥ ـ عائشة بنت العارف بالله سيدي محمد بن سالم بن أحمد، والتي بزواج الزعيم امحمد ولد المحمود المعروف بـ: ببوط السلاوي الغيلاني بها، ارتبط ذلك الزعيم بالعارف بالله سيدي محمد بن سالم بن احمد، ارتباطاً روحياً، وسلالياً، حيث جمعت بينهما وبين ذريتهما من بعدهما أواصر القربى والنسب والمصاهرة والمودة، والمصير المشترك حرباً وسلماً منذ ذلك التاريخ إلى اليوم.

❍ ❍ ❍ ❍ ❍ ❍


شجرة آل سالم في أولاد غيلان
يرو
الشريف سيد إلياس
نل
مود
مهدينالله
أحمد
سالم
أحمد
سالم
سيد محمد
دفين تنشبين
أحمد
كنكو
حمد
بوبكر
عائشة
محمدان
علي
أم أهل بوبوط
زعماء بطن أولاد
سله من أولاد غيلان
محمد
الزبير
بيلول


شجرة أسرة أهل بيلول من أهل سالم في قبيلة أهل سيد محمود بولاية لعصابة
الشريف بيــلول
محمد المنير
(محمد المنير المكني بالداه)
عبدالله
أحمد المعلوم
الداء
محمد محمود
لم يعقب
محمد عبدالله
لم يعقب
سيدي محمود
محمد المختار
لم يعقب
عبدالله
لم يعقب
محمد الشيخ
لم يعقب
مين
إمهادي
محمد عبدالله
سيد محمود
شيبة
أحمد المعلوم
الداه
عبدالله


سالم
الولي الصالح سيدي محمد
أمحمد
أحمد
كنكو
بوبكر
عائشة
بيلول
الزبير
أحمد
محمدان
علي
سالم
سيدي
اعل
بانم
الحسن
الكوري
سيدي
كنكو
سيد أب
أحمد
سالم
عثمان
سيد أحمد



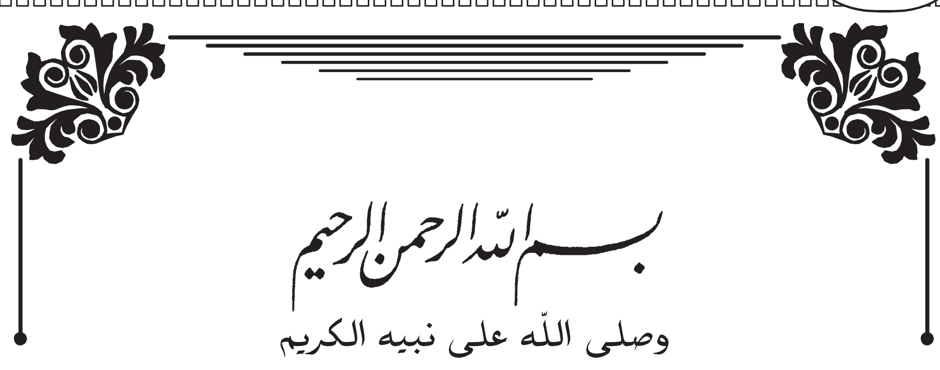
عائشة بنت سيد محمد بن سالم والدة الزعيم (كاره) بن محمد بن المحمود زعيم بطن أولاد سله من أولاد غيلان

بسم الله الرحمن الرحيم

نبذة عن بطن التكارير الشرفاء في قبيلة تندغة

إن اسم التكارير مشتق في الأصل من اسم رجل يدعى (تكرو) وهو الذي بنى مدينة (تكرور) على ضفتي النهر بين موريتانيا و السنغال حيث غدت تلك المدينة فيما بعد عاصمة لسلطنة إسلامية عرفت باسم سلطنة تكرور، واتسع مدلول الكلمة حتى أصبح يطلق على السواد الأعظم من السودان خاصة ومنطقة غرب أفريقيا عامة، لذلك كان الشرفاء من بني صالح الذين حكموا مملكة مالي يسمون بملوك التكرور حيث يقول كل من العمري و القلقشندي عن الشريف منسا موسى ملك مالي وابن عمه الشريف محمود بن منساقو ابن منساولى بن ماري جاطه ما نصه: وصاحب التكرور هذا يدعى نسبا إلى عبد الله بن صالح بن الحسن بن علي بن أبي طالب وإذا كان ملوك مالي عرفوا بملوك التكرور فما بالك بأحفاد العائد الكناني(آيل كان) الذين انصهروا في التكرور منذ ذلك التاريخ حتى الآن، وعليه يكون إطلاق اسم التكارير على أهلنا في تندغة من باب الاستعارة والمجاز فهم شرفاء نسبا وحسبا وتكارير لقبا نسبة إلى جدهم الشريف المختار ـ الملقب التكروري ـ بن البخاري بن المصطفى بتف بن الشريف مود مالك، وقد أشار إليهم البروفسير مصطفى بولي سعيد كَنْ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه حياة الإمام القاضي أبو بكر كن، حيث ذكر أن أسرا من قبيلة كَنْ توجد ضمن قبيلة تندغة وهناك نبذة عنهم سجلها كل من العلامة حمدا ابن التاه والأستاذ الخامس بن البراء.. وقد نشرناها كاملة في الطبعة الأولى لهذا الكتاب.





بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى اللّه على نبيه الكريم

أما بعد فإنه من المعلوم شرعاً أن الناس مصدقون في أنسابهم وأن النسب يحاز خصوصاً إذا ثبت بالمراجع التاريخية المعتمدة، كما أنه من المعروف عندنا أن العلامة محمد والد بن خالنا الذي هو المرجع الكبير في أخبار هذه البلاد وسكانها قد ذكر أن العلامة مودي مالك من ذرية سيدي إلياس الذي كان ساكناً في مدينة تنبكتو ثم انتقل إلى «وادان» وقبره بها مشهور وقد زاره الباحث يحيى بن البراء، وقد ذكر العلامة والد أن سيد إلياس خلف ولدين أحدهما في بني إبراهيم بن الحاج، والثاني هو «مودي مالك» كما حدد ذلك المؤرخ «محمذن ولد باكاه» وعلى هذا الأساس فإن أسرة «أهل امون» (اتكاريرتنتغ) من ذرية سيدي إلياس.

وقد أدركنا المرحوم العلامة محمدن بن امون الذي ظل يشتغل بالعلم والعبادة والتعليم والقيام على المحظرة في مقاطعة السبخة، وقد شهدت له أخلاقه على صدق هذا البيت الشريف الذي لم يدل به لهدية ولا لغيرها حتى التحق بالرفيق الأعلى تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جناته.

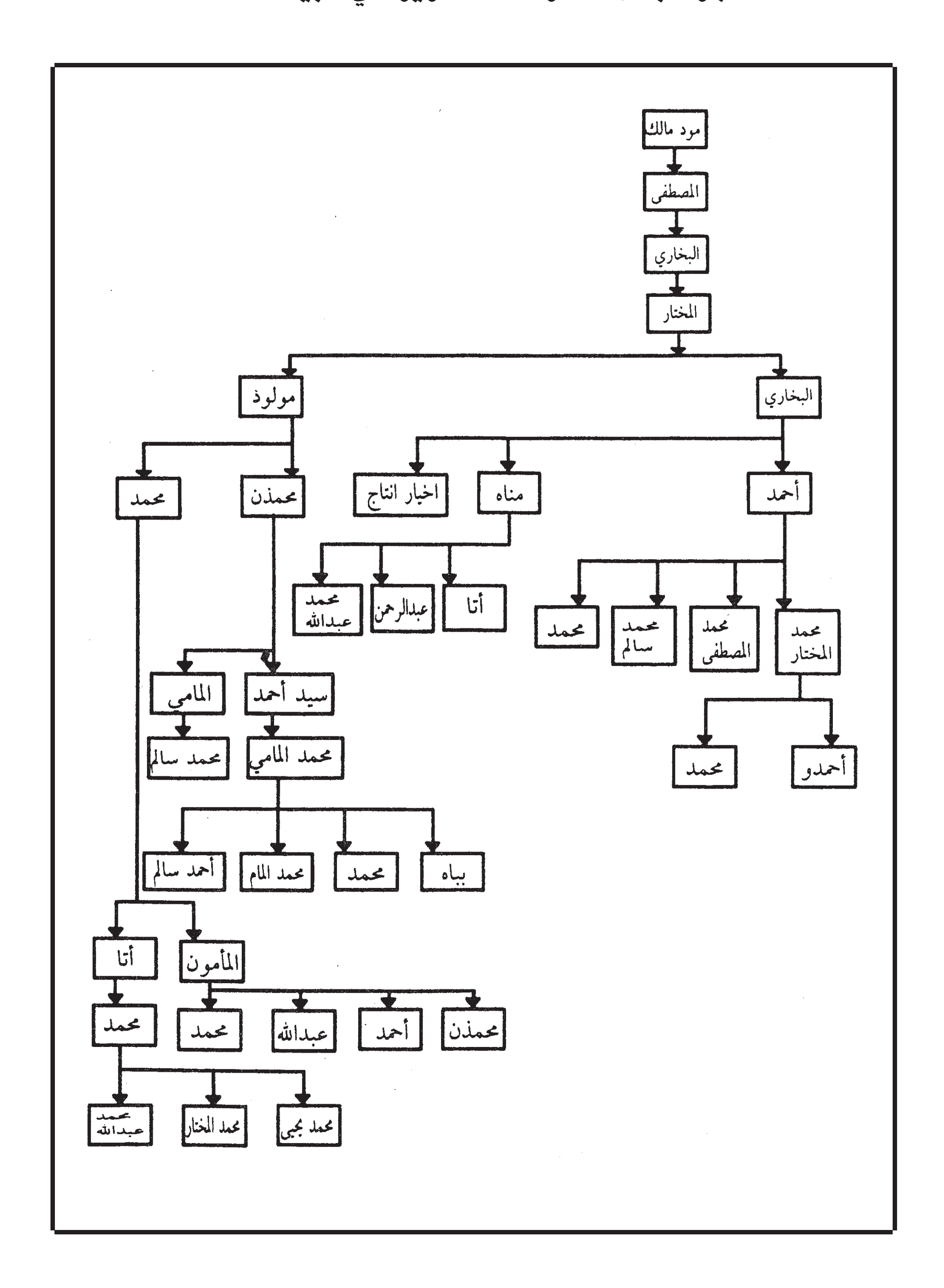
الأمين العام لرابطة العلماء الموريتانيين

حمدا ولد التاه

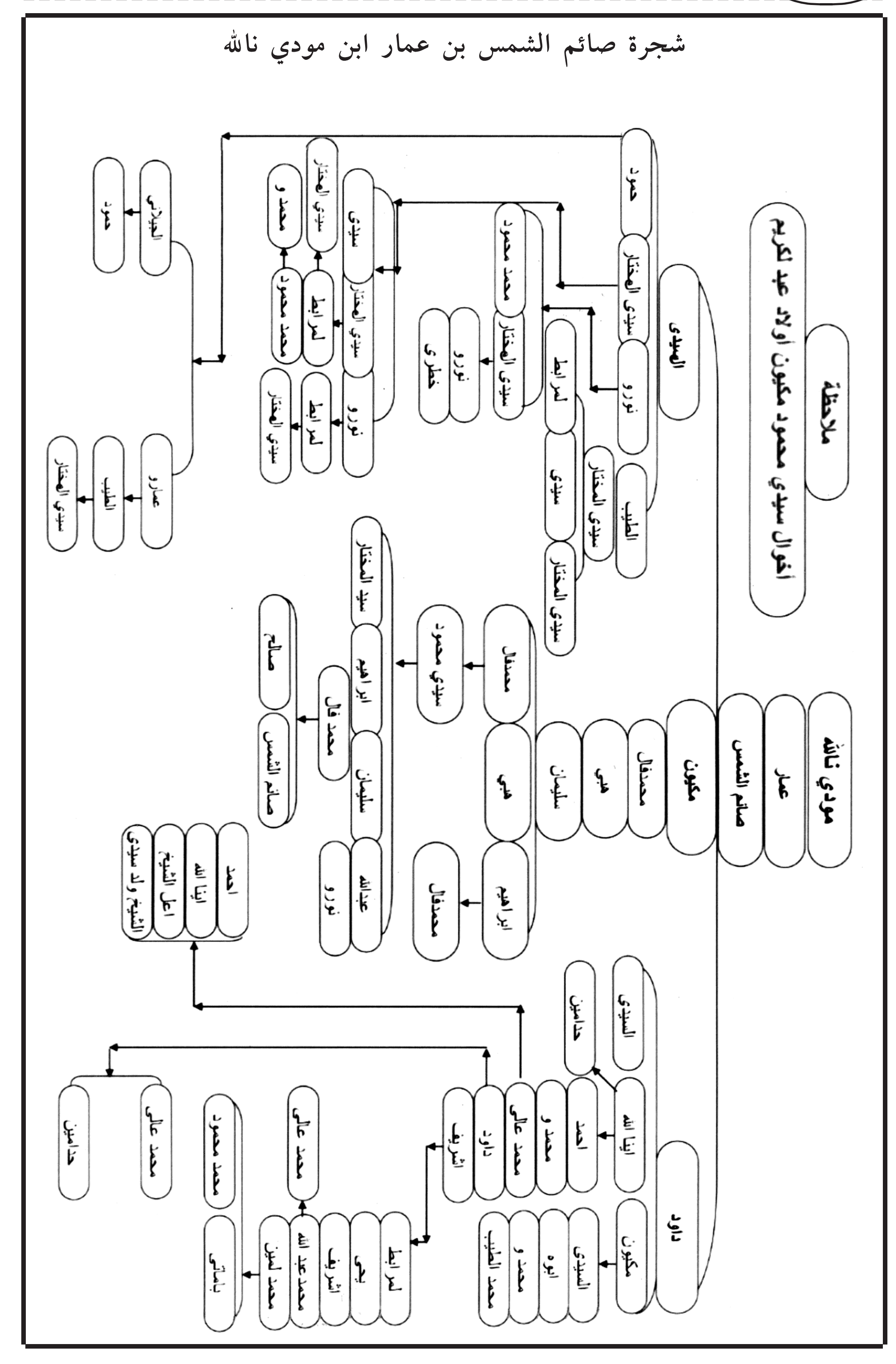
بتاريخ ٢٠٠٩\٥\٦

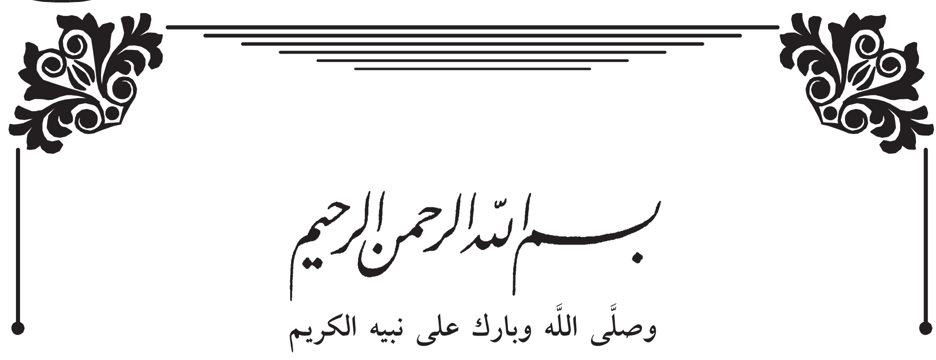
○ ○ ○ ○ ○ ○

شجرة بطن الشرفاء التكارير في قبيلة تندغة



شجرة صائم الشمس بن عمار ابن مودي نالله





بسم الله الرحمن الرحيم

وصلَّى اللَّه وبارك على نبيه الكريم

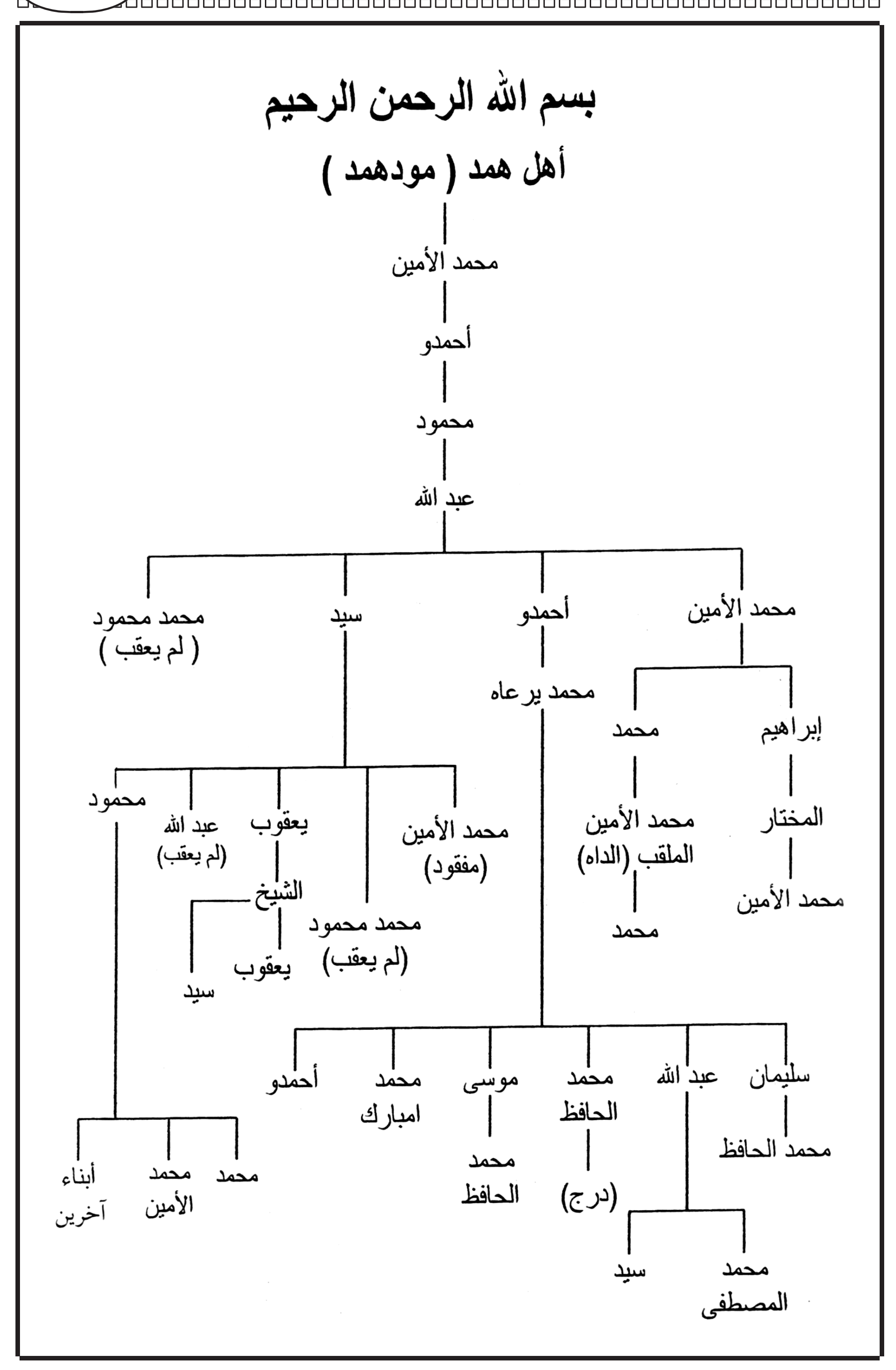
شجرة أهل همد

وبعد هذه نبذة مختصرة عن آل الشريف مودي أحمد الذي لقبه السودان بمودي همت، ومودي همد، وهو أحد الموديات الذين اندمجوا في منطقة القبلة بولاية الترارزة وبخاصة المجتمع الشمشوي ويقدرون بخمسة عشر نفراً، نذكر منهم: محم صار ومودهمت ـ ومود أوبك ـ جد أهل الطالب أجود ـ ومود مالك، حسبما ذكر الأستاذ محمذن بن باباه في تحقيقه لكتاب (شيم الزوايا)، انظر الجزء الأول من تاريخ بني صالح (ص١١١)، وقد ذكر محمدو ولد البراء أن سيد إلياس جد مودي مالك ومودي نلل ومودي أحمد الذي يقول له الأعجام: مودي همت، كما ذكر الشيخ محمد فال البناني في موسوعته: أن مودي مالك ومودي نلل ومودي أحمد من ذرية سيد إلياس. انظر تاريخ بني صالح الجزء الأول ص١٢٤ ـ ١٢٥، وقد ذكر محمد بن مالك في وثيقته أن الموديات ثلاثة: (مودي مالك ـ ومودي همت ـ ومودي نلل). انظر الجزء الأول من تاريخ بني صالح ص١٤٩.

أما العلامة والد ابن خالنا فقد كتب في كتابه (الأنساب) عن مودي همد ما نصه:

(مودهمد من إداسجم ان الله، وهو من سملال إنجاي بن عبدالله بن إسماعيل التكروري القاضي حبيب الله سل بن إبراهيم بن معاد بن إبراهيم بن محمد)، فهل هذا الذي ذكره والد ابن خالنا هو مودي همد الذي نص غيره على أنه من عقب الشريف سيد إلياس؟ هذا ما يظهر، والله أعلم.

أما المؤرخ والنسَّابة مصطفى بولي سعيد فقد كان نص في كتابه «حياة الإمام القاضي أبو بكر كَانْ»: على أن جماعة من آل كَانْ دخلوا في أولاد أبيير وهم أهل محنض نلل، قلت: والصحيح أهل مودي همت الذين سكنوا في قبيلة أولاد أبيير قبل أن يهاجروا مؤخراً إلى ولاية لبراكنة ويستقر بهم المقام هناك، وقد أهدى إلى زميلي الأستاذ أحمد ولدابي شجرة أسرة منهم وهم أخواله وهذه شجرتهم:


بسم الله الرحمن الرحيم
أهل همد (مودهمد)
محمد الأمين
أحمدو
محمود
عبد الله
محمد الأمين
أحمدو
سيد
محمد محمود (لم يعقب)
إبراهيم
محمد
محمد يرعاه
المختار
محمد الأمين الملقب (الداه)
محمد الأمين
محمد
محمد الأمين (مفقود)
محمد محمود (لم يعقب)
يعقوب
الشيخ
يعقوب
سيد
عبد الله (لم يعقب)
محمود
سليمان
محمد الحافظ
عبد الله
محمد المصطفى
سيد
محمد الحافظ
(درج)
موسى
محمد الحافظ
محمد امبارك
أحمدو
محمد
محمد الأمين
أبناء آخرين

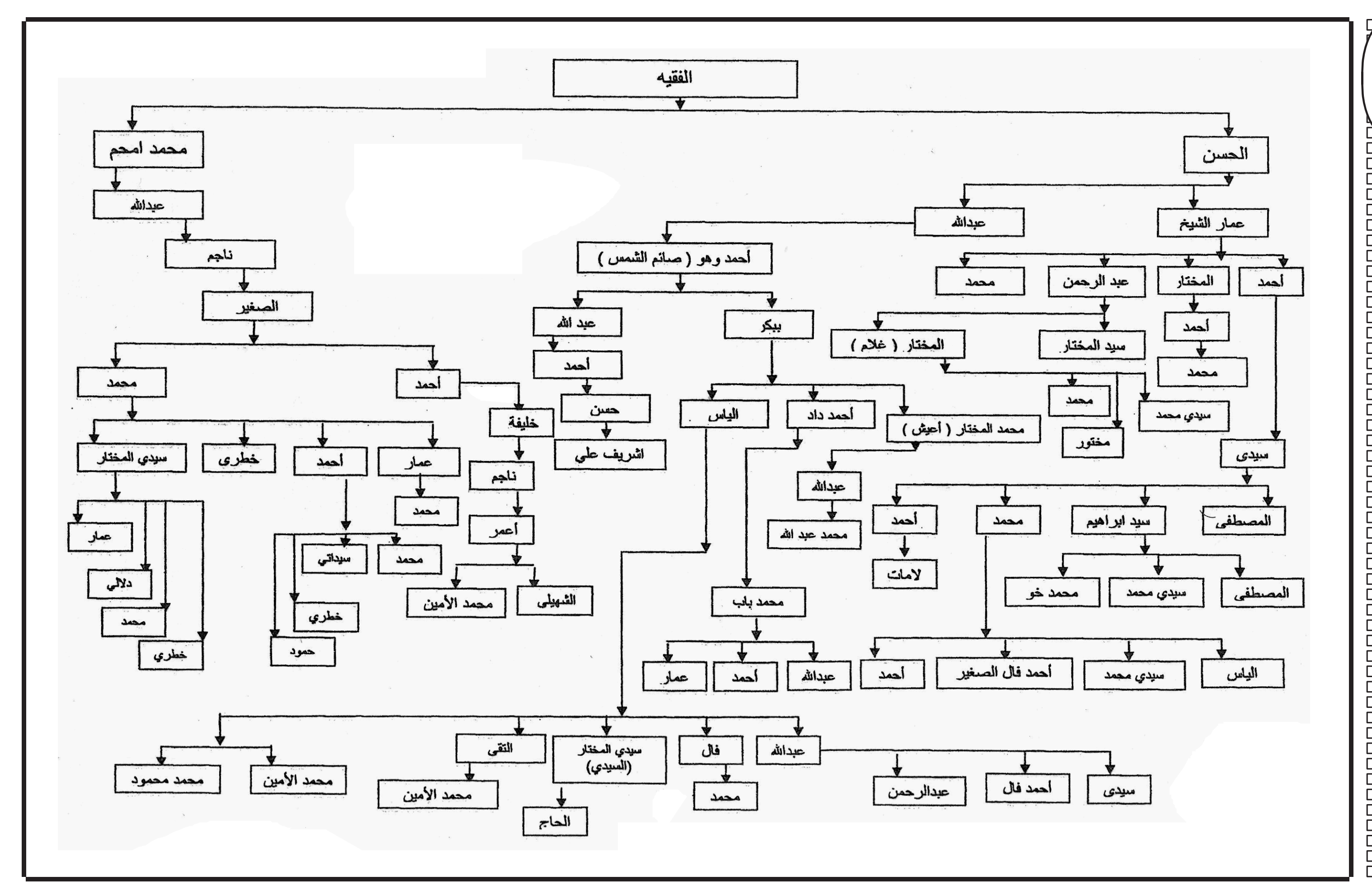


شجرة أهل صائم الشمس
في بطن أهل الطالب جدُّ من قبيلة الأقلال

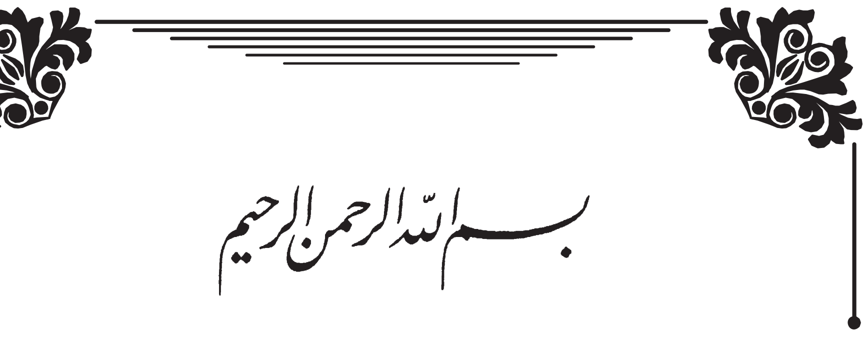
من ذرية الشريف مودنالله في ارقيبة وهم المعروفون حالياً بأهل عمار الشيخ في أهل الطالب جد قبيلة الأقلال بولاية لعصابة.

فوالدهم (الفقيه) واسمه (مود) وكلمة (مود) مشتقة من المؤدب وهو الفقيه أو المعلم كما سبق بيانه، وهو من عقب الشريف مودنالله بن مود بن صنب بن اباتي بن عالي بن حم جولط بن داود بن الشريف سيد إلياس (يرو) ابن هلال بن العائد بن محمد بن أحمد بن عبدالله الشريف.

○ ○ ○ ○ ○ ○


الفقيه
محمد امحم
الحسن
عبدالله
عمار الشيخ
عبدالله
ناجم
أحمد وهو (صائم الشمس)
محمد
عبد الرحمن
المختار
أحمد
الصغير
عبد الله
بيكر
المختار (غلام)
سيد المختار
أحمد
أحمد
محمد
محمد
أحمد
محمد
سيدي محمد
خليفة
حسن
الياس
أحمد داد
محمد المختار (أعيش)
مختور
سيدي المختار
خطرى
أحمد
عمار
اشريف علي
سيدى
ناجم
عبدالله
عمار
محمد
أحمد
محمد
سيد ابراهيم
المصطفى
أعمر
محمد عبد الله
سيداتي
محمد
لامات
دلالي
الشهيلى
محمد الأمين
محمد خو
سيدي محمد
المصطفى
محمد
خطري
محمد باب
خطري
حمود
عمار
أحمد
عبدالله
أحمد
أحمد فال الصغير
سيدي محمد
الياس
التقى
سيدي المختار (السيدي)
فال
عبدالله
محمد محمود
محمد الأمين
محمد الأمين
محمد
عبدالرحمن
أحمد فال
سيدى
الحاج





وصلَّى اللّه على نبيه الكريم

نبذة عن موديات أولاد امبارك

إن كلمة «مود» اسم يحمل أكثر من معنى ودلالة ويختلف معناه باختلاف اللهجات والثقافات التي كانت سائدة في المجتمعات السودانية بغرب أفريقيا، حيث نطقت تلك المجتمعات بهذا الاسم ولأول مرة إثر قدوم بني صالح الشرفاء إلى مملكة غانة وتأسيسهم بها مدينة كومبي صالح وبتغير العاصمة من كمبي جفي إلى كومبي صالح تغيرت حضارة وثقافة الدولة على كافة الأصعدة وخصوصاً المجال اللغوي حيث بدأ الغانيون يتعلمون ويتكلمون باللسان العربي لسان الحكام الجدد ولم تمضِ سنوات قليلة حتى أصبح الخطاب في الدوائر الحكومية والأماكن العمومية باللغة العربية وطغت المصطلحات العربية على المصطلحات السودانية، ومن بين تلك المصطلحات مصطلح «المؤدب» وهو الذي يؤدب الطلاب ويربيهم، والمؤدب بفتح الدال المشددة ـ هو الطالب أي: المتعلم ـ.

وقد تمّ تحريف هذا الاسم العربي من قبل السودان إلى «مودبُ» بضم الباء بالنسبة للأول وإلى «مودبَ» بفتح الباء بالنسبة للثاني ومع مرور الأيام تم إسقاط الحرف الأخير من هذا الاسم وهو الباء فأصبح الاسم هو

«مود» وهو اسم يعود في معناه إلى المدح وإن اختلف باختلاف اللهجات في المعنى إلا أن المعاني والأغراض التي يؤديها كلها محمودة فتارةً ترد كلمة مود بمعنى: الفقيه، وقد استعملها بهذا المعنى العلامة الطالب محمد بن أبي بكر الصديق البرتلي الولاتي في كتابه «فتح الشكور في معرفة علماء أعيان التكرور» وذلك لدى معرض حديثه عن الفقيه أميننا مينحن بن الفقيه مودي مالك رحمهما الله ص**٦٣** وهذا نصه:

(الفقيه أميننا مينحن بن الفقيه مالك رحمهما الله تعالى...) أما العلامة محمد سالم ولد عدود فقد فسر كلمة مودي بالولي أو الصالح وذلك عند تفسيره لاسم «مودنالله» وذلك في وثيقته التي نشرها الأستاذ المهابة ولد محفوظ في كتابه ورقات الأنساب ص**٥١ ـ ٥٢**، قال محمد سالم:

(وكلمة مود بالسونينكية تعني: الشيخ أو الولي أو العالم وإن بالصنهاجية: أداة إضافة، فمعنى هذا التركيب ولي الله كما تثبت انتساب هذا الصالح إلى البيت النبوي الشريف...) وفي الصفحة (**١٥ ـ ١٦**) ذكر المؤلف الآتي: ومن الجدير بالذكر أن كلمة «جنك» تعني عند الزنوج: العلم والصلاح وأن كلمة «مود» ترد في كلامهم بمعنى: الشيخ أو الأستاذ وكذلك في لغة آزير البربرية وفي اللغة السونينكية.

أما الأستاذ الخليل النحوي فقد كتب في كتابه «أفريقيا المسلمة» الهوية الضائعة عن بعض المصطلحات العربية الواردة في لغة إفلان ص**٣٨ ـ ٣٩** الآتي وقد نقل أحمد دياب عن الشيخ عبدالله قائمة تتضمن جزء من رصيد المقترضات العربية في اللغة الفلانية، منها: موديبو (من العربية: مؤدب) قلت: وهذا الاسم كثير وشائع في ذرية بني صالح من البيضان والسودان على حد سواء وقد اشتهرت به بطون من هذه القبيلة منها بطن أهل مودصنب، وبطن أهل مودنالله، وبطن أهل مودأوبك وبطن أهل مودمالك ويطلق على هذه البطون مجتمعة الموديات وقد اختص بهذا الاسم الجامع أهلنا في أولاد امبارك وذلك راجع إلى عدة أسباب منها:

أن الاسم يبقى دائماً للولد الصغير دون إخوته كما يختص به كذلك كل مَن هجر القبيلة وتغرب عن محيطه فيحتفظ بهذا الاسم ويبقى علماً عليه كي لا يندرس ولعل إطلاق اسم الموديات على ذرية ابن عمنا مود في أولاد امبارك علاوة على ما تقدم يرجع إلى احتمال وجود جماعة من بني عمومته أو من قوميات أخرى دخلوا بصحبته المجتمعات المباركية فتعدى اسمه إليهم من باب إطلاق الجزء على الكل، وأياً تكون أسباب التسمية، فإنها تجسد حقيقة ما يؤكده نسابتنا من وجود فرع من القبيلة بالحوض الغربي ألا وهو موديات أولاد امبارك أبناء الشريف مودي أحد أحفاد الشريف سيد إلياس الأب الجامع لهذه البطون والتي تفرعت من خمسة عشر نفراً، اندمجوا روحياً وثقافياً واجتماعياً في المجتمع الشمشوي بمنطقة القبلة قبل أن يتفرقوا في البلاد بسبب الحروب وتأثيراتها مما جعل عشرة بطون منها تختفي من الذاكرة نهائياً، وقد أشار إلى ذلك المحقق محمدن ولد باباه في تحقيقه لكتاب (شيم الزوايا) (ص٨٦ ـ ٨٧ هامش ٧٦) قائلاً:

(محم صار **١٠٥٠**هـ ـ **١٦٤٠**م عن **١٢٠** سنة من العمر، من موديات وهي أسر التحقت ببني ديمان استحساناً لسيرتهم ونظامهم الاجتماعي والسياسي اختلف في نسبهم والأشهر أنهم في الأصل من السودان، وقيل بشرفهم: (شرفة وادان) واندمجوا روحياً وثقافياً واجتماعياً في الوسط الديماني الذي انفتح عليهم واستقبلهم بصدر رحب لا يعبأ بالفوارق العرقية إذا تكافأت المقومات الدينية والأخلاقية، ويقدر عدد الموديات المندمجين في تشمشة بخمسة عشر نفراً نذكر منهم: محم صار وموديهمت، ومودأوبك جد أهل الطالب أجود، ومودمالك...).

قوله: والأشهر أنهم في الأصل من السودان، بيَّنَّا في كتابنا «تاريخ بني صالح» أن الصواب أنهم في الأصل قادمون من السودان باعتبارهم أخوالاً لهم لا غير ونفس الخطأ نجده في كتاب ابول مارتي «القبائل البيضانية» حيث كتب عن أهلنا موديات أولاد امبارك معلومات مغلوطة تلقاها شفهياً من غيرهم قصد الإساءة إليهم وكان الأجدر به ما دام يعتمد الروايات الشفهية كمصدر للأنساب أن ينقل نسب موديات من عندهم،

وليس من غيرهم فهم أدرى بنسبهم من غيرهم والناس مؤتمنون على أنسابهم، وبناءً عليه كتب أبول مارتي الآتي:

(ص**٣٧٤** موديات وهم افلان رنكابة اندمجوا منذ قرنين في أولاد امبارك ورئيسهم هو سيدي المصطفى بن صالح بن الفاغة بن جبريل بن محمد بويا هينه بن مود، ويضمون **١٢٦** نسمة).

قوله: (وهم إيفلان رنكابة) نرد عليه بالآتي: إذا كان المراد من كلامك أنهم قدموا إلى أولاد امبارك انطلاقاً من إفلان رنكابة لأنهم أخوالهم شأنهم في ذلك شأن بني عمومتهم من أهلي مودنالله التابعون إدارياً لمنطقة انيور وأن ابن أخت القوم منهم فذلك صحيح، وإذا كان مرادك أنهم إفلان رنكابة نسباً فهو غير صحيح فقد التبست عليك الأصول بذوي الأرحام وعرفت شيئاً وغابت عنك أشياء، فهؤلاء من بني صالح شرفاء كومبي صالح ملوك غانة من بلاد السودان وعلاقتهم بالسودان لا تعدو الخؤولة فقط كسائر بني عمومتهم وتؤكد ذلك وثائقنا ومخطوطاتنا الموجودة حالياً برفوف مكتبتنا وتعضده الوقائع على الميدان، ففي بعض الروايات أن أهلنا الموديات وصلوا إلى قبيلة أولاد امبارك انطلاقاً من مدينة كومبي صالح نفسها، وعليه إذا لم يكن الموديات شرفاء فما الذي يدفعهم إلى الانصهار في العرب من أولاد امبارك الجعفريين الهاشميين، والتخلي عن الفلان الرنكابيين؟ وما السر وراء امتهانهم مهنة التعلم والتعليم التي هي مهنة الزوايا والشرفاء في قبيلة مهنتها الوحيدة حمل السلاح والقتال، أعني: أولاد امبارك، وما الأسرار الكامنة وراء احتفاظهم باسم موديات رغم تغير الأسماء والألقاب تبعاً لتغير الأماكن والأنساب؟ وفضلاً عن ذلك كله ألا يدل اسم صالح في نسب عمود هذه المجموعة وتكراره في بعض أبنائها على أنه اسم مستوحى من اسم صالح بن عبدالله الجد الجامع لقبيلة بني صالح الشريفة وخصوصاً إذا ما تذكرنا أن التقليد المتبع في بلدنا أن الأحفاد غالباً ما يسمون بأسماء الأجداد وفاء لحقهم وتخليداً لذكرهم وإحياء لمجدهم وتيامناً بمآثرهم الطيبة وقد تغيبت بعض هذه الحقائق عن أهلنا موديات أنفسهم فكيف لا تغيب عن مستشرق فرنسي

مستعمر حاطب ليل ينقل من الخصم ضد الخصم، وكان الأولى به والأجدر أن يدع الهاشمية لأهلها وأن يعلم أن أهل مكة أدرى بشعابها، وقديماً قيل: إذا غاب عنك أصل المرء فانظر إلى خلقه فإن خلقه ينبئك عن أصله، ولا شك أن ما يتحلى به أهلنا موديات أولاد امبارك من طيب الأخلاق يدعم ما ذهبنا إليه، وكما غابت عشرة بطون من موديات وانماعت في مجتمعات أخرى بحيث لم نعثر عليها حتى الساعة فإن أهلنا موديات أولاد امبارك غابوا عن القبيلة الأم، منذ حقب متباعدة حتى أوشكوا أن يدخلوا في غمار ما دخل فيه بعض البطون المشار إليها آنفاً، وقد حرصت كل الحرص على ذكرهم في مواضع متعددة من مقدمة بحثي فور سماعي أن لهم صلة بالقبيلة موضوع البحث، رغم أني لم أضع يدي حتى الساعة على المخطوطات المتخصصة في هذا الشأن والتي سنطلع عليها فيما بعد إن شاء الله تعالى، وما هذه الأسطر القليلة التي سطرتها إلا استنتاجات أولية استوحيتها من شواهد وقرائن الأحوال، لأنه لم تسمح لي الفرصة بمقابلة أحد من هذه الأسرة، وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يعينني على ذلك مستقبلاً، وقد قابلت الأستاذ الفاضل: سيد عال بن سيد الأمين من بطل أهل ببكر العياسي الناصري، ثم المغفري الحساني، وأخبرني أنه في أواخر الثمانينيات قابل شيخاً مُسِنًّا من موديات أولاد امبارك وأنه حدّثه أن أسرته يعود نسبها لشرفاء كانوا يحكمون مملكة غانة، وكانت حاضرة ملكهم مدينة كمبي صالح، ويضيف الأستاذ سيد عالي أن المُسِن كان يتحسّر وقلبه يتفطر وهو يحكي ويروي بحزن بالغ وأسى شديد أسفه على أمجاد ذهبت، وأنساب ضاعت، وحضارة اندرست، والأدهى والأمَرّ بالنسبة له من هذا كله أنه لا أحد يصغي لما يقول أو يصدق.

أهل الطالب محمود:

ومن بين الأسر التي يعتقد أن لها صلة نسب بقبيلة «كان» أهل الطالب محمود، حيث يذكر أهل أحمد كوري المتقدم ذكرهم أنهم من ذرية الطالب محمود، وأن لهم أبناء عمومة يقال لهم: أهل الطالب محمود يقطنون الحوض الشرقي. قلت: وأهل الطالب محمود في الحوض الشرقي

بطنين: أحدهما في قرية يقال لها: لكويسي بضواحي مقاطعة النعمة عاصمة الحوض الشرقي، وقد التقيت بزعيمهم وفقيههم: محمد الحسن بن سيد محمد، الملقب: إزيد بيه، وذلك في الشهر الثاني من سنة **٢٠٠٧** في مدينة دبي بالإمارات العربية المتحدة، وطلبت منه أن يقدم لي ما عنده من معلومات حول الموضوع، فذكر لي أنهم لم يكونوا في السابق على دراية من نسبهم، وإنما يعرفون فقط أنهم منحدرون من أصول فوتية، إلا أنه ومع بداية الستينيات من القرن الماضي اطلع عليهم مسؤول حكومي بمقاطعة النعمة في زيارة تفقدية، والحكومي من قبيلة إداو علي فبينما هو يتبادل معهم أطراف الحديث إذ سمع منادياً ينادي باسم الفاغ إبراهيم، وهو صبي من صبيانهم، فقال لهم: ومن أين لكم بهذا الاسم؟ قالوا: اسم جدنا الأكبر: الفاغ إبراهيم، فقال لهم: وهو أيضاً جدي المعروف بالحاج إبراهيم، فأنتم إذاً علويون. ثم قال لي الأستاذ إزيد بيه: ومنذ ذلك اليوم ارتبطنا بقبيلة إدوعلي وأصبحنا ننتسب فيهم.

قلت: ومن ذلك اليوم رموا عرض الحائط بالنسب الفوتي وأصبحوا يتشبثون بالنسب: الإدوعلي، ويتبعون لقبيلة أهل الطالب مختار.

وأما البطن الثاني وهو: أهل الطالب محمود في مشظوف: ولعلهم هم الذين يشير إليهم أهل أحمد كوري، وخصوصاً أن أباهم استقر بالعصابة وتكانت برهة من الزمن قبل أن ينتقل مع مشظوف إلى الحوض الشرقي ويستقر هناك، ولا زال أبناؤه متمسكون بالأصل الفوتي إلى اليوم، ويعضده ما كتبه عنهم بول مارتي، ونصه:

أهل الطالب محمود: يؤلف أهل الطالب محمود فخذاً صغيراً من ثلاثين خيمة، وكان جدهم الأعلى: التراد من كيهيدي فوتا تورو. وجاء في جولة لجمع الهدايا من مشظوف الذين كانوا حينئذٍ في تكانت تحت قيادة المختار بن امحيميد، فاستقر فيهم بصفته معلم مدرسة، ومن ثم وبعد أن تزوج نساء مشظوفيات، من مختلف الأفخاذ، تجنس في القبيلة وتوفي حوالي **١٨٢٥**م، تاركاً سبعة أبناء هم: يوسف، وعمر، وإبراهيم،

والطالب، والطالب مختار، ومحمد، وسيد، وهم أجداد المخيمات الحالية. ورئيسهم الحالي هو: محمد السالك بن يوسف بن الطالب مختار المولود حوالى ١٨٦٧م، والذي خلف والده المتقدم في العمر، ومرابط الفخذ هو: محمد محمود بن سيدي وهو رجل ضرير تضم مدرسته: المتجولة عشرين تلميذاً، ويتمتع بصيت رجل مثقف وأديب(١).

وقد نقلت عن الأخ يوسف بن باد بن محمد عبدالله من أهل أبو ارميثي المغفري الحساني وهو بطن من أشهر بطون مشظوف، أنه وقف على ضريح جده لأمه: الطالب محمود ببلدة إنتاكات بولاية لعصابة، وقد نقش عليه: هذا ضريح الطالب محمود الكمبي.

قلت: ولا شك أن «الكمبي» هذه النسبة ترجع إلى كمبي صالح، فهل كان الطالب محمود رَحِمَهُ اللَّهُ على علم واطلاع على أن أصوله ترجع إلى كمبي صالح؟ هذا ما يظهر من النسبة، وإن كان الموضوع بالنسبة لنا ما زال قيد البحث والدراسة حتى تنكشف حقيقة نسب القوم، وهذا ما لدينا حتى الساعة عن الموضوع والعلم عند الله.

وأما بطن «أهل مود» بأهل باب البكاي من كنتة بقرية «أم عش» التابعة لبلدية أم آفنادش بالحوض الشرقي، فقد تقدم خبرهم في الجزء الأول من تاريخ بني صالح ط١، وقد نص مصطفى بولي سعيد كان في كتابه «حياة القاضي الإمام أبو بكر كان» على أن أسراً من قبيلة «كانْ» تقيم في أولاد سيد ببكر من كنتة، فقد يكون المراد منه ـ والله أعلم ـ أهل مود المتقدم ذكرهم وغيرهم.

أما أهل مودنالله بقبيلتَيْ القوانين والزماريق: بالحوض الشرقي فقد نصّ عليهم غير واحد من المؤرخين، وقد تقدم ذكرهم كذلك في الجزء الأول ط١، والعلم عند الله.

---

(١) القبائل البيضانية في الحوض ص٢٩٩ ـ ٣٠٠.

بطون أخرى من بني صالح:

سبق وأن ذكرنا في الجزء الأول من تاريخ بني صالح أنه توجد أسر من بني صالح في شمال أفريقية، تحمل مسمى بني صالح، وهم غير بني صالح الذين هم من زنارة من البربر بالمغرب، إذ أن هؤلاء المقصود ذكرهم هاجروا إلى شمال أفريقية بعد انهيار مملكة غانا، فطائفة منهم بالجزائر في منطقة جبل البليدة، وطائفة في ليبيا في مدينة تاورغة، على ساحل البحر الأبيض المتوسط، وطائفة في محافظة البحيرة، بمدينة «إيتاي البارود» في مصر، إضافة إلى طوائف أخرى في منطقة غرب أفريقيا، غير ما ذكر مثل: أهل صالح بابير، بمنطقتَيْ: تينبكت وأروان، وهم بطن العلامة محمد محمود بن الشيخ بن سيد ببكر الأرواني.

وقد ذكر البروفسير: مصطفى بولي سعيد كان من بين البطون المنتسبة لقبيلة كان، البطون التالية: وذلك في كتابه «حياة القاضي الإمام أبو بكر كان» وهو كتيب صغير الحجم باللغة الفرنسية، ويصعب عليّ كتابة ونطق أسماء هذه القبائل بألفاظها الحقيقية، لأنها أسماء بولارية، وهذا نص ما كتبه:

(«ملحمة الدمشقيين الطويلة»: يختلط تاريخ المجموعة التي شهدت ميلاد عثمان ببكر مع أسرته الحاكمة التي انطلقت من الشرق، واندمجت جراء رحلاتها الطويلة في كثير من العشائر المنشئة لمعظم القرى المتناثرة في كل أفريقيا الغربية مع احتفاظهم في ذاكرتهم بأصلهم المشترك.

توجد هذه المجموعات في النيجر وغينيا بيساو، وحيث ديمات كان إمبا آل كان، سيلي كان، كولبي كان، كير صمبا كان، كانين انديوب، إنديا كان، إندياكا مو كان، سيني كان، فاني لي، كوكي كان، كانديول، تيلن «السنغال»، والكاباديين الغامبيين، والسنغاليين، أي: في المملكات السابقة وإمبراطورية ادجولوف، في كيور، في باؤول، في ماكاتوبي، في

الوالو. راجع ساري لاموى في غامبي: غامبيا. «كونك»، ساري ألاسان ادياماكوتا، سني كوندا، ودور غوروبا، وفي كازا مانس حيث قرية «اياؤومن» ديمار والتي أصبحت «أن يورو» في الريف، والتي حسب أتيموكا أحاطها «ماباادياخو» بسور للدفاع عن الريف.

المصدر: أطروحة دكتوراه دولة: (جامعة الشيخ انتاديوب) عام **٢٠٠٢**م.

وهناك بطون وأسر في البيضان من أمثال أولاد محنض نالله في أبي تلميت، قلت: وهؤلاء من صميم أولاد أبيير وليسوا من قبيلة كان، وقد وهم المؤلف في هذا، وأسر في أولاد سيد حيب الله، وأسر في أولاد رزك في منطقة نفوذ تاكنانت، والبعض في أهل أحمد يوره من أولاد ديمان، البعض في أولاد سيد ببكر في وسط موريتانيا، كل هذه الأسر تنتمي إلى أصول المجموعة الدمشقية في إيديني، من تاريخ **١٦٤٣**م، حسب المختار بن حامد (إفان: **١٩٤٩**م)، وأما مواقعهم فما زالت في إديني وآوليكات، وتندكسم، وتيشيكل، حيث ولد الإمام أبو بكر كان شمال غرب بحيرة اركيز، والتي وصلوها في القرن السابع عشر الميلادي. «راجع محمد بن أحمد يوره» (إخبار الأخبار بأخبار الآبار)، والذي ترجمه ابول مارتي سنة **١٩١٠**م، ويجزم محمد بن متالي بن اكليكم، من قبيلة تندغة في قلاويته أن موقع انواكشوط ملك للمنحدرين من ديمات وانتيكان، «راجع المجموعة الديماروازية» أي: الدمشقية). انتهى كلامه رحمه الله عن البطون السالفة الذكر.

تحقيق نسب أهل الشريف الولي وأهل أدهم وأهل شيرنو الأمين وأهل الطالب سعيد

فهم ذرية الشريف أحمد الأمين الفوتي، وهو أحمد بن الأمين بن حمادي بن الإمام عبدالقادر كن الملقب المامي ابن الفقيه حمادي بن الحاج الأمين بن معاد بن عبدل بن عال بن محمد المسلم (حم جولط كن) ابن داود بن الشريف سيد إلياس بن هلال بن العائد بن محمد بن أحمد بن عبدالله الشريف بن هلال الصغير بن عبدالرحمٰن بن عبدالله بن هلال الدمشقي الكبير بن العائد الكناني بن حبيب الله بن عبدالله الشريف خان الملقب: آيل كان الأول ابن هذيم بن مسلم بن زيد بن عبدالله أبي الضحاك بن الحسن الشهيد بن عبدالله الشهيد بن محمد الشاعر بن صالح الجوال ابن عبدالله الرضا الشيخ الصالح بن موسى الجون بن عبدالله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي رضي الله عنهم أجمعين.

وقد كتب المستشرق أبول مارتي في كتابه (القبائل البيضانية في الحوض والساحل الموريتاني) ص٢٥١ أن: (أهل الولي يعودون لأصل فوتي وجدهم شريف إدريسي هو أحمد الأمين الذي وصل إلى لاوو «الدويرة» وسط القرن الثامن عشر، واستقر نهائياً لدى إيفلان إيرالبه، وأصبح منهم، ومات في جو من القداسة، ودفن في تورودي جمرة حوالي

١٨٦٣ وقد ترك ثلاثة أبناء أولهم محمد الأمين، الذي جاء ليمارس مهنة التعليم لبعض الوقت لدى الإقلال وترك فيهم عائلة، ثم لحق به أخوه الطالب سعيد الذي استقر أيضاً لديهم حيث توجد كل ذريته هنا. أما الأخ الأخير شيرنو الأمين فقد ظل مع الفوتيين، وذريته اليوم من التكارير مستقرة في صب والله «كينكي»، وقد عاد محمد الأمين إلى العصابة حيث نجد قسماً من نسله باسم أهل الولي في أمبود وفي تجكانت وإدوعيش، وفي تكانت مع إديبوسات ويضم الفخذ هنا **٦٩** نسمة، وزعيمهم هو محمد الأمين بن سيدنا بن ألفاغه المولود حوالي **١٨٦٥** ابن الطالب سعيد... وبعضهم قادريون فاضليون مثل: رئيس أهل الولي الذي تلقى الورد من عم والده الشيخ البكاي بن سيدي عبدالله بن الطالب سعيد، وهو رجل صالح كبير انتسب لتلك الطريقة بواسطة الشيخ سيدي الكبير خلال رحلة له في موريتانيا).

تعليقاً على ما كتبه أبول مارتي:

أولاً قوله: (وجدّهم شريف إدريسي هو أحمد الأمين) لا يوجد في موريتانيا من ينتسب إلى النسب الحسني انتساباً صحيحاً مبنياً على الدليل والبرهان سوى بني صالح وما عدا ذلك من دعوى النسب العلوي عامة والحسني والحسيني خاصة كله باطل وكذب وافتراء.

وقد زعم أحفاد الشريف أحمد الولي أن جدّهم من نسل الشيخ عبدالقادر الجيلاني الفارسي.

ثم زعموا بعد ذلك أنه من نسل الشريف مولاي عبدالسلام بن مشيش الإدريسي الحسني وكلها مزاعم ما أنزل الله بها من سلطان ولا يملكون عليها ذرة من دليل أو برهان، وقد أبطلنا دعواهم هذه سابقاً في ملحق لنا على (رسالة لمعلمين والإحساس) وقد نسبوا إلى جدهم كثيراً من الأساطير ليس هذا محل بسطها.

وجزا الله خيراً السيد الشريف أبو محمد سعدبوه بن السالم بن عبدالرحمٰن بن عبدالقادر بن شيرنو الأمين بن الشريف أحمد الأمين الفوتي

الصالحي الحسني الذي أطلعني على أنهم أبناء عمه محمد الأمين بن الشريف أحمد الأمين الفوتي.

وكان معلوماً لدينا أن أسرة أهل شيرنو الأمين من عقب الشريف عبدالقادر كن الفوتي الصالحي الحسني، وقد استوطنت منهم أُسرة مؤخراً قبيلة الشرفاء أولاد أمبارك الجعافرة وهي أُسرة الشريف أبو محمد سعدبوه الحجازي المدني. وعليه فإن نسبة هذه الأسر إلى النسب الشريف وخاصة في بلاد فوته الموريتانية من قِبَل بني صالح تدعمه الأدلة والبراهين التاريخية والجغرافية، على عكس التعلق بالنسب الجيلاني الفارسي ومولاي عبدالسلام الإدريسي الحسني بالإدِّعاء واتِّباع الهوى.

وأما عن أعقابهم فلم أجد من يقدم لي ذرية الشريف الطالب سعيد والشريف الأدهم في قبيلة الإقلال.

وأما عقب الشريف أحمد الولي فحسبما وصلني هو بطن يشتمل على أربع فصائل.

الفصيلة الأولى: أهل الحضرامي بن الشريف أحمد الولي. وتشمل ثلاث أُسر هي:

أهل الطيب بن الحضرامي.

أهل محمد محمود بن الطيب.

أهل صدفي بن الطيب.

الفصيلة الثانية: أهل عبدالقادر بن الشريف أحمد الولي، وتشمل أربع أُسر هي:

أهل سيد المختار بن عبدالقادر.

أهل الأمين بن عبدالقادر.

أهل أحمد بن عبدالقادر.

أهل الطيب بن عبدالقادر.

الفصيلة الثالثة: أهل الطيب بن الشريف أحمد الولي، وتشمل ست أسر هي:

أهل أحمد بن الطيب.

أهل سيدي بن الطيب.

أهل الشيخ بن الطيب.

أهل يب بن الطيب.

أهل محمد الأمين بن الطيب.

أهل عبدالقادر بن الطيب.

الفصيلة الرابعة: أهل مولاي بن الشريف أحمد الولي وتشمل أُسرتين هما:

أهل أحمد بن مولاي.

أهل محمد بن مولاي.

انتهى ما وصلني.

ملاحظة: حاولت التعرّف على فرد من بطن الشريف أحمد الولي لأستقي منه هذه المعلومات مشافهة، ولم أتمكن من ذلك بسبب غربتي خارج موريتانيا.

وإنما نقلت تفاصيل ذريته مما نشر في المنتديات وشبكات التواصل الاجتماعي على النت وخاصة موقع النسَّابون العرب.

نقلاً عن الشريف أحمد بن مولاي حفيد الشريف أحمد الولي.

وكتاب موريتانيا عبر العصور.

عقب الشريف شيرنو الأمين بن الشريف أحمد الأمين الفوتي الصالحي الحسني.

وأما عقب الشريف شيرنو الأمين فقد نقلته من حفيده الشريف سعدبوه بن السالم الحجازي المدني مشافهة. وهذه شجرتهم.

شجرة الشريف شيرنو الأمين
حفيد الإمام عبدالقادر كان الصالحي الحسني

الشريف شيرنو الأمين بن أحمد بن الأمين بن حماد بن الإمام عبدالقادر كان ـ الملقب المامي ـ ابن الفقيه حمادي بن الحاج الأمين بن معاد بن عال بن محمد المسلم (حم جولط كن) ابن داود بن الشريف سيد إلياس التنبكتي الواداني ـ الملقب يرو ـ ابن هلال بن العائد بن محمد بن أحمد بن عبدالله الشريف بن هلال الصغير بن عبدالرحمٰن بن عبدالله بن هلال الدمشقي الكبير بن العائد الكناني بن حبيب الله بن عبدالله الشريف خان ـ الملقب: آيل كان ـ ابن هذيم بن مسلم بن زيد بن عبدالله أبي الضحاك بن الحسن الشهيد بن عبدالله الشهيد بن محمد الشاعر بن صالح الجوال بن عبدالله الرضا بن موسى الجون بن عبدالله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي رضي الله عنهم.

أحمد بن الأمين (أحمد الأمين) الفوتي الصالحي

محمد الأمين — الطاب سعيد — شيرنو الأمين

الشريف أحمد الولي — الأدهم ولد عيشات — عبد القادر

السالم الكبير — شيرنو الأمين — عبد الرحمن

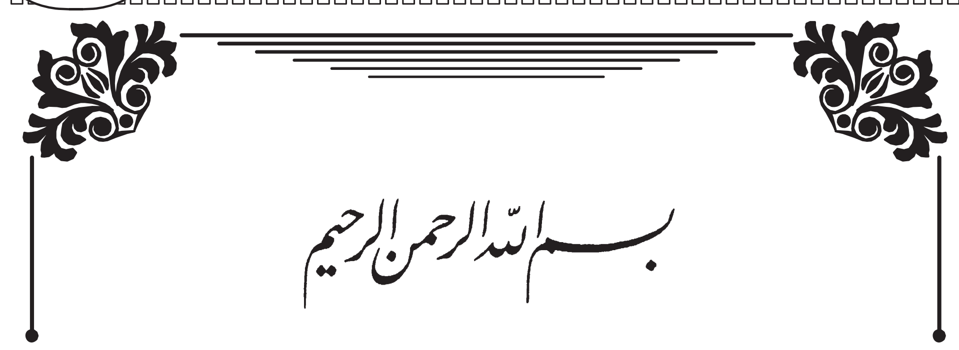
عال — الشيخ — آجه — لمرابط — السالم — الخضر

أحمد — بنات — السالم الصغير — بنت — يسلك — الشيخ — سيد — محمد عبد الرحمن — أحمد جدو — الشيخ

محمد الأمين — خي — سعد بوه — محمد — الشيخ الأدهم — شيخنا — سعد بوه

محمد — عبد المجيد — الحسن — الحسين — ابراهيم — المأمون — السالم — خالد — يوسف — فيصل

محمد — المصطفى — عمار — السالم — أمين — حمزة — عبد القادر — عبد الله — عال — عبد العزيز — عبد الرحمن — عثمان — خالد



وصلَّى الله وسلم وبارك على نبيه الكريم محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً.

إفادة نسبية:

(عمود نسب الشريف ويس بن موسى بن الشريف مود نالله الصالحي الحسني):

وأدلته وبراهينه من كتب النسَّابين والمؤرخين والجغرافيين والرحالة وعلماء البلدان، من لدن الحسن بن علي رضي الله عنهما حتى موسى بن الشريف مود نالله.

وعقبه أُسرة ويس بن موسى بن الشريف مود نالله التي انصهرت في بطن أولاد بوسيف البيض من قبيلة كنتة الفاضلة وصارت تنسب إليهم لسببين اثنين:

السبب الأول: كون أبيهم موسى بن الشريف مود نالله أخ لأم لرئيس أولاد بوسيف البيض المسمى أحمد بن محم بن باب، والسبب الثاني: كونهم أصبحوا من القبيلة حلفاً ووطناً لا نسباً، وقد قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «**حليف القوم منهم**».

والشريف مود نالَّله هو أحد الموديات المنتسبين إلى بني صالح شرفاء كمبي صالح ملوك غانة ومالي من بلاد السودان سابقاً.

فهو ابن عم الشريف مود مالك جد الشرفاء أهل أشفغ مينحن في بطن أولاد سيدي الفاضل من قبيلة بني ديمان الشمشوية.

وابن عمهما الفقيه مودي أوبك جد أهل الطالب أجود، في بطن أولاد إبراهيم من إيدو الحاج القبلة، وبني ديمان أيضاً، ومن أهل الطالب أجود أُسرة أهل العلامة المختار بن باب بن حمدي رحمهم الله جميعاً، ومن الموديات أيضاً الشريف مودي همر صار، جد الشرفاء أهل باهنين، في تشمشه.

ويرجع نسب هؤلاء الشرفاء الموديات إلى الشريف سيدي إلياس «يرو» التنبكتي الوداني، الصالحي الحسني دفين مدينة ودان التاريخية.

إذاً الشريف ويس من ذرية:

الشريف موسى بن الشريف مود نالَّله بن مود بن نلل بن صنب بن ابات بن عال بن محمد المسلم «حم جولط كان» ابن داود بن الشريف سيدي إلياس «يرو» ابن هلال بن العائد بن محمد بن أحمد بن عبدالله الشريف بن هلال الصغير بن عبدالرحمٰن بن عبدالله بن هلال الدمشقي الكبير بن العائد الكناني بن حبيب الله بن عبدالله الشريف كان الأول ابن هذيم بن مسلم بن زيد بن عبدالله أبي الضحاك بن الحسن الشهيد بن عبدالله الشهيد بن محمد الشاعر بن صالح الجوال ابن عبدالله الرضا الشيخ الصالح ـ ويلقب بأبي الكرام ـ ابن موسى الجون بن عبدالله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي وفاطمة رضي الله عنهما.

وقد انتقلت ذرية الشريف صالح بن عبدالله الرضا الشيخ الصالح ـويلقب بأبي الكرام ـ ابن موسى الجون، إلى أفريقيا الغربية منتصف القرن الخامس الهجري، حيث وصلوا مملكة غانة، فكان لهم بها ملك ودولة آخر القرن الخامس الهجري فما بعده، وقد نص على ذلك جماعة من

النسَّابين والمؤرخين والجغرافيين والرحالة وعلماء البلدان، نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر:

١ ـ أبو عبيد البكري المتوفى سنة **٤٨٧** هجرية.

٢ ـ الرحالة ابن فاطمة الغاني المغربي والذي كان حياً سنة **٥٤٥** هجرية.

٣ ـ الشريف محمد بن محمد الإدريسي الحسني المتوفى سنة **٥٦٠** هجرية.

٤ ـ علي بن موسى بن سعيد الغرناطي الأندلسي المتوفى سنة **٦٨٥** هجرية.

٥ ـ أبو الفداء إسماعيل الأيوبي صاحب حماه المتوفى سنة **٧٣٢** هجرية.

٦ ـ القاضي شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله العمري العدوي القرشي الدمشقي المتوفى سنة **٧٤٩** هجرية.

٧ ـ خليل بن أيبك الصفدي الفلسطيني المتوفى سنة **٧٦٤** هجرية.

٨ ـ العلامة عبدالرحمٰن بن خلدون المتوفى سنة **٨٠٨** هجرية.

فقد نص هؤلاء على انتقال ذرية صالح إلى غانة وملكهم لها وانصهارهم في القبائل الزنجية السودانية في منطقة غرب أفريقيا.

أما أبو عبيد البكري المتوفى سنة **٤٨٧** هجرية، فقد نقل عنه المختار بن حامد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الجزء الثامن والعشرين من موسوعته التاريخية، وعنوانه أوائل الشرفاء في موريتانيا ص١ ـ ما نصه:

(الشرفاء في موريتانيا:

أول عائلة شريفة تدخل إلى موريتانيا هي: «أُسرة بني صالح» التي ذكر الإدريسي والبكري أنها كانت تملك في غانة ـ إن صح ذلك ـ).

أما الشريف أبي عبدالله محمد بن محمد بن عبدالله بن إدريس

الحمودي الحسني المعروف بالشريف الإدريسي الحسني المتوفى سنة **٥٦٠** هجرية، فقد كتب عن بني صالح ملوك غانة، في كتابه: «نزهة المشتاق في اختراق الآفاق» ج**١** ص**٢٣** ما نصه:

(وغانة مدينتان على ضفتي البحر الحلو وهي أكبر بلاد السودان قطراً وأكثرها خلقاً وأوسعها متجراً وإليها يقصد التجار المياسير من جميع البلاد المحيطة بها ومن سائر بلاد المغرب الأقصى وأهلها مسلمون وملكها فيما يوصف من ذرية صالح بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي ابن أبي طالب.

وهو يخطب لنفسه لا كنه تحت طاعة أمير المؤمنين العباسي وله قصر على ضفة النيل قد أوثق بنيانه وأحكم إتقانه وزينت مساكنه بضروب من النقوشات والأدهان وشمسيات الزجاج وكان بنيان هذا القصر في عام عشرة وخمسمائة من سني الهجرة).

أما الرحالة ابن فاطمة الغاني المغربي والذي كان حياً سنة **٥٤٥** هجرية، فقد نقل عنه ابن سعيد الغرناطي الأندلسي المتوفى سنة **٦٨٥** هجرية، في كتابه: «بسط الأرض في الطول والعرض» والمعروف أيضاً باسم: «كتاب الجغرافيا» ما نصه: (ومدينة غانة على ضفتي النيل، وبها يحل سلطان بلاد غانة، وهو من ذرية الحسن بن علي ابن أبي طالب رضي الله عنه، وهو كثير الجهاد للكفار، بذلك عرف بيته). انظر: حياة موريتانيا التاريخ السياسي للمختار بن حامد ص**٤٣**.

أما علي بن موسى بن سعيد الغرناطي الأندلسي المتوفى سنة **٦٨٥** هجرية، فقد كتب عن بني صالح ملوك غانة في كتابه: «كنوز المطالب في أنساب آل أبي طالب» كما نقل عنه ذلك الصفدي في كتابه: «الوافي بالوفيات» ترجمة رقم **٥٥٢٦** ـ ما نصه:

(العلوي: صالح بن عبدالله بن موسى بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي ابن أبي طالب.

قال ابن المعتز: خرج صالح هذا بخراسان فأخذ بها وحبس، ثم

حمل إلى المأمون، فلما دخل عليه عنفه فقال له: ما حملك على الخروج عليّ وأنت الذي تقول: [الطويل]

إذا كان عندي قوت يوم وليلة وخمر تقضي هم قلبي إذا جشع
فلست تراني سائلاً عن خليفة ولا عن وزير للخليفة ما صنع

أما نهاك قولك هذا؟ وحبسه، فكتب إلى امرأته بسويقة بالمدينة... قال ابن سعيد المغربي في «كنوز المطالب»: للصالحيين ملك متوارث إلى الآن بغانة في أقصى غرب النيل؛ ذكر الشريف الإدريسي في كتاب: «رجار» أن ملك غانة من ولد صالح المذكور بنى قصره على النيل في عام خمسة عشر وخمسمائة، قال: وفي قصره لبنة من ذهب تبر غير مسبوك فيها ثقب يربط فرسه فيها، ويفخر بذلك على الملوك، ولباسه إزار حرير يتوشح به وسراويل ونعل، وركوبه الخيل، وله بنود وزي حسن، وكفار السودان يحاربونه).

وأما القاضي شهاب الدين أحمد بن يحيى العمري العدوي القرشي الدمشقي المتوفى سنة ٧٤٩ هجرية، فقد كتب عن بني صالح ملوك غانة ومالي من بلاد السودان، في كتابه: «مسالك الأبصار في ممالك الأمصار» ج٢٤ ضمن دول العلويين، تحت عنوان: (أمراء مكة من العلويين) ص٢٩ ـ ٤٢، ما نصه:

(ذكر دولة الكبير ومنهم أهل الينبع: وسنذكر من أين نمى أصلهم، وهم من ولد أبي الكرام عبدالله بن موسى الجون بن عبدالله الكامل بن الحسن المثنى،... ومن بنيه الكراميون، ومنهم الصالحيون وصالح وابنه شاعران جليلان، فأما صالح ابن أبي الكرام فهو الجوال وسمي بذلك لأنه جال أقطار الأرض لخوفه ونشأ بالمدينة والإمامة في رأسه والدعاة تأتيه ولم يمكنه الخروج بجزيرة العرب فخرج بخراسان، فحمل إلى المأمون، فلما دخل عليه لامه وقال: ما حملك على الخروج عليّ وأنت القائل:

إذا كان عندي قوت يوم وليلة وخمر تقضي هم قلبي إذا اجتمع
فلست تراني سائلاً عن خليفة ولا عن وزير للخليفة ما صنع

ثم حبسه.

وأما ابنه محمد بن صالح فهو شاعر مذكور وبطل مشهور، وكان يعرف بالأعرابي للزومه البادية،... وفي هؤلاء الصالحيين ملك متوارث بغانة وقد ذكرناه مكانه).

وإذا كان النسَّابة المؤرخ العمري رحمه الله تعالى قد ذكر في المسالك ثمانية أجداد من هذا النسب الشريف، وهم:

محمد الشاعر بن صالح الجوال ابن عبدالله أبي الكرام بن موسى الجون بن عبدالله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي رضي الله عنهم، فإنه كان على اطلاع باتصال جدنا عبدالله الشريف كان الأول بجده محمد الشاعر بن صالح الجوال.

فقد نقل في كتابه: «التعريف بالمصطلح الشريف» ص**٤٣**، عن الشريف (منسا موسى المعروف بلقب كانكان موسى، وكنكن موسى) فقد نقل عنه دعواه أنه من ذرية عبدالله بن صالح بن الحسن بن علي ابن أبي طالب.

وهذا نصه:

(ملك التكرور وهو صاحب مالي، ومالي عبارة عن اسم إقليم والتكرور مدينة من مدنها... وملك التكرور هذا يدعي النسب إلى عبدالله بن صالح بن الحسن بن علي ابن أبي طالب).

و(عبدالله) هذا هو جدنا عبدالله الشريف كان الأول ابن هذيم بن مسلم بن زيد بن عبدالله أبي الضحاك بن الحسن الشهيد بن عبدالله الشهيد بن محمد الشاعر، وهو المعروف عند السودان بـ: «آيل كان الأول» وكان معاصراً لأمير المرابطين أبي بكر ابن عمر اللمتوني.

ومن ذرية «عبدالله الشريف آيل كان» هذا قبيلتا: «كان وكيتا» ومن فروع قبيلة كان: «الموديات» الذين سبق ذكرهم.

وهذا الإرسال لعمود النسب بين عبدالله وصالح أمكن اتصاله من

كتب النسَّابين والمؤرخين وذلك على النحو التالي، فقد أجمعوا على أن عقب صالح الجوال ابن عبدالله الرضا الشيخ الصالح ـ ويلقب بأبي الكرام ـ ابن موسى الجون. قليل وأنه انحصر في بيتين فقط هما:

١ ـ بيت: صالح بن موسى بن مهبوب بن علوي بن مسلم بن هدلم بن الحسن بن محمد بن زيد بن عبدالله أبي الضحاك بن الحسن الشهيد بن عبدالله الشهيد بن محمد الشاعر بن صالح.

وقد نص على هذه السلسلة الفتوني العاملي في كتابه: «حدائق الألباب في الأنساب» ويوافقه فيها الشريفين: جمال الدين أبي الفضل أحمد بن محمد بن المهنا الحسيني العبيدلي من أعلان القرن السابع الهجري، في كتابه «التذكرة في الأنساب المطهرة» والسيد الشريف العلامة جعفر الأعرجي الحسيني في كتابه: «الأساس لأنساب الناس»، ويختلفان معه في نطق بعض الأسما كـ «صالح» الأخير فقد كتباه باسم «صباح بن موسى»، وكـ «هدلم» فقد كتباه باسم هذيم. وكـ «مهبوب» فقد كتباه بلفظ: «محبوب».

ولو قلنا بأن «عبدالله» المرسل نسبه إلى صالح مباشرة كما ورد في: «التعريف بالمصطلح الشريف» هو: ابن صالح هذا المعروف بصباح بن موسى بن مهبوب... لتعذر ذلك لسببين أساسيين.

أولاً: أن «صالحاً» هو الحفيد الرابع عشر لصالح الكبير، وقد أخذ صالح الكبير وحبس أيام الخليفة المأمون العباسي الذي تولى الخلافة بين عامي: (١٩٨ ـ ٢١٨ هجرية) مما يعني حسب الحساب الزمني للأنساب أن صالحاً الثاني ولد في القرن السادس الهجري.

ولا يمكن أن يكون «عبدالله الشريف كان» الذي وصل إلى مملكة غانة حوالي منتصف القرن الخامس الهجري من صلبه وقد بنى ولده: قصر كمبي صالح سنة ٥١٠ هجرية بمعنى أنه مات وحكم بنوه غانة قبل ولادة صالح الثاني.

وأما السبب الثاني: هو أننا لو نسبناه إليه لطال عمود النسب فوق

الحد المقبول لطول السلسلة عند النسَّابين وأكثره أربعة أجيال للقرن الواحد وأقله ثلاثة لكل قرن.

وأما البيت الثاني فهو: هذيم بن مسلم بن زيد، وزيد هذا هو الذي يجتمع عنده البيتين، فلم يبق من شك أن عبدالله الشريف المرسل عمود نسبه إلى صالح، هو من ولد هذيم بن مسلم بن زيد، لموافقته للحساب الزمني لسلاسل الأنساب أولاً، ولتعذر اتصاله بصالح الثاني ثانياً، كما مر معنا، ولانحصار نسل صالح الكبير وعقبه في هذيم وصالح الثاني، ثالثاً وعدم خروجه عنهما، رابعاً وعليه يحمل الإرسال الوارد لعبدالله بن صالح عليه.

وأما عمود النسب بين الشريف سيدي إلياس «يرو» التنبكتي الوداني، وبين عبدالله الشريف آيل كان الأول ابن هذيم، فهو محفوظ في ذاكرة أحفاده من قبيلة كان، ونسَّابة التكارير ومؤرخيهم.

وقد نص على شرف الشريف سيدي إلياس «يرو» التنبكتي الوداني جماعة من النسَّابين والمؤرخين الشناقطة نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر:

١ ـ العلامة والد بن خالنا الديماني في كتابه: «الأنساب»، والشيخ محمد سعيد اليدالي في مدحه لأشياخه الشرفاء أهل مود مالك، والعلامة محمدو بن البراء بن بك الديماني، في نظمه لنسب الشرفاء أهل مود مالك، ومحمد فال البناني في موسوعته أنساب بني ديمان، والعلامة حمدا بن التاه، . . . وغيرهم.

وأما عن صلة الشرفاء أهل مود نالله وأبناء عمومتهم من الموديات بالشريف سيدي إلياس «يرو» التنبكتي الوداني، فقد نص على ذلك لفيف كثير من النسَّابين والمؤرخين من السودان والبيضان حتى وصل ذلك حد التواتر، من ذلك أيضاً إفادات كتبها كل من أحمد بن محمد بن الشيخ سيدي، وكراي بن أحمد يور، وحمدا بن التاه، والعلامة محمد سالم بن عدود. . . وغيرهم.

فقد نظم أحمد بن محمد بن الشيخ سيدي في شرف أهل مود نالله ما نصه:

أهل مود نل باعتراف القبائل	لهم شرف يشدو به كل قائل
وأثبت أهل العلم ما ينسبونه	لأنفسهم مع اقتناء القبائل
ويكفي من الإثبات ما كان ثابتاً	لأهل العلوم في جميع المسائل
ولا خلف في مود نل وأصله	فإنهم كانوا كرام الشمائل

وأدركت الناس لا يمترون في شرف أهل مود نل والناس في ذلك العصر ناس.

كتبه:

أحمد بن محمد بن الشيخ سيدي

أما العلامة محمد سالم بن عدود فقد كتب عن شرف مود نالله ما نصه:



الحمد والصلاة والسلام على محمد رسول الله وعلى آله ومن اهتدى بهداه:

أما بعد؛ فقد أطلعني الأستاذ المهابة بن محفوظ على وثائق تتضمن خطوط أعيان من أهل هذه البلاد تثبت اتصال نسب أسرته آل عيسى المعروف بتصغير لفظ عيسى باللهجة الحسانية بالصالح الشهير (مودي ان الله) وكلمة «مودي» بالسنونكية بمعنى الشيخ أو الولي أو العالم، و«إن» بالصنهاجية أداة إضافة، فمعنى هذا التركيب ولي الله.

كما تثبت انتساب هذا الصالح إلى البيت النبوي الشريف.

فمن هؤلاء الأعيان:

إسحاق بن محمد بن باب ابن الشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيدي.

وإسحاق بن أبي مدين بن الشيخ أحمد بن سليمان.

وكراي بن محمد باب بن امحمد بن أحمديور بن محمذن بن أحمد ابن العاقل.

وحمدا بن سيدي بن المختار ام بن محمذن بن أحمد بن العاقل.

ومحمد بن المصطفى بن محمد سيدينا البارتيلي.

والقاضي محمد الحسن بن منان.

والقاضي الناجي بن امحود، ومحمد بن محمد فال بن إديجي الحاجيان. وغيرهم.

ومنهم من نقل عن العالم الأديب المؤرخ المختار بن حامد بن محمذن بن محنض بابه، ومنهم من نقل عن محمد الخضر ابن الشيخ سيدي عبدالله بن مايابي.

وقد أكثر جلهم من التنويه بفضل هذا البيت، وخصوا محمد ميارة باني وواقف المسجد العتيق بأبي تلميت.

غفر للجميع وسلم الأحياء منهم ورحم الأموات.

كتبه: محمد سالم بن محمد عال بن عبدالودود لليلتين خلتا من ذي القعدة سنة أربع عشرة وأربعمائة وألف للهجرة.

أما العلامة حمدا بن التاه فقد كتب عن شرف مود نالله وأبناء عمومته أهل مود مالك، وأهل مود أوبك ما نصه:

(بسم الله الرحمٰن الرحيم:

وصلى الله على نبيه الكريم:

وبعد؛ فإنه من المتواتر عند علمائنا ومؤرخينا أن: «مودي مالك، ومودي نلل، ومودي أوبك شرفاء» وقد برهنوا على ذلك من خلال سلوكهم وكرمهم وكراماتهم، ولا شك أن النسب يحاز وتترتب على ذلك أحكامه الشرعية. وقد ساهمت هذه الجماعة في دعم المنهج الشمشوي، ومن الجدير بالذكر أن من ذرية مودي مالك عشير كثير يقطن بين أولاد سيد الفال وإدابهم ويطلق عليهم اسم «أهل الفغ مينحن»، ومن أسرهم أهل آبود وأهل إمام، وأهل بيين، وأهل حمزة.

وأما أهل مودي نلل فإن بعض جماعتهم يقطن أبي تلميت ويعرفون باسم أهل اعويس، ومن أسرهم المشهورة أهل ميارة وأهل شامخ وأهل محمد محمود وهم الآن بطن من أهل الحاج المختار، ومحمد ميارة المذكور هو مؤسس الجامع العتيق في أبي تلميت وقد اشتهر بالاستقامة والصدق والإنفاق.

وأما أهل مودي أوبك فإنهم يعرفون بأهل الطالب أجود ومن أبرز أسرهم أهل حمدي وهم الآن يسكنون في إدو الحاج بالمذرذرة وأولاد ديمان، ويوجد عشير من أبناء أهل مودي مالك، وأهل مودي نلل يسكن في قبيلة إذو الحاج في وادان.

والله ولي التوفيق.

❍ ❍ ❍ ❍ ❍ ❍





حمدا بن التاه

وقد نظم العلامة حمدا بن التاه لامية في شرف مودي نالله، وهي من بحر الوافر وهذا نصها:

لأبناء مود نلل من المعالي ... وأنواع المحامد والخصال
بدور من بني الأشراف تمنى ... لسيد إلياس جوهرة الكمال
جزى اللّه المهابة كل خير ... وألهمه الصواب من المقال
فقد أبدى من الورقات كنزا ... من آل البيت أفضل كل آل
بأنقال تدعمها رواة ... تؤيدها القرائن بالتوالي
بدور قد بنى ميار منها ... صروحاً قد سمت فوق الجبال
وعبد القادر الطرف المجلي ... من أهل البيت من ذاك الزلال
محمد إن ترد محمود فعل ... تجده في السيادة والنوال
وللأبناء بالآباء سر ... لآل من لآل من لآل
كرام إن دعوا للبذل يوماً ... أسود حيثما دعيت نزال

الأستاذ/ حمدا ولد التاه

وأما عن شرف أُسرة أهل ويس بن موسى وصلتها النسبية بالشريف مود نالله، فإن ذلك أمر مجمع عليه عندنا بني صالح، وعند أعيان أولاد بوسيف البيض من قبيلة كنتة، وشهد بذلك العلامة حمدا بن التاه أيضاً.

ويعتبر الشريف يحيى ويس مودي نالله الصالحي الحسني، أحد زعماء قبيلة بني صالح اليوم وهو المشرف الأول على جمعية بني صالح، وهذا أمر غير مطروح للنقاش عندنا بني صالح شرفاء كمبي صالح ملوك غانة ومالي من بلاد السودان سابقاً.

وأما عن شهادة أعيان أولاد بوسيف البيض وغيرهم من قبيلة كنتة.

فهناك إفادة صدرت من زيني بن محمد بن حمادي رئيس قبيلة أولاد بوسيف المذكورة.

وأيضاً من ابني عمه: إدوم بن عابدين، وحمادي بن عابدين وهما من ذرية الشيخ سيدي المختار الكنتي.

حيث صدقوا وشهدوا على الإفادة المذكورة ونصها:

بسم الله الرحمٰن الرحيم:

شهادة على عمود هذا النسب الذي تحمل هذه الوثيقة وهذه الشهادة تتلخص فيما يلي:

١ ـ أن أبناء ويس بن موسسى بن مودنل ينتسبون إلى أحد السبطين.

هو الحسن بن علي ابن أبي طالب وأمه فاطمة الزهراء.

٢ ـ هذه الأُسرة التي جاءت من هذه الشجرة عاشت في أولاد بوسيف البيض وصارت تنتسب إليهم لسببين اثنين:

السبب الأول: كون أبيهم أخ لأم لرئيس أولاد بوسيف البيض المسمى أحمد بن محم بن ياب.

والسبب الثاني: كونهم أصبحوا في القبيلة وطناً لا نسباً.

وقد مرت هذه الوثيقة بموثق محكمة ألاك وصدقها.

أما شهادة العلامة حمدا بن التاه عن شرف أُسرة ويس فهي:

بسم الله الرحمٰن الرحيم:

الحمد لله:

أما بعد؛ فإن الناس مصدقون في أنسابهم وإن النسب يحاز، هذا بالإضافة إلى شهادة العدول وعلى هذا الأساس فإنني أسلم ما ورد من نسب لآل مود نل إلى الشرف وهو أمر يصل إلى درجة التواتر عندنا ولا يجوز الطعن فيه ولا النقد، كما نسبة السيد يحيى إلى هذا البيت ثابتة هي الأخرى، والمراد: (يحيى بن ويس).

والله ولي التوفيق.

توقيع: حمدا بن التاه

○ ○ ○ ○ ○ ○

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله

اما بعد فان الناس مصدقون في انسابهم وان النسب يحاز وهذا بالاضافة الى شهادة العدول وعلى هذا الاساس فاني اسلم ما ورد من نسب ذلك الى موصل الى الشرف وهو امر يصل الى درجة التواتر عندنا ولا يجوز فيه ولا الطعن كما نسبة الى هذا البيت ثابتة في الاخرى والراحل يحيى بن محمد بن حمى بن بكر وسى

والله ولي التوفيق

بتاريخ 2011/12/27

بسم الله الرحمن الرحيم

بتاريخ : 2011/12/26

شهـــادة

شهادة عل عمود هذا النسب الذي تحمل هذه الوثيقة وهذه الشهادة سخص في ما يلي :

1- أن أبناء ويس بن موسى بن مود نل ينتسبون الي أحد السبطين هو الحسن بن علي ابن ابي طالب وأمه فاطمة الزهراء.

2- هذه الأسرة التي جاءت من هذه الشجرة عاشت في أولاد بوسيف (البيض) وصارت تنتسب إليهم لسببين إثنين : السبب الاول كون ابيهم أخ لأم لرئيس أولاد بوسيف البيض المسمي أحمد بن محم بن باب والسبب الثاني كونهم أصبحوا في القبيلة وطنا لا نسبا.

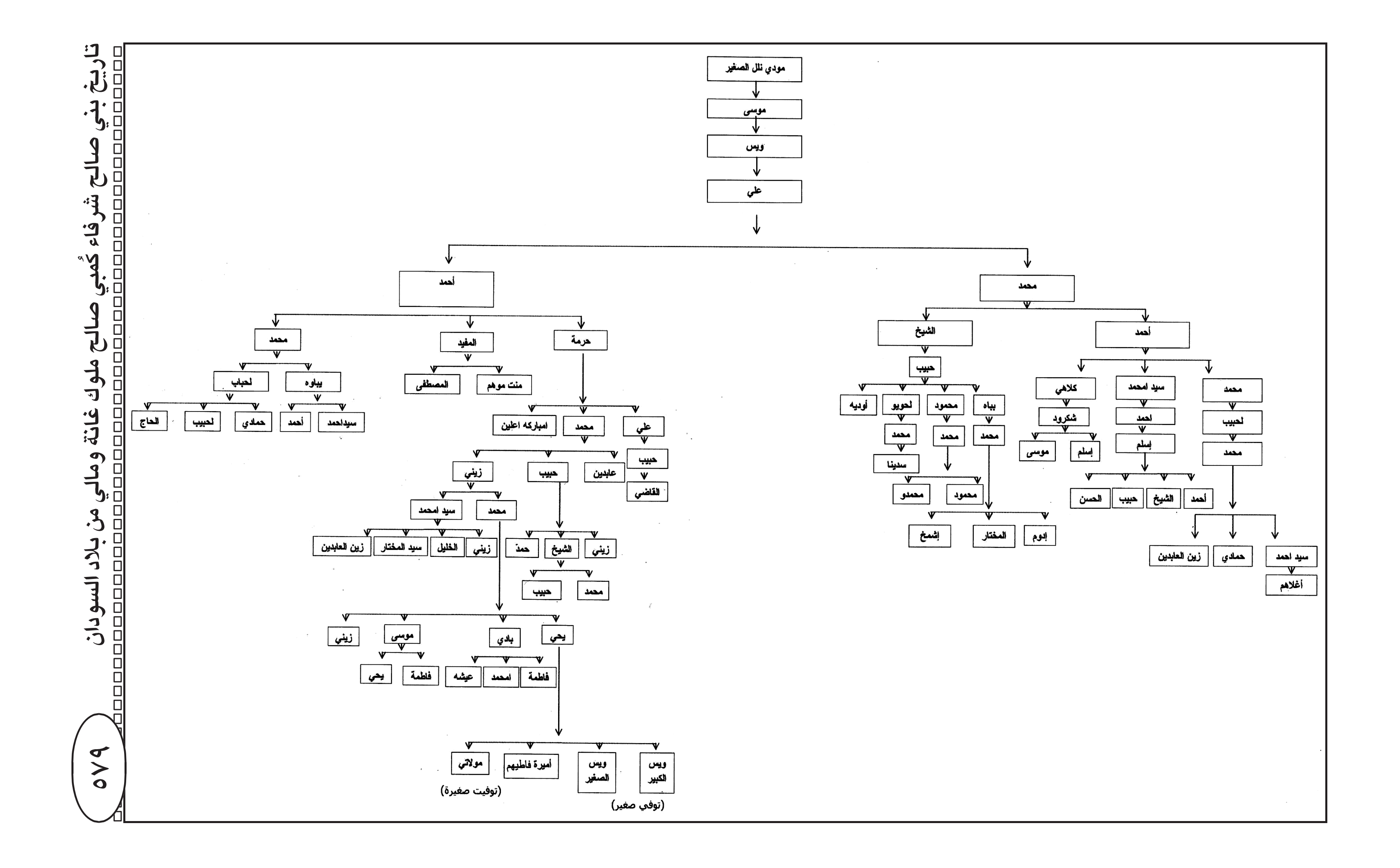
وقد مرت هذه الوثيقة بموثق محكمة الاك وصدقها.

الشهود الموقعون علي هذه الوثيقة :

رئيس القبيلة المذكورة

باسمي حمادي بن عابدين أثبت بسماعي وبالتواتر عندنا ما في هذه الوثيقة من نسب هذه الأسرة

أثبت ما رسم فيه بالوثيقة


مودي نلل الصغير
موسى
ويس
علي
محمد
أحمد
الشيخ
حبيب
بياه
محمود
لحويو
أوديه
محمد
محمد
محمد
سدينا
محمود
محمدو
إدوم
المختار
إشمخ
محمد
سيد امحمد
كلاهي
لحبيب
احمد
شكرود
محمد
إسلم
إسلم
موسى
أحمد
الشيخ
حبيب
الحسن
سيد احمد
حمادي
زين العابدين
أغلاهم
حرمة
المفيد
محمد
منت موهم
المصطفى
بياوه
لحباب
سيداحمد
أحمد
حمادي
لحبيب
الحاج
علي
محمد
امباركه اعلين
حبيب
القاضي
عابدين
حبيب
زيني
محمد
سيد امحمد
زيني
الخليل
سيد المختار
زين العابدين
زيني
الشيخ
حمة
محمد
حبيب
يحي
بادي
موسى
زيني
فاطمة
امحمد
عيشه
فاطمة
يحي
ويس الكبير
ويس الصغير
أميرة فاطيهم
مولاتي
(توفي صغير)
(توفيت صغيرة)

أسرة سيدي ولد محمد ولد مودي ولد نلل ولد الشريف مودي نلل في آدرار

قدم سيدي ولد محمد ولد مودي ولد نلل ولد الشريف مودي نلل إلى آدرار في القرن التاسع عشر الميلادي برفقة خاله ابوساتيكي التكروري (ابن الأمراء)، ورفيقاً لهم اسمه باتي، وعبدالرحمٰن كاي، ورفيق لهم اسمه دندرا، واسم رفيقهم هذا (دندرا) يدل على أنه ينحدر من منطقة دندرا وهي منطقة من مناطق الحوض الشرقي في حدود مدينة ولاته وهذا حسب إحدى الروايات الشفهية، وقيل في رواية أخرى وهي الراجحة أنهم قادمون من منطقة الجنوب وتحديداً الضفة الشمالية قرب انتيكان.

ويقال هنا أن أبو ساتيكي هو جد أسرة أهل أحمين سالم[١] القاطنة في وادان في قبيلة أغزازير، وأما رفيقهم أباتي فأسرته تحمل نفس الاسم أهل أباتي في إيدو علي شنقيط (أكافا الخادم). وأما عبدالرحمٰن كايه فهو جد أسرة أهل كايه المنتسبون لقبيلة أسماسيد حالياً ويحملون اسم (كايه) بدل (كاي)[٢]،

(١) والقول بأن أهل أحمين سالم أصلهم من بمباره غير صحيح، وبأن اسم جدهم القادم إلى وادان اسمه (ماص البمباري) خطأ، بل هو أبو ساتيكي التكروري.

(٢) وعبدالرحمٰن كاي (كايه)، لم أحصل على شجرة هذه الأسرة رغم معرفتي ببعض أفرادها، وهم معروفون بالفضل والسمعة الطيبة في المنطقة في قبيلة أسماسيد.

أما دندره فأحفاده يحملون نفس اسم جدهم[١]، وهم الآن في قبيلة (تكنه في مدينة شنقيط).

ـ تزوج سيدي بن محمد بن الشريف مودي نلل عند قدومه إلى آدرار من زوجته الأولى: (فاطمة منت ساكه) من أولاد غيلان، وله منها ابنه: محمد وهو جد أسرة أهل لكور القاطنة في أهل سيد احمد بوفارس الادرارية، وقبل ذلك كانت مكاتبة أسرة أهل محمد لكور الشرفاء لقبيلة إيديشلي.

وقد أشار القاضي: (محمد الأمين ولد المصطفى ولد البح العلوي الشنقيطي إلى ذلك عند ذكره سبب وجود أهل يورا في فخذ أمكاريج ـ إيدو علي شنقيط، إذ ذكر رحلة جدهم القادم من جنوب البلاد ورفقته).

ـ وتزوج سيدي بن محمد بن الشريف مودي نلل من زوجته الثانية: (فاطم منت محمد بوطبول[٢] الإيدولحاجية الودانية) وله منها ابنيه (محمد محمود، وأحمد) ـ محمد محمود هو جد أهل السالك المختار القاطنين في قبيلة أغزازير، ولهم الخؤولة فيها، وقد حج محمد محمود بن سيدي بن محمد بن الشريف مودي نلل وترك ابنه السالك المختار في وادان، ولم يعد محمد محمود بن سيدي بن محمد بن الشريف مودي نلل من حجته تلك وقيل أن له أحفاد يقيمون في بلاد الحجاز حالياً[٣].

أما أحمد بن سيدي بن محمد بن الشريف مودي نلل هو جد أهل

---

(١) وينحدر من هذه الأسرة سيدي ولد دندرا المنفق الكريم رحمة الله عليه الذي هو سمي جدنا سيد ولد يورا ولد أحمد ولد محمد ولد سيدي ولد مودي نلل، وكان يقطن في أنواكشوط بمقاطعة لكصر، وأبناؤه حالياً في مقاطة تيارت ـ أنواكشوط.

(٢) أهل بو أطبول حسب قول المؤرخ الوداني سيدي ولد عابدين سيدي هي الأسرة التي تعلن الحرب وتشعر أهل وادان بالخطر القادم من خلف الأسوار (كان لهذه الأسرة الطبل الذي يدق لإعلان الخطر والحرب).

(٣) لم نتمكن من معرفة أحفاد محمد محمود ولد سيدي ولد مودي نلل الموجودون في المملكة العربية السعودية، رغم لقاء بعض العلويين (حجاج من أيدوعلي) لأشخاص ينتسبون إليه في بلاد الحجاز في العقود الماضية.

يورا القاطنين في قبيلة إيدو علي ـ فخذ أمكاريج شنقيط ويتواجد أفراد هذه الأسرة في مدينة شنقيط ومدينة أطار وازويرات ولحويطات في تكانت وأنواذيبو وأنواكشوط.

كما توجد أسرة من أهل يورا ويطلق عليها نفس هذا الاسم (أهل يورا) مقيمة في قبيلة زمبتي جنوب البلاد في أرغيوات شرق مدينة روصو ١٨كم منها على طريق بوكي، وأبو أسرة أهل يورا هذه الموجودة في قبيلة زمبتي هو سيدي بن يورا بن يعقوب بن يورا بن أحمد بن سيدي بن محمد بن الشريف مودي نلله.







أهل سيدي ولد مودي نلل بولاية آدرار

وهم ذرية الحاج سيدي بن محمد بن مودي بن نلل بن مودي نلل الصغير.

قدم الحاج سيدي بن مودي نلل إلى آدرار في القرن التاسع عشر لأداء فريضة الحج من شنقيط رفقة جماعة من أتكارير منهم خاله ابوساتيكي، بعد حجته عاد إلى شنقيط في ركب من الناس أغلبهم من العلويين فمكث فترة لطلب العلم هناك، تزوج خلال تلك الفترة من فاطمة من ساكه من أولاد غيلان، وهي زوجته الأولى في منطقة أدرار، وله منها ابنه محمد الذي لقب بمحمد لكور نسبة إلى خؤولة أبيه من التكارير. وتزوج سيدي بن محمد بن الشريف مودي نلل من زوجته الثانية في وادان وهي فاطمة منت محمد بوطبول الإيدولحاجية وأنجبت له ابنيه محمد محمود وأحمد.

أما محمد محمود فهو جد أهل السالك المختار المقيمين في قبيلة أغزازير ـ وادان. أما أحمد فهو جد أسرة أهل يورا المقيمة في مدينة شنقيط. في قبيلة ايدوعلي. فخذ آمكاريج.

وقد تزوج محمد لكور بـ المومنة منت أقذل من ايديشلي وكانت قد أنجبت قبله ابناً اسمه اسويد أحمد نوح من ايديشلي أيضاً. وأنجبت لسيدي بن محمد بن الشريف مودي نلله أبناء وبنات. منهم تفرعت الأسرة

المعروفة بأسرة أهل لكور بركبت آدرار، وهم يقيمون حالياً في قبيلة أهل سيد أحمد بوفارس، وقد عاشت أسرة أهل لكور فترة طويلة مع أخوالهم قبيلة ايديشلي، وكانوا يقاتلون ويحاربون معهم وكان من بين رجالهم رجال أشداء عرفوا بالبسالة والشجاعة والكرم أمثال أحميداه بن لكور، وأحمد الملقب لحجاب، وسيدي الملقب كيناب وغيرهم من الرجال الأبطال البواسل الذين عرفوا بالكرم والبسالة والإقدام.

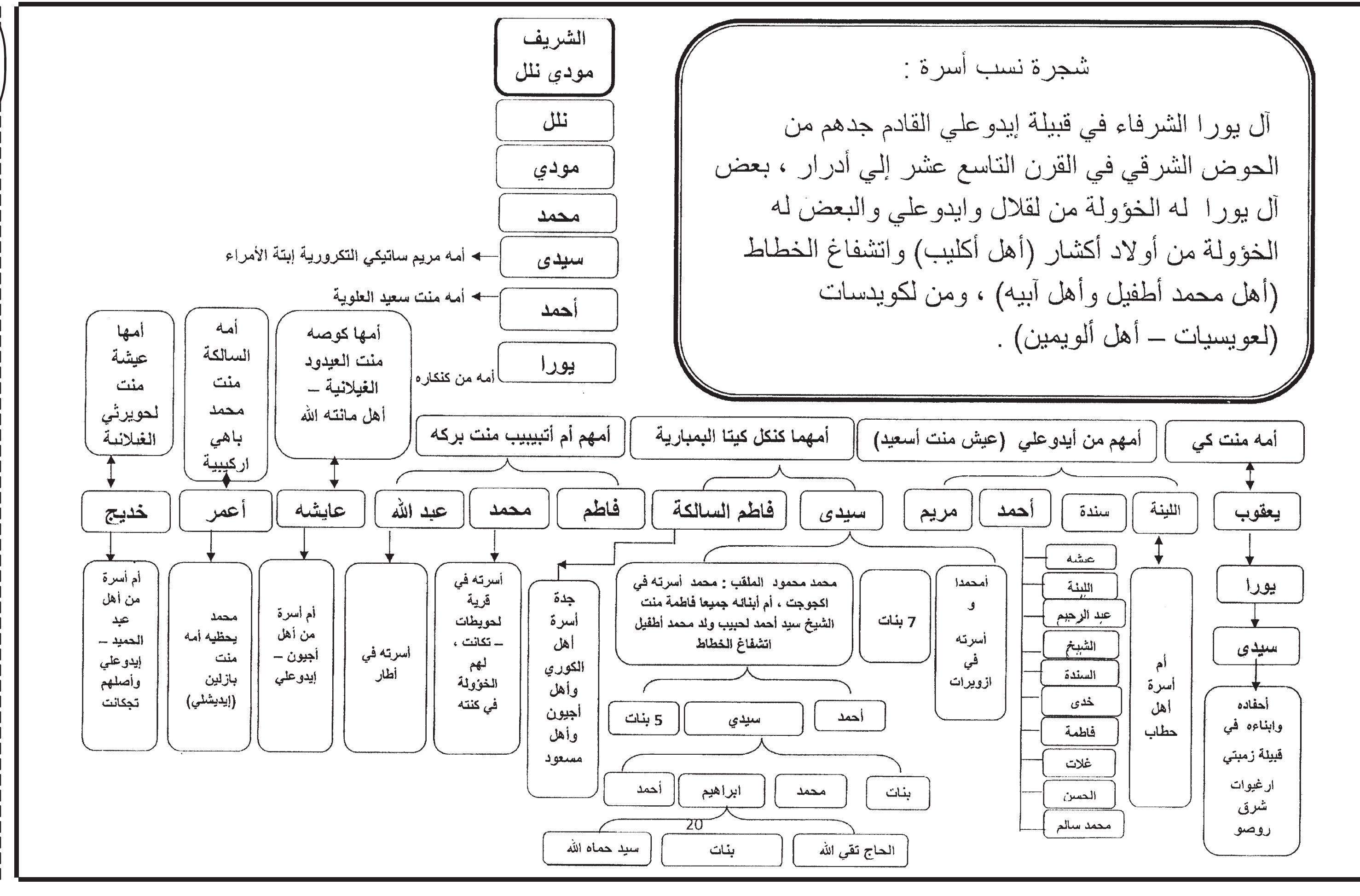
وكان أهل لكور هم أول من غرس النخيل في منطقة اكرارت لفرص في واديا لحفيره وازويكه وملكهم قائم فيهما حتى الآن، بعد ذلك كاتب أهل لكور قبيلة أهل سيد أحمد بوفارس التي تسكن وتقطن في نفس المنطقة، والذين كانوا في حلف مع أخوال أهل لكور: أهل الشيخ ول بكار من ايديشلي. وقد صاروا بفعل التلاحم والترابط والخؤولة جزءاً لا يتجزأ من هذه القبيلة، والكثير من أهل لكور حالياً لهم الخؤولة من أسر أهل سيد أحمد بوفارس.

قدم الجد الشريف المودي سيدي بن الشريف مودي نلل من منطقة دندرا وهي تامورت بالحوض الشرقي قرب ولاته، وهي تامورت لا تنضب طيلة العام عرفت بمائها العذب ومراعيها الخصبة. وهذا حسب إحدى الروايات.

وفي رواية أخرى وهي الأرجح أنه قادم من الجنوب وتحديداً منطقة انتيكان، ويدعم هذه الرواية أن الشيخ الفاضل سيد محمد ول الصديق زعيم قبيلة أهل سيد أحمد بوفارس في القرن المنصرم ذهب في رحلة قوافل إلى الجنوب له رفقة من قبيلة ايدوعلي، فمر بانتيكان وبعض المناطق المحاذية للضفة الشمالية للنهر، ولقي هنالك أشخاصاً أخبروه بإثباتات شفوية تأكد وتبرهن على شرف أحفاد وأبناء الشريف مودي نلل، وكانت زوجة زعيم قبيلة أهل سيد أحمد بوفارس هي السيدة الفاضلة: خديجة منت سيدي ول محمد ول مودي نلل الملقبة (أحديده)، وكانت معروفة بالفضل والصلاح.

شجرة الشرفاء أهل محمد لكور بن سيدي بن محمد بن مودي بن نلله بن مودي نلله الموجودين في قبيلة أهل سيد أحمد بوفارس بأدرار – مقاطعة أوجفت – بلدية المداح منطقة اكرارت لفرص

- مودي بن نلله بن الشريف مودي نلله الصغير
  - محمد
    - الحاج سيدي
      - محمد محمود (جد أسرة أهل السالك المختار تسكن في أغزايز – ودان)
      - أحمد (جد أسرة أهل بوره في ايدوعلي شنقيط)
      - محمد لكور
        - أعل (لم يعقب)
        - سيدي (زوجته منت تكرمه ايديشلي)
          - أحمد
          - محمد (لم يعقب)
            - ابراهيم: محمد، سيد، أعل، أحمد سالم
            - أعل: اكيبدان، سيد أحمد، أحمد سالم، محمد، ابراهيم، سيد
            - سيدي: محمد، ابراهيم، أعل، أحمد
          - أعل (زوجته العالبة منت الحسن ايديشلي)
            - حمود
              - أعل
            - الوالد
              - حسين: ابناء وبنات
              - حمود: ابناء وبنات
              - محمد: لم يعقب
            - محمد
              - سيد أحمد: ابناء وبنات
              - حمود: ابناء وبنات
        - ابراهيم (زوجته منت أخيار ايديشلي) (من زوجاته مريم ريوك ايديشلي)
          - محمد (زوجته منت أقذل ايديشلي)
            - سيد أحمد
              - عثمان: ابناء وبنات
          - الشيخ (زوجته فاطمة منت العبد ايديشلي)
            - سيد كيناب (لم يعقب)
            - اعل
              - محمد: ابناء وبنات
              - سليمان: لم يعقب
              - سيد: ابناء وبنات
              - الشيخ: ابناء وبنات
        - أحمد (من زوجاته منت الصفره ايديشلي)
          - احميداه
            - محمد (لم يعقب)
          - اعل
            - محمد (لم يعقب)
          - ابراهيم
            - فطمة
          - أمحمد لحجاب (وزوجته منت نوح ايديشلي)
            - محمد أم (لم يعقب)


شجرة نسب أسرة :
آل يورا الشرفاء في قبيلة إيدوعلي القادم جدهم من الحوض الشرقي في القرن التاسع عشر إلي أدرار ، بعض آل يورا له الخؤولة من لقلال وايدوعلي والبعض له الخؤولة من أولاد أكشار (أهل أكليب) واتشفاغ الخطاط (أهل محمد أطفيل وأهل آبيه) ، ومن لكويدسات (لعويسيات – أهل ألويمين) .
الشريف مودي نلل
نلل
مودي
محمد
سيدى
أمه مريم ساتيكي التكرورية إبتة الأمراء
أحمد
أمه منت سعيد العلوية
يورا
أمه من كنكاره
أمه منت كي
أمهم من أيدوعلي (عيش منت أسعيد)
أمهما كنكل كيتا البمبارية
أمهم أم أتيبيب منت بركه
أمهما كوصه منت العيدود الغيلانية – أهل مانته الله
أمه السالكة منت محمد باهي اركيبية
أمها عيشة منت لحويرثي الغلانية
يعقوب
اللينة
سندة
أحمد
مريم
سيدى
فاطم السالكة
فاطم
محمد
عبد الله
عايشه
أعمر
خديج
يورا
سيدى
أحفاده وابناءه في قبيلة زمبتي ارغيوات شرق روصو
أم أسرة اهل حطاب
عشه
اللينة
عبد الرحيم
الشبخ
السندة
خدى
فاطمة
غلات
الحسن
محمد سالم
أمحمدا و أسرته في ازويرات
7 بنات
محمد محمود الملقب : محمد أسرته في اكجوجت ، أم أبنائه جميعا فاطمة منت الشيخ سيد أحمد لحبيب ولد محمد أطفيل اتشفاغ الخطاط
5 بنات
سيدي
أحمد
أحمد
ابراهيم
محمد
بنات
20
سيد حماه الله
بنات
الحاج تقي الله
جدة أسرة أهل الكوري وأهل أجيون وأهل مسعود
أسرته في قرية لحويطات – تكانت ، لهم الخؤولة في كنته
أسرته في أطار
أم أسرة من أهل أجيون – إيدوعلي
محمد يحظيه أمه منت بازلين (إيديشلي)
أم أسرة من أهل عبد الحميد – إيدوعلي وأصلهم تجكانت

(آل الشريف سيدي أحمد آده)
قضاة وأمراء «أروان»
بمنطقة «أزواد» شمال دولة مالي

فقد ذكر نسابتهم: العلامة الشريف المجاهد القاضي محمد محمود ـ ابن الشيخ بن سيدي ببكر بن القاضي سيدي أحمد ابن القاضي سيدي محمد بير ابن القاضي سيدي الوافي ابن القاضي طالبنا ابن القاضي محمد إداكينا ابن القاضي الشريف سيدي أحمد بن آده الأرواني الصالحي الحسني، رحمه الله تعالى.

إن نسبهم الشريف ينتهي إلى بني صالح ملوك غانة من بلاد السودان، حيث يقول معرفاً بنسبه:

قال الفقير واسمه محمد محمود   نجل الشيخ ربي أحمد
الفاطمي الحسني محتدا   موطنه تمبكتو كانت مولدا

ويقول أيضاً:

من في الفقرا معدود   من اسمه محمد محمود
والده الشيخ سليل الحسن   سبط النبي حائز كل حسن
موطنه تمبكتو وهي الوطن   والفرع والأصل بها قد قطنوا

هذه أبيات من مقال حول ترجمته كتبه ابنه الأستاذ الشاعر الأزوادي: عادل محمد محمود الشيخ، وقد تقدم ذلك.

حيث بدأ المقال بقوله: لمحة تاريخية مختصرة عن الإمام العلامة محمد محمود بن الشيخ بن سيدي بوبكر الأرواني هو:

من بني صالح صاحب مدينة كمبي صالح عاصمة سلطنة غانا القديمة والذين تفرقوا في الصحراء الكبرى وفي الشمال الأفريقي ما بعد القرن السادس الهجري أولاً إلى الجزائر في جبل البليدة ثم إلى تونس والمغرب وإلى ليبيا في تاورت في منطقة الشط وفي داخل بلاد شنقيط القديمة وفي منطقة أزواد عند الطوارق الملثمين وإلى مصر في آيت البارود وفي السودان وهم من سلالة موسى الجون الحسني الذي أبناؤه في اليمن والعراق والبحرين والأردن وبلاد الحجاز...

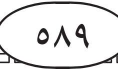
وقد أسس جدهم الشريف العلامة سيدي أحمد آده مدينة أروان سنة ١٠٠١ هجرية وتزوج من قبيلة مقشرن سكان الإقليم الأصليين امرأة اسمها فاطمة الفردوس بنت أحمد بن فرديمس، وأنجب منها ابنين هما: محمد المعروف بداكينا وأبناؤه ثلاثة:

القاضي طالبن جد أهل القاضي في أروان، وألفق سليمان، جد أهل الفق، والأمير سيدي الوافي والد الأمير سيدي أحمد نور جد أهل نور.

والثاني: الوافي الملقب بالمتعمبر جد أهل الحبيب، ومنهم تفرعت ذرية طيبة وشجرة مباركة اشتهرت بكثرة علمائها وأمرائها.

وقد وردت تراجم علمائهم في كتب تراجم وسير أعيان غرب أفريقيا.

من ذلك ما ورد في كتاب «فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور» تأليف: أبي عبدالله الطالب محمد ابن أبي بكر الصديق البرتلي الولاتي رحمه الله تعالى، حيث ترجم للعلامة الجليل القاضي: «طالبن الملقب بسنبير بن القاضي سيدي الوافي بن طالبن بن السيد الصالح بن سيدي أحمد بن آده الأرواني الصالحي الحسني، رحمهم الله تعالى.





الشرفاء أهل الطالب محمود بولاية لعصابة ومقاطعة تنبدغة

وهم أبناء الشريف الطالب محمود الكُمبي ـ دفين (إنتاكات) بمقاطعة كرو ـ ابن أحمد بن محمد بن عبدالرحمٰن بن راشد بن يار بن شيرن مود بن الشريف مود نلل بن صنب بن إبات بن عال بن محمد المسلم (حم جولط كن) ابن داود بن الشريف سيد إلياس التنبكتي الواداني الصالحي الحسني.

وعقبه من أبنائه السبعة وهم:

الشريف أحمد، والشريف الطالب مختار، والشريف يوسف، والشريف سيدي، والشريف إبراهيم، والشريف عمار، والشريف المولود.

وهؤلاء أبناء الشريف أحمد بن الطالب محمود الكمبي.

فقد خلف ابنين هما:

سيد إبراهيم ومحمد المختار.

أما محمد المختار بن أحمد بن الطالب محمود الكُمبي فقد ولد بنتاً اسمها خي.

وأما سيّد إبراهيم بن أحمد بن الطالب محمود الكمبي.

فقد ولد ابنين هما:

محمد الإمام، ومحمد محمود.

أما محمد الإمام فخلف ابنين هما: سيّد إبراهيم وفراح.

أما فراح بن محمد الإمام فلا عقب له.

وأما سيّد إبراهيم بن محمد الإمام فقد خلف ثلاثة بنين هم: محمد بن سيّد إبراهيم، وفراح بن سيّد إبراهيم، وأحمد بن سيّد إبراهيم.

أما أحمد بن سيّد إبراهيم، وفراح الكبير بن سيّد إبراهيم فلم يعقبا ذكراً.

وأما محمد بن سيّد إبراهيم بن محمد الإمام، فله خمسة من الأبناء وهم:

محمد، وفراح، والتاه، وأحمد، ومحمد الأمين.

وولد فراج بن محمد بن سيّد إبراهيم بن محمد الإمام، ثلاثة هم: محمد، ومحمد الأمين، وسيد.

وأما محمد الأمين بن محمد بن سيّد إبراهيم بن محمد الإمام، فله ابن اسمه المصطفى.

وأما محمد محمود بن سيّد إبراهيم بن أحمد بن الطالب محمود الكمبي، فقد خلف ابناً واحداً هو محمد عبدالله بن محمد محمود.

وخلف محمد عبدالله بن محمد محمود بن سيّد إبراهيم ثلاثة أبناء هم: محمد الأمين السالم، وسيد محمد، ومحمد محمود.

أما محمد الأمين السالم، فله أربعة أبناء: محمد عبدالله، وأحمد ومحمد والداه، أما سيّد محمد فله من الأبناء ثلاثة:

سعدن، ومحمد عبدالرحمٰن، ومحمد أحيد.

أما محمد محمود بن محمد عبدالله بن محمد محمود بن سيّد إبراهيم بن أحمد بن الطالب محمود الكُمبي فله اليوم من العقب ثلاثة أبناء وهم: سيدي الخير، وسيدي محمد، ومحمد عبدالله.

مضى بنو أحمد بن الشريف الطالب محمود الكُمبي الصالحي الحسني.

وهؤلاء ولد الشريف الطالب مختار بن أحمد الكُمبي الصالحي.

أعقب من ابنه يوسف ولد الطالب مختار. وليوسف بن الشريف الطالب مختار ابنه: محمد دحيد وهؤلاء ولد الشريف يوسف بن الشريف الطالب محمود الكُمبي الصالحي.

عقبه من أبنائه الثلاثة: محمد الأمين، ومحمد محمود، وأحمد الكور.

أما محمد الأمين بن الشريف يوسف، فولد أربعة أبناء هم: محمد دحيد، والحسن، والحسين، وأحمد.

وأما محمد محمود بن الشريف يوسف بن الشريف الطالب محمود الكُمبي الصالحي، فولد ابنين هما: سيّد محمد، ومحمد الأمين.

وأما أحمد الكور بن الشريف يوسف بن الشريف الطالب محمود الكُمبي. فعقبه هم المعروفون بأهل أحمد الكور في قبيلة مسومة بمقاطعة كنكوصة، وفي بطن إدابك من أهل سيّد محمود ببلدة رأس الفيل بولاية لعصابة.

وأبناؤه تسعة:

عبدالله، وأحمد فال، وحدمين.

وهم أجداد أهل أحمد الكور في كنكوصة، والدح، وسيد محمد، وسيتار، وعمار واليدالي، وحسني.

وهم أجداد أهل أحمد الكور في إدابك.

أما عبدالله بن أحمد الكور.

فولد ابنين حدمين والطيب.

أما الطيب بن عبدالله بن أحمد الكور فلم يعقب. أما حدمين بن عبدالله بن أحمد الكور فولد أربعة أبناء هم: سيدنا، وشيخنا ولمرابط المصطفى، والشيخ سيّد أحمد.

وأما سيدنا ابن عبدالله بن أحمد الكور فولد حدمين.

أما أحمد فال بن أحمد الكور فلم يعقب. أما حدمين بن أحمد الكور فله ستة أبناء هم:

حامدين، والمصطفى، وأحمدن، وعمار، ومني والوداد.

أما حامدين بن حدمين بن أحمد الكور فولد ابنين هما: حماده وحماه الله. أما حماده فولد الطيب وسيدنا.

أما حماه الله فولد حماده.

وأما المصطفى بن حدمين بن أحمد الكور فلم يعقب.

وأما أحمدن بن حدمين بن أحمد الكور فولد حدمين.

أما حدمين بن أحمدن فولد ستة: أحمدن، والمصطفى، وشيخن، وصالح، وعمار، والداه.

أما عمار بن حدمين بن أحمد الكور فولد ابنين هما: المصطفى وشيخن.

وولد المصطفى بن عمار ثلاثة أبناء هم: حدمين، وأحمدن، ومحمد أحمد.

وأما شيخن بن عمار فولد ستة هم: لمرابط المصطفى، وأبو، وحدمين، ومحمد محمود، ومحمد، والوداد.

وأما مني بن حدمين بن أحمد الكور فلم يعقب.

وأما الوداد بن حدمين بن أحمد الكور فولد ثلاثة أبناء هم: سيّد والمصطفى وعمار.

أما سيّد بن الوداد بن حدمين فولد ابنين هما: المصطفى والقاسم.

أما المصطفى بن سيّد بن الوداد فولد: محمد وصالح وسيد.

وأما القاسم بن سيّد بن الوداد فولد: ثلاثة أبناء هم: إدوم والمصطفى ومولاي.

أما عمار بن الوداد بن حدمين فولد ابنين هما: عبدالله وشامخ.

أما أبناء الشريف أحمد الكور في رأس الفيل فهم ستة:

الدح، وسيّد محمد، وسيدار، وعمار، واليدالي، وحسني. ومن هؤلاء الستة تفرعت شجرة أهل أحمد الكور في رأس الفيل.

أما اليدالي بن أحمد الكور وعقبه في بلدة الفيل فقد ولد: الأكحل وأبوه. وولد الأكحل بن اليدالي بن أحمد الكور ثلاثة أبناء هم: محمد، وسيتار، ومحمد الأمين.

وأما أبوه بن اليدالي بن أحمد الكور فخلف ثلاثة أبناء هم: صدفي، ويب، ومحمد.

ولصدفي ابن أبوه: ابن.

مضى ولد الشريف يوسف بن الشريف الطالب محمود الكُمبي الصالحي الحسني.

وهؤلاء ولد الشريف عمار المؤذن بن الشريف الطالب محمود الكُمبي الصالحي: فولد ثلاثة أبناء هم: الحسن، وبابا، ومحمد.

وولد الحسن بن الشريف عمار المؤذن ثلاثة أبناء هم: محمد فاضل، وجدو، وأحمد.

وولد بابا بن الشريف عمار المؤذن محمد، والحسن، وأبي، والطالب محمود.

وولد محمد بن بابا: محفوظ، وسيف الإسلام، والحسن.

وولد الحسن بن بابا: بابا.

وولد أبي بن بابا ابنين هما: بابا، ومحمد.

وولد الطالب محمود بن بابا: محمد فاضل.

وأما محمد بن الشريف عمار المؤذن فعقبه: هم سيدي محمد، والتراد، وإسلم.

مضى ولد الشريف عمار المؤذن بن الشريف الطالب محمود الكُمبي الصالحي.

وهؤلاء ولد الشريف إبراهيم بن الشريف الطالب محمود الكمبي الصالحي الحسني فقد خلف ثلاثة أبناء هم: الإمام، واسليمان وسيد.

وولد الإمام بن الشريف إبراهيم ثلاثة هم: محفوظ، والغوث، وافاه.

وأما اسليمان بن الشريف إبراهيم فولد ثلاثة أبناء هم: الطالب محمود، ومحمد عبدالوهاب، وسيّد أحمد.

مضى ولد الشريف إبراهيم بن الشريف الطالب محمود الكُمبي الصالحي الحسني.

وهؤلاء ولد الشريف سيّد الملقب يي بن الشريف الطالب محمود الكُمبي الصالحي الحسني فقد ولد ابنين هما: سيّد إبراهيم بن سيد، ومحمد المختار بن سيد.

وعقبهما في لعصابة.

مضى ولد الشريف سيّد بن الشريف الطالب محمود الكمبي.

وهؤلاء ولد الشريف المولود الملقب الفردي بن الشريف الطالب محمود الكُمبي الصالحي الحسني.

فمن ولده الطالب مختار بن المولود: أحفاده: يحيى، وسيد محمود،

ومحمد فال بنو محمد بن محمد فال بن الشيخ بن سيد بن الطالب مختار بن المولود الفردي.

أما محمد فال بن محمد بن محمد فال فأبناؤه أربعة: محمد الأمين، ومحمد محمود، والشيخ، والطالب محمود.

وأما أبناء يحيى بن محمد بن محمد فال فهم أربعة أيضاً وهم:

الداه، وأباه، والشيخ، واباب.

أما سيّد محمود بن محمد بن محمد فال فلم يعقب.

وأما يب بن المولود الفردي بن الشريف الطالب محمود الكُمبي الصالحي الحسني.

فأبناؤه هم: محمد المصطفى، ومحمد، وخطري، ومحفوظ.

أما أبناء محمد المصطفى بن يب بن المولود الفردي. فهم ثلاثة: محمد، وخطري، والطيب.

أما أبناء محمد بن محمد المصطفى فهما اثنان: خطري ومحفوظ.

أما خطري بن محمد بن محمد المصطفى فأبناؤه أربعة هم: محمد فال، وعبدالله، ويب، ومحفوظ. أما محفوظ بن محمد بن محمد المصطفى فله ابنان هما: عزيز و يب.

مضى ولد الشريف الفردي بن الشريف الطالب محمود الكُمبي الصالحي الحسني.

وبه ينتهي ما وصلنا من عقب الشريف الطالب محمود الكُمبي الصالحي الحسني.

ولا زالت بعض الأُسر التي تُنسب إليه تذكر دون أن تصلنا معلومات عنهم حتى الساعة.

وقد اعتمدنا في هذه النبذة من عقب الشريف الطالب محمود الكُمبي الصالحي الحسني على أفراد من أحفاده منهم:

١ ـ الشريف محمد محمود بن محمد عبدالله بن سيّد إبراهيم.

٢ ـ الشريف بابا بن عمار المؤذن.

٣ ـ الشريفة عيشة بنت الحسين بن الطالب اعل العلولية من أولاد علول. وجدها الشريف الطالب محمود من قبل أمهاتها.

٤ ـ الشريف القاسم بن سيدي.

٥ ـ الغوث بن الإمام بن الشريف إبراهيم.

إضافة إلى ما كان لدي من معلوماتٍ مُسبقة عن صحّة شرف الشريف الطالب محمود الكُمبي الصالحي الحسني. واتصال نسبه بالشريف مود نلل الصالحي الحسني.

وكتبه نقيب بني صالح:

أبو محمد الحسن بن الشيخ سليمان بن موسى بيدي الراشدي الصالحي الحسني.

❍ ❍ ❍ ❍ ❍ ❍




نسب الشرفاء أهل تيرنا بنو هدية الله بمقاطعة روصو عاصمة ولاية الترارزة

فمن أعيانهم: الشريف باب بن أحمد بن باب بن أحمد بن تيرنا بن صنب بن عبدالله بن عبدالحميد بن سليمان بن داود بن حامد بن فاضل بن هدية الله بن الشريف مود نلل بن صنب بن إبات بن عال بن محمد المسلم بن داود بن الشريف سيّد إلياس التنبكتي الواداني الصالحي الحسني.

○ ○ ○ ○ ○ ○

رجوع المؤرخ مامادو هاديا كان عن طعنه في نسب الشرفاء أهل اعويس بمقاطعة أبي تلميت وتأكيده صحة نسبهم الشريف.

حذفنا ما يتعلق ببحث الدكتور المهابة بن محفوظ آل اعويس ـ والموسوم بورقات الأنساب ـ من نص ونقاش وغيره، في كتابنا هذا نزولا عند رغبة الأسرة الكريمة ورفعاً للحرج عن الدكتور المذكور. وأثبتنا مكانه هذه الإفادة النسبية التي كتبها السيد الشريف النسابة مامادو هاديا كان نسابة ورئيس جمعية قبيلة أهل مود نالله الصغير الشرفاء، حيث تعتبر هذه الإفادة تأكيداً منه على صحة شرف أهل اعويس الشرفاء واعترافاً منه بخطئه السابق في الطعن في نسبهم الشريف، وقد نسبهم في إفادته هذه إلى الشريف مود نالله الكبير بن الشريف سيد إلياس وهو جد الشرفاء أهل سالم الصالحيون في قبيلة أولاد غيلان بولاية آدرار، عكس ما ذكره نسابتهم الدكتور الموقر المهابة بن محفوظ من أنهم أبناء مود نالله الصغير جد النسابة والمؤرخ مامادو هاديا كان صاحب هذه الإفادة، والعهدة عليهما والعلم عند الله.
وهذه صورة الإفادة:

مامادو هاديا كان

مؤرخ القرون الوسطى

مؤرخ ونساب

متخصص في علم الأناسة (الأنثروبولوجيا)

رئيس جمعية أسرة أهل مودي إنل

يشرفني أن أفيد وفقا لما هو عندنا في المراجع التاريخية و لما أعرفه شخصيا باعتباري متخصصا، عن أسرة الشريف مودي نل بكامل فروعها، أن **أسرة أهل اعويس** المقيمة بأبي تلميت، والتي نسبها كالتالي: **محمد ميارة** (مؤسس المسجد العتيق بأبي تلميت) **بن عبد الودود بن عبد القادر بن مختار بن عيسى بن عبد الله بن مهدي نل بن الشريف سيدي الياس** (الملقب يرو بالبولارية و يوره بالحسانية) **بن هلال بن عايد الكناني** (آيل كان توكوسو)، **بن عبد الله الشريف بن هلال الصغير بن عبد الرحمن بن عبد الله بن هلال الدمشقي بن عبد العيد الكناني** (آيل كان بالبولارية) ملك التكرور، **بن حبيب الله بن موسى الأساني بن عبد الله الكرام بن موسى الديوان بن عبد الله كامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب**، تنحدر بالتأكيد من هذه الشجرة.

مثل كثير من أسر أهل مودي نل، عاش أجدادهم في كيدي ماغا: في دار السلام (بوكي و جامي)، وفي باي جام مانغو (القديمة)، وفي تيوال (مكان مهجور حاليا)، وفي سوينه، وفي كالينيورو (المعروف بيوره لدى البيظان)، وفي الشلخة الدخنة، وفي آغوينيت، وفي بجي بوي، و في ولد ينجه.

وما زال بنو عمومتهم يعيشون في كيدي ماغا في هذه المدن والقرى.

ويعيش فرع آخر من أبناء عمومتهم في غورغول: في كودل روو (شمالا)، و داو تاتا و مقام إبراهيم (جدهم اتيرنو عثمان إبراهيم عثمان عمر مودي إنل) هو مؤسس مقامه التي كانت معروفة قبل مجيئه باسم كوبالي.

يسكن أبناء عمومتهم الآن في داو ودولول.

تهدف جمعية مودي إنل إلى لم شمل العائلة (الزنوج الأفارقة والعرب).

يجب أن تؤدي هذه الأسرة دورها الطبيعي والتاريخي بوصفها موحدا لجميع مكونات المجتمع الموريتاني و شبه المنطقة.

والحمد لله العلي القدير



مامادو هاديا كان

رئيس جمعية أسرة أهل مودي إنل

ملحق باللغة الفرنسية يتضمن التعريف بفرع الشريف مود نالله الصغير مركزاً على أهل قريتي داو، ودولل

9

LA BAISSE DES RELATIONS DE COMPLEMENTARITE DANS LA VALLEE : L'EXEMPLE DES MOODI NALLAŊKOOƁE DE DAO ET DE DOLOL

L'étude du conflit frontalier entre les villages de Dolol Siiwre (Mauritanie) et d'Odobere (Sénégal) montre comment des communautés villageoises qui avaient entretenu de bonnes relations par le passé ont été amenées à s'opposer lors de la création d'un périmètre. Il révèle un des phénomènes marquants observés aujourd'hui dans la vallée : celui de la baisse des relations de complémentarité entre communautés. L'évocation de ce conflit frontalier implique que l'on prenne en compte l'étude historique des relations entre Dolol et Odobere ainsi que celle des rapports entre les familles Ahel Moodi Nallaŋkooɓe (Kan) de Dolol et de Dao. Il s'agira à partir des écrits de Šayḫ Musa Kamara (*Zuhūr* : 1925), de donner un aperçu des origines et des migrations des Ahel Moodi Nallaŋkooɓe, puis de décrire la nature et l'évolution des relations entre les habitants de Dolol et d'Odobere pour en arriver au litige lors de la création du périmètre de Dolol en 1984. Enfin, l'évocation des Moodi Nallaŋkooɓe, connus pour être un des groupes haalpulaar'en ayant entretenu le plus de relations avec les Maures, permettra d'examiner l'évolution de ces relations inter-communautaires qui servira à l'analyse plus générale de la situation actuelle dans la vallée.

1. Origines et migrations des Moodi Nallaŋkooɓe

Les Moodi Nallaŋkooɓe sont une branche du clan Kan. Ces marabouts se rencontrent aujourd'hui principalement au Gorgol (Dolol, Dao, Maghama) et dans le Guidimaka (Kalinioro, Bayjam, Wul Yenje). Ils se donnent une origine orientale et se disent originaires de Syrie[1]. Ils seraient venus dans la vallée du fleuve Sénégal, soit de l'est par Jenne, soit du nord par l'Ifrikya. Au-delà de ces récits incertains, les traditions orales s'accordent sur le nom du premier site, de Tulde

[1] Comme chez les familles maraboutiques maures qui recherchent une plus grande légitimité religieuse en se fabriquant des généalogies les rattachant au prophète Mohamed, on peut s'interroger sur ces familles *tooroɓɓe* qui se donnent une origine arabe (on a vu que les Lih se donnent également une origine arabe). Šayḫ Musa Kamara (*Zuhūr* :323/a-327/b) conteste ces origines des Kan en indiquant qu'ils sont Peuls. Il se base essentiellement sur les liens généalogiques communs qu'ils partagent avec les autres groupes *fulɓe* (Mbommeyaaɓe, Jalluɓe Bummiyaɓe,...). Ces prétentions généalogiques ne serviraient donc qu'à des fins idéologiques.

Dimat (dans le Dimar, la province occidentale du Fuuta Toro) occupé par les Kan, après qu'ils aient séjourné près du lac de R'Kiz (Trarza). De là, les Kan ont effectué leurs migrations vers l'est du pays, à l'image du groupe des Moodi Nallaŋkooɓe qui s'est concentré dans les régions du Guidimaka et du Damga.

Les Ahel Moodi Nallaŋkooɓe font remonter leur ancêtre le plus lointain à Hamme Juldo Kan. Il est connu pour avoir effectué un pélerinage à la Mecque. A son retour, il serait passé par Gao au Mali[2]. Il épousa une peule bodaajo (woodaaɓe) et eut pour fils Aali, père de Paate, père de Sammba, père de Mudi Sammba qui aura pour fils Nalla Mudi et Umar Mudi, respectivement les ascendants des habitants de Dao et de Dolol.

Selon Kamara (1925 : 316b), Mudi Sammba entretenait des relations avec les Maures sur le plan religieux. Il était également proche des Peuls Rangaaɓe qui lui versaient des offrandes en bétail et en lait. Ces liens étroits firent que les fils de Mudi Sammba furent élevés chez les Rangaaɓe[3].

Le fils de Mudi Sammba, Nalla Mudi est un personnage important dans la généalogie. Connu également sous le nom de Moodi Nalla, il eut la réputation d'un grand marabout et, comme son père, il fréquenta les milieux maraboutiques maures. Il aurait été au Maroc à Touat pour compléter sa formation religieuse Nalla Mudi semble être le premier des Moodi Nallaŋkooɓe à avoir tissé des relations avec les *jaawamɓe* (Jiim). Ces derniers qui occupaient le site de Kumballi, (anciennement Maghama) attirèrent son attention par leur ferveur envers l'islam, ce qui le décida à choisir Kumballi comme lieu de son enterrement.

Après sa mort, son fils aîné Mammadu Nalla s'installa avec les autres Moodi Nallaŋkooɓe à Daar al Salaam (dans le Guidimaka) qui apparaît comme le premier site de sédentarisation du groupe[4]. Ce fut son frère Umar Nalla qui lui succéda[5].

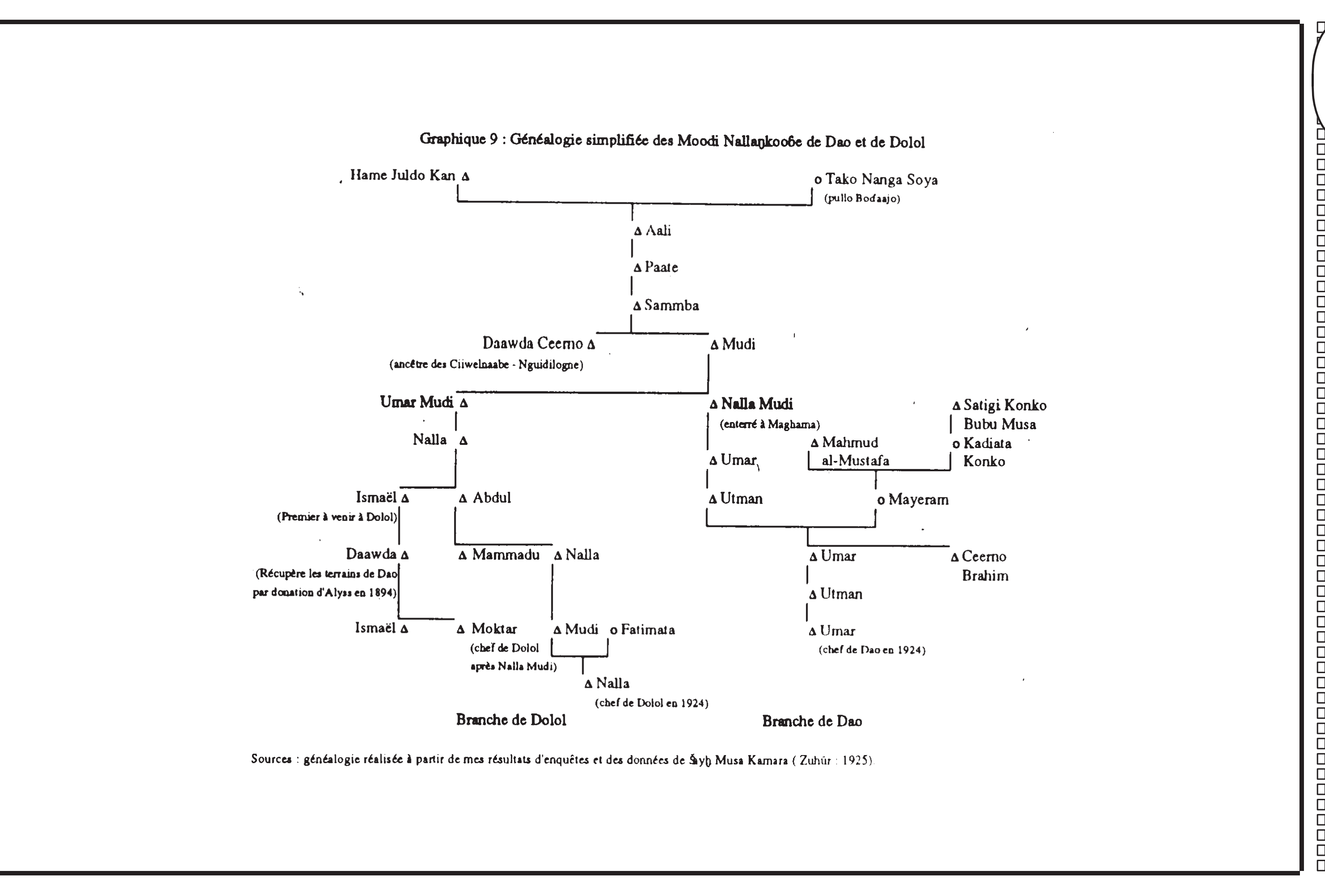
---

[2] Kane Hadiya (1985 : 17) écrit qu'il aurait été au pélerinage à la fin du XV^e siècle avec Askia Mohammed. Il aurait également effectué un séjour à Chinguitti (Adrar), entretien à Dao avec Tafsiru Kan, maire de Dao, le 24/2/92.

[3] Jusqu'à présent les Moodi Nallaŋkooɓe rappellent ces liens en soulignant que les Kan et les Jallo sont parents. Par ailleurs, les Moodi Nallaŋkooɓe reconnaissent qu'à leur arrivée à Dao et à Dolol ils ont trouvé sur place les Rangaaɓe. Les informations données par Oumar Ba sur les Rangaaɓe (1977 : 88-107) n'apportent pas plus de précision que Kamara pour la simple raison qu'il s'agit d'une traduction mot à mot de certains passages du *Zuhūr*.

[4] Contrairement aux écrits de l'administrateur Vidal (1924 : 75), selon lesquels après la mort de Moodi Nalla (il s'agit en fait de Nalla Mudi) les Nalla Mudi allèrent s'installer à Daar al Salaam tandis que les Umar Mudi se fixèrent à Dolol, il n'y eut pas à ce moment de séparation entre les deux familles. Vidal commet une erreur dans la mesure où le village de Dolol ne fut créé que plus tard, au début du XIX^e siècle, par Ismaël Nalla à la suite d'une querelle de succession. Cette remarque rappelle la prudence avec laquelle il faut manipuler les informations historiques de Vidal (1924). Rappelons-nous qu'il donnait à la place des Mbaalnaaɓe le nom des Njuufnaaɓe comme premiers occupants de Kaédi. Sans minimiser l'apport des travaux de Vidal pour la recherche, il apparaît que ses données historiques soient moins fiables que celles concernant le recensement des *kolaaɗe* et de leurs propriétaires.

[5] Selon les données recueillies par Kamara (*Zuhūr* : 317 b), il régna trente années.


Graphique 9 : Généalogie simplifiée des Moodi Nallaŋkooɓe de Dao et de Dolol
Hame Juldo Kan Δ
o Tako Nanga Soya
(pullo Boɗaajo)
Δ Aali
Δ Paate
Δ Sammba
Daawda Ceerno Δ
(ancêtre des Ciiwelnaabe - Nguidilogne)
Δ Mudi
Umar Mudi Δ
Δ Nalla Mudi
(enterré à Maghama)
Δ Satigi Konko
Bubu Musa
o Kadiata
Konko
Nalla Δ
Δ Mahmud
al-Mustafa
Δ Umar
Δ Utman
o Mayeram
Ismaël Δ
(Premier à venir à Dolol)
Δ Abdul
Daawda Δ
(Récupère les terrains de Dao
par donation d'Alyss en 1894)
Δ Mammadu
Δ Nalla
Δ Umar
Δ Ceerno
Brahim
Δ Utman
Ismaël Δ
Δ Moktar
(chef de Dolol
après Nalla Mudi)
Δ Mudi
o Fatimata
Δ Umar
(chef de Dao en 1924)
Δ Nalla
(chef de Dolol en 1924)
Branche de Dolol
Branche de Dao
Sources : généalogie réalisée à partir de mes résultats d'enquêtes et des données de Šayḫ Musa Kamara (Zuhūr : 1925)

بنو صالح
في عيون مؤرخي البربر الشناقطة

غاب ذكر بني صالح عن ذاكرة المؤرخين الشناقطة قروناً عدة ولأسباب متعددة سبق ذكرها، منها أنهم عرفوا عالمياً باسم أبيهم صالح ومحلياً بألقابهم التي حرّفها أخوالهم السودانيون ومنها لقب (كَانْ، وكيتَا، وموديات) وإن كان بعض الموديات قد تطرق له مؤرخو أولاد ديمان إلا أن التجاهل التام والإقصاء الكامل ظلا سيدا الموقف حتى أطلّ المختار بن حامد رَحِمَهُ ٱللَّهُ على القراء والكتّاب بنبذة عن بني صالح ملوك غانة في الجزء الخاص بالتاريخ السياسي، والجزء الخاص بأوائل الشرفاء الموريتانيين من موسوعة حياة موريتانيا، حيث ذَكَّر رَحِمَهُ ٱللَّهُ بإطلالته التاريخية تلك، الباحثين والمؤرخين، بتاريخ ونسب هذه القبيلة الشريفة، إلا أنه ما كاد بعض الباحثين يتذكر هذه القبيلة الشريفة حتى علق بذهنه أنها انقرضت وأنه لا وجود لها على الساحة، فبدأ يفتش عن أدعياء انتسبوا لآل البيت زوراً وبهتاناً وألصقهم بهذه القبيلة بغية إضفاء الشرعية على نسبهم المزعوم، من ذلك ما كتبه الأستاذ عبدالودود بن عبدالله في شأن نشأة مدينة (تشيب) (من أن الإدريسي ذكر أن بني صالح بن عبدالله بن الحسن أخضعوا غانة وصار لهم هنالك ملك ودولة، الشيء الذي رد عليه ابن خلدون بدليلين؛ أولهما: أن صالحاً غير معروف في بني عبدالله بن الحسن، وثانيهما: أن غانة

أسقطها الصوصو لا غير، وعليه تكون مملكة بني صالح بن عبدالله هي مدينة تيشيت)[١].

فهو بهذا الإسقاط أراد أن يضفي نوعاً من المصداقية على النسب الإدريسي المزعوم من قبل أهل تشيت، أو على الأقل أن يكون لهم ذكر في مصادر التاريخ الشيء الذي لا وجود له إلا في تكاذيب مؤرخي البربر الشناقطة.

وقد نحا منحا الأستاذ عبدالودود، زميله الدكتور حماه الله ولد السالم في كتابه «تاريخ موريتانيا العناصر الأساسية» ونصه: (وقد كانت «مملكة صنهاجة» في أوقات القوة تفرض الجبايات على مملكة غانة، لا سيما عاصمتها الثانية «كومبي صالح» الواقعة في شرقي البلاد والتي أسسها أحد أجداد شرفاء تيشيت من ذرية الشريف صالح الأخيضري من ذرية موسى الجون الإدريسي بالوطن)[٢].

وبهذا الإسقاط، يعز على حماه الله أن يحمي نسب رسول الله ﷺ.

وعلى خطا عبدالودود وحماه الله السالم حث الحسين بن محنض الخطا نحو إسقاط جديد استخفافاً برسول الله ﷺ وأهل بيته، حيث نسب إليه ظلماً وعدواناً طائفة بربرية من لحم الحسين بن محنض ودمه وجنسه وعرقه ـ ادّعوا في أول أمرهم بعد خلعهم رداء البربرية أنهم من بني مخزوم ـ ثم ألصقهم الحسين بن محنض سنة ٢٠١٠ ببني صالح دون الاستناد إلى بينة شرعية تنجيه ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾﴾ والطائفة المذكورة هم «إيدوداي» أحفاد يداج أكد برغه متجاهلاً أن هذه الأسماء البربرية كافية في

---

(١) عبدالودود بن عبدالله، الحركة الفكرية في بلاد شنقيط في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجري، السابع عشر والثامن عشر الميلادي، دبلوم الدراسات العليا في التاريخ ـ الرباط ١٩٩١ ـ ١٩٩٢، ص١٧ ـ ١٨.

(٢) تاريخ موريتانيا العناصر الأساسية، منشورات الزمن ص٤١.

ذاتها للرد على فريته، إذ أن بني صالح أسماؤهم عربية في الأصول وزنجية في الأحفاد، فدماؤهم مزيج من الدماء العربية الهاشمية والدماء الزنجية الأفريقية التي انصهروا فيها، وإليك ما كتبه الحسين بن محنض: (يداج أكد برغه «جد إيدوداي» قادماً من بعض أحياء تندغه ويقال: إنهم من بقية آل صالح الأخيضريين الذين كانوا ملوك كونبي صالح لا من بني مخزوم كما نقلت بعض الروايات، فلا يبعد أن يكون يداج أو أحد آبائه على هذا قادماً من آدرار الذي ربما نزح إليه من ولاتة أوتيرني حيث لجأ بعض آل صالح بعد تغلب الصوصو والماندينك من بعدهم على كومبي صالح)[١].

وأشار تحت عنوان «شرفاء حفدة ملوك» ما نصه: (منهم من المنتسبين إلى عبدالله بن الحسن المثنى قبيلة إدوداي الشمشوية، انضم جدهم يدّاج أكد برغه إلى أجداد تشمشة قادماً إليهم من آدرار وهو ينسب إلى آل صالح بن عبدالله بن يوسف بن موسى بن يوسف بن محمد الأخيضر بن يوسف بن إبراهيم بن موسى الجون بن عبدالله بن الحسن المثنى بن الحسن السبط ملوك كومبي صالح الذين حكموها من آخر القرن الهجري الخامس (١١م) إلى أوائل القرن الهجري السابع (١٣م)، ثم فرُّوا منها لما تغلب عليهم الصوصو إلى ولاته في عهد جده عبدالله بن عمر فيداج بن برغه بن أذ ررنت تكجمت بن علي بن عبدالله بن عمر بن محمد بن عمر بن عبدالله بن عمر بن عبدالله بن عمر بن أبي بكر بن إدريس بن عبدالله بن محمد بن يوسف بن إبراهيم بن صالح)[٢] والدليل على كذب الحسين بن محنض، أن عمود النسب الذي ساقه لصالح الأخيضري بهذا التسلسل الذي نراه مكذوب ومختلق، حيث لا يوجد في بني الأخيضر صالح بهذا النسب رغم تكرار وتعدد صالح فيهم، هذا أولاً، أما ثانياً، فإبراهيم بن صالح الذي أنهى به عمود نسب فيداج بن برغه بن أذررنت تكجمت إلى صالح المزعوم فلا وجود له كذلك في بني

---

(١) تاريخ موريتانيا القديم والوسيط، دار الفكر، ص١٧٨.

(٢) تاريخ موريتانيا القديم والوسيط، ص٢٥٦ ـ ٢٥٧.

الأخيضر كما ذكر، وإنما الموجود في بني الأخيضر هو إبراهيم بن صالح بن إبراهيم بن محمد الأخيضر بن يوسف بن إبراهيم بن موسى الجون، ولإبراهيم بن صالح هذا ولدان هما أحمد ومحمد ولهما أولاد، ولا يوجد له ابن اسمه يوسف بن إبراهيم بن صالح حسبما ساقه الحسين بن محنض(١) ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

أما ما زعمه ونسبه إلى كتابي (تاريخ بني صالح) عن نسب أهل مانو فلم أورده بالصيغة والعبارة التي أوردها هو في كتابه، وكان الأوْلى والأجدر به ما دام يتحدث عن حفدة ملوك شرفاء أن يذكر البطون الكثيرة التي ذكرناها في كتابنا بدل التزوير والاختلاق.

أما الكاتب يحيى ولدا حريمو، فنفى نسبة بني صالح إلى آل البيت اعتماداً حسب رأيه على ابن خلدون وابن عنبة واعتبر أن ما ذهب إليه حماه الله السالم من نسبة أبناء عبدالمؤمن بن صالح ـ إلى بني صالح ـ أنه من الطعن في النسب لأنه من باب الانتساب إلى المعدوم والمفقود، وانبرى لتحقيق نسب بني عبدالمؤمن بن صالح اعتماداً على الشهرة والحيازة، وليس على ابن خلدون وابن عنبة هذه المرة، وكأن الشهرة والحيازة تكون من باب الحق، ولا تكون في باب الباطل، وأنا أبشره بأن الذين نفاهم، من آل رسول الله ﷺ، وأن الذين أثبتهم لصقاء ودخلاء وأدعياء في نسب آل البيت وليس كل مَن زعم أنه إدريسي بإدريسي ولو كانت شهرته أشهر من إبليس الذي سوّل له ما زعمه، وإن كان لديه شك فيما ذكرته فأتحداه أن يأتيني بابن للقاسم بن عبدالله بن إدريس الأصغر يدعى يوسف في أي مرجع من مراجع التاريخ والأنساب، سوى ما زعمه بنو عبدالمؤمن من أن سلالتهم تنتهي إلى يوسف المزعوم، وما نقله عنهم نسّابو بربر شنقيط.

---

(١) انظر تفاصيل (نسب بني الأخيضر) في: «جمهرة أنساب العرب» للعلامة ابن حزم الأندلسي، والجزء الرابع من «تاريخ العلامة ابن خلدون»، و«عمدة الطالب في نسب آل أبي طالب» لابن عنبة الحسني العراقي. . . وغيرهم.

وهذا نص المقال الذي رد فيه يحيى ولدا حريمو على الدكتور حماه الله السالم:

التاريخ: ٢٠٠٩/٥/١٣ التوقيت: ١٦:٣٣ غرينتش.

تاريخ الإضافة: ٢٠٠٨/٥/٢٢ ـ ١١:

جريدة الأخبار أول وكالة موريتانيا مستقلة.

الكاتب: يحيى ولد احريمو. نواكشوط/ موريتانيا.

إن أول ما ينبغي للباحث والعالم والمؤرخ المنصف خصوصاً مَن يتسور على التأليف وتعليم الأجيال أن يجعل نصب عينه وأكبر مبتغاه البحث عن الحقيقة وتمحيص الروايات والالتزام بدلالة النصوص في ضوء العرف اللغوي والمنطق العقلي حتى يستفرغ جهده في طلب الحقيقة بعيداً عن التسرع والأحكام الجزافية المتعسفة فيكون بذلك قد نصح الأمة ووفى العلم حقه وتبرأ من خيانة الأجيال وتخليد الأفكار والمزاعم الواهية في بطون الكتب.

ويبدو أن أخانا الكريم الأستاذ حماه الله بن السالم لم يلتزم بهذا المنهج ولا سلك طريق التثبت والأمانة العلمية في كتابه المعنون «تاريخ موريتانيا... العناصر الأساسية» ومن بين الأخطاء الكبيرة الجوهرية التي وقع فيها ما ذكره في صفحة **٤١** من أن مدينة كومبي صالح الواقعة في شرقي موريتانيا والتي كانت عاصمةل لمملكة غانا أسسها أحد أجداد شرفاء تشيت من ذرية الشريف صالح الأخيضري من ذرية موسى الجون الإدريسي وطناً. اهـ.

لقد طالعنا الأستاذ بحكمين قاطعين أحدهما: أن مدينة كومبي صالح من بناء الشريف صالح. والثاني: أن الشريف المذكور هو من أجداد شرفاء تشيت المعروفين.

لقد ساق الأستاذ هذين الحكمين سياق الحقيقة الثابتة التي لا يتطرقها شك أو احتمال مع أنه ليس لها نصيب من الصحة والثبوت وإنما يدخلان

في حيز الوهم وأحاديث السمر... وترتيبات الفهم السقيم المبني على الإسقاط والانخداع بأدنى إشارة وأول خاطرة.

أما أن صالح المذكور هو مؤسس مدينة كونبي صالح أو قولمبو فهو أمر لا أساس له فهذه المدينة بنيت قبل إسلام أهل غانة كما تحدث عنها أبو عبيد البكري القرطبي في كتابه المسالك والممالك في القرن الخامس قبل إسلام أهل غانة.

وأما القول: إن صالحاً المذكور أحد أجداد شرفاء تشيت فهو حكم متعسف عريق في الوهم والتدليس وليس له سند ولا مرجع إلا ورود اسم صالح في أجداد شرفاء تشيت كأن الله لم يخلق ممن يسمى صالحاً إلا هذا الرجل وقد ذكّرنا الأستاذ هنا بحكاية الأحمق الوضّاع الذي قال ليحيى بن معين وأحمد بن حنبل: «أتظنان أن الله لم يخلق ممن اسمه أحمد بن حنبل ويحيى بن معين غيركما».

إن النسب النبوي الشريف يجب على الأمة حفظه ونفي تحريف المدلسين وانتحال المبطلين عنه. ومن المعلوم أن حفظ النسب على الجملة أحد قواعد الكليات الخمس التي أجمعت عليها الشرائع الربانية، خصوصاً النسب النبوي الذي يجب حفظه عموماً لما يترتب عليه من الأحكام الشرعية كما قال العلامة محمد عبدالله بن الإمام الجكني في نظمه لسلسلة نسب آل مولاي الزين:

فكم تعلق من الشريعة ... بحفظ هذه النسبة الرفيعة
إذ يجب التعظيم والتوقير ... لهم والاحترام والتعزير
والغض عن هفوة من منهم هفا ... برًّا وتعظيماً لخير مصطفى
وشدة التأديب في أذاهم ... فوق الذي يجب في سواهم
وحرمة الزكاة إذ هي وسخ ... وقدم السادة في المجد رسخ
فليس بالمصيب مَن يعلل ... بالفيء عند فقده يحلل
لأنه خلاف ما في مسلم ... مما به يقنع كل مسلم

إن ما ذكره الأستاذ الكريم من نسبة أبناء الشريف عبدالمؤمن إلى صالح الأخيضري ونفي نسبتهم إلى الأدارسة هو من قبيل الطعن في النسب المحرّم كتاباً وسنّة وإجماعاً.

إذ من المعلوم أن شرفاء تشيت هم من أصح أهل هذه البلاد انتساباً إلى الأدارسة وجدهم الشريف عبدالمؤمن بن صالح بن عبدالعلي بن جعفر بن إسحاق بن يحيى بن مالك بن يوسف بن القاسم بن عبدالله بن إدريس الأصغر بن إدريس الأكبر بن عبدالله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي وابن البتول رضوان الله عليهم أجمعين. (انظر سلسلة نسبهم في كتاب: «فتح الشكور في علماء التكرور» لمحمد بن أبي بكر الصديق الولاتي المتوفى سنة **١٢١٨هـ، ص٩٥**) وهذا النسب الذي توارثوه جيلاً بعد جيل ودوّنوه في كتبهم وتقاليدهم التي كتبت بعضها في القرن العاشر وتلقَّاه العلماء بالقبول كصاحب فتح الشكور ومحمد يحيى الولاتي الذي عقده في نظم مستقل. ومعلوم أن هؤلاء الشرفاء من أعرق أهل هذه البلاد وأكثرهم علماً وتمرُّساً بأسباب الحضارة ومقتضيات العمران، وهي مع ذلك في غاية الرفعة والشهرة بالنسب النبوي في جميع المواطن، وقد اعترف لهم جميع سكان هذه البلاد عرباً وعجماً بيضاً وسوداً بذلك مما يجعل نسبهم في الذروة العليا من الصحة، وقد قال الشيخ عبدالقادر الفاسي في نوازله:

«إن المعول عليه في صحة الشرف إنما هو الشهرة والانتشار بين الجيل والجمع الغفير في أطراف البلاد وتلقي العلماء والعامة له بالقبول حتى يكون في حيز الإجماع المعصوم من الخطأ».

وقد كان هؤلاء الشرفاء على ما هو معروف من توارث العلم والسيادة والإمامة في قريتهم تشيت منذ نحو ١٠٠٠ سنة، مع بُعدهم عن الخمول وملكهم لأسباب الشهرة واعتنائهم بحفظ النسب ودأبهم على التوثيق مما جعل ذاكرتهم ومأثورهم التاريخي بسبب ذلك أثري وأحفظ من

كثير من غيرهم، وقد كتب علماؤهم تآليف عديدة جمعوا فيها أخبار سلفهم وسائر فروعهم على الجملة.

ثم إن نسبتهم إلى القاسم بن عبدالله بن إدريس من أصرح السلاسل وأصحها إذ لم يتطرق لها تلبيس ولا اختلاط ولا إعضال ولا انقطاع كما يقع كثيراً.

وقد اعترف لهم بالشرف جميع أهل الشوكة وقبائل العرب في جميع أنحاء موريتانيا فكانوا يحترمونهم ويهابون جنابهم، ولا يعرف عن أحد من رؤساء العرب أنه أخذ من قوافلهم ضريبة مرور أو غفر مع أن قوافلهم كانت تجوب أطراف البلاد كل سنة من سبخة الجل في تيرس شمالاً إلى بلاد «ماصه» (انيور) وسيكو في مالي جنوباً، وهذا أمر لم يحصل لغيرهم من أهل هذه البلاد هذا مع تواتر الخبر عن العلماء العاملين الذين أدركوا روايات الأجيال السالفة كالشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيّد المختار الكنتي في رسالته إلى هؤلاء الشرفاء والفقيه المؤرخ محمد صالح عبدالوهاب الناصري الذي يقول في إحدى فتاويه: «إن شرف هؤلاء الشرفاء مشهور في سائر أنحاء هذه البلاد عرباً وعجماً وبيضاناً وسوداناً».

وكالشيخ سيديا باب والفقيه محمد يحيى الولاتي وغيرهم.

إلى غير ذلك من الأدلة التي ترفع هذا النسب إلى حد التواتر المفيد للعلم القطعي الذي لا يسع إنكاره.

ولا أدل على عراقتهم وصحة ما توارثوه من أخبار من أن جدهم الأول الذي هو الشريف عبدالمؤمن لم يزل بيته معروفاً إلى اليوم وضريحه معروف كذلك وهو في المصلى الشتوي بمسجد تشتيت الذي هو بانيه، وهي قرائن لها قيمتها ودلالتها التاريخية المعتبرة.

قال ابن خلدون في مقدمته في كلامه على نسب أبناء إدريس: «إن نسب بني إدرس بفاس والمغرب قد بلغ من الشهرة والوضوح مبلغاً لا يكاد يلحق ولا يطمع أحد في دركه إذ هو نقل الأمة والجيل من الخلف عن

السلف وبيت جدهم مختط فاس ومؤسسها بين بيوتهم ومسجده لصق محلتهم ودروبهم وسيفه منتضى برأس المئذنة من قرار بلادهم وغير ذلك من آثاره التي جاوزت أخبارها حدود التواتر مرات وكادت تلحق بالعيان. . . » مقدمة ابن خلدون ص٣٧ ط دار الكتب العلمية.

وهذه القرائن التي ذكرها ابن خلدون حاصلة لعمر الله لهؤلاء الشرفاء.

وإذا علمنا أن انتسابهم للشرف ونسبتهم للأدارسة مشهورة مقطوع بها علمنا أنه لا صلة لهم بصالح حفيد موسى الجون الذي نسبهم الأستاذ إليه إذ من المعلوم أن الانتقال من نسب إلى نسب إنما يقع في الغالب لأصحاب الخمول والجهل والعشائر التي تشهد انقطاعاً بين ذاكرة السلف وذاكرة الخلف بسبب التشتت والرحلة من أرض إلى أرض وانقطاع الرواية، وهذه أمور لم يتعرض لها هؤلاء الشرفاء قط.

ومن هنا فإن نسبة الأستاذ لهم إلى بني صالح ملوك غانة من باب الطعن في النسب والتقول بغير علم وليس للأستاذ فيه من سند سوى ما ذكره الإدريسي في نزهة المشتاق في احتراق الآفاق ص١٣٥ ج١ من أن ملوك غانة من بني صالح بن عبدالله بن الحسن بن الحسن وكنا نربأ بالأستاذ الكريم أن يقع في مثل هذا الخلط الذي ينم عن ضعف في التفكير وجهل بطبيعة المجتمعات البشرية عامة والإسلامية خاصة التي يكثر فيها تطابق الأسماء لأسباب دينية واجتماعية معروفة. فاسم صالح مثلاً يتكرر كما يتكرر اسم محمد وإبراهيم وعلي وعمر. . . فلا ينبغي للباحث الملتزم بالمنهج العلمي أن يجزم بأن هذا الاسم عين هذا الآخر إلا بعد التثبت والمقارنة بين سياق الروايات المختلفة، ولعل مَن يقتنع بنهج الأستاذ ويسلك مسلكه أن يرى اسم محمد لغظف بن حماه الله بن السالم الداودي الجعفري شيخ الطريقة الغظفية المتوفى سنة ١٢١٥ فيظن أنه ابناً لأستاذنا الموقر مع الفارق الزمني والاجتماعي البعيد بينهما.

وقد قال ابن خلدون في مقدمته: أن صالحاً المذكور لا يعرف في

ولد عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي إذ أن أولاده معروفون مشهورون وقد تحدث عنهم العلماء والمؤلفون في الأنساب، أما ما ذكره الأستاذ من نسبة بني صالح أصحاب غانة إلى موسى الجون فمستنده فيه ما ذكره المختار بن حامدن في جزء الحياة السياسية من موسوعته ص٤٠ من أنه رأى في بعض المصادر العربية أنهم أبناء صالح بن عبدالله بن موسى بن عبدالله أبي الكرام بن موسى الجون بن عبدالله الكامل إلا أن الأستاذ المختار رَحِمَهُ اللهُ ذكر أنه نسي المصدر الذي رأى فيه ذلك بيد أن ذرية صالح الأخيضري الجوني هذا قد انقرضت منذ القرن الخامس ولم يدخل أحد منهم إلى المغرب بل انقضروا في المشرق كما ذكره ابن عنبة نقيب الأشراف ببغداد في كتابه أنساب الطالبيين.

وقد ذكر النسابة أنه لم يدخل المغرب أحد من ذرية موسى الجون قبل أبناء الشيخ عبدالقادر الجيلاني الداخلين إلى الأندلس في القرن الثامن فمن أين للأستاذ الجزم بأن صالحاً المذكور من ذرية موسى الجون وأنه متوطن في الأدارسة ﴿سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ﴾.

ومعلوم أن الأدارسة لم يكن معهم من أبناء عمهم الشرفاء إلا أبناء سليمان بن عبدالله الكامل أخي إدريس الوافدين عليه بعد إمامته بالمغرب ثم إن التوطن في القبائل إنما يكون في البوادي والعشائر أهل العصبة ولا يكون في القرى والأمصار فليس هذا سوى إسقاط لمصطلح ونظام متأخر على بيئة قديمة ومجتمع مغاير.

إن بني صالح ملوك غانة لا يعرف لهم ذكر قبل القرن السادس الهجري حيث تحدث عنهم الإدريسي، ويظهر أن جدهم من أهل القرن السادس بدليل نسبة مدينة كومبي إليه إذ من المعلوم أن أهل غانة لم يدخلوا الإسلام إلا أواخر القرن الخامس وأوائل السادس بعد تغلب المرابطين عليهم فلا يعقل أن يكون صالح المذكور أميراً لغانة قبل ذلك، فملوك غانة في القديم هم من السودان وكانوا على الكفر حتى سنة ٤٦٠هـ وهو العام الذي كتب البكري فيه كتابه.

أما صالح الإدريسي والد الشريف عبدالمؤمن فهو من أهل القرن الخامس بدليل أن ابنه الشريف عبدالمؤمن من تلامذة القاضي عياض المتوفى سنة **٥٤٤**هـ وقد خرج الشريف عبدالمؤمن من المغرب على الصحراء وبنى قرية تشيت سنة **٥٣٥**هـ.

وكان مجيئه إلى هذه البلاد متزامناً مع تغلب الموحدين على المغرب واضطهادهم لأنصار الدولة المرابطية وانتهاجهم سياسة الاعتراف التي راح ضحيتها نحو ١٠٠ ألف قتيل صبراً ممن يشك في ولائه لهم فلعل الشريف عبدالمؤمن إنما فارق وطنه بسبب ذلك. ومعروف أن شيخه القاضي عياض قد توفي مقتولاً على يد الموحدين. ولعل الشريف عبدالمؤمن كان على صلة بالشرفاء الأمغاريين أصحاب زاوية «عين القطر» بشمال المغرب المنتسبين إلى القاسم بن عبدالله بن إدريس والذين كانوا أولياء للمرابطين فمن هنا خرج من المغرب بسبب مضايقة الموحدين.

أما والده الشريف صالح فهو من أهل المغرب ولم تطأ قدمه الصحراء قط حتى يبني مدينة كومبي صالح.

وجملة القول: إن نسبة شرفاء تشيت إلى صالح المذكور تجنٍّ على الحقيقة وتحريف للتاريخ وتقوُّل بغير علم نربأ بالأستاذ عن مثله، ونجله أن يعمد إلى بيت من بيوتات الأدارسة مشهور بالنسب إلى آل البيت فيلصقه بقوم أدعياء لا يعرفون وليت شعري كيف ينسى شرفاء تشيت أن سلفهم كانوا ملوكاً لغانة، ولو كان ذلك كما قال الأستاذ لما رغبوا عن ذلك إذ من المعلوم عندهم أن والدهم إنما دخل إلى هذه البلاد برسم الدعوة والسياحة والانقطاع إلى الله ولم يكن لهم قط ملك ولا دولة... والله سبحانه وتعالى الموفق والهادي إلى سواء السبيل، وصلّى الله وسلّم على محمد وآله الطيبين الطاهرين.

○ ○ ○ ○ ○ ○




المراجع

١ - **مقاتل الطالبيين**: أبو الفرج الأصفهاني.

٢ - **عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب**: ابن عنبة الحسني.

٣ - **سر السلسلة العلوية**: أبو نصر البخاري.

٤ - **جمهرة أنساب العرب**: ابن حزم الظاهري.

٥ - **المسالك والممالك**: أبو عبيد البكري.

٦ - **الشجرة المباركة في أنساب الطالبية**: أبو عبدالله فخر الدين الرازي.

٧ - **بسط الأرض في الطول والعرض**: علي بن سعيد الغرناطي الأندلسي.

٨ - **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**: أبو العباس شهاب الدين العمري.

٩ - **التعريف بالمصطلح الشريف**: أبو العباس شهاب الدين العمري.

١٠ - **كتاب تقويم البلدان**: أبو الفداء الأيوبي صاحب حماة.

١١ - **تاريخ ابن خلدون**: العلامة: عبدالرحمٰن بن خلدون الحضرمي القحطاني ثم المغربي (التونسي).

١٢ - **تاريخ اليعقوبي**: أحمد بن إسحاق اليعقوبي البغدادي.

١٣ - **كتاب المشجر الكشاف لتحقيق أصول السادة الأشراف**: محمد بن أحمد الحسيني النجفي.

١٤ - **دراسات في علم الأنساب**: اللواء الركن المتقاعد يوسف بن عبدالله جمل الليل.

١٥ - **نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب**: أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي.

١٦ - **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**: أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي.

١٧ - **مملكة مالي الإسلامية وعلاقتها مع المغرب وليبيا**: الهادي المبروك الدّالي.

١٨ - **موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية**: الدكتور أحمد شلبي.

١٩ ـ **مواطن الشعوب الإسلامية في أفريقية**: محمود شاكر.
٢٠ ـ **القادة الأفريقيون**: عبدالحميد عبد النبي.
٢١ ـ **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**: أبو عبدالله محمد بن عبدالله/ الشريف الإدريسي.
٢٢ ـ **الإلمام بأخبار مَن بأرض الحبشة من ملوك الإسلام**: تقي الدين علي بن عبدالقادر المقريزي.
٢٣ ـ **الروض المعطار في خبر الأقطار**: محمد بن عبدالمنعم الحميري.
٢٤ ـ **سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب**: أبو الفوز محمد أمين البغدادي الشهير بالسويدي.
٢٥ ـ **معجم الأنساب والأُسر الحاكمة في التاريخ الإسلامي**: إدوارد فون زامباوردت/ النمساوي.
٢٦ ـ **حاضر العالم الإسلامي**: لوثروب ستودارد الأمريكي.
٢٧ ـ **معجم أشراف الحجاز**: أحمد ضياء بن محمد قللى العنقاوي الحسني.
٢٨ ـ **التاريخ الإسلامي**: محمود شاكر.
٢٩ ـ **معجم قبائل الحجاز**: عاتق بن غيث البلادي.
٣٠ ـ **تاريخ قريش**: الدكتور حسين مؤنس.
٣١ ـ **النسب والمصاهريين أهل البيت والصحابة**: علاء الدين المدرس.
٣٢ ـ **معجم قبائل العرب القديمة والحديثة**: عمر رضا كحالة.
٣٣ ـ **صحراء العرب الكبرى**: د. محمد سعيد القشاط.
٣٤ ـ **موسوعة حياة موريتانيا**: العلامة المختار بن حامد الديماني.
٣٥ ـ **موسوعة قبائل العرب**: عبدالحكيم الوائلي.
٣٦ ـ **إمبراطورية غانة الإسلامية**: الدكتور إبراهيم علي طرخان.
٣٧ ـ **الإسلام والمجتمع السوداني «إمبراطورية مالي»**: أحمد الشكري.
٣٨ ـ **الدرر البهية والجواهر النبوية**: مولاي إدريس الفضيلي.
٣٩ ـ **الأطلس التاريخي للعالمين العربي والإسلامي...**: عدنان العطار.
٤٠ ـ **بحث مختصر في الشجرة النبوية على طريقة علم الأنساب الحديثة**: محمد نبيل القوتلي.
٤١ ـ **الموسوعة العلمية في أنساب القبائل العربية**: الدكتور سعد أبو سيف الحوتي.
٤٢ ـ **الثقافة العربية الإسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي**: الدكتور مطير سعد غيث أحمد.

٤٣ ـ **دراسات في تاريخ مملكة غانا**: الأستاذ حمد محمد الجهيمي.
٤٤ ـ **تاريخ بني صالح**: نقيب بني صالح: الحسن بن الشيخ سليمان الحسني.
٤٥ ـ **ورقات الأنساب**: الشريف المهابة بن محفوظ.
٤٦ ـ **القبائل البيضانية في الحوض والساحل الموريتاني**: ابول مارتي.
٤٧ ـ **حياة الإمام القاضي أبو بكر كانْ**: البروفسير الشريف: مصطفى بولي سعيد كانْ.
٤٨ ـ **كتاب والد بن خالنا في الأنساب «مخطوط»**: العلامة والد بن خالنا الديماني.
٤٩ ـ **النظام الإمامي في فوتا تورو بين الطموح والتحدي**: ابن عمر بوسو.
٥٠ ـ **نبذة عن تاريخ فوتا تورو**: إنجاي صيدو آمادو.
٥١ ـ **النجم الثاقب في بعض ما لليدالي من المناقب**: العلامة النابغة القلاوي.
٥٢ ـ **الثقافة العربية الإسلامية في غرب أفريقيا**: الدكتور عمر محمد صالح الفلاني.
٥٣ ـ **كتاب فتح الوهاب على الحسوة البيسانية**: الحسن بن إبراهيم بن صالح الناصري.
٥٤ ـ **كتاب التكملة في تاريخ إمارتي البراكنة والترارزة**: محمد فال بن بابه الإدو علاوي.
٥٥ ـ **حياة الإمام القاضي أبو بكر سي**: الإمام عبدالعزيز سي.
٥٦ ـ **طلعة المشتري في النسب الجعفري**: خالد الناصري.
٥٧ ـ **قبائل العرب في مصر والسودان**: أحمد لطفي السيد.
٥٨ ـ **الشجرة الزنكية في أنساب بني هاشم**: اللواء الركن المتقاعد يوسف بن عبدالله جمل الليل.
٥٩ ـ **موريتانيا الماضي المتحرك والمكان المؤثر**: الأستاذ أحمد ولد سيدي الداودي.
٦٠ ـ **كنوز المطالب في آل أبي طالب**: ابن سعيد الغرناطي.
٦١ ـ **كتاب الجغرافيا**: ابن سعيد الغرناطي. هو نسخة من كتاب (بسط الأرض).
٦٢ ـ **معجم القبائل العربية المتفقة اسماً المختلفة نسباً أو دياراً**: عاتق بن غيث البلادي.
٦٣ ـ **تاريخ موريتانيا العناصر الأساسية**: الدكتور حماه الله السالم.
٦٤ ـ **تاريخ موريتانيا القديم والوسيط والحديث**: الحسين بن محنض.
٦٥ ـ **مرآة جزيرة العرب**: المؤرخ التركي أيوب صبري باشا.
٦٦ ـ **معجم أمراء وحكام الجزيرة العربية**: محمد بن دخيل العصيمي.
٦٧ ـ **الأعلام**: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء، خير الدين الزركلي.
٦٨ ـ **الأغاني**: لأبي الفرج الأصفهاني.

٦٩ ـ **أنوار الربيع في أنواع البديع**: لصدر الدين ابن معصوم، علي الحسيني المدني (ت١١٢٠).

٧٠ ـ **تاريخ الطبري**: تاريخ الرسل والملوك، للطبري أبي جعفر، محمد بن جرير، (ت٣١٠هـ).

٧١ ـ **الحماسة البصرية**: للبصري صدر الدين ابن أبي الفرج ابن الحسين، (ت٦٥٩هـ/ ١٢٦٠م).

٧٢ ـ **فوات الوفيات للكتبي**: محمد بن شاكر بن أحمد، (ت٧٦٤هـ).

٧٣ ـ **ابن الفقيه**: البلدان.

٧٤ ـ **المسالك والممالك**: الإصطخري إبراهيم بن محمد المتوفى في النصف الأول من القرن الرابع الهجري.

٧٥ ـ **شرح مقامات الحريري**: نقلاً عن الاستقصا، **٩٩/٥ ـ ١٠٠**.

٧٦ ـ **معجم البلدان**: ياقوت الحموي.

٧٧ ـ **آثار البلاد وأخبار العباد**: القزويني زكريا بن محمد.

٧٨ ـ **الكامل في التاريخ**: لابن الأثير.

٧٩ ـ **مختارات الأغاني**: لابن منظور أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأفريقي المصري.

٨٠ ـ **معجم الشعراء**: للمرزباني.

٨١ ـ **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**: لابن تغري بردي.

٨٢ ـ **الوافي بالوفيات**: لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي.

٨٣ ـ **الأساس لأنساب الناس**: العلامة الشريف جعفر الأعرجي الحسيني.

٨٤ ـ **البداية والنهاية**: العلامة ابن كثير القرشي.

٨٥ ـ **الإيجاز في تاريخ البصرة والإحساء ونجد والحجاز**: عارف مرضي الفتح.

٨٦ ـ **منتقلة الطالبية**: الشريف النسَّابة أبي إسماعيل إبراهيم بن ناصر ابن طباطبا الحسني.

٨٧ ـ **الإمارة الأخيضرية**: بقلم: أيمن بن سعد النفجان.

٨٨ ـ **ديوان محمد بن صالح العلوي**: صنعة وتحقيق: مهدي عبد الحسين النجم.

٨٩ ـ **التذكرة في الأنساب المطهرة**: للعلامة النسَّابة جمال الدين أبي الفضل أحمد بن محمد بن المهنا الحسيني العبيدلي.

٩٠ ـ **نظرات في: كتاب نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب للقلقشندي**: السيد عبدالستار بن درويش الحسني البغدادي.

٩١ ـ **محراث التراث**: عاتق بن غيث البلادي الحربي.

٩٢ ـ **الأصيلي في أنساب الطالبيين**: صفي الدين محمد بن تاج الدين بن علي المعروف بابن الطقطقي الحسني.

٩٣ ـ **الشجرة المباركة في أنساب الطالبية**: الإمام فخر الرازي.

٩٤ ـ **الفخري في أنساب الطالبيين**: العلاَّمة النسَّابة الشريف إسماعيل المروزي الحسيني.

٩٥ ـ **سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي**: عبدالملك بن حسين بن عبدالملك العاصمي المكي.

٩٦ ـ **كتاب المعقبين من ولد الإمام أمير المؤمنين**: أبي الحسن يحيى بن الحسين المدني العقيقي الحسيني.

٩٧ ـ **المجدي في أنساب الطالبيين**: السيد الشريف علي بن محمد العلوي العمري النسَّابة.

٩٨ ـ **تهذيب الأنساب ونهاية الأعقاب**: أبي الحسن محمد ابن أبي جعفر شيخ الشرف العبيدلي الأنساب.

واستدراك وتعليق عبدالله الشريف الحسين بن محمد المعروف بابن طباطبا الحسني النسَّابة.

٩٩ ـ **المشجر الوافي**: السيد حسين أبو سعيدة الموسوي.

١٠٠ ـ**الدر المنثور في أنساب المعارف والصدور**: العلامة النسَّابة السيد جعفر الأعرجي النجفي الحسيني البغدادي.

١٠١ ـ**لمعلمين والإحساس ببطر الحق وغمط الناس**: أبو عمر محمد غالي محمد المختار سيدي القربوزي.

١٠٢ ـ**قطعة من نسب العلويين**: مخطوط: النسَّابة ابن سعيد الجواني الشريف.






فهرس المجلد الثاني

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع **الصفحة**

الموضوع	الصفحة

